موسوعة

من بدع الصوفية

تحتوي على ١٤ رسالة

السيد عبد المقصود عبد الرحيم



المجموعة الأولى

١ - ٤

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

مَوسُوعَة مِن بِدَع الصُّوفية

المجمُوعَة الأولى

١ - ٤

بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء ٢٠١٣

الاستاذ اشرف عبد المقصود عبد الرحيم

جمهورية مصر العربية

موسوعة

من بدع الصوفية

تحتوي على ١٤ رسالة

المجموعة الأولى

١ - ٤

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

القاهرة

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م

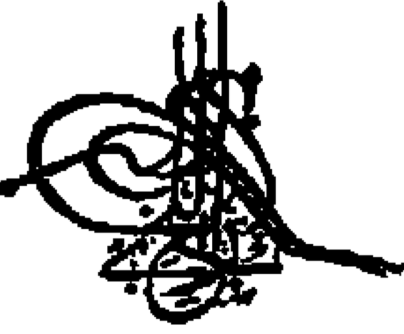
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٥٢٩٤ / ٢٠١٢م

ISBN
978- 977- 481- 061- 9

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

عبد الرحيم ، السيد عبد المقصود .
موسوعة من بدع الصوفية / السيد عبد المقصود عبد الرحيم .. ط١ .. القاهرة : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠١٢ .
المحتويات : تحتوي على ١٤ رسالة
٣ مج ؛ ٢٤سم .
تدمك ٩ ٠٦١ ٤٨١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ـ البدع في الإسلام
٢ـ التصوف الإسلامي أ ـ العنوان
٢١٢,٣

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع



القاهرة : الأزهر ٧ حارة الصوافرة - أمام جامعة الأزهر
ت ٠٢/٢٥٩٩٠٠٧٨ - جوال ٠١٢٢/٣٦٧٦٧٩٧

قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] .

قال ﷺ « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا مَا ليس مِنه فَهو ردٌّ » .

متفق عليه

وقال ابن عمر رض الله عنهما : « كُلُّ بدعة ضلالة وإن رآها الناس حَسَنَة » رواه الدارمي .

مُقَدِّمَةُ المَوْسُوعَة

إنَّ الحمد للَّه ، نحمده ونَستعينه ونَستغفره ، ونَعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ، ومن سيِّئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولُه .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذه موسوعتنا « **من بدع الصوفية** » قصدنا فيها تصحيح مفاهيم مغلوطة دخيلة على إسلامنا الصافي ، انتشرت بين أوساط العوام والخواص وتسربت إلى مجتمعاتنا الإسلامية عبر الطرق الصوفية ومؤلفاتهم

من هنا كانت هذه الموسوعة التي هي نتاج سنوات طويلة من البحث والدراسة في التراث الصوفي في مجتمعاتنا جاءت في أربعة عشر رسالة .

وقد راعينا فيها أن يكون أسلوبها سهلًا قريباً من عوام الناس كما توخينا أبرز الموضوعات عند الصوفية فوضحنا المفاهيم الصحيحة من خلال الكتاب والسنة ونهج السلف الصالح .

ونأمل من اللَّه العلي القدير أن تكون هذه الموسوعة نبراساً على الطريق الصحيح لمن ينشد نهج السلف الصالح سائلين الله تعالى أن نكون ممن يُحسن القول ويُسيء العمل ، كما نسأله سبحانه أن يجنبنا الزلل إنه ولى ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

السيد عبد المقصود

الإسماعيلية في أول أيام التشريق من شهر ذي الحجة ١٤٣٣هـ

المجموعة الأولى

١ - ٤

(١) بهجة الأصفياء في نقد مفهوم الصوفية للأولياء

(٢) تسديد الحراب إلى من زعم وجود الغوث والأقطاب

(٣) الاعتصام برب البرية من بدعتي : « الذكر باسم الله المفرد » و « الحضرة الصوفية »

(٤) تحريض الحشود الوفية لإنكار بدعة أخذ العهود الصوفية

(١)

بهجة الأصفياء

في نقد مفهوم الصوفية عن الأولياء

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

القاهرة
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونَستعينه ونَستغفره ، ونَعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيِّئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هاديَ له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسولُه .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فقد كثر الجدل حول مفهوم الولي وشاع مفهوم غريب عن الولي عند الصوفية يتنافى مع ما جاء في الكتاب والسنة من المفهوم الصحيح عن الولي لهذا كان من الواجب تجلية المفهوم الصحيح للولي في ضوء نصوص الكتاب والسنة الصحيحة وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم .

وقد كان لانتشار المفهوم السيء عن الولي عند الصوفية بعض الآثار السيئة عند العامة وقليل من الخاصة !!

فكيف يتصور أي مسلم صورة الولي بأنه الذي يرتدي ثياباً ممزقة أو رَثَّة ويعلق في رقبته مسبحة طويلة وهو مع ذلك منتفش الشعر وربما في الغالب هاجراً للمساجد تاركاً للصلوات وهو مصاب بلوثة في عقله ، وقد يسيل لعابه على صدره ويأكل الحيوانات الميتة والجيف ويسكن الغيران والكهوف ويتمتم ببعض الكلمات ويهذي ، وربما أكل بعضهم الثعابين والحيات ، ويقوم ببعض الأحوال الشيطانية ويسمون ذلك كرامات وهي في الحقيقة خرافات وأحوال شيطانية أجراها الشيطان على أيديهم ..

وهذه صورة الولي باختصار عند الكثير ممن ينتمون للصوفية !!

وما هكذا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان فقد كانوا من أولياء الله حقاً وصدقاً .

من هنا كانت هذه الرسالة التي سميتها :

« بهجة الأصفياء بنقد مفهوم الصوفية عن الأولياء »

بيّنت فيها : المفهوم الصحيح عن الولي ، ووضحت الصورة المشرقة للولي من خلال النصوص الشرعية ، كما بينت فيها مسلك الطرقية في ادعاء الولاية مع تنكبهم لطريق الكتاب والسنة .

أسأل الله عز وجل أن يتقبلها مني وأن يدخر لي ثوابها في صحيفة الحسنات وأن تكون سبباً لي في دخول الجنات . أسأل الله تعالى أن ينفع بها ، إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

الإسماعيلية في يوم ٢٧ رمضان سنة ١٤٢٨هـ

فصل

في خطأ كثير من الناس في فَهْم ولاية الله تعالى

نحن نعاني كثيرًا من انتشار المفاهيم الخاطئة في الأوساط الإسلامية ، ومن هذه المفاهيم التي داخلها التحريف والتزييف مفهوم الولاية - أعني : **من هو الولي لله عز وجل ؟**

وفي تقديري أن من أكبر أسباب انتشار المفهوم الخاطئ في المجتمعات الإسلامية بل المجتمعات بعامة هو الجهل بدين الله تعالى هذا من جهة ، ومن جهة أخرى انتشار معتقدات الصوفية الخرافيين الطرقية الذين قلبوا الحقائق وزيفوها .

ومن تلك الحقائق : ولاية الله تعالى ، فمن يطالع كتب الطرقية وكلام أئمتهم يجد صورة غريبة أجنبية عما نعرفه عن هذه الولاية في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعن مواصفات الولي لله في الوحيين الشريفين ولنبدأ أولاً ببيان مفهوم ولي لله عند الطرقية والعوام فأقول وبالله التوفيق كثير من الناس بل قطاع كبير منهم يظن أن ولي لله عز وجل هو الذي يعتزل في الغيران والكهوف والجبال ، ويرتدي الثياب الرثّة ، والممزّقة ، ويُعلِّق مسبحة في رقبته ، وربما لا يقرب الماء لشهور عديدة ، وقد يباشر النجاسات ، ويأكل من المزابل والحيوانات الميتة ، ويأوي إلى المقابر ويبيت فيها أحيانًا ، وتراه قد سال لعابه على شدقيه وصدره ويتمتم ببعض الكلمات ، وربما تنبعث منه روائح كريهة تزكم الأنوف ، وربما بل الغالب أنه لا يشهد جمعه ولا جماعة مع الناس ، هذه صورة الولي عند الطرقية وغير قليل من العوام .

وأما عند المنظِّرين للطرقية من شيوخ الطرق الصوفية : فمن واقع كتبهم تطالع العجب كما ستراه في الكلام عن الأحوال الشيطانية الشطحات التي يسمونها « كرامات » وليست كذلك - ولهذا من الخطأ أن يعتقد شخص فيمن ذكرنا من هذه

صفته بل من المستحيل أن يكون من هذا شأنه وليًا من أولياء الله .

ولهذا قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وكل من خالف شيئًا مما جاء به الرسول مقلدًا في ذلك لمن يظن أنه ولي لله ، فإنه بني أمره على أنه ولي الله ، وأن ولي الله لا يخالف في شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله - كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان - لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة ، فكيف إذا لم يكن كذلك ؟! وتجد كثيرًا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليًا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور ، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو يمشي على الماء أحيانًا ، أو يملأ إبريقًا من الهواء أو يتفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يختفي أحيانًا عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت ، فرآه قد جاءه فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سُرق لهم ، أو بمال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله »(١) .

قلت : وصدور مثل هذه الأمور من شخص بالطبع لا تدل على الولاية ولاسيما إذا كان ممن يخالف الكتاب والسنة أو على الوصف الذي ذكرناه في صدر الكلام. بل قد تكون هذه علامات أولياء الشيطان .

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « فإذا كان الشخص مباشرًا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان ، أو يأوي إلى الحمامات ، والحشوش ، التي تحضرها الشياطين ، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله ، فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها ، أو يسجد إلى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلامس الكلاب ، أو النيران ، أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوي إلى المقابر ،

---

(١) الفرقان ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

ولاسيما مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم على سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن : فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن »(١) .

قلت : بل يظن بعضهم في المجانين أنهم أولياء لله عز وجل وكذا من امتنع عن الكلام وظل صامتًا طوال اليوم وامتنع عن الطعام والشراب وأعرض عن النكاح ولم يمس امرأته كل ذلك عندهم من علامات الولاية مع أن الامتناع عن هذه المذكورات لاشك أنه من البدع .

وقال أيضًا رحمه الله : « والتكلم بالخير خير من السكوت عنه ، والصمت عن الشر خير من التكلم به ، فأما الصمت الدائم ، فبدعة نهى عنها وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء فذلك من البدع ، المذمومة أيضًا كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائمًا في الشمس ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم ، فقال النبي ﷺ مُرُوه فليجلس ، وليستظل ، وليتكلم ، وليتم صومه » (٢) (٣) . وقال : « الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله ورسوله »(٤).

وأما عمن يعتقد في المجانين أنهم أولياء فاستمع ما يقول الشيخ رحمه الله : « وأما المجنون الذي رفع عنه العلم ، فلا يصح شيء من عبادته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ، ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا ؛ كالتجارة والصناعة ، فلا يصح أن يكون بزازًا ولا عطارًا

(١) الفرقان ص ١١٠، ١١١ .

(٢) رواه البخاري (٦٣٢٦) وأبو داود (٣٣٠٠) وأحمد (٤ / ١٦٨) .

(٣) الفرقان ص ٨٣ .

(٤) الفرقان ص ٢٤٦ .

ولا حدادًا ولا نجارًا ، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ، ولا شراؤه ، ولا نكاحه ، ولا طلاقه ، لا إقراره ، ولا شهادته ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو ، لا يتعلق بها حكم شرعي ، ولا ثواب ولا عقاب ... وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل امتنع أن يكون وليًا لله ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله »[١] .

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ : « وكذلك المجنون ، فإن كونه مجنونًا يناقض أن يصح منه الإيمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله »[٢] . وقال : « فعلى هذا ، فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم ، بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي الله ، فإن هذا إن لم يكن مجنونًا بل كان متولهًا من غير جنون أو كان يغيب غفلة بالجنون تارة ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد أنه لا يجب عليه إتباع الرسول ﷺ فهو : كافر ، ومن اعتقد أن هذا ولي لله فهو كافر أيضًا ، وإن كان مجنونًا باطنًا وظاهرًا قد ارتفع عنه القلم ، فهذا – وإن لم يكن معاقبًا عقوبة الكافرين – فليس هو مستحقًا لما يستحقه أهل الإيمان والتقوى من كرامة الله عز وجل فلا يجوز على التقديرين . أن يعتقد فيه أحد أنه ولي لله »[٣] .

قلت : وقد نقل الشعراني عن بعض المشايخ أنه قال : « لا يبلغ الرجل منازل الصديقين ، حتى يترك زوجته وكأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ويأوي إلى منازل الكلاب »[٤] .

---

(١) الفرقان ص ٦٨

(٢) الفرقان ص ٧٠

(٣) الفرقان ص ٧٠ ، ٧١

(٤) طبقات الشعراني (١ / ٤٦) . وقد نُقل هذا للأسف في « حلية الأولياء » (٢/٣٥٩) و « سير أعلام النبلاء » (٨/١٥٦) ولكن علق الشيخ الأرناؤوط على ذلك بقوله : « منزلة الصديقين لاتنال بهذا المسلك الأعجمي المخالف لما صح عنه ﷺ من ترك التبتل والرهبنة » .

هذه هي الصوفية التي يدعون إليها ، فهل سمعتم بخبل في العقول وهوس أكثر من هذا ؟ وإلا فكيف يترك الرجل زوجته كأنها أرملة ولا يعطيها حقها ، وكيف يترك أولاده كأنهم أيتام ولا يراعى شؤونهم ولا يعلمهم دين الله ؟ وكيف يترك السكن في الأماكن النظيفة الطاهرة وينام في منازل الكلاب وأماكن النجاسات ؟ أليس هذا مما تنفر منه الطباع وتمجه الأسماع ؟ومن أعجب ما قَرَأْنَا ما حكاه السراج الطوسي أن صوفيًا تزوج امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة وهي بكر لأنه زاهد على زعمه ، وآخر تزوج أربعمائة امرأة ولم يجامع واحدة منهن[١] وثالث تزوج ابنة شيخه فمكثت عنده ثماني عشرة سنة لا يقربها حياءً من والدها ومات عنها وهي بكر[٢] .

ومن أقوالهم في ذلك : « من ترك النساء والطعام فلابد له من ظهور كرامة »[٣] .

قارن هذا بما ورد عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ كيف كان فقيها في دين الله تعالى وكيف كان متبعًا للنبي ﷺ وكان ينكر على الصوفية أشياء كثيرة حتى قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : « إن سبب كراهية أحمد لصحبة الصوفية أن في كلامهم عن التقشف وشذذ السلوك ما لم يرد به شرع ، ومن التدقيق ومحاسبة النفس ما لم يأت به أمر »[٤] .

وتأمل هذه القصة التي جاءت عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ حيث دخل عليه بعض العبّاد ليزوره وكان هذا العابد لم يتزوج ظنًّا منه أن ذلك أفرغ لقلبه وأعون له على العبادة فلما دخل على الإمام قال له : أنت أنت لو أنك ما تزوجت كأنه يقول له لو تفرغت للعلم والعبادة لكان لك شأن آخر فإن الأولاد والزوجة مشغلة فالتفت إليه الإمام أحمد وقال :

---

(١) اللمع ص ٢٦٤ نقلا عن تقديس الفكر الصوفي (١ / ٣١) .

(٢) تذكرة الأولياء ص ٢٤١ لفريد الدين العطار .

(٣) الأخلاق المتبولية للشعراني (٣ / ١٧٩) .

(٤) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٩) .

أو تعدُّ عبادتك وزهدك أقرب إلى الله تعالى من تربيتي لأولادي ؟ قال : نعم ، فقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « والله لَبُكَاءُ ولدي بين يدي يريد كسرة خبز أحبُّ إلى الله من عبادتك سنة كاملة » .

ومن تَرْكِ ما أحل الله من الطيبات وأعدّه الصوفية من الكرامات ما ذكروه في ترجمه إبراهيم الخواص أنه امتنع عن أكل السمك بدعوي « أنه سمع هاتفاً منعه من صيد السمك لتلك العلة »(١) .

وهذا بالطبع بدعة بلا شك ولو صحت هذه العلة لحرم الانتفاع بصيد الغزلان والحيتان والعصافير والحمر الوحشية بل وتعدت العلة منع الانتفاع بكل جماد ونبات لأنه ما من شيء من المخلوقات إلا وهو يسبح مولانا العظيم كما قال : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء : ٤٤] .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس بخلاف لغاتكم وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين »(٢) .

ولعل تعجبك يطول عندما تقرأ ما سطره الشعراني البدوي حيث يقول إنه لازم الصمت وما كان يكلم الناس إلا بالإشارة »(٣) .

ويقول أيضًا : « وكان يمكث الأربعين يومًا وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وكان إذا لبس ثوبًا أو عمامة لا يخلعها للغسيل ، ولا غيره حتى تذوب فيبدلونها بغيرها »(٤) .

---

(١) الرسالة القشيرية ص ٨٤,

(٢) تفسير ابن كثير (٣٩/٣) .

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (١ / ١٨٢ - ١٨٣) .

(٤) المصدر السابق (١ / ١٨٢ - ١٨٣) .

فهل هذه الأفعال التي ذكرها الشعراني عن البدوي توافق هدي رسول الله ﷺ ؟

إن من يقرأ هدى رسول الله ﷺ يجد أن النبي ﷺ من أنظف الناس ظاهرًا وباطنًا وكان يحبّ الطيب ويرغّب فيه ويحض على النظافة وكان يأكل ويشرب من فضل الله تعالى ويقوم وينام ويتزوج النساء ، ويكلم الناس ويسلم عليهم وغير ذلك من الهدي الذي هو خير هدي وجد على ظهر الأرض فدع عنك ترهات الصوفية وخرافاتهم والعجب أنهم يدّعون بعد ذلك أن أصحاب هذه الترهات أولياء لله من دون الناس . ولم يقتصر الأمر على ما ذكره بل يزعم بعضهم أن السرقة كرامة صوفية وصاحبها ولي من الأولياء !!

يقول الدباغ : « إن الولي صاحب التصرف يمدّ يده إلى جيب من يشاء فيأخذ منه ما شاء من الدراهم ، وذو الجيب لا يشعر »(١) .

فماذا نسمي ما ذكره الدباغ هنا ؟ هل يختلف اثنان في أن هذه سرقة ، وكيف يكون وليًا من يسرق جيوب الناس ويسطو على أموالهم ؟

والخلاصة : كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « من لم يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ، ولا بترك السيئات ، لم يكن من أولياء الله »(٢) .

وبعض الناس يعتقدون فيمن لا يحضر جمعة ولا جماعة وينقطع في الخلوات الصوفية أنه من أولياء الله وهذا مفهوم خاطئ وما كان رسول الله ﷺ هكذا ولا كان أصحابه ومن اتبعوهم بإحسان .

قال العلامة الصنعاني رحمه الله : « وقد يعتقدون في بعض فسقة الأحياء ، وينادونهم في الشدة والرخاء ، وهو عاكف على القبائح ، ولا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ولا يحضر جمعة ولا جماعة ولا يعود مريضاً ولا

---

(١) الإبريز للدباغ (٢ / ١٢) .

(٢) الفرقان ص ٦٧ .

يشيع جنازة ولا يكتسب حلالاً ويضم إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب ، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشعش في قلوبهم وباض فيها وفرّخ ويصدقون تهافته ويعظمون شأنه ، ويجعلون هذا ندًّا لرب العالمين ومثلاً ، فيا للعقول أين ذهبت ؟ وياللشرائع كيف جهلت ؟ »(١) .

والغريب أن بعض الصوفية يحاول أن يبحث له في كتاب الله عن مبرر لعمله المخالف الكتاب والسنة .

ومن ذلك ما ذكره القرطبي نقلاً عن المفسر ابن عطية رحمهما الله : « قال ابن عطية : استدل العباد (أي الصوفية) في تأديب أنفسهم بالبأساء في تفريق الأموال والضراء في الحمل على الأبدان بالجوع والعري بقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٢] » .

قال : « وهذه جهالة ممن فعلها وجعل هذه الآية أصلاً لها ، وهذه عقوبة من الله لمن شاء من عباده أن يمتحنهم بها ، ولا يجوز لنا أن نمتحن أنفسنا ونكافئها قياساً عليها ، فإنها المطية التي نبلغ عليها دار الكرامة ، ونفوز بها من أهوال القيامة ، وفي التنزيل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة : ١٧٢] فأمر المؤمنين بما خاطب به سيد المرسلين وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يأكلون الطيبات ويلبسون أحسن الثياب ، ويتجملون بها ، وكذلك التابعون بعدهم إلى هلم جراً ولو كان كما زعموا واستدلوا لما كان

(١) تطهير الاعتقاد ص١٣ .

في امتنان الله تعالى بالزروع والنبات والجنات وجميع الثمار والنبات والأنعام التي سخرها وأباح لنا أكلها وشرب ألبانها والدفء بأصوافها إلى غير ذلك مما امتن به كبير فائدة فلو كان ما ذهبوا إليه فيه الفضل لكان أولى به رسول الله ﷺ وأصحابه ومن بعدهم من التابعين والعلماء »[1] .



(١) تفسير القرطبي (٦/٢٢٤-٢٢٥) .

فصل

في المفهوم الصحيح لولاية الله وصفات أولياء الله

ولاية الله تعالى هي محبة الله تعالى والتقرب إليه بالأعمال الصالحة وعلى رأسها الإيمان والتقوى والمداومة على الطاعات .

فأولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون كما قال تبارك وتعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٤] .

قال أبو حيان رحمه الله : « قال ابن عطية وهذه الآية يقضي ظاهرها أن من آمن واتقى فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي وإنما نبهنا هذا التنبيه حذرا من مذهب الصوفية وبعض الملحدين في الولي »(١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطي ، ومنعوا من يحب أن يمنع »(٢) .

وقال أيضًا في تعريف الولي : « ولي الله من ولاه بالموافقة في محبوباته ومرضياته ،وتقرب إليه بما أمر من طاعته »(٣) .

وقال ابن القيم رحمه الله : « أولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكمون لرسوله في الحرم والحل الذين يخالفون غيره في سنته ، ولا يخالفون سنته لغيرها، فلا يبتدعون

---

(١) البحر المحيط (٥ /١٧٤) .

(٢) الفرقان ص ١٠ .

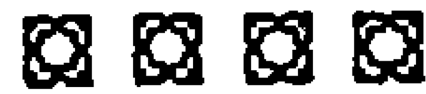
(٣) مجموع الفتاوى (٦٢/١١) .

ولا يدعون إلى بدعة ،ولا يتحيزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه ،ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً ،ولا يستحبون سماع الشيطان على سماع القرآن »[١] .

وقال أيضاً : « الولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا رياضة »[٢] .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: « أولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه وأعداؤه الذين أبعدهم منهم بأعمالهم المقتضية تطردهم »[٣] .

وما أجمل قول شيخ الإسلام كتعريف جامع للأولياء : « أولياء الله هم الذين يتبعون رضاه بفعل المأمور ، وترك المحظور ،والصبر على المقدور »[٤] .



(١) الروح ص٣٤٨ .

(٢) الجواب الكافي ص١٣٧ .

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/٣٣٥) .

(٤) مجموع الفتاوى (١/٨٥) .

فصل

والولاية تتفاضل بحسب إيمان العبد وتقواه

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى كان أكمل ولاية لله ، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى ، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق »(١) .

قلت : تبين من هذا أن كل من حقَّق الإيمان والتقوى هو ولي لله عز وجل فبعضهم قد يبلغ الدرجة العليا وهم المقربون وبعضهم دون ذلك وهم المقتصدون .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « أولياء الله على طبقتين : سابقون مقربون ، وأصحاب يمين مقتصدون ذكرهم الله تعالى في عدة مواضع من كتابه العزيز في أول سورة الواقعة ، وفي آخرها ، وفي سورة الإنسان والمطففين وفي سورة فاطر »(٢) .

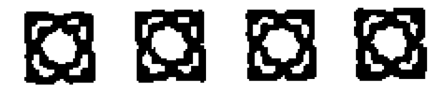
وأيضًا ذكرهم النبي ﷺ في الحديث القدسي عن رب العزة فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه جل جلاله في أشرف حديث في صفة الأولياء حيث يقول ربنا تبارك وتعالى : « من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته

(١) الفرقان ص ٤٤ .

(٢) الفرقان ص ٤٤ .

ولابدَّ منه »[١] .

وقد علَّق شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الحديث فقال : « الأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ، ويتركون ما حرَّم الله عليهم ، ولا يكلِّفون أنفسهم بالمندوبات ، ولا الكفّ عن فضول المباحات ، وأما السابقون المقربون ، فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات ، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباته أحبهم الربّ حبًّا تامًّا »[٢] .



(١) رواه البخاري (٦١٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الفرقان ص ٤٩ ، ٥٠ .

فصل

أولياء الله تعالى لا يتميزون على الناس بلباس أو غيره

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميزون بلباس دون لباس ، إذا كان كلاهما مباحًا ، ولا بحلق شعرٍ أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحًا ، كما قيل : كم من صدِّيق في قباء ، وكم من زنديق في عباء »[١] .

أولياء الله تعالى يوجدون في الأمة متفرقون : فمنهم العالم ، والمجاهد وحتى أصحاب الحرف إذا حققوا التقوى والإيمان كان منهم أولياء لله عز وجل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن ، وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجار ، والصناع ، والزّراع »[٢] .

أولياء الله قدوتهم رسول الله ﷺ .

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ : « أولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ فيفعلون ما أمر ، وينتهون عما نهى عنه وزجر ، ويقتدون به فيما بيّن لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم الله بملائكته ، وروح منه ، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره ، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين »[٣] .

---

(١) الفرقان ص ٧٢ .

(٢) الفرقان ٧٢ .

(٣) الفرقان ص ٢٠٦ .

وقال : « أولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور ، وصبروا على المقدور ، فأحبهم وأحبوه ، ورضي عنهم ورضوا عنه »[(١)] .



(١) الفرقان ص ٢٠٢ .

فصل

أولياء الله هم المعتصمون بالكتاب والسنة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره إتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة – وهو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل ومن خالف في هذا فليس من أولياء الله سبحانه الذي أمر الله باتباعهم بل إما أن يكون كافرًا ، وإما أن يكون مفرطًا في الجهل وهذا كثير في كلام المشايخ ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني : « إنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم ، فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة » ، وقال أبو القاسم الجنيد رَحِمَهُ اللَّهُ : « عِلْمُنا هذا مقيّد بالكتاب والسُّنَّة فمن لم يقرأ القرآن ، ويكتب الحديث لا يصلح أن يتكلم في عِلْمِنا » . أو قال : « لا يُقتدي به » ، وقال أبو عثمان النيسابوري : « من أمَّرَ السُّنَّةَ على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور : ٥٤][(١)] .

والحاصل : أن صفات أولياء الله كثيرة من أرادها فعليه القرآن والسنة ، ففيها الشفاء والكفاية .



(١) الفرقان ص ١٠٠ .

فصل

في المعيار الفارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

من مِنَن الله تعالى على الناس وما أكثرها ومن أعظمها إرسال النبي ﷺ إلينا : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

لذلك كان هو القدوة والأسوة ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

فكل عمل وكل قول ينبغي أن يوزن على ميزان الكتاب والسُّنَّة فما وافقهما قُبِلَ وما خالفهما رد فهما معيار صحة العمل وقبوله وقد ضمن النبي ﷺ لمن تمسَّك بهما عدم الضلال فقال ﷺ : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض »(١) .

فالأحوال تُقاس بمدى الموافقة أو المخالفة للكتاب والسُّنة فمن ادَّعى حالة من الحالات وهي تخالف الشرع المطهر فهي مردودة على صاحبها كائنًا من كان ، لذا قد اشتهرت هذه الكلمة على ألسنة أهل العلم : « إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء وأفعاله وأقواله تخالف الشرع فاضربوا به عرض الحائط »(٢).

فلا يمكن أن يقبل من أكلة النار والحيات والثعابين ، ومن يضربون أجسادهم بأسياخ الحديد ويبلعون الزجاج ، ويزعمون دخول النار وغير ذلك من الأحوال الشيطانية لا يقبل منهم الادعاء بأن ذلك من الأحوال الرحمانية التي توافق الكتاب

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (١٦١/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم (٢٩٣٧)

(٢) كلمة مشهورة عن الإمام الشافعي رحمه الله .

والسنة ؛ لأن الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه هي ثمرة من ثمرات الاستقامة على المنهج الصحيح لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «كرامات الأولياء لا تكون بما نهي الله عنه ورسوله من أكل الخبائث كما لا تكون بترك الواجبات»[١] .



(١) «مجموع الفتاوى» (١١/٦١٠) .

فصل

في أن الكرامة ثمرة الاستقامة

الكرامة : هي أمر خارق للعادة ، غير مَقْرون بدعوى النبوة ،يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم »[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة إتباع رسول الله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ »[٢] .

وقال : «كرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ،ولا تدل على أن الولي معصوم ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله »[٣] .

وقال أيضًا : « كرامات الأولياء سببها الإيمان والتقوى ، والأحوال الشيطانية يكون سببها ما نهى الله عنه ورسوله ، ويستعان بها على ما نهى الله عنه ورسوله وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

فالقول على الله بغير علم والشرك والظلم والفواحش ، قد حرمها الله تعالى ورسوله ؛ فلا تكون سببًا لكرامة الله تعالى ، ولا يستعان بالكرامات عليها . فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن تحصل بما يحبه الشيطان ، وبالأمور التي فيها شرك ، كالاستعانة بالمخلوقات ، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق ، وفعل الفواحش ، فهي من الأحوال الشيطانية ، لا من

(١) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/٣٩٢) .

(٢) الفرقان ص ٢٠٦ .

(٣) النبوات (١/١٤٣) .

الكرامات الرحمانية »(١) .

وفي معرض الردّ على مدَّعي الكرامات مع مخالفة الشرع يقول الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : « ولا يلتفت إلى قول من يزعم أن هذا كرامة لأن الله عز وجل لا يكرم مخالفًا لشرعه »(٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « غاية الكرامة لزوم الاستقامة فلم يكرم الله عبدًا بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقرِّ به إليه ويرفع به درجته »(٣) .

والحاصل : أن الفارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وأحوالهم هو اتباع الشرع المطهر المتمثل في الكتاب والسُّنَّة .

قال العلامة شهاب الدين الالوسي رَحِمَهُ اللَّهُ : « وأحسن ما يعتمد عليه في معرفة الولاية اتباع الشريعة الغراء وسلوك المحجة البيضاء فمن خرج عنها قيد شبر بَعُدَ عن الولاية بمراحل فلا ينبغي أن يطلق عليه اسم الولي ولو أتي بألف ألف خارق فالولي الشرعي اليوم أعز من الكبريت الأحمر ولا حول ولا قوة إلا بالله »(٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وجماع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة الرسول ﷺ فإنه هو الذي فرّق الله به بين أوليائه وأعدائه ، وبين أوليائه السعداء وأعدائه الأشقياء ، وبين أوليائه أهل الجنة ، وأعدائه أهل النار ، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد ، وأعدائه أهل الغيِّ والفساد ، وبين أوليائه جند الرحمن ، وأعدائه حزب الشيطان »(٥) .

---

(١) الفرقان ص ٢٣٦ .

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٧٤ .

(٣) الفرقان ص ٢٥٤ .

(٤) روح المعاني (١٤٩/١١) .

(٥) الفرقان ص ٢٠٢ .

وقال : « فكل من خرج عن الكتاب والسنة ،وكان له حال مكاشفة أو تأثير ،فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال ،فهو صاحب حال بهتاني »[١] .



(١) مجموع الفتاوى (١١٤/٣٥) .

فصل

في أن خرق العادة لشخص لا يدل على ولايته مالم يكن متبعاً

وقال أيضًا : « وقد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يُغْتَرّ به حتى يُنظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه »(١) .

وقال أيضًا « فلا يجوز أن يظنّ أن كل من له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله ، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دلّ عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة ، وشرائع الإسلام الظاهرة »(٢) .

وقال أيضًا : « وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ ، وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم فإن الأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل وتجب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الأولياء ، فإنه لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الإيمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسُّنَّة ، فما وافق الكتاب والسُّنّة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسُّنَّة كان مردودًا »(٣) . وقال : « ولهذا لو ذَكَرَ الرجل الله سبحانه - دائما ليلا ونهارًا مع غاية الزهد ، وعَبَدَه مجتهدًا في عبادته ، ولم يكن متبعًا لذكره الذي أنزله وهو القرآن : كان من أولياء الشيطان ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، فإن الشيطان يحمله في الهواء وعلى الماء »(٤) .

---

(١) الفرقان ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الفرقان ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٨ .

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « إنّ الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدلّ على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى ، وهو غلط ممن يقوله ، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب ، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله إلى فارق ، وأولى ما ذكروه أن يُختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكًا بالأوامر الشرعية ، والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا »(١) .

وقال العلامة السبكي : « إن أهل القبلة متفقون على أن الكرامات لا تظهر على الفسقة والفجرة ، وإنما تظهر على المتمسكين بطاعة الله عز وجل »(٢) .

وجاء في شرح العقيدة الواسطية : « يجب التنبه إلى أن ما يقوم به الدجاجلة والمشعوذون ، من أصحاب الطرق المبتدعة الذين يسمون أنفسهم بالمتصوفة من أعمال ومخاريق شيطانية كدخول النار ، وضرب أنفسهم بالسلاح ، والإمساك بالثعابين ، والإخبار بالغيب ، إلى غير ذلك ليس من الكرامات في شيء ، فإن الكرامة إنما تكون لأولياء الله بحق ، وهؤلاء أولياء للشيطان »(٣) .

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ولا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات ، أن ذلك كرامة من الله سبحانه . فقد يكون من تلبيس الشيطان ومكره . بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسُّنَّة ، فإن كانت موافقة لهما في صدق وكرامة من الله سبحانه ، وإن كانت مخالفة لشيء من ذلك فليعلم أنه مخدوع ممكور به ، قد طمع منه الشيطان فلبس عليه »(٤) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « من ظهر على يديه خارق فإنه يوزن

---

(١) فتح الباري (٧ / ٤٤٣) .

(٢) طبقات الشافعية (٢ / ٣٣٠) .

(٣) شرح العقيدة الواسطية ص ١٦٨ .

(٤) قطر الولي ص ٢٣٤ .

بميزان الشرع ، فإن كان على الاستقامة كان ما ظهر على يديه كرامة ، ومن لم يكن على الاستقامة كان ذلك فتنة ، كما يظهر على يدي الدجال من إحياء الميت ، وما يظهر من جنته وناره ، فإن الله يضل من لا خلاق له بما يظهر على يدي هؤلاء ، وأما من تمسك بالشرع الشريف ، فإنه لو رأى من هؤلاء من يطير في الهواء أو يمشي على الماء فإنه يعلم أن ذلك فتنة للعباد »[١] .

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله : « ومن هنا يعلم أن كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة فلا يصح ردها ولا قبولها ، إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة ، فإن ساغت هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها وإلا لم يقبل »[٢] .

وقال ابن الجوزي رحمه الله : « وقد لبّس إبليس على قوم من المتأخرين فوضعوا حكايات في كرامات الأولياء ليشيدوا بزعمهم أمر القوم ، والحق لا يحتاج إلى تشييد بباطل ثم ساق قصة عن سهل بن عبد الله فيها أن أحد الأولياء اشترط عليه أن يرمي ما معه من الزاد ، حتى يعطيه نور الولاية فتكون له خوارق للعادات ، ففعل إلى أن قال سهل : فغشيني نور الولاية .

ثم علّق ابن الجوزي بقوله : « ويدل على أنها حكاية موضوعة قولهم : « اطرح ما معك » ؛ لأن الأولياء لا يخالفون الشرع والشرع قد نهى عن إضاعة المال »[٣] .

وينقل ابن الجوزي رحمه الله عن أحد الصوفية أنه قال : « احتجت يومًا إلى الوضوء ، فإذا أنا بكوز من جوهر وسواك من فضة ، رأسه ألين من الخز[٤] ،

---

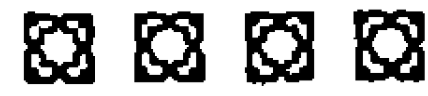
(١) مجموع الفتاوى (٤/١٦) .

(٢) الموافقات (٢ / ٢٧٨) .

(٣) تلبيس إبليس ص ٣٧١ نقلاً عن تقديس الأشخاص ٢ / ٢٩٢ .

(٤) الحرير .

فاشتكت بالسواك ، وتوضأت بالماء وتركتها وانصرفت » ثم علّق ابن الجوزي على القصة بقوله : « إن صحت دلت على قلة علم هذا الرجل إذ لو كان يفهم الفقه علم أن استعمال السواك الفضة لا يجوز ولكن قلَّ علمه فاستعمله وإن ظنَّ أنه كرامة ، والله تعالى لا يكرم بما منع من استعماله شرعًا »[١] .

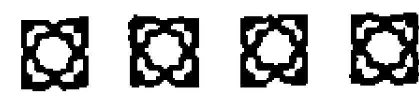


(١) تلبيس إبليس ص ٣٦٨ .

فصل

في أن الشرع ميزان الأعمال والأقوال

ويقول العز بن عبد السلام رحمه الله : « الشرع ميزان يوزن به الرجال وبه يتيقن الربح من الخسران ، فمن رجح في ميزان الشرع كان من أولياء الله ومختلف مراتب الرجحان ، ومن نقص في ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران ، وتتفاوت خفتهم في الميزان ... فإذا رأيت أنسانًا يطير في الهواء ويمشي على الماء أو يخبر بالمغيبات ويخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب مُحلل ، أو يترك الواجبات بغير سبب مجوِّز ، فاعلم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهله ... وكذلك من يأكل الحيات ويدخل النيران فإنه مرتكب للحرام يأكل الحيات ، وفاتن للناس بدخول النيران ليقتدوا به في ضلالته ويتابعوه على جهالته »[1] .



(١) قواعد الأحكام (٢ / ١٩٤) .

فصل

في إثبات الكرامات للصالحين معتقد أهل السنة وذكر طرفًا منها

قد يظن البعض أن في ردّنا على الخرافيين من أرباب الأحوال والشطح والدعاوى الباطلة من الطرقية الصوفية وإنكارنا عليهم تلك الأحوال قد يُظَن أننا تنكر كرامات الصالحين الثابتة لهم ، والحق أن هذا غير صحيح ، إذ كرامات الأولياء أمر ثابت لا ريب فيه وقد دل عليه الكتاب والسنة المطهرة وجاء عن سلف الأمة شيء من ذلك ، وقد أثبتوا ذلك في كتبهم التي دونوا فيها المعتقد ، حتى صارت أصلاً من أصول المعتقد عند أهل السنة والجماعة خلافًا لمن أنكرها من المعتزلة وغيرهم من أهل البدع .

قال الإمام الطحاوي رحمه الله : « ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصحّ عن الثقات من رواياتهم »[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والمشهور عند أهل السنة إثبات الكرامات مطلقًا »[٢] .

وقالوا في تعريف الكرامة : « أمر خارق للعادة يجربها الله على يد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة ، معونة له على أمرٍ ديني أو دنيوي »[٣] .

وفي إحدى المنظومات[٤] :

وأثبتن للأولياء الكرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

---

(١) شرح الطحاوية ص ٤٣١

(٢) شرح الطحاوية ص٤٣١

(٣) فتح الباري (٧ / ٣٨٢) .

(٤) تحفة المريد ص ٣٩ للباجوري .

وقد وقعت الكثير من الكرامات للصحابة والتابعين غير أنها في عهد الصحابة أقل بالنسة لمن بعدهم وسوف نعرف السبب في ذلك الحاصل أن الكرامات ثابتة فمن ذلك ما جمعه أبو القاسم اللالكائي وأبو نعيم في « الدلائل » والبيهقي أيضًا في « الدلائل » وغيرهم جمعوا ما جاء عن الصحابة والتابعين وتابعيهم من الكرامات وقد أحسن الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال : « ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم » . فقيّد ذلك بالصحة عنهم وذلك لأن بعض الروايات قد لا تثبت عنهم وربما ألصقت مرويات عنهم في الكرامات ولا يصح منها شيء ، فمن هذه الكرامات ما ذكره الله تعالى في قصة أصحاب الكهف حيث لبثوا في كهفهم ثلاث مائة عام وازدادوا تسعًا كما حكي الله عنهم ولم يتغيروا ولم تأكلهم الأرض ولا أنكرهم الناس ومن ذلك الرزق الذي آتاه الله تعالى لمريم الصديقة البتول عليها الصلاة والسلام وقد حكاه الله تعالى في قوله : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران : ٣٧] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائرهم كثيرة جدًا ؛ مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السُرج وهي الملائكة - نزلت تستمع لقراءته[(١)] ، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين[(٢)] .

وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها[(٣)] ، وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٧٩٦) وفي بعض الطرق أنه كان يقرأ سورة البقرة .

(٢) صفة الصفوة (١ / ٦٨١) لابن الجوزي .

(٣) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١ / ٢٢٤) .

مظلمة ، فأضاء لها طرف السوط ، فلما افترقا افترق الضوء معها[١] ... وقصة الصِّديق لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته ، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا ، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك ، فنظر أبو بكر وامرأته ، فإذا هي أكثر مما كانت ، فرفعها إلى رسول الله ﷺ وجاء إليه أقوام كثيرون ، فأكلوا منها[٢] ، وخبيب بن عدي ، كان أسيرًا عند المشركين بمكة ، وكان يؤتي بعنب يأكله ، وليس بمكة عنب[٣] ، وعامر بن فهيرة ، قتل شهيدًا فالتمسوا جسده ، فلم يقدروا عليه ، وكان لمَّا قتل رفع ، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع ، قال عروة : فيرون أن الملائكة دفنته[٤] . وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر ، وكانت صائمة ، سمعت حسًّا على رأسها فرفعته ، فإذا دَلْو برشاء أبيض معلَّق ، فشربت منه حتى رويت ، ما عطشت بقية عمرها[٥] . وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه مولي رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله إلى مقصده[٦] ، والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبرَّ قسمه[٧] ... وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان مستجاب الدعوة ما دعا قط إلا استجيب له[٨] ... وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أرسل جيشًا

---

(١) رواه البخاري (٣٥٩٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٥٣٧) ومسلم (٢٠٥٧) .

(٣) رواه البخاري (٢٨٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٣٨٦٧) وابن سعد في الطبقات (٣ / ٢٣٠) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢ / ٦٧) .

(٦) رواه أبو نعيم في « دلائل النبوة » ص ٣١٢ .

(٧) رواه الترمذي (٣٩٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٨) وذلك لحديث الترمذي (٣٨٣٥) أن النبي ﷺ قال : « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » .

وأمَّر عليهم رجلاً يسمى : سارية ، فبينما عمر يخطب ، فجعل يصيح على المنبر : يا ساريةُ الجبلَ ، يا ساريةُ الجبلَ ، فقدم رسول الجيش ، فسأله فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا ، فإذا بصائح : يا ساريةُ الجبل ، يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله »(١) .

ولما عُذِّبت الزنيرة(٢) على الإسلام في الله ، فأبت الإسلام ، وذهب بصرها ، قال المشركون : ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى ، قالت : كلا والله ، فردَّ الله عليها بصرها(٣) ، ودعا سعيد بن زيد على أروى ، لما كذبت عليه ، فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت(٤) ، والعلاء بن الحضرمي ، كان عامل رسول الله ﷺ على البحرين ، وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حليم يا عليٌ يا عظيم ، فيستجاب له ، ودعا الله أن يسقوا ويتوضؤا لما عدموا الماء ، ولا يبقى الماء بعدهم فأجيب ، ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم ، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سُرُج خيولهم ، ودعا الله أن لا يروا جسده إذا مات ، فلم يجدوه في اللحد(٥) وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني(٦) ... وطلبه الأسود العنسي لما ادَّعى النبوة ، فقال :

---

(١) رواه أبو نعيم في « الدلائل » والبيهقي في « الدلائل » و « الاعتقاد » وص ٣١٤ وحسنه ابن حجر في « الإصابة (٣ / ٤) والسيوطي في « تخريج أحاديث العقائد » للتفتازاني ص ٦٤ .

(٢) هي مولاة أبي بكر الصديق رضي الله عنها لها ترجمة في « الإصابة » (٧/ ٦٦٤) ، الاستيعاب (٤ / ١٠٨٤٩) .

(٣) أخرجه ابن هشام في السيرة (١ / ٣٤٠) .

(٤) رواه مسلم (٦١٠) وأصله في البخاري (٣٠٢٦) .

(٥) رواه أبو نعيم في « الحلية » (١ / ٧) و « دلائل النبوة » (ص ٢٠٨) .

(٦) هو عبد الله بن ثوب الخولاني تابعي فقيه عابد زاهد ثقة أصله من اليمن أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره ، انظر: تهذيب التهذيب (١٢ / ٢٣٥) .

أشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمدًا رسول الله ؟ قال : نعم ، فأمِرَ بنار فالقي فيها ، فوجدوه قائمًا يصلي فيها ، وقد صارت عليه بردًا وسلامًا[(١)] ، وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما وقال : الحمد لله الذي لم يميتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله ، وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في مكة ، وما يلقاه من سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجيء إلى بيته ، فلا يتغير عددها ولا وزنها[(٢)] ... ودعا الله تعالى أن يهوّن عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتي بالماء له بخار[(٣)] ... وتغيب الحسن البصري عن الحجاج ، فدخلوا عليه ست مرات ، فدعا الله عز وجل فلم يروه ، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيهم فخرّ ميتا[(٤)] ، وصلة بن أُشيم : مات فرسه وهو في الغزو ، فقال : اللهم لا تجعل لمخلوق عليّ منّة ، ودعا الله عز وجل فأحياه له ، فلما وصل إلى بيته قال : يا بني خذ سرج الفرس ، فإنه عارية . ، فأرسل فأخذ سرجه فمات الفرس[(٥)] ... ولما مات أويس القرني ، وجدوا في ثيابه أكفانًا لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبرًا محفورًا فيه لَحْدٌ في صخرة فدفنوه فيه ، وكفنوه في تلك الأثواب ، وكان عمرو بن عتبة يصلي يومًا في شدة الحر ، فأظلته غمامة ، وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب أصحابه ؛ لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أن يخدمهم[(٦)] ، وكان

(١) رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢ / ١٢٨) .
(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (ص ٢٩٥) .
(٣) رواه في المبارك في « الزهد » (ص ٢٩٥) .
(٤) انظر:جامع العلوم والحكم ص ٣٢٢ .
(٥) رواه ابن المبارك ص ٢٩٥ في « الزهد » .
(٦) رواه أ بو نعيم في « الحلية » (٢ / ١٥٧) وابن المبارك في « الزهد » ص (٣٠١) .

مطرف بن عبد الله الشِّخِّير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته[(١)] ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمةٍ ، فأضاء لهما طرف السوط[(٢)] ... وكان عبد الواحد بن زياد يد أصابه الفالج فسأل ربه أن يطلق أعضاءه وقت الوضوء ، فكانت وقت الوضوء تطلق ، له أعضاؤه ثم تعود بعده[(٣)] وهذا باب واسع »[(٤)] .



---

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » ص ٢٤١ .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » ص ٢٤١ ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢ / ٢٠٥)وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧ / ١٤٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٦ / ١٥٥) .

(٤) الفرقان ص ٢٣٠ .

فصل

في أن جريان الكرامة على يد شخص ليس شرطًا في بلوغ الولاية

قد يعتقد بعض الناس أن الولي هو من جرى على يديه كرامة من الكرامات أما من لم يجر على يديه كرامة فلا يعد وليًا من الأولياء وهذا الاعتقاد خاطئ حيث أن الكرامة ليست شرطًا في الولاية فقد يكون الشخص وليًا من أولياء الله تعالى ولم يرد أن كرامة من الكرامات جرت على يديه .

وهذا يؤكد أن الكرامة بحسب حاجة الشخص فقد يكون من جرى على يديه كرامة ضعيف الإيمان يحتاج إلى تقوية لذا أجرى الله تعالى على يديه هذه الكرامة لذلك وقد يكون غيره قوى الإيمان لا يحتاج إلى ذلك ولاشك أن قوي الإيمان أكمل ولاية ولو لم تجر على يديه كرامة ممن جرى على يديه كرامة .

قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : « قال علماؤنا رحمة الله عليهم ومن أظهر الله تعالى على يديه ممن ليس نبي كرامات وخوارق للعادات فليس ذلك دالا على ولايته خلافا لبعض الصوفية والرافضة حيث قالوا إن ذلك يدل على أنه ولي إذ لو كان وليا ما أظهر الله على يديه ما أظهر ودليلنا أن العلم بأن الواحد منا ولي لله لا يصح إلا بعد العلم بأن يموت مؤمنا وإذا لم يعلم أنه يموت مؤمنا لم يمكننا أن نقطع على أنه ولي لله تعالى لأن الولي لله تعالى من علم الله تعالى أنه لا يوافي إلا على الإيمان ولا الرجل نفسه يقطع على أنه يوافى بالإيمان علم أن ذلك ليس يدل على ولايته قالوا ولا نمنع أن يطلع بعض أوليائه على حسن عاقبته وخاتمة عمله وغيره »(١) .

لذلك يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان ، أو المحتاج ، أتاه منها ما

---

(١) « تفسير القرطبي » (٢٩٨/١) .

يقوى إيمانه ويسد حاجته ، ويكون مَنْ هو أكمل ولاية لله منه مستغنيًا عن ذلك ، فلا يأتيه ، مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها ، لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدى الخلق ولحاجتهم ، فهؤلاء أعظم درجة »(١) .

قلت : رحم الله شيخ الإسلام فهو صاحب نظر عميق جدًا فإن من تتبع كرامات الصحابة رضي الله عنهم يجدها قليلة بالنسبة لكرامات التابعين ولم يقل أحد أن التابعين أكمل ولاية من الصحابة بسبب كثرة الكرامات التي وقعت فيهم ولو تتبعنا كرامات الصحابة رضي الله عنهم لوجدنا عددها محدود ولم تقع من جميعهم بل من بعضهم ولا يقلل هذا من شأن من لم تقع منهم لذا ينبغي التنبه لهذه المسألة ولاشك أن الكرامة التي يجريها الله على يد عبده الصالح المتبع للكتاب والسنة ينبغي عليه أن يحمد الله عز وجل ، ولا يغتر فإن الغرور مهلك وقاصم للظهور .

وقال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وعن بكر بن عبد الله المزني وهو في الزهد لأحمد قال كان الرجل في بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ فمشى في الناس تظله غمامة قلت شاهده أن الله قال : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ [البقرة : ٥٧] ففعل بهم تعالى ذلك عاما وكان فيهم الطائع والعاصي فنبينا صلوات عليه أكرم الخلق على ربه وما كانت له غمامة تظله ولا صح ذلك بل ثبت أنه لما رمى الجمرة كان بلال يظله بثوبه من حر الشمس ولكن كان في بني إسرائيل الأعاجيب والآيات ولما كانت هذه الأمة خير الأمم وإيمانهم أثبت لم يحتاجوا إلى برهان ولا إلى خوارق فافهم هذا وكلما ازداد المؤمن علما ويقينا لم يحتج إلى الخوارق وإنما الخوارق للضعفاء ويكثر ذلك في اقتراب الساعة »(٢) .

---

(١) نقله في « شرح الطحاوية » ص ٤٣٣ .

(٢) « سير أعلام النبلاء » (٤ /٥٣٣) .

قال شارح الطحاوية رَحِمَهُ اللَّهُ : « اعلم أن عدم الخارق علمًا وقدرة لا تضر المسلم في دينه ، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ، ولم يُسخَّر شيء من الكونيات ، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له »(١) .

قلت : ومن هذا يعلم بطلان ما يعتقد كثير من العوام أن الولي إذا لم تظهر على يديه كرامة فليس بولي ، وعلى حد وقول العامة عندنا في صعيد مصر « لم يُبَيِّن » ولا ريب أن هذا باطل !!

ومما يُعلم أيضًا : أنه ينبغي على العبد المسلم أن يلزم الاستقامة على أمر الله تعالى ، ويجتنب المحظور وما أحسن قول أبي علي الجوزجاني رَحِمَهُ اللَّهُ : « كن طالبًا للاستقامة ، لا طالبًا للكرامة ، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة »(٢) .

ونقل شارح الطحاوية عن الشيخ السهروردي قوله : « وهذا أصل كبير في الباب فإن كثيرًا من المجتهدين المتعبدين سمعوا عن السلف الصالحين المتقدمين ، وما مُنحوا من الكرامات وخوارق العادات ، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك ، ويحبون أن يرزقوا شيئًا منه ، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب ، متهمًا لنفسه في صحة عمله ، حيث لم يحصل له خارق ، ولو علموا بسرٍّ ذلك لهان عليهم الأمر ، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابًا ؛ والحكمة فيه أن يزداد بما يرى، من خوارق العادات وأمارةِ القدرة يقينًا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا ، والخروج من دواعي الهوى ، فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة ، فهي كل كرامة »(٣) .

---

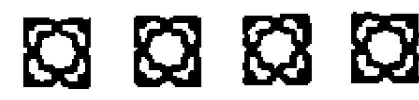
(١) « الفرقان » ص ٢١٣ - ٢٢٩ بتصرف يسير .

(٢) « الفرقان » ص ٢٣٠ .

(٣) « شرح العقيدة الطحاوية » ص ٤٣٣ لأبن ابي العز .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في ردِّه على المبتدعة الذين جعلوا من الخوارق مقياسًا للولاية : « وجوزوا الكرامات لكل من زعم الصلاح ولم يقيدوا الصلاح بالعلم الصحيح والإيمان الصادق والتقوى ، بل جعلوا علامة الصلاح هذه الخوارق وجوزوا الخوارق مطلقًا ، وحكوا في ذلك مكاشفات ، وقالوا أقوالاً منكرة »[1] .

يقول الأستاذ محمد أحمد لوح : « ولا ريب أن اتخاذ الخوارق معيارًا لمعرفة أولياء الله تعالى وعباده الصالحين منهج غير سليم »[2] ، ثم نقل عن الشاطبي قوله : « ليس كل ما يظهر على يدي الإنسان من الخوارق بكرامة ، بل منها ما يكون كذلك ، ومنها ما لا يكون كذلك ، وبيان ذلك أن أرباب التصريف بالهمم والتقربات بالصناعة الفلكية والأحكام النجومية قد تصور منهم أفاعيل خارقة وهي كلها ظلمات بعضها فوق بعض ليس لها في الصحة مدخل ، ولا يوجد لها في كرامات النبي ﷺ منبع »[3] .



(١) « مجموع الفتاوى » (١٤ / ٣٦٤) .

(٢) « تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي » (١ / ١٥٨) محمد أحمد لوح .

(٣) « الموافقات » (٢ / ٢٦٢) .

فصل

في التحذير من الأحوال الشيطانية والشطحات الصوفية

إن مصطلح الكرامة شأنه شأن بقية المصطلحات التي حرفها أهل الجهل والضلال حيث سموا بها الأحوال الشيطانية ولاشك أن هذا من علامات الساعة تغيير الأسماء وأن تسمى الأشياء بغير مسمياتها ، ومن المعلوم المتيقن أن المسلم الذي رزق بصيرة في دينه يمكنه التمييز بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية ، وقد سبق وأن ذكرنا المعيار الذي يفرّق به المسلم بين هذه الأحوال وتلك ، ولا ريب أيضًا أن الأحوال الشيطانية هي نتاج المخالفة لأمر الله ورسوله هي نتاج ترك المأمور وارتكاب المحظور وتسخط المقدور كما أن الأحوال الرحمانية هي نتاج الإتباع للكتاب والسنة ، وفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور ، وليكن المسلم على بصيرة من دينه ولا ينخدع ببعض الخوارق الشيطانية على يد الفساق بل والكفار وأهل البدع والزندقة الذين يزعمون أنهم أولياء لله من دون الناس فإن هذه الدعوى أعني دعوى الولاية مع الكفر والمخالفة لأمر الله ورسوله لا تقدم شيئا ولا تؤخر بل هي دعوى فارغة لا يلتفت إليها فقد ادَّعاها اليهود والنصارى ومشركو مكة حماة الحرم قبل الإسلام ومع ذلك لم يقبلها الله منهم لأنها دعاوى لم يقيموا عليها بينات لذلك كانت مردودة وقد أكذبهم الله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « ومن ادّعى محبة الله ولم يتبع الرسول فليس من أولياء الله ، وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو في غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله فاليهود والنصارى يدّعون أنهم أولياء وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم ، بل يدّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه . قال الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ

أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة : ١٨] . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١١١ - ١١٢] . وكان مشركو العرب يدّعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم كما قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٦ - ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٠ - ٣٤] . فبيّن سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه و إنما أولياؤه المتقون »(١) .

إذا علمت هذا تبين أنه لابدَّ من التحذير من تلك الأحوال الشيطانية التي يسميها بعضهم كرامات وهي ليست كذلك ، بل قد تكون من تلبيسات الشيطان على الصالحين في بعض الأحيان للاختبار والابتلاء وأصحاب الأحوال الشيطانية لهم اتصال كبير بالجن والشياطين ، فهي تتلاعب بهم تلاعبًا واضحًا حيث يوهمونهم أنهم أصحاب كرامات .

ويذكر شيخ الإسلام طرفًا من تلك الأحوال الشيطانية لتحذير الناس منها ، فيقول رَحِمَهُ اللهُ : « من هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجن إلى مكة ، أو بيت المقدس أو غيرهما ، ومنهم من تحمله عشية عرفة ثم تعيده من ليلته ، فلا يحج حجًا شرعيًا بل

---

(١) « الفرقان » ص ٢٣٥ - ٢٤٠ بتصرف يسير .

يذهب بثيابه ولا يحرم إذا حاذى الميقات ، ولا يلبي ، ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يسعى بين الصفا والمروة ، ولا يرمي الجمار ، بل يقف بعرفة بثيابه ، ثم يرجع من ليلته ، وهذا ليس بحج مشروع باتفاق المسلمين ، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغير وضوء وإلى غير القبلة ومن هؤلاء المحمولين من حُمل مرة إلى عرفات ، ورجع فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجاج ، فقال : ألا تكتبوني ؟ فقالوا : لست من الحجاج ، يعني لم تحج حجًا شرعيًا . ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية ينزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ، ويخرجه من تلك الدار ، فإذا حضر رجل من أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط ، كما جرى لغير واحد . ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت ، سواء كان ذلك المخلوق مسلمًا أو نصرانيًا أو مشركًا ، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجته ذلك المستغيث ، فيظن أنه ذلك الشخص أو هو ملك تصور على صورته ، وإنما هو شيطان أضله الله لما أشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلم المشركين . ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ، ويقول له: أنا الخضر ، وربما أخبره ببعض الأمور ، وأعانه على بعض مطالبه ، كما جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى . وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته ، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضي الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت ، ويدخل إلى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ، كما يضع كفار الهند ، فيظنون أنه عاش بعد موته . ومنهم من يرى عرشًا في الهواء وفوقه نور ، ويسمع من يخاطبه ، ويقول : أنا ربك ، فإن كان من أهل المعرفة ، علم أنه شيطان فزجره ، واستعاذ بالله منه ، فيزول ذلك . ومنهم من يرى أشخاصًا في اليقظة ، يدّعي أحدهم أنه نبي أو صدّيق أو شيخ من الصالحين ، ويكون من الشياطين ، وقد جرى هذا لغير

واحد . ومنهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره ، فيرى القبر قد انشق وخرج إليه صورة ، فيعتقدها الميت ، وإنما هو جني تصوَّر بتلك الصورة . ومنهم من يرى فرسًا قد خرج من قبره أو دخل في قبره ويكون ذلك شيطانًا . وكل من قال : إنه رأى نبيًا بعين رأسه فما رأى إلا خيالاً . ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر - إما الصِّديق رضي الله عنه أو غيره - قد قَصَّ شعره أو حلقه ، أو ألبسه طاقيته أو ثوابه ، فيصبح وعلى رأسه طاقية ، وشعره محلوق أو مقصوص ، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصُّوه . وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسُّنَّة »[١] .

إلى أن قال : « ولهذا لما كانت عبادة المسلمين مشروعة في المساجد التي هي بيوت الله ، كان عمار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية وكان أهل الشرك والبدع - الذين يعظمون القبور والمشاهد الموتى فيدعون الميت ، أو يدعون به ، أو يعتقدون أن الدعاء عنده مستجاب - أقرب إلى الأحوال الشيطانية »[٢] .

وقال أيضًا : « ويوجد لأهل الشرك وأهل البدع المتشبهين بهم ، من عباد الأصنام والنصارى والضلال من المسلمين ، أحوال عند المشاهد بهم يظنونها كرامات وهي من الشياطين ، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر ، فيجدونه قد انعقد أو يضعوا عنده مصروعًا ، فيرون شيطانه قد فارقه ، يفعل الشيطان هذا ليضلهم وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدقٍ بَطَلَ هذا ، فإن التوحيد يطرد الشيطان ، ولهذا حُمل بعضهم في الهواء ، فقال : لا إله إلا الله فسقط ، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشق وخرج منه إنسان يظنه الميت وهو شيطان وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع »[٣] .

---

(١) « الفرقان » ص ٢٤٠ .

(٢) « الفرقان » ص ٢٤٦ .

(٣) كما حدث ذلك مع بعض الرافضة حيث يزعم أنه قابل المهدي في أحد الكهوف أو رآه في مكان ما في إيران ومن ثم بني هناك مسجداً كبيراً لهذه الحادثة !! وهذا من تلاعب الشيطان بلا شك !

ويضيف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول : « أعرف من تخاطبه النباتات ، بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، ومنه من يخاطبه الحجر والشجر ، وتقول : هنيئًا لك يا ولي الله ، فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك ، ومنهم من يقصد صيد الطيور فتخاطبه العصافير وغيرها ، وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بمثل ذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة ، وتكون الجن قد أدخلته وأخرجته بسرعة ، وتريه أنوارًا ، وتُحضر عنده ما يطلبه ، ويكون ذلك من الشياطين يتصوّرون بصورة صاحبه ، فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله وأعرف من يخاطب مخاطب ، ويقول له : أنا من أمر الله ويَعِده بأنه المهدي(١) الذي بشر به النبي ﷺ ويظهر له من الخوارق . ثم قال شيخ الإسلام : « وهذا باب لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير »(٢) .

وقال أيضًا : « كرامات أولياء الله لابد أن يكون سببها الإيمان والتقوى . فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان ، فهو من خوارق أعداء الله ، لا من كرامات أولياء الله ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت ، أو الغائب ، أو بالفسق والعصيان ، وأكل المحرمات كالخبائث مثل الحيات والزنابير ، والخنافس والدم وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء والرقص لاسيما مع النسوة الأجانب والمردان(٣)

---

(١) « الفرقان » ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) رحم الله شيخ الإسلام ! فكيف لو رأى ما يحدث في الموالد اليوم وعند الأضرحة من رقص النساء والرجال والعجب أنهم يسمونه ذكر وحضرة .

(٣) « الفرقان » ص ٢٥٩ .

، وحاله وخوارقه تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان ، فيرقص ليلاً طويلاً ، وإذا جاءت الصلاة صلى قاعدًا ، أو ينقر نقر الديك وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ، أو يتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ، ولا لذّة عند وجده ، ويحب سماع المكاء والتصدية ، ويجد عنده مواجيد ، فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناوله قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

قلت : وزيادة على ما ذكره الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أذكر هنا بعض ما سطروه من أحوال شيطانية أطلقوا عليها كرامات وهي في الحقيقة شطحات وخرافات وتلبيسات شيطان هراء لا يلتفت إليه بل يجب الحذر منه . **فمن ذلك** : ما ذكره الشعراني وهو الذي جمع كراماتهم أقصد شطحاتهم في كتابه : « الطبقات الكبرى » وفي هذه الكرامات التي يدعونها ما يستحي المرء من ذكره لما فيه من أشياء تخدش الحياء مثل ما يذكره عن شيخ كان يأتي البهائم في الطرقات[1] على مرأى ومسمع من الناس ، وآخر يدعى إبراهيم العريان يقول عنه الشعراني وهو يعدد كراماته : « وكان يطلع المنبر يخطب الناس عريانا !! : فيقول السلطان ، ودمياط وباب اللوق وجامع ابن طولون ، والحمد لله رب العالمين ، قال : فيحصل للناس بسط عظيم »[2] .

قلت : إذا كان هذا يخطب الناس عريانًا ومن المعلوم أن ستر العورة واجب ألم يقل الله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف : ٣١] فكيف خفي ذلك على الجالسين لسماع الخطبة وأي خطبة هذه التي يقولها وكأنه في ميدان سيارات ينادي على الركاب إذا وصل الأمر إلى هذه الدرجة لا أعتقد أن مثل هذا عنده عقل بل هو مرفوع عنه القلم .

(١) « الطبقات الكبرى» للشعراني (٢ / ١٣٠) واسمه شيخه على وحيش .

(٢) المصدر السابق (٢ / ١٢٩) .

وانظر إلى مثال آخر من أمثلة كرامات شيوخ الشعراني وهو الشيخ العجمي فماذا عندك يا عجمي ؟ يقول الشعراني عن كراماته : « وقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب وصار الناس يأتون إليه في قضاء حوائجهم فلما مرض ذلك الكلب ، اجتمع حوله الكلاب يبكونه ، فلما مات أظهروا البكاء والعويل ، وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره ، حتى ماتوا » ثم يقول الشعراني : « فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت فكيف لو وقعت على إنسان »(١) .

قلت : سبحان الله ما هذا الهذيان والهوس حتى الكلاب صارت أولياء عند الصوفية فصار يطلب منها المدد والتماس البركات وقضاء الحاجات . إن هذا لشيء عجاب ، حتى الكلاب تزور أصحابها بعد الموت من أثر نظرة الشيخ العجمي ،وقد صدق قول القائل « أصحاب العقول في راحة » .

والعجيب أن يوزع بعض المخرفين ألقابًا ما أنزل الله بها من سلطان كالقطب ، والأوتاد ، والأبدال ، والنجباء ، والنقباء وهي ألفاظ لم تأت في السنة . وأما لفظ الأبدال فقد ورد في حديث لم يصح مرفوعا كما نبّه على ذلك شيخ الإسلام رحمه الله حيث يقول : « كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب مثل أربعة أو سبعة أو اثني عشر أو أربعين أو سبعين أو ثلاثمائة أو ثلاثة عشر أو القطب الأوحد ، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال وروى فيه حديث وهو حديث منقطع ليس بثابت »(٢) .



(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني .

(٢) « الفرقان » (ص ٢٥ - ٢٦) .

فصل

في ترهات وخرافات عن الكرامات ذكرها الشعراني وغيره

ومن الترهات ما يذكره الشعراني عن كرامات إسماعيل الانبابي أن البهائم كانت تكلمه ، وكان يخبر أنه يرى اللوح المحفوظ ، ويقول : يقع كذا وكذا لفلان ، ويجيء الأمر كذلك ... إلخ[١] .

وما من شك أن هذيان إن لم يكن كفر وإلا فعلم الغيب إنما هو لله قال تعالى : ﴿ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ ﴾ [يونس : ٢٠] . وقال : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل : ٦٥] . وقال : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] . وقال : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦ - ٢٧] . ومع تصريح هذه الآيات ووضوح معناها يأبى الطرقية إلا الادّعاء بعلم الغيب والاطلاع على اللوح المحفوظ .

واترك الغيبُ للهِ العليمِ به ... إن الغيوبَ صناديقٌ بأقفالِ[٢]

وفي خبر آخر يقول الشعراني عن شيخه محمد السروري : « أنه كان يغلب عليه الحال ، فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية ، وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء »[٣] .

ومن الفواقر ما ذكره بعضهم أن الولي يقول للشيء كن فيكون .

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني .

(٢) القائل هو الشاعر أحمد شوقي .

(٣) « الطبقات الكبرى » (١ / ٤٦) .

يقول الشيخ إدريس بن الأرباب وهو شيخ طريقة بالسودان : « درجات الأولياء على ثلاثة أقسام : عليا ، ووسطى ، وصغرى . فالصغرى : أن يطير في الهواء ، ويمشي على ظهر الماء ، وينطق بالمغيبات . والوسطي : أن يعطيه الله الدرجة الكونية إذا قال للشيء : كن ، فيكون . والكبرى : هو درجة القطبانية »(١) .

ويصف أحدهم شيخه بقوله : « وقد أعطاه الله الدرجة الكونية وهي لغة كن فيكون »(٢) . وزعم الشيخ إبراهيم نياس السنغالي التيجاني . أنه من أهل كن فيكون فيقول عن نفسه :

قد خصَّني بالعلم والتصريف إن قلت : كن يكن بلا تسويف
لكنني اتخذته وكيلاً تأدبًا واختارني خليلا(٣)

ومن الخرافات أيضًا قول ابن ضيف في ترجمة الشيخ عبد الرحيم العركي الصوفي السوداني : « إنه كان يسمى ببياع المطر لأنه كان يبيعه على الناس »(٤) .

سبحان الله العظيم ! ألا يستحي هؤلاء مما يوردون في كتبه كيف يكون للأولياء حق إنزال المطر وبيعه على الناس والله تعالى يقول : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٨ - ٦٩] .

ومن الدعاوى الفارغة قول المدعو الشيخ جاكير حيث يقول : « ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوبًا في اللوح المحفوظ وأنه من أولادي »(٥) .

ومن التخاريف قول ابن ضيف الله : إن أبا المواهب (شيخ من مشايخ

---

(١) « طبقات ابن ضيف الله » ص ٢٠٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٢ و ٢٧٧

(٣) « الرحلة الكناكرية » ص ٦ نقلا عن « تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي » ١ / ١٣٥ .

(٤) « طبقات ابن ضيف الله » ص ٢٥٨ ، ٣٤٧

(٥) « الطبقات الكبرى » (١ / ١٢٧) للشعراني .

الصوفية في السودان) اجتمع عليه جماعة من الفقهاء فطرحوا عليه سبع عشرة مسألة مشكلة . فأجاب عليها . ثم علّق ابن ضيف الله على ذلك يقول : « فمن ذلك اليوم أيقنوا أن علمه يغترفه من اللوح المحفوظ »(١) .

ولم يقتصر مترجمو طبقات الصوفية على ما يذكر في تراجمهم من أخبار غير معقوله مما يسمونها كرامات وخوارق . بل الناظر في كتب القوم يقرأ دعاوى كثيرة يدّعيها بعض هؤلاء في زعمهم أنهم أولياء لله عز وجل .

فهذا المدعو الشيخ أبو مدين يقول عن نفسه : « لولا أن أهتك حرمة الشريعة لدخلت على المخدرات في بيوتهم ؛ لأن الله تعالى وعدني أن مَنْ وقع بصري عليه أو بصره علي حرَّم الله جسده على النار »(٢) .

قلت : المراد بالمخدرات هنا النّسَاء وهذه الدعوي الباطلة التي ادَّعاها أبو مدين دعوة لم يبلغها الأنبياء عليهم صلوات ربي وسلامه ولهذا عقب الأستاذ محمد أحمد لوح على هذه الدعوة بقوله : « إن كل مقام ادّعاه مدع قصد به بلوغ مقام النبي ﷺ أو لم يقصده لكنه يلزم من دعواه فإننا نحكم عليها بأنها لا تعدو كونها ضربًا من الخيال الرحب فكيف إذا كانت الدعوى لمقام لم يبلغه النبي ﷺ ؟ حيث إنه كان كثيرًا ما يحرص على هداية أناس ولم يكن يهدي أحدًا بمجرد النظر أو الخرق كما سترى - بل كان يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع فيستجاب له غالبًا وقد لا يستجاب له لأمر أراده الله فقد جاء أبو هريرة رضي الله عنه إليه فقال : فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة . فقال : « اللهم أهد أم أبي هريرة » وجاء في القصة أنها أسلمت رضي الله عنها(٣) وكان ﷺ قد دعا لدوس قبيلة أبي هريرة بالهداية

---

(١) « طبقات ابن ضيف الله » ص ٥٥ .

(٢) « تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي » (١ / ١٣٥) .

(٣) رواه البخاري (٤٣٩٢) ومسلم (١٩٥٧) .

فقال : « اللهم اهد دوسًا وأئت بهم» ثم إننا نلاحظ أن الأمر لا يحتاج إلى اقتحام بيوت المخدرات إذا كان الغرض ما ذكره ، إذ يكفيه أن يجلس أمام الملأ فيراه الناس ، والنساء من وراء حجاب »[١] .

وإن تعجب فعجب ما ذكره الشعراني في ترجمة الشيخ محمد الشربيني الذي كان له نفوذ في منع أحدهم من الموت خرافات ما بعدها خرافات .

يقول الشعراني عن الشربيني هذا : « ولما ضعف ولده أحمد وأَشرَف على الموت وحضر عزرائيل لقبض روحه ، قال له الشيخ : ارجع إلى ربك ، فراجعه فإن الأمر نُسِخَ ، فرجع عزرائيل ، وشفي أحمد من تلك الضعفة وعاش بعدها ثلاثين عامًا »[٢] .

قلت : وهذه الأكذوبة والخرافة لا يمكن تصديقها !

أولاً : لم يرد اسم ملك الموت عزرائيل في الكتاب والسنة - بل الوارد ملك الموت كما في الآيات والأحاديث .

وثانيًا : أن النفس إذا جاء أجلها الذي ضربه الله لها ، فلابدّ من نفاذ أمر الله عز وجل فيها لقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .

وثالثًا : أنه ما كان لملك الموت ولا لغيره من الملائكة عصيان أمر الله تعالى فإن الله تعالى يقول فيهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ ، فكيف يزعم الشربيني أن ملك الموت رجع ولم يفيض روح ولده ؟

والآن هَيِّء نفسك لقصة أعجب وأغرب من الخيال بطلها هذه المرة المدعو الشيخ خوجلي الذي كان يصارع وينازع ملك الموت في قبض روح امرأة يقول ابن ضيف الله في طبقاته : « مرضت فاطمة بنت عبيد مرضًا شديدًا ، أشرفت فيه على

---

(١) « تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي » (١ / ١٦٤ ، ١٦٥)

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١ / ١٣٣)

الموت فجاء أحد الفقهاء إلى الشيخ خوجلي فأعطاهم ماء لتشربه المريضة غير أنها مَجَّتْه لأنها كانت في سكرات الموت ، ومن حينه دخل الشيخ خلوته ، وفي آخر الليل تكلمت المرأة وقالت : أنا طيبة ، رأيت الشيخ خوجلي واقفًا بجانب البيت فوكزني بعصاه وقال لي : قومي . ومن وقته قام ذلك الفقيه إلى الشيخ فوجد ولده الذي قال قال له : إن الشيخ لازال في خلوته إلى الآن . فقال الشيخ : لقد غُلَبْتُ كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي »(١) .

وقد أحسن الأستاذ محمد أحمد لوح في تعليقه على هذا الهراء والهوس حيث قال : « فهنا يتساءل الواقف على هذه القصة لماذا حضر ملك الموت إذا لم يكن أجل المرأة قد انقضى ؟ وإذا كان أجلها قد انقضي فكيف تمكن هذا الرجل من صَرْف الملك والغلبة عليه ؟ علمًا بأن الملك نفسه ليس له من الأمر شيء وأنه مرسل من عند ربه لقبض الأرواح ، وبأن المولى عز وجل قال - وقوله الحق وما عارضه الباطل - : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] فلو كانت المسألة مسألة المغالبة والمصارعة وعرض العضلات أمام قابض الأرواح لكان للموت معنى آخر ولكن هيهات ثم هيهات »(٢) .

أهذه كرامات أم سخافات وترهات ؟ والعجب أن ينشر هذا على الناس في كتب القوم ويدافعون عنه !!

يحكي النبهاني عن بعض المجاذيب ، تبعه جماعة من الصبيان يضحكون عليه فقال مهددًا ملك الموت : يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة فأصبحوا موتى أجمعين »(٣) . ويحكي الشعراني عن ولي إذا شاوره إنسان

---

(١) « الطبقات الكبرى » (٢ / ١٢٨) .

(٢) « تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي » (١ / ١٤٨) .

(٣) « جامع الكرامات للنبهاني » (٢ / ٢٨٦) .

في شيء : « قال : أمهلني حتى أسأل جبريل ، ثم يقول له بعد ساعة : افعل أو لا تفعل حسب ما يقول له جبريل بزعمه »[١] .

ويحكي أيضًا عن ولي من الأولياء يختم القرآن ٣٦٠ ألف ختمة في اليوم والليلة يعني بمعدل ٢٥٠ ختمة في الدقيقة[٢] .

فهل هذا معقول يا عباد الله وأين العقول التي تقبل هذا ؟

وحكوا عن آخر ختم القرآن في الطواف ١٢ ألف ختمة[٣] .

يعني بمعدل ألف ختمة و ٧١ من ألف في الشوط الواحد .

وحكوا عن : أسطورة غيره يصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة .

وثان : مكث أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب[٤] .

وثالث : ينام سبعة عشر سنة ثم يقوم ليصلي بوضوئه الذي نام عليه .

ورابع : يقول لعصاه : كوني إنسانًا ، فتكون إنسانًا فيرسلها تقضي له الحوائج ثم تعود كما كانت[٥] .

وخامس : يجر سفينة غرقت في الوحل بخصيتيه[٦] .

قلت : اللهم احفظ علينا العقل والدين !!

وسادس : يجلد خادمه بإحليل نفسه ، بعد أن مده فطال طولاً عجيبًا حتى رفعه على كتفه ، حتى إذا فرغ من الجلد عاد إحليله إلى ما كان عليه أولاً[٧] .

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢ / ١٧٠) .

(٢) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢ / ١٣٦) .

(٣) « جامع الكرامات » للنبهاني (٢ / ٤٦) .

(٤) المصدر السابق (٢ / ٣٩٦) .

(٥) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١ / ١٣٣) .

(٦) « الطبقات الكبرى » (٢ / ١٢٨) .

(٧) « اللمع » ص ٢٢٥ للسراج الطوسي ، و « طبقات ابن الملقن » ص ١٤٨ .

وسابع : جعل من الأولياء من تسجد له الملائكة[١].

وثامن : أمر الشمس بالوقوف فوقفت حتى قطع المرحلة الباقية من سفره ، ثم أمرها بالغروب ، فغربت وأظلم الليل في الحال[٢] .

وتاسع : شكا إليه أهل بلده كثرة الفئران فأصدر مرسومًا بترحيل الفئران فرحلت ، ولم يُر بعد ذلك اليوم هناك ولا فأرًا واحدًا[٣] .

وعاشر : كان يتكلم بما يستحي منه الناس عرفًا وخطب مرة عروسا رآها فأعجبته فتعرى لها بحضرة أبيها ، وقال : انظرى أنت الأخرى حتى لا تقولي بعد ذلك : بدنه خشن ، أو فيه بَرَصٌ أو غير ذلك ، ثم مسك ذكره وقال : انظري هل يكفيك هذا ...[٤] .

قلت : هذه السخافات التي يذكرها الشعراني والوقاحات التي يسطرّها في كتبه ويدعي أنها كرامات لولا أن في الأمة الإسلامية من الجهلاء من يدافع عنها لما سمحتُ لقلمي . بكتابتها ولكن أردت التحذير منها وممن يدافعون عنها والله المستعان .

ولو ذهبنا نتتبع هذه السخافات لطفّ الصاع ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعتق – هذه ليست قلادة بل غلّ من الأغلال تخنق العنق وتضيق الصدر وأكثر ما تجده هذه السخافات في كتب تراجم الصوفية فإن واقع هذه الكتب يؤكد بما لا يدع مجالاً للشكّ مقدار الترويج والدعاية التي يقوم بها المخرفون .

قال الأستاذ : محمد أحمد لوح : « ومن نماذج هذا الصنف كتاب « حلية

---

(١) جامع الكرامات للنبهاني (١ / ٢٩٩)

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني (٢ / ١٧٠)

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني (٢ / ١٣٦)

(٤) جامع الكرامات للنبهاني (٢ / ٤٦)

الأولياء » لأبي نعيم الأصبهاني ثم كتاب « لواقح الأنوار » المعروف بـ « الطبقات الكبرى » لمؤلفه عبد الوهاب الشعراني ، وكتاب « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » لعبد الرؤوف المناوي ، وكتاب « طبقات أولياء السودان » لمحمد نور بن ضيف الله ، وكتاب « جمهرة الأولياء » لمحمود المنوفي ، وكتاب « جامع كرامات الأولياء » ليوسف النبهاني والقاسم المشترك بين هذه الكتب هو : الإسراف والغلو في التركيز على الخوارق جمعًا ونشرًا واعتبارها دليلاً على الولاية ، وبذل كل ما في الوسع لاختلاق القصص والروايات القاضية بخروج مشايخ الصوفية عن نطاق البشرية وتحللهم من قيود الشريعة »(١) .



(١) « تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي » (٢ / ٢٩٤ - ٢٩٥) .

(٢)

تسديد الحراب

إلى من زعم وجود الغوث والأقطاب

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

القاهرة
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد للَّه ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

لقد خلّف لنا الموروث الصوفي في التراث بعض العقائد التي كانت ومازالت تُشكل عقبة في طريق الإصلاح نظراً لمخالفتها لعقائد أهل السنة والجماعة في الاعتقاد الصحيح ، وكان من تلك العقائد الضالة ما يعرف بوجود الغوث الصوفي والأقطاب ، حيث يعتقد هؤلاء أن الغوث هو ولى من الأولياء موكول إليه إدارة شؤون الكون وله مساعدون أربعة أو أكثر في الكون ، كل واحد على ناحية من نواحي الكون شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، ويُلقَّب كل واحد منهم بالقطب ، والمتتبع لهذه العقيدة الفاسدة يجد الألقاب بالجملة في جمهورية الصوفية ودولتهم ، حيث تسلسل الرتب الصوفية كتسلسل الرتب العسكرية ، فمن نقيب ، ونجيب ، وقطب ، وبدل من الأبدال أسماء ما أنزل الله بها من سلطان !!

والعجب أن تظل هذه العقيدة الباطلة متغلغلة في نفوس كثير من العامة وغير قليل من الخاصة ، وقد دفعت هذه العقائد الفاسدة إلى أن يذهب أحد الخواص فيستأذن السيد البدوي في مقصورته وقبره للكتابة عنه ، وقد كتب المشار إليه كتاباً عن السيد البدوي يقول فيه : ولم أكتب هذا الكتاب إلا بعد أن ذهبت إلى قبر السيد البدوي لأستأذنه في الكتابة عنه !!

عفا الله عنا وعنك ، من تستأذن ؟ أتستأذن الأحجار ، أم الخشب ، أم التراب ، أما ماذا ؟ وإذا كان هذا قد وقع بالفعل من بعض الخاصة ، فما عساك أن تقول مما

يقع مثله وأكثر من العوام !!

لهذا جمعت هذه الرسالة لنفي أسطورة الغوث والقطب عند الصوفية وسميتها : « **تسديد الحراب إلى من زعم وجود الغوث والأقطاب** » .

بيّنت فيها مدى خطورة هذه العقيدة الباطلة على نفوس وعقائد المسلمين ، وحذرت فيها من هذه البدعة الصوفية وأثرها الضار إذ نحن في حرب طويلة مع أصحاب هذه العقائد الضالة فإما أن يتوبوا ويعلنوا توبتهم من هذا الضلال ، ويتبرؤا من هذه العقائد الفاسدة وإما حرباً لا هوادة فيها على الخرافات والترهات والهذيان الصوفي !!

إنها حرب طويلة الأمد على البدع الضالة وأصحابها ، إنها فضح وتعرية للسلوكيات الخاطئة . فأهل الباطل يتواصون بالثبات عليه ويموتون في سبيل الدفاع عنه وينفقون فيه الأموال والأوقات والمهج فأولى بأهل الحق أن يزداد حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة . آن الأوان أن ينشروا دين الله كتاباً وسنة على منهج السلف الصالح ولا ينتظرون العون إلا من الله ولا يستمدون المدد والنصر إلا من الله هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ، وأن يتقبله ويدخر لي ثوابه عنده يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي بقلب سليم .

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

الإسماعيلية في ١٨ / ١١ / ١٤٢٨هـ

فصل

في انتشار عقيدة الغوث والقطب في أوراد الصوفية وأشعارهم

وحتى لا نتهم بالافتراء على الطرقية أنقل هنا ما جاء في بعض أورادهم وأشعارهم لا كلها فهذا أمر شرحه يطول ولكني اكتفي بذكر بعض هذه الأوراد والأشعار ليقف القاري على مدى الغلو المقيت الذي ينشره الطرقية من خلال هذه العقيدة الباطلة عقيدة وجود الغوث والقطب حيث يوجد في هذه الأوراد والأشعار استغاثة بالقطب والغوث ودعاء يصل إلى حد الشرك في ربوبية الله والعياذ بالله .

خذ مثلا : الأوراد التي يتلوها **أصحاب الطريقة القادرية** ويستغيثون فيها بالشيخ عبد القادر الجيلاني - وهو برئ من هذه التوسلات قطعا - يقولون في أورادهم مخاطبين الشيخ عبد القادر : « يا سلطان العارفين ، يا تاج المحققين ... يا فارج الكرب ، يا غوث الأعظم ... يا هادى النسيم ، يا محي الرميم ... يا خزانه الأسرار ، يا سيدي جمال الله ، يا نائب رسول الله ... يا راحم الناس ، يا مذهب البأس ... يا كعبة الواصلين الطالبين ، يا وسيلة الطالبين ... يا منتهى الأمل حين ينقطع الأمل ... يا ضياء السماوات والأرضيين . . يا فرجا في الشدائد ... يا غافر الأوزار ... يا كاشف الغمة ... يا مقبول رب الجناب ، يا جليس الرحمن ... يا سيدي ، يا سندي ، يا مولاي، ياقوتي ، يا غوثي ، يا غياثي ، يا عوني يا راحتي ، يا قاضي حاجتي ، يا فارج كربتي ... يا قطب الملائكة والإنس والجن ، يا قطب البر والبحر ، يا قطب المشرق والمغرب ، يا قطب السموات والأرضيين ، يا قطب العرش والكرسي واللوح والقلب ، ... يا غوث الأعظم ، أغثني في كل أحوالي ، وانصرني في كل آمالي ... »(١) .

قلت : تأمل أيها القارئ ما جاء في هذه التوسلات الشركية حيث وصف

---

(١) « الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية » إسماعيل القادري ص (١٩٤ - ١٩٦) .

مروجوها وقائلوها الشيخ عبد القادر بالربوبية والإلوهية فماذا بقي الله عز وجل ؟!

فالأمر جد خطير وقد شن الأديب مصطفى لطفي المنفلوطي هجوماً على من يردد هذا الورد وأطلق العنان لقلمه بعبارات رصينة ومما قاله :

« أي عين يجمل بها أن تستبقي في محاجرها قطرة واحدة من الدمع فلا يريقها أمام هذا المنظر المؤثر منظر أولئك المسلمين وهم ركع سجد على أعتاب القبور أي قلب يستطيع أن يستقر بين جنبي صاحبه ساعة واحدة فلا يطير جزعاً حينما يرى المسلمين أصحاب دين التوحيد أكثر من المشركين إشراكاً بالله وأوسعهم دائرة في تعدد الآلهة وكثرة المعبودات لم ينقم المسلمون التثليث على المسيحيين؟ لم يحملوا لهم في صدورهم تلك الموجدة وذلك الضغن ؟علام يحاربونهم ؟وفيما يقاتلونهم وهم لم يبلغوا من الشرك بالله مبلغهم ولم يغرقوا فيه إغراقهم ؟يدين المسيحيون بآلهة ثلاثة ولكنهم يشعرون بغرابة هذا التعدد وبعده عن العقل فيتأولون فيه ويقولون إن الثلاثة في حكم الواحد أما المسلمون فيدينون بآلاف الآلهة أكثرها جذوع أشجار وجثث أموات وقطع أحجار من حيث لا يشعرون والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم ولن يبلغوا ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة وهناءتها إلا إذا استرجعوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد وإن طلوع الشمس من مغربها وانصباب ماء النهر في منبعه أقرب من رجوع الإسلام إلى سالف مجده مادام المسلمون يقفون بين يدي الجيلاني كما يقفون بين يدي الله ويقولون للأول كما يقولون للثاني أنت المتصرف في الكائنات أنت سيد الأرضين والسماوات إن الله أغير على نفسه من أن يسعد أقواماً يتخذونه وراءهم ظهرياً فإذا نزلت بهم حاجة أو ألمت بهم ملمة ذكروا الحجر قبل أن يذكروه ونادوا الجذع قبيل أن ينادوه بمن أستغيث ؟وبمن أستنجد ؟ومن الذي أدعوه لهذه الملمة الفادحة ؟... » .

إلى أن قال : « ياقادة الأمة ورؤساءها عذرنا العامة في إشراكها وفساد عقائدها

وقلنا إن العامي أقصر نظراً وأضعف بصيرة من أن يتصور الألوهية إلا إذا رآها ماثلة في النصب والتماثيل والأضرحة والقبور فما عذركم وأنتم تتلون كتاب الله وتقرؤون من صفاته ونعوته وتفهمون معنى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٥] ، وقوله مخاطباً لنبيه : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ .

إنكم تقولون في صباحكم ومسائكم وغدوكم ورواحكم :

كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

فهل تعلمون أن السلف الصالح كانوا يخصصون قبراً أو يتوسلون بضريح ؟هل تعلمون أن واحداً منهم وقف عند النبي أو قبر أحد من أصحابه أو آل بيته يسأله قضاء حاجة أو تفريج هَمٍّ ؟وهل تعلمون أن الرفاعي والجيلاني والبدوي أكرم على الله وأعظم وسيلة إليه من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ؟وهل تعلمون أن النبي حينما نهى عن إقامة الصور والتماثيل نهى عنها عبثاً ولعباً؟حاشا وكلا . . . أم مخافة أن تعيد للمسلمين جاهليتهم الأولى ؟وأي فرق بين الصور والتماثيل وبين الأضرحة والقبور مادام كل منها يجر إلى الشرك ويفسد عقيدة التوحيد ؟والله ما جهلتم شيئاً من هذا ولكنكم آثرتم الحياة الدنيا على الآخرة فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم وانتقاص أمركم وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم ويستعبدون رقابكم ويخربون دياركم والله شديد العقاب »[1] .

* ومن أوراد **أحد الرفاعية** في حق الشيخ أحمد الرفاعي وهو يوصي من أصابته مصيبة أو وقعت به نازلة فيقول :

« من ضاق حاله لمهمة أو لحاجة ، أو عسر عليه مقصد ، أو كان عليه دين ، أو

---

(١) من مقال له بعنوان : « دمعة على الإسلام » ضمن المجموعة الكاملة للمنفلوطي ص ٣١١-٣١٤.

كان في سجن ، أو بغي عليه ظالم ، فليتوضأ ويصلى معه ركعتين ، ويصلى على النبي ﷺ مائة مرة ، يكون ذلك في بيت خالٍ ، ويقرأ الفاتحة للنبي وآله وأصحابه أجمعين ، ويتوجه قائماً للشرق ، لبر البصرة ، لفلاة أم عبيدة ، محل مرقد الغوث الحسيني سيد أحمد الرفاعي وينادى بالاعتقاد والانكسار ... يا وسيلة الطالبين ، يا كعبة الطائفين ... يا غوث الخلق ، يا باب الحق ... يا أبا المدد ... يا نائب النبي الجليل ، يا خليفة إبراهيم الخليل ... يا صاحب الموكب المرعب ، يا مبرد النار .. يا مبدل السموم ... يا بدل الأبدال يا سيد الرجال يا قطب الأقطاب المتصرفين ، يا صاحب التصرف في الحياة والممات يا متكلماً بلسان الله ... يا قطب الفرد ، يا قطب الأعظم ، يا قطب الغوث ، يا غوث الأكبر ، ... بحق جدك المصطفي ، وبحرمة أبيك علي المرتضى ، وبكرامة والدتك فاطمة الزهراء ، أغثني ، وتوجه لجدك خير الأنام ، وقوموا بقضاء حاجتي ... أدركني يا أحمد الأولياء ، رضي الله عنك، أغثني »[1] .

فهل الرفاعي قاضي الحاجات، وكاشف الكربات ومالك النفع والضر أم الله تعالى القائل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام : ١٧] ، والقائل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [يونس : ١٠٧] ؟!

فهل الرفاعي قطب الأقطاب المتصرفين ؟ أم أن التصرف في الكون حق لله وحده لا شريك له ؟ القائل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ﴾ [البقرة : ١١٥] . وهو القائل : ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ

(١) « قلادة الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر » ص ٢٣٧ - ٢٣٩ محمد ركي التادفي .

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة : ١٧] .

قلت: وقد اشتملت هذه الأوراد الصوفية في كثير منها من مختلف الطرق الصوفية على شرك محض لمن تأملها أدني تأمل ، حتى فاق هذا الشرك شرك الجاهلية الأولى بمراحل فإن مشركي العرب كانوا يخلصون الدعاء لله تعالى في الشدة ويشركون في الرخاء، وأما أصحاب تلك الأوراد فهم يشركون في الشدة والرخاء ويتفوهون بالكفر والشرك الصراح . قال تعالى في حق مشركي العرب : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

وتأمل ما في الأوراد المصادمة للنصوص مباشرة ، فهل كان الشيخ عبد القادر الجيلاني مبرد النار ؟ والله تعالى هو القائل : ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

وهل الجيلاني يمنح المدد والغوث وأم الله عز وجل ؟ القائل : ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾ [نوح : ١٢] .

من صاحب نعمة الإمداد والإيجاد يا قوم أهو الجيلاني أم رب السموات والأرض الذين فطرهن القائل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال : ٩] ؟

هل الرفاعي متصرف في الحياة والممات أم الله ؟ ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢] .

وأما الأشعار فهي المستنقع الوخيم والمرتع الخصيب الذي يترعرع فيه عقيدة الاستغاثة بغير الله والتوسل الشركي والغلو والانحرافات العقدية وبالطبع فقد وقع في الشعر أضعاف أضعاف ما سنذكره هنا والذي يعنينا هنا هو انتشار عقيدة القطب والغوث في أشعار الطرقية على نطاق واسع فهذا شاعر يدعى عبد الرحيم البرعي

يماني الأصل يقول في ديوانه[1] مخاطباً رسول الله ﷺ .

يا صاحب القبر المنير بيثرب يا منتهى أملي وغاية مطلبي
يا من به في النائبات توسلي وإليه في كل الحوادث مهربي
يا من نرجيه لكشف عظيمة وكل عقد ملتو متصعب
يا من يجود على الوجود بأنعم خضر نعم عموم صوب الصيب
يا غوث من في الخافقين وغيثهم وربيعهم في كل عام مجدب
يا سيدي إني رجوتك ناصراً من جور دهر خائن متقلب
فأقل عثار عبيدك الداعي الذي يرجوك إذ راجيك غير مخيب
واكتب له ولوالديه براءة من حر نار جهنم المتلهب

فانظر إلى هذه التوسلات الشركية وإلى سب الدهر الذي نهي عنه النبي ﷺ .

لقد كان العلماء قديماً وحديثا ينكرون على صاحب نهج البردة البوصيري أبياتاً قالها ، فيها غلو في الرسول ﷺ وفيها أشياء كثيرة مخالفة ولكن إذا ما قُورنت هذه البردة بما جاء في كلام وأشعار البرعي هنا فهي لا تساوي بجانبه شيئاً . ولذلك يعلق الأستاذ محمد أحمد لوح على ما جاء في شعر البرعي هذا بقوله :

« لا ندري ماذا بقي مما اختص به الخالق جل شأنه بعد هذه المنزلة؟ ، فإذا كان هؤلاء المتصوفة قد جعلوا الرسول موئلاً وملاذاً ، ووصفوه بأنه غافر الذنب ، وقابل التوب ، يكتب لمن يشاء البراءة من النار ، ويجيب المضطر إذا دعاه ، ويقدر على كشف الخطوب وإغاثة المكروب ، وجعلوه أقرب من يرجى فيدعى ، فأي شيء تركه هؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم؟ ، فأكلوا خير الله ، وعبدوا غير الله فكأنهم لم يقرأوا قوله تعالى لنبيه : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٢٨] . إن أقل ما يقال عن هذه العقيدة

---

(١) « ديوان البرعي » ص ٦٣ - ٦٥ .

أنها ليست عقيدة الإسلام التي رضيها الله لعبادة وأمر رسوله بتبليغها إلى الأمة »[(١)] .

* وهذا أحد التجانيين يقول في شيخهم أحمد التيجاني[(٢)] :

إن شئت أن تحظى بكل مؤمل   وتفوز بالإسعاد والإيناس
وتجار من ضيم الزمان وضيقه   ومن المضرة والبلا والباس
فعليك بالحبر الهمام المتقي   غوث الورى أعني أبا العباس
ذاك التجاني حاز كل فضيلة   بالختم ميزه إله الناس
أصحابه مغفورة زلالهم   سيان في ذا عامدٍ والناسِ
وإذا تصبك خصاصة فبه استغث   متضرعاً ينجيك من إفلاس
واهتف به مستعطفا ومناديا   إني ببابك يا أبا العباس
يا سيد السادات يا غوث الورى   عالج بفضل منك قلبي القاسي

فتأمل ما جاء في هذه الأبيات لتجد أن صاحب القصيدة يجعل التجانيين هم شعب الله المختار المغفورة ذنوبهم سواء فعلوها عن عمد أو نسيان وهنا نتسأل لماذا هذه التمايز واحتكار المغفرة دون بقيه الناس ؟

ألا يحق لنا هنا أن نذكرهم بقوله الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣] . وقول النبي ﷺ : « والله إني لأرجو له الخير وما أدري والله وأنا رسول الله ما يفعل بى ... » الحديث[(٣)] .

* يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وفي هذا وأمثاله دلالة أنه لا يقطع لمعين

(١) « تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي » (١ / ٢٧٣) .

(٢) « الهدية الهادية » ص ١٤٠ والقائل : هو محمد كنوت التجاني .

(٣) رواه انبخاري (٣٩٢٩) .

بالجنة إلا الذين نص الشارع على تعيينهم »[١] .

فالعجب من هذا الشاعر القبوري كيف يجزم بمغفرة ذنوب التجانيين سواء تعمدوها أو فعلوها عن نسيان .

* ومن الدعاوى الفارغة في هذه الأبيات زعم الشاعر أن التجاني هو خاتم الأقطاب ، مما حدا ببعضهم أن يؤلف في ذلك مؤلفاً بعنوان « أقوى الأدلة والبراهين على أن أحمد التجاني خاتم الأقطاب المحمديين بيقين » ومؤلفه هو حسين الطائي التجاني طبعاً ، ولا شك أن هذا الهوس والهذيان لا يروج إلا عند السذج البسطاء مسلوبي العقل والإرادة .

إن من أكبر باب يدخل منه الشيطان على هؤلاء هو الجهل والأعراض عن التعليم الشرعي التي يظنها الشعراني وأمثاله من الكرامات وهي في الحقيقة أحوال شيطانية ويعجبني كلام للحافظ الذهبي رحمه الله في الإنكار على الشيخ وعدم الطاعة المطلقة له لأن ذلك ليس لأحد دون رسول الله ﷺ ؛ فقد أورد رحمه الله قولاً لبعضهم : « من قال لشيخه لما ؟ لا يفلح »[٢] . ثم قال : « هذه المقولة أنكرها غير واحد من أهل العلم ولم لا يقول لشيخه لا إن كان يرى في الشيخ خطأ لا يقره الشرع ، وأراد أن ينبه الشيخ عليه بأدب ولطف ؟ » . وقد تعقبها الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله[٣] ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل[٤] وغيرهما.

وقد يظن بعض الناس أننا ندعو إلى جفاء الشيوخ وعدم الاحترام معهم والأمر ليس كذلك بل نحن نعرف للعلماء أقدارهم واحترامهم ولله الحمد كيف لا وهم

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٢٣٨) .

(٢) « سير أعلام النبلاء » (١٦ / ٢٣٧) .

(٣) « الهدية الهادية » ص ١٩٧ .

(٤) « هذه هي الصوفية ص ٩٦ .

مصابيح الدجى ولكن إنما نقصد علماء الشريعة قطعا أهل الحديث والفقه لا الطرقية المشعوذين ، أصحاب الأحوال الشيطانية والادعاءات الفارغة ممن شوهوا صورة المسلمين بنشر باطلهم ومعتقداتهم السيئة وأعلم أن قول الصوفية هذا هو خلاف ما جاء عن السلف الصالح فقد اعترض بعضهم على بعض وما سمعنا واحداً نفي الفلاح عن المعترض أو المعترض عليه . ومن ذلك اعتراض عمر وغيره على أبي بكر رضي الله عنهما لما أراد حرب ما نعي الزكاة حتى بيّن له الصديق الدليل ، واعتراض ابن عباس رضي الله عنهما على من اتبع أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في النهي عن متعة الحج ، واعتراض أبي عبيدة رضي الله عنه على عمر لما أراد عدم الدخول إلى الشام لانتشار الطاعون فيها ، واعتراض علي وعمران رضي الله عنهما على عثمان رضي الله عنه لنهيه عن متعة الحج ، واعتراض ابن مسعود وغيره على عثمان لما أتم الصلاة في مني، واعتراض سالم بن عبد الله على من احتج بنهي عمر عن المتعة وترك سنة رسول الله ﷺ في متعة الحج والآثار في ذلك كثيرة .

ولعل الطرقية من الصوفية أرادوا أن يجعلوا خاتم الأولياء على غرار خاتم الأنبياء ولا شك أن هذا اللقب الذي اخترعوه من عند أنفسهم وبدأه لهم الحكيم الترمذي في كتابه «ختم الولاية»(١) والذي رد عليه العلماء وانتقدوه فإن أولياء الله تعالى لا يتميزون عن الناس بلباس في اليقظة ، فكل مؤمن تقي فهو ولي لله عز وجل فليس هناك ما يعرف بخاتم الأولياء كما هو عند الصوفية بل آخر مؤمن تقي من الناس هو من أولياء الله عز وجل كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الحكيم الترمذي(٢) .

وبعد الحكيم الترمذي توسع القائلون بهذا اللقب أعني خاتم الأولياء فمنهم من

---

(١) ص ٤٢١ وقد انتقده شيخ الإسلام في رسالته «حقيقة مذهب الاتحاديين» ص ٥٩ تحقيق الدكتور عثمان يحي وكذلك نقده في «درء تعارض العقل والنقل» (٣٥٥/٥) .

(٢) «مجموعة الرسائل والمسائل» (٦٤/١) .

ادَّعى هذا اللقب لنفسه ، ومنهم من ادَّعاه لأهل طريقته ، ومنهم من ادَّعى أن هذا اللقب يكون لواحد في كل زمان من الأزمان ، وبعضهم ادَّعى أن هناك ولاية عموم وولاية خصوص إلى آخر هذه الترهات والخرافات ، وبعضهم ادَّعى هذا اللقب لنفسه مقصوراً عليه فقط وأن النبي ﷺ أعلمه بذلك .

فهذا أحمد التجاني يقول : أخبرني سيد الوجود ﷺ بأني أنا القطب المكتوم ، والبرزخ المختوم ، مشافهة يقظة لا مناماً(١) .

وهذا الهذيان والهوس إنما أتي لهم من الجهل وقلة العلم والبصيرة وقد أبطلنا أسطورة رؤية النبي ﷺ يقظة بعد موته التي يعتمدها الصوفية وفي مقدمتهم التجانية في رسالة خاصه في إبطال ذلك ستصدر قريباً إن شاء الله ومما يؤكد بطلان هذا اللقب أنه من الألقاب المحدثة التي لا تنفق إلا في أسواق الصوفية وتجارتهم وإلا فهذا اللقب لم يكن في عهد أصحاب رسول الله ﷺ ولم ينطق به رسول الله ﷺ ولا أصحابة الكرام ولا من تبعهم بإحسان بل هذه الألقاب وغيرها من جنسها لا تراها إلا في التراث الصوفي الخرافي ويؤكد بطلان هذا أيضاً ادَّعاء كل منهم له ، وادَّعاء كل طريقة أن شيخها هو خاتم الأولياء ختم الله به الأولياء كأن لا يوجد ولى بعده ، وهذا يؤدى بلا شك إلى انقطاع الولاية فانظر لهذا الغلو المقيت كيف جرهم إلى إساءة الظن بالناس فما أشبههم بمن يدَّعون أنهم شعب الله المختار .

* وممن ادّعى هذا اللقب ابن عربي يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ « وادعى جماعة كل واحد أنه هو ، كابن عربي وربما قيده بأنه خاتم الولاية المحمدية أو نحو ذلك لئلا يلزمه أن لا يخلف بعده لله ولى »(٢) .

يقول ابن عربي :

---

(١) « الرماح » (٢/١٢-١٣) .

(٢) « مجموع الفتاوى » (١١/٣٦٣) .

بنا ختم الله الولاية فانتهت إلينا فلا ختم يكون لها بعدي
ويقول أيضاً[١] :

أنا ختم الولاية دون شك لو رقي الهاشمي مع المسيح

وهذا الكلام قاله في الفتوحات المكية وهو من أكبر مؤلفاته يقول عنه الحافظ ابن كثير « إن فيه ما يُعقل وما لا يُعقل ، وما ينكر وما لا يُنكر ، وما يعرف وما لا يعرف »[٢] .

والعجيب أن ابن عربي قد سبقه الوضاعون في عقيدة خاتم الأولياء ، فقد أورد بعض الوضاعين حديثاً في فضائل علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه فقد روي الخطيب بسنده عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً في حديث طويل ساقه في فضل علي وفيه : « أنا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأولياء »قال الخطيب « هذا الحديث موضوع من عمل القصاصين ، وضعه عمر بن واصل أو وضع عليه »[٣] .

ولا شك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أولياء الله كما أن أبا بكراً وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة الكرام المشهود لهم .

* ومن ادعى هذا اللقب أيضاً محمد عثمان الميرغني السوداني وجعل هذا الاسم علماً على طريقته فسماها الختمية[٤] .

* ومن ادعاه أيضاً الشيخ محمد وفا شيخ الطريقة الوفائية وهي أحد فروع

---

(١) « الفتوحات المكية » (٧١/٤) .

(٢) « البداية والنهاية » (١٤٩/١٣).

(٣) « تاريخ بغداد » (٣٥٦/١٠-٣٥٨) وقد حكم عليه بالوضع ابن الجوزي في الموضوعات (٣٩٨/١) وابن حجر في لسان الميزان والسيوطي في اللآلي المصنوعة (٣٧٩/١-٣٨) والألباني في السلسلة الضعيفة برقم ٦٩٤ ومن قبله الشوكاني في الفوائد المجموعة ص٣٧٠

(٤) « الختمية » ص ٣٥ ، - ٣٧ لمحمد حامد الختمي .

الطريقة الشاذلية(١) .

* وممن اعتقد فيه أصحابه أنه خاتم الأولياء الشيخ أحمد الرفاعي حيث يقول بعض أتباعه « إن الله قد ختم بالرفاعي الولاية كما ختم بمحمد النبوة »(٢) .

*ولم يرد في النصوص الشرعية شيء بشأن ما ذكره الطرقية من خاتم الأولياء إنما هو كما يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله(٣) : « هو آخر مؤمن تقي يكون من الناس وليس هو بخير الأولياء ولا أفضلهم لعدم ورود نص في هذا ، بل أفضلهم أبو بكر ثم عمر اللذان ما طلعت الشمس وما غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما بعد الرسول ﷺ »(٤) .

ومما يؤسف له أن تجد من يؤول هذا الكفر الصراح في كتب ابن عربي ويدعى أن كلام ابن عربي لم يأت بعد من يفهمه وأن ظاهر كلامه غير مراد ،مع أن ابن عربي نفسه قد صرح في كتبه بأن كلامه محمول على ظاهره فكيف يعتذر له أن كلامه الظاهر في الكفر غير مراد ؟

وقد نقل الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ ما نصه : « ثم اعلم أن قولك أنهم يريدون خلاف الظاهر في كلامهم كذب بحت وجهل مركب ، فإنهم مصرحون بأنهم لا يريدون إلا ما قضى عن الظاهر ، وهذا الإمام السخاوي في « القول المبني عن ترجمة ابن

---

(١) « الطبقات الكبرى » للشعراني (٢/١٩) .

(٢) « الرفاعية » ص ١٨ لعبد الرحمن دمشقية .

(٣) « مجموعة الرسائل والمسائل » (١/٦٤) .

(٤) رواه الطبراني عن جابر وفي سنده إسماعيل بن يحي التميمي وهو كذاب ، وعن أبي الدرداء وفي سنده بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه وبقية رجاله وثقوا ، وعن سلمه بن الأكوع وفي سنده إسماعيل بن زياد وهو ضعيف ، وعن أسعد بن زرارة وفي سنده محمد بن موسى وهو ضعيف مجمع الزوائد ٩/٤٣-٤٤) .

عربي » قال : إنه صرح في الفتوحات المكية أن كلامه على ظاهرة . وقال أيضاً في « الضوء اللامع »[١] في ترجمة العلامة الحسين ابن عبد الرحمن الأهدل قال :وقيل لي عنه : إنه قال : يعنى ابن عربي : إن كلامي على ظاهرة وإن مرادى منه ظاهر فكيف تزعم أيها المغرور أنه لا يريد ما يدل على ظاهر كلامه ؟ ! وهذا نصة وكلامه في « فتوحاته[٢] وفصوصه[٣] كلام عربي لا أعجمي وكذلك غيره من أهل نحلته فكيف لا يفهم ظاهرة علماء الشريعة ؟![٤]

ثم نقل الشوكاني كلام العز بن عبد السلام الذي قاله في ابن عربي ، ونصه : « وقال الفقية أبو محمد بن عبد السلام لما قدم من القاهرة وسألوه عن ابن عربي ، فقال: شيخ سوء معتوه ، يقول بقدم العالم ، ولا يحرم فرجاً قال ذلك قبل أن يظهر من قوله : إن الله هو العالم ..

ثم قال بعد أن عدد مثالبهم : « ولم أصف عشر ما يذكرون من الكفر ثم قال : فرؤوسهم أئمة كفر ، يجب قتلهم ، ولا تقبل توبه أحد منهم إذا أخذ قبل التوبة ، فإنه من أعظم الزنادقة ثم قال : ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم ، أو ذب عنهم ، أو أثنى عليهم ، أو عًّظم كتبهم ، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم ، أو كره الكلام فيهم بل يجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات ، لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والأفراد والملوك ثم قال : وأما من قال : لكلامهم تأويل يوافقه الشريعة فإنه من رؤوسهم وأئمتهم ، فإنه إن كان يعرف كذب نفسه وإن كان معتقداً لهذا ظاهراً

---

(١) (١٤٧/٣/٢) .

(٢) أي « الفتوحات المكية » لابن عربي .

(٣) أي « فصوص الحكم » لابن عربي .

(٤) « الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد » ص ٢٩، ٣٠ للشوكاني .

وباطناً فهو أكفر من النصارى »[١] .

والعجيب أن الصوفية الذي يفترون هذا الكفر يزعمون أن هذا الشطح الصوفي لا يؤاخذ به الشيخ إذا خرج منه حيث أن هذه الشطح التي تظهر على ألسنتهم في مجلس الذكر أو أمام الناس يعبرون عنها بعين الجمع ، ومعنى **عين الجمع** عندهم : أي اتحادهم بالله والعياذ بالله : أو الاستغراق من السُّكْر أو الوجد أو الحب والغريب أنهم يزعمون أن من وصل إلى هذا الحد من الشطح نال الولاية الكبرى أي ولاية هذه التي يكفر صاحبها ويخرج من نطاق الشرع ويزعم بأن الله تعالى حال في خلقه أو أن متحد مع خلقه؟ وأن لا ثَّم خالق ومخلوق أو رازق و مرزوق أو عابد ومعبود.

فائدة

وقد وقعت مباهلة بين الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ وبين أحد المتعصبين لابن عربي ذكرها السخاوي في ترجمة الحافظ ابن حجر :« ومع وفور علمه وعدم سرعة غضبه فكان سريع الغضب في الله ورسوله... » إلى أن قال : « واتفق كما سمعته منه مراراً أنه جرى بينه وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة كبيرة في أمر ابن عربي أدت إلى أن نال شيخنا من ابن عربي لسوء مقالته فلم يسهل بالرجل المنازع له في أمره وهدده بأن يغري به الشيخ صفاء الدين الذي كان الظاهر برقوق يعتقده ليذكر للسلطان أن جماعة بمصر منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء ونحو ذلك فقال له شيخنا:ما للسلطان في هذا مدخل لكن تعال نتباهل فقلما تباهل اثنان فكان أحدهما كاذباً إلا أصيب فأجاب لذلك وعلمه شيخنا أن يقول :اللهم إن كان ابن عربي على ضلال فالعني بلعنتك فقال ذلك وقال شيخنا :اللهم إن كان ابن عربي على هدي فاعني بلعنتك وافترقا . قال : وكان المعاند يسكن الروضة فاستضافه شخص من أبناء

---

(١) « الصوام الحداد » للشوكاني ص ٦٣ ، ٦٤ .

الجند جميل الصورة ثم بدا له أن يتركهم وخرج في أول الليل مصمماً على عدم المبيت فخرجوا يشيعونه إلى الشختور فلما رجع أحس بشيء مر على رجله فقال لأصحابه مر على رجلي شيء ناعم فانظروا فنظروا فلم يروا شيئاً وما رجع إلى منزله إلا وقد عمي وما أصبح إلا ميتاً وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وسبع مائه وكانت المباهلة في رمضان منها وكان شيخنا عند وقوع المباهلة عرّف من حضر أن من كان مبطلاً في المباهلة لا تمضي عليه سنة »[1] .



(١) « الجواهر والدرر » للسخاوي (٣/١٠٠١-١٠٠٢) .

فصل

في بطلان عقيدة خاتم الأولياء عند الصوفية

من الواضح أن العقائد الفاسدة لدى الصوفية لا تنتهي عند حد معين ،فمن يقلب ناظريه في كتب القوم يجد ما بين الفينة والفينة يخرج علينا بعضهم ببدعة جديدة ثم تتوارث تلك البدعة ويتناقلها خلفهم عن سلفهم ، بحيث تصبح من أبجديات التصوف وقواعده ، ومن تلك البدع التي خرجوا علينا بها ما يعرف بخاتم الأولياء ومما لا ريب فيه إن عقيدتنا لا تعرف هذه البدعة ، ولا هذا اللقب الجديد بل الذي لا يشك فيه مسلم أن من عقيدتنا أن النبي ﷺ وهو خاتم النبيين حيث يقول الله تعالى في حقه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

* وقال ﷺ فيما صح عنه : « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ،فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة قال : فأنا اللبنة و أنا خاتم النبيين »(١) .

* وقال أيضا : « فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ،ونصرت بالرعب ،وأحلت لي الغنائم ،وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ،وأرسلت إلى الخلق كافه ،وختم بي النبيون »(٢) .

* ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « ولم يتكلم أحد من المشايخ بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي ، فإنه صنف مصنفا غلط فيه في مواضع

---

(١) رواه البخاري (٥٥٨/٦) ومسلم (١٧٩٠/٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (٣٧١/١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

،ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء »(١) .

ولم تقتصر دعوي خاتم الأولياء على صوفية عصرنا بل ادعاها قوم على عهد شيخ الإسلام ابن تيمية ، وكانت له معهم صولات وجولات . يقول رحمه الله : « وكذلك لفظ خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له وأول من ذكره محمد بن على الحكيم الترمذي وقد انتحله طائفة كل منهم يدعى أنه خاتم الأولياء كابن حمويه ، وابن عربي ، وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها ، وكل منهم يدعى أنه أفضل من النبي عليه الصلاة والسلام من بعض الوجوه إلى غير ذلك من الكفر والبهتان ، وكل ذلك طمعا في رياسة خاتم الأنبياء ، وقد غلطوا فإن خاتم الأنبياء إنما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك ، وليس كذلك خاتم الأولياء »(٢) .

قال : « ولم يقتصر الحكيم الترمذي على دعواه بوجود خاتم الأولياء بل زعم أن خاتم الأولياء وأفضل من الصحابة بل ما هو أكثر من ذلك » .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «لما تكلم الحكيم الترمذي في كتاب «ختم الأولياء » بكلام ذكر أنه يكون في أخر الأولياء من هو أفضل من الصحابة ، وربما لوَّح بشيء من ذكر الأنبياء قام عليه المسلمون ، وأنكروا ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك ، ولا ريب أنه تكلم في ذلك بكلام فاسد باطل لا ريب فيه ، ومن هنا ضل من اتبعه في ذلك حتى صار جماعات يدعى كل واحد أنه أنه خاتم الأنبياء كابن عربي صاحب الفصوص ،وسعد الدين بن حمويه وغيرهما ، وصار بعض الناس يدعى أن في المتأخرين من يكون أفضل في العلم بالله من أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار إلى أمثال هذه المقالات التي يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والإجماع بل طوائف كثيرون آل الأمر بهم إلى ماهية الحقيقة

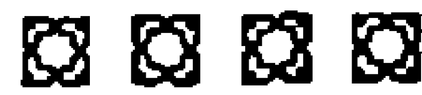
---

(١) « الفرقان » ص ٧١ .

(٢) « مجموع الفتاوى » (٤٤٤/١١).

الكونية القدرية وظنوا أن من شهدها سقط عنه الأمر والنهى والوعد الوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام :١٤٨] . وهؤلاء شر القدرية المعتزلة الذين يقرون بالأمر والنهى والوعد الوعيد ويكذبون بالقدر فإن أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين المكذبين بالأنبياء والشرائع فهم من شر الناس» [١] .

وقال أيضا :« ومن أضعف ما ذكره (أي الحكيم الترمذي):ما تكلم عليه في كتاب « ختم الولاية » ؛ فإنه تكلم على حال من زعم أنه خاتم الأولياء بكلام مردود مخالف لإجماع الأمة ويناقض في ذلك »[٢] .



(١) « مجموع الفتاوى » (١٣/٢٦٨،٢٦٧) .

(٢) « شرح حديث أبى بكر الصديق اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيراً » ص ٩٣ لشيخ الإسلام ابن تيمية .

فصل

في اعتقاد الصوفية بوجود الأقطاب والغوث والحكومة الخفية الغريبة

يعتقد غلاة التصوف لاسيما الطرقية منهم أن :

(١) أن القطب هو الخليفة الباطن وسيد أهل زمانه وهو الغوث[١] وهو واحد من الأولياء بلغ مبلغا عظيماً من المكانة والكمال وهو موضع نظر الله في كل زمان وهو يسرى في الكون وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد[٢] .

(٢) أن القطب سمى بذلك لدورانه في جهات الدنيا الأربع الشرق والغرب والجنوب والشمال ، يدور دوران الفلك في السماء[٣] .

(٣) أن الأقطاب المختصين بالجهات الأربع هم أربعة الدسوقي ، الجيلانى ، الرفاعي ، البدوي[٤] .

ومن الدعاوى العريضة والكفر الصرف قول بعضهم «انعقد الإجماع من جماهير الأشياخ من الفقهاء والفقراء وتضمنت الكتب المدونة أن أصحاب التصريف التام من السادة القادة الأولياء في حياتهم وفي قبورهم بعد وفاتهم كتصرف الأحياء إلى يوم القيامة بتخصيص من الله تعالى لهم وهم الشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنجي والشيخ حياة بن قيس الحراني ... »[٥] .

---

(١) « مشتهي الخارف » الجاني (ص٥٠٥) للشنقيطي .

(٢) « التعريفات » للجرجاني ص ١٧٧-١٧٨ .

(٣) « مشتهي الخارف » الجاني ص ٥٠٥ .

(٤) « الموسوعة العربية الميسرة » (١٣٨٧) .

(٥) « قلائد الجواهر » ص ٤٧ للشيخ محمد التادفي .

(٤) أن الوجود كله قائم بالقطب ، فإذا زالت روحانية القطب من الوجود انعدم الوجود كله[١] وصار ميتاً .

(٥) أن للقطبية مقامين : القطبانية العظمى : ومجال علمه يستغرق علم الغيب والشهادة ، ولا يقوم أحد من الخلائق مقامه ، ويكون على باطل النبوة .

والقطيانية الصغرى : والمتمكن فيها يعمل في عالم الشهادة الحسي إذا غاب أو مات خلف مكانه أقرب بدلا منه[٢] .

(٦)أن الأقطاب وأعوانهم لهم عدد فالقطب إذا أطلق فهو قطب الأقطاب أو الغوث ملجأ الملهوفين . فالنقباء ثلاثمائة ، والنجباء سبعون ، والأبدال أربعون والأخيار سبعة ، والعمد أربعة ، والغوث واحد فإذا عرضت حاجة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ، ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته[٣] وعدد الأقطاب وأعوانهم مختلف عليه عند الصوفية فبعضهم جعلهم عشر طبقات كالحمزاوي الشاذلي في شرحه على البردة[٤] ، وبعضهم جعلهم سبع طبقات كالفوتي التجاني[٥] ولكن المجمع عليه عند الصوفية أنهم ست طبقات أمهات : أقطاب وأئمة ، وأوتاد وأبدال ونقباء ونجباء[٦] .

(٧) أن القطب خليفة الله في ربوبيته كذا زعموا فحيثما كان الرب إلها كان هو خليفة ونائبة في التصرف وتنفيذ أحكامه الإلهية ، فلا يصل إلى الخلق جليل أو رقيق

---

(١) « جواهر المعاني » (٢/٨٩-٩٠) .

(٢) « كشف الوجوه الغر شرح ديوان ابن الفارض » (٢/١٠٣) .

(٣) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/٩٥) .

(٤) « النفحات الشاذلية » (٢ / ٤٠) .

(٥) « الرماح » (١/٢١) .

(٦) « الفتوحات المكية » لابن عربي (٢/٩٩) .

إلا بحكمه وتولية ونيابته(١) .

(٨) أن مساكن الأقطاب وأعوانهم مختلفة فالغوث يوجد بمكة ، والنقباء يسكنون المغرب ، والنجباء مصر ، والأبدال الشام ، والأخيار سياحون في الأرض ، والعمد في زوايا الأرض(٢) .

(٩) أن أعظم الأولياء الغوث ، والأوتاد مفزع العامة ، والنقباء مفزع الأوتاد ، والخلفاء مفزع النقباء ،والعلماء مفزع الخلفاء ، والعرفاء مفزع العلماء وأهل المكاشفة مفزع العرفاء ، والقطب مفزع الكل(٣) .

(١٠) أن الأقطاب تعاقبوا على كرسي إدارة العالم كما يقول ابن عربي وعددهم من لدن آدم إلى محمد ﷺ خمس وعشرون وقد عرف ابن عربي كما زعم أسماءهم وترجمت له بالعربية حيث حضر لهم جلسة برزخية كما زعم في مدنية قرطبة بالأندلس(٤) .

(١١) أن الأبدال عددهم سبعة على قول ابن عربي يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم ،وإليهم تنظر روحانيات السموات والأرض(٥) .

(١٢) أن الأحاديث قد وردت في الأبدال وقد ذكرها الإمام السيوطي في «الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والأبدال» فلا داعي لإنكارها وإن اختلفت أعدادهم فهذا لا يضر علي قول عامة الصوفية .

(١٣) أن القطب له صفات وعلامات ذكرها أبو الحسن الشاذلي أنها خمس

---

(١) «كشف الوجوه الغر شرح ديوان ابن الفارض» (١٠٣/٢) .

(٢) «الطبقات الكبرى» للشعراني (٩٥/١) .

(٣) الرماح» (٢١/١) .

(٤) «الفتوحات المكية» (٣٧٦/٢) .

(٥) «الفتوحات المكية» (٣٧٦/٢) .

عشرة علامة منها العصمة ، والرحمة ، والخلافة والنيابة ، ومدد حملة العرش العظيم ، والكشف له عن حقيقة ذات الرب عز وجل والإحاطة بالصفات[١] بل والإحاطة بستة عشر عالماً والدنيا والآخرة منها عالم واحد[٢] وباختصار فالقطب لا يخفى عليه شي في الدنيا والآخرة كما أن للقطب إحاطة بالشريعة حتى ولو كان أمياً[٣] .

(١٤) أن القطب أفضل جماعة المسلمين[٤] . كما نقل الشعراني عن شيخه الخواص قال « وأكمل الخلق في كل عصر القطب »[٥] .

(١٥) أن مرتبة القطب مرتبة عاليه لا يصل إليها إلا واحد فهي مرتبة لا حدود لها فله جميع المراتب وله الإحاطة الشاملة في جميع المراتب وله المنع والعطاء في جميع المراتب حتى مراتب الملائكة[٦] .

(١٦) أن قطب الأقطاب يعلم علم ما قبل الوجود في الكون وما وراءه وما لا نهاية له[٧] . بل زعم عبد العزيز الغماري أن الأقطاب يعلمون مفاتيح الغيب[٨] الخمسة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ

---

(١) « اليواقيت والجواهر » (٧٨/٢) .

(٢) « درر الغواص » ص ١٤ .

(٣) « الإبريز » ص ٢١٧ ، « الرماح » (٨٩/١) ، « جواهر المعاني » (٢١٣/١) .

(٤) « جواهر المعاني » (٢٦٦/١)

(٥) « الطبقات الكبرى » (١٣٩/٢) .

(٦) « جواهر المعاني (١٠٦/٢-١٠٧).

(٧) المصدر السابق (٨٨/٢) .

(٨) ذكر ذلك في كتابه « الأربعون العزيزية » ص١٢ وانتقده الشيخ الفاضل علامة تطوان محمد الأمين بوخبزة في رسالته « نقد البردة » .

تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان : ٣٤][١] .

ولا شك أن هذا مصادم للآية وللحديث الذي ورد عن النبي ﷺ من رواية ابن عمر رضي الله عنه ونصه : «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما غد إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله »[٢] .

*قال الشيخ ملا على القاري رحمه الله :« ثم اعلم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يعلموا المغيبات من الأشياء إلا ما علمهم الله تعالى أحياناً وذكر الحنفية (وغيرهم) تصريحاً بتكفير اعتقاد أن النبي ﷺ يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ [النحل:] »[٣] .

(١٧) أن القطب له ثلاثمائة وستة وستون ذاتاً وأنه يتطور بل ألف السيوطي رحمه الله لهم « المنجلي في تطور الولي»[٤] أو « المعتلي في تعدد صور الولي » أو «القول الجلي بتطور الولي» والأخيران في المكتبة الظاهرية بدمشق .

(١٨) أن القطب لا يطيق رؤيته إلا الخواص[٥] بل ادعى بعضهم أن هناك مقامات أكبر وأعلى من مقام القطبية قد تخطاها بعضهم حيث يحكي الشعراني عن بعض أتباع الرفاعي أنه قال لشيخه : يا سيدي أنت القطب ، فقال : نزه شيخك عن القطبية ،فقال له : أنت الغوث ؟ فقال : نزه شيخك عن الغوث قال الشعراني وفي

---

(١) وانظر : « الإبريز » ص ٣٠١ .

(٢) رواه البخاري (٩/١٤٢).

(٣) « شرح الفقه الأكبر » ص١٢٤

(٤) رسالة للسيوطي ضمن «الحاوي للفتاوى » .

(٥) « الطبقات الكبرى » (٢/٩٤) .

هذا دليل على أنه تعدى المقامات والأطوار ،لأن القطبية والغوثية مقام معلوم[١] .

(١٩) أن للقطب التصرف المطلق الشامل في العالم[٢] كالتصرف في أمر البر البحر[٣] ولا يجري في عالم المخلوقات شيء إلا بإذن القطب[٤] حتى خلجات النفوس وخواطر القلوب، ووقاية المريدين من السؤال والحساب في الآخرة[٥] . كما أن القطب هو المحرك لكل عابد فما من ساجد سجد لله تعالي في الوجود أو راكع ركع لله، أو قائم قام لله تعالي أو محرك تحرك لله تعالي، أو ذاكر ذكر الله تعالي بأي ذكر في جميع الوجود إلا والقطب في ذلك هو المقيم له فيه سبح المسبح، وبه عبد العابد، وبه سجد الساجد[٦] .

ومن ذلك التخريف اعتقاد الغماري بتصرف الأولياء بعد موتهم ففي رسالته إلي محمد النيفال يقول « سيدي علي الجمل قطب وقته والمتصرف فيه »[٧] .

* ويقول في المدعو علي الجمل:« بأن علي الجمل كان من أهل التصرف في وقته حتى كان يحمي القوافل في الفيافي والقفار من قطاع الطرق بهمته »[٨] .

ويقول : « إن محمد بن محمد كان ذا قدم راسخ في المغرب وكان يقول

---

(١) « الطبقات الكبرى » (٢/١٣) .

(٢) الفتوحات المكية » (٣/٢٥٧).

(٣) كما حكاة بعضهم عن شيخه منصور بن أحمد أنه كان قطباً وكان يتصرف في أمر البحر الإبريز ص ٢٤٣.

(٤) « جواهر المعاني » (٢/٨٩)

(٥) « الإبريز » ص ٣٣٨.

(٦) « جواهر المعاني » (١/٢٦٦-٢٦٧)

(٧) « تنبيه القارئ إلي فضائح أحمد الغماري » ص ١٠٠ .

(٨) « المؤذن في أخبار أحمد بن عبدالمؤمن » ص٥٦ .

لأصحابه: إذا عرضت لأحدكم حاجة فليجلس أمامي مضمراً لها في نفسه ولا يذكرها فإنها تفضي ويشير إلى انطواء الكون في قبضته»[١] .

بل يزعم أحمد الغماري أن الولي قد يرى ما في اللوح المحفوظ[٢] وزعم أن الأولياء يحيون الموتى[٣] ويعلمون الغيب[٤] . وهذا ضلال مبين وكفرفقد حكى ابن الحاج الاتفاق على كفر من يقول إن الأنبياء يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة[٥] وحكم ابن العربي في أول سورة الأنعام بكفر من ادعى علم الغيب[٦] .

* وقال الشاطبي : « وقد تعاضدت الآيات والأخبار وتكررت في أنه لا يعلم الغيب إلا الله »[٧] .

(٢٠) ويعتقد الصوفية بأن للأقطاب والغوث حكومة خفية يجتمعون فيها وتعقد هذه الاجتماعات التي يتوقف عليها مصير العالم ونظامه، ورئيس مجلس هذه الحكومة هو القطب وله أعضاء مجلس شوري موقر يحضرون مجلسه لا يعوقهم عن الضرر حواجز زمان ولا مكان، يأتون من أرجاء الأرض في لمحة البصر أو أقرب، يعبرون البحار والجبال والفيافي والبراري في يسر بالغ كما يحضر هذا المجلس طبقات مختلفة من الأولياء[٨] .

---

(١) المصدر السابق ص٧١ .

(٢) « جؤنة العطار » (٢/٢٥-٢٦) .

(٣) « جؤنة العطار » (١/٧١-٧٢) .

(٤) « الإقليد » ص٥٨١ .

(٥) في حاشية على ميارة الصغير » (٢/٥٩).

(٦) « أحكام القرآن » (٢/١٢٣) .

(٧) « الموافقات » (٤/٨٤) .

(٨) « تقديس الأشخاص » (١/١٢٥) .

* وهاك آخر وهو الشيخ زاهد الكوثري القبوري الذي يقول بتصرف الأولياء بعد موتهم حيث يصرح بذلك قائلا :« الولي في الدنيا كالسيف في غمده فإذا مات تجرد منه فيكون أقوى في التصرف »(١) .

* وقال أيضاً:« لابد لأهل السلوك والرشاد من التوسل والاستغاثة، والاستمداد بأرواح الأجلة، والسادة والأمجاد، إذ هم المالك لأزمة الأمور في نيل ذلك المراد »(٢) .

قلت :ولا شك أن هذا باطل وزور دفع بهم إلي الاستغاثة بالأولياء وعند قبورهم وبعيداً عنها . فهذا يقول عند قبر عبد القادر الجيلاني(٣) :

أيدركني ضيم وأنت ذخيرني   وأظلم في الدنيا وأنت نصيري
وعار علي راعي الحمي وهو في الحمي   إذا ضاع في البيد عقال بعير

ويقول آخر من ضريح التيجاني(٤) :

أيضام عبد في حماكم قد نزل   إني أتيت لبابكم مستصرخا
أنتم ولاة الأمر ياغيث الوري   يا سادة لهم السيادة في الأزل
يا من لهم كل الأماني والأمل   عونا لنا نظراً عياناً عن عجل

وقد رد الألوسي علي القائلين بتصرف الأولياء فقال عند قوله تعالي : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ [الحج:٧٣].

قال رحمه الله : « فيه إشارة إلي ذم الغالين في أولياء الله تعالي حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله تعالي، وينذرون لهم النذر والعقلاء منهم يقولون إنهم وسائلنا إلي الله تعالي وإنما ننذر لله عز وجل ونجعل ثوابه للولي ولا يخفي أنهم في

---

(١) « إرغام المريد » ص ٢٨ للكوثري . ونقله في « جهود الحنفية في إبطال عقائد القبورية » (١٠٧٩/٢)

(٢) المصدر السابق ص ٥.

(٣) ذكر هذا الشيخ رشد رضا في تعليقه علي « صيانة الإرشاد » ص ١٩٩ .

(٤) « كشف الحجاب عمن تلاقي مع الشيخ التيحاني من الأصحاب » لأحمد سكيرج ص ٥١ .

دعواهم الأولي أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر : ٣] ، ودعواهم الثانية : لا بأس بها إن لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك والظاهر من حالهم الطلب ويرشد إلي ذلك أنه لو قيل أنذروا الله تعالي واجعلوا ثوابه لوالديكم فإنهم أحوج من أولئك الأولياء، لم يفعلوا، ورأيت كثيراً منهم يسجد علي أعتاب حجر قبور الأولياء، ومنهم من يثبت التصرف لهم جميعاً يحصرون التصرف في القبور في أربعة أو خمسة وإذا طولبوا بالدليل قالوا: ثبت ذلك بالكشف قاتلهم الله تعالي ما أجهلهم وأكثر افترائهم، ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من القبور ويتشكلون بأشكال مختلفة وعلماءهم يقولون: إنما تظهر أرواحهم متشكلة وتطوف حيث شاءت وربما تشكلت بصورة أسد أو غزال أو نحوه، وكل ذلك باطل لا أصل له في الكتاب والسنة، وكلام السلف ، وقد أفسد هؤلاء علي الناس دينهم وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى وكذا أهل النحل والدهرية نسأل الله تعالي العفو والعافية »[١] .

(٢١) يتم عقد الديوان القطبي في غار حراء... حيث يجلس الغوث خارج الغار ومكة عن يمينه والمدينة عن يساره والأقطاب الأربعة عن يمينه وهم مالكية المذهب كما يقول الدباغ ويجلس ثلاثة أقطاب آخرون عن يساره كل واحد من المذاهب الثلاثة الأخري، كما يحضر المجلس عدد من النساء وتحضره الملائكة والجن الكمل أيضاً وحضورهم لأن الأقطاب يستعينون بهم في أداء بعض المهمات وفي كل مدينة من المدن عدد من الملائكة يكونون عوناً لأهل التصرف[٢] .

(٢٢) وأما زمان انعقاد المجلس القطبي فهو قبيل الفجر حيث يتجمع الأولياء

---

(١) « روح المعاني » (٢٣-٤٩٩).

(٢) « الإبريز » (ص ١٨٤).

من أقطار الأرض[١] . ويزعم الصوفية أن النبي ﷺ والخلفاء الأربعة والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم يحضرون في هذا الديوان[٢] بل والموتي يحضرون الديوان أيضاً[٣]. وأما لغة أهل الديوان فهي السريانية وهي التي يتخاطب بها الأولياء من أهل الديوان[٤] .

(٢٣) وأما الموضوعات التي يتباحث فيها أهل الديوان فهي في قضاء الله تعالى هذا التقسيم الصوفي للأولياء وطبقاتهم من أبدال ونقباء ونجباء ووجود حكومة خفية يتزعمها الغوث والقطب وما إلي ذلك هو مأخوذ من الروافض أو طائفة الإسماعيلية. حيث يقول بعض المستشرقين وهو لنيسكون« وللأولياء عند الصو فية حكومة باطنة تتصرف في الكون وتحفظ عليه نظامة، ويتزعمها القطب، وتحته النقباء والأوتاد والأبرار، والأبدال ... وهذا التصرف مقام الأولياء ربما أخذته الصوفية من الشيعة أو الإسماعيلية »[٥] .

وصدق من قال : كل بدعة ابتدعها الصوفية جاءت من طريق الرافضة وكل بدعة ابتدعها الرافضة جاءت من طريق اليهود والنصاري .



(١) المصدر السابق ص ١٠٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩٠ .

(٣) المصدر السابق ١٨٤ .

(٤) المصدر السابق ص ١٢١ .

(٥) « في التصوف الإسلامي » ص ٨١ لنيسكون .

فصل

في بطلان عقيدة الصوفية بوجود الأقطاب والغوث والرد عليهم

ذكرنا في الفصل السابق ملخص اعتقاد الصوفية في القطب والغوث ووظيفته. وسوف نرد علي هذه العقيدة الباطلة من وجوده متعددة.

الوجه الأول :

أن هذه العقيدة عقيدة محدثة باطلة مخترعة أجنبية عن دين الإسلام، لا تمت إليه بصلة من قريب ولا من بعيد، بل هي بمعزل عن الكتاب والسنة تماماً، وبالطبع فلا يليق بالعقلاء اعتقادها فضلاً عن المتبعين للكتاب والسنة.

الوجه الثاني :

أن دعوى وجود ما يسمى بالقطب أو الغوث فهذا محض تخرص وكذب بحث، فإن الله تعالى لم ينص على ذلك في كتابه ولا نص عليه رسول اله ﷺ في سنته وكذلك لم يرد هذا علي لسان صحابي ولا تابعي ولا تابع تابعي ولا عالم من علماء المذاهب الأربعة ولا غيرهم من فقهاء الشريعة بل ورد ذلك عن الطرقية الذين يعد كلامهم غير معتبر، لهذا فإن ادعاء وجود القطب والغوث هو وهم وخيال لا حقيقة له.

الوجه الثالث :

أن دعوى الصوفية بوجود الأقطاب والغوث لم يستدلوا عليها بآية أو حديث فهي إما أقوال اخترعوها من عند أنفسهم أو منامات لا تقوم عليها شريعة وأكثرها ربما كذب أو من تلبيسات الشيطان، ولا شك أن كل دعوى عارية من الدليل كتاباً أو سنة لا يلتفت إليها غاية ما عند الطرقية حكايات وأخبار يستخدمونها لإرهاب من

يعترض عليهم، وإلقاء الرعب في قلوب منتقديهم، وهذا لا ينطلي علي المتبع الحصيف.

الوجه الرابع :

وأما دعواهم أن القطب هو خليفة الله في أرضه فهذا محض كذب وتخرص بالباطل فإن الله تعالي لا نظير له ولا وكيل ولا نِدَّله ولا شبيه، وهو الغني الحميد عمن سواه، كل شيء إليه فقير ومحتاج إليه قال الله تعالي : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٥، ١٦] فكل ما في الوجود محتاج إليه، إليه تصمد الحوائج وبه تكشف الكروب والخطوب، ومنه تستمد الأرزاق، إليه الملجأ والمفزع هو الوكيل وهو المستعان وعليه التكلان، ومن الخطأ البين أن يقال عن شخص مهما سما أنه خليفة الله في الأرض بل الله عز وجل هو الخليفة في الأهل كما ثبت عن رسولنا ﷺ في دعاء السفر« اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل... » الحديث(١) . ومن هنا تدرك خطأ كثير من الكُتَّاب الذين يكتبون في الصحف والمجلات والكتب هذه العبارة « الإنسان خليفة الله في أرضه» !!

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وقد ظن بعض الغالطين كابن عربي، أن الخليفة هو الخليفة عن الله، مثل نائب الله، والله تعالي لا يجوز له خليفة ، ولهذا قالوا لأبي بكر: يا خليفة الله: فقال: لست بخليفة الله، ولكن خليفة رسول الله ﷺ وحسبي ذلك »(٢) ، بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره ، قال النبي ﷺ : « اللهم

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٢) والترمذي (٣٤٤٤) وأبو داود (٣٥٩٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/٢٨٧) بنحوه كما قال الشيخ الألباني في « السلسلة الضعيفة » (١/١٩٧) هامش (١).

أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل اللهم أصحبنا في سفرنا ، وأخلفنا في أهلنا »[١] . فالله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين ، ليس له شريك ولا ظهير ، ولا يشفع أحد عنده ، إلا بإذنه والخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف ، بموت أو غيبة ، ويكون لحاجة المستخلف وسمي خليفة لأنه خلف عن الغزو وهو قائم خلفه ، وكل هذه المعاني منتفية في حق الله تعالى ، وهو منزه عنها ، فإنه حي قيوم ، شهيد لا يموت ولا يغيب ... ولا يجوز أن يكون أحداً خلفا منه ، ولا يقوم مقامه ، لأنه لا سَميّ له ، ولا كفء ، فمن جعل له خليفة ، فهو مشرك به[٢] .

* وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ومما يكره من الألفاظ :زعموا ، وذكروا وقالوا ، ونحوه ومما يكره منها أن يقول للسلطان : خليفة الله ، أو : نائب عن الله في أرضه فإن الخليفة والنائب إنما يكون من غائب ، والله سبحانه وتعالى خليفة الغائب في أهله ، ووكيل عبده المؤمن »[٣] .

الوجه الخامس :

وأما دعواهم أن القطب موضع نظر الرب سبحانه في كل زمان فهذه ترهات وخيالات حشاش لا حقيقة لها والعجب أنهم يخترعون أشياء ويبنون عليها أحكاماً وعقائد باطلة فإذا كان القول بوجود القطب والغوث قولاً باطلاً فكيف يزعم الطرقية أنه موضع نظر الرب سبحانه؟. إن نظر الله تعالي محيط بالكون كله كما أن علمه

---

(١) رواه الدارمي (٢/٢٨٧) من حديث ابن عمر، وأحمد (٥/٨٣) وابن خزيمة (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن سرجس قال الألباني وسندهما صحيح هامش (١) والسلسلة الضعيفة (١/١٩٨).

(٢) « مجموع الفتاوى » (٢/٤٦١)

(٣) « زاد المعاد » (٢/٣٧).

سبحانه محيط بكل ما في الكون فهو سبحانه يسمع ويري ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٦] ، ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] له مع عبادة معية عامة ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾ [الحديد: ٤] معية علم .

وله سبحانه معية خاصة مع خواص عبادة من المحسنين والمتقين والصابرين وأنبياءه المرسلين تقتضي الحفظ والرعاية والنصر والتأييد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] . ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٤] ، ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] . وقال لنبيه موسي وهارون : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] وقال : ﴿ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥] ولهذا قال نبي الله موسى : ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢] .

وهذه الآيات التي سبق ذكرها لم يذكر فيها قطب ولا غوث ولا غير ذلك وكذلك قوله تعالي عن نبيه محمد ﷺ : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ ﴾ [التوبة: ٤٠] .

والمتبع عقيدة الصوفية يجدها كثيرة التشابه مع عقيدة إخوانهم من الروافض في كثير من البنود فالروافض يرفعون أئمتهم ويغالون فيهم بل ويزعمون أنهم في مكانة لا يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب كما صرح به الخميني الهالك(١) وهكذا يدعي الطرقية هنا أن القطب موضع نظر الرب وله مزيد عناية وسيمر بنا بعض أوجه التشابه بين عقيدة الروافض في أئمتهم وعقيده غلاة الصوفية في مشايخهم ومن يزعمون

---

(١) زعم ذلك في كتابة « الحكومة الإسلامية » وجعل هذا من ضروريات مذهب الروافض .

أنهم أقطاب وأبدال ونقباء ونجباء، وقول الصوفية أن القطب موضع نظر الرب سبحانه هو محض افتراء واستدراك علي الشرع المطهر دفعهم إليه الجهل والزهد في مجالس العلماء، فالجهل يقوي في ظل البعد عن مجالس العلماء والله سبحانه وتعالي هو الذي يكلأنا برعايته وحفظه ولم يكلنا في ذلك لا لغوث ولا قطب قال الله تعالي : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

الوجه السادس :

وأما دعواهم : « **بأن الوجود كله قائم بالقطب فإذا زالت روحانية القطب من الوجود انعدام الوجود كله وصار ميتاً** ». فلا شك أن هذا كلا م باطل يصل إلي حد الكفر ويزاحم الربوبية والألوهية للرب عز وجل، إذ إن الرب سبحانه وتعالي: هو القائم علي كل نفس بما كسبت وهو الحي القيوم، وهو المدبر لشئون عبادة، وليس القطب والغوث ، قال الله تعالي : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣] ، والعجب أن يقر المشركون بأن الله تعالي يحيي ويميت ويدبر الأمر ويرزق عباده في الوقت الذي يعتقد الخرافيون أن الكون قائم بالقطب والغوث وأنه إذا مات اضطراب الكون وصار ميتاً وكأنهم نسوا أن للكون إلهاً مدبراً حكيماً لا شريك له ولا نظير قال الله تعالي : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون ٨٤-٨٩].

وقال عز وجل: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

الوجه السابع :

وأما تقسيمهم القطبية إلي صغري وكبرى فهذه التقسيمات لا دليل عليها وهي بضاعة لا تساوي بعرة ولا تصمد أمام البحث العلمي فأين الدليل عليها من كتاب لله وسنة رسوله ﷺ؟ بل أين ما يفيد صحة هذا من قول صحابي أو تابعي؟ وما أكثر التقسيمات والألقاب في عالم التصوف وكلها في الحقيقة سراب خادع يحسبه الظمأن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً إنها مجرد أوهام في أوهام لا تروج إلا علي البسطاء من أهل الجهل والغباوة ولو أن سلطان الحكم بما أنزل الله قائم لما وجدنا هذه المعتقدات الباطلة.

* ورحم الله الحافظ الذهبي حيث يقول: « إذا رأيت السالك التوحيدي (أي الصوفي) يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه، وإبرك علي صدره، واقرأ عليه آية الكرسي»[1] .

*وقال أيضاً: « متي رأيت الصوفي مكبا علي الحديث فثق به، ومتي رأيته نائياً عن الحديث فلا تفرح به لا سيما إذا انضاف إلي جهله بالحديث عكوف علي ترهات الصوفية ورموز الباطنية نسأل الله العافية »[2] .

* وقال ابن الجوزي رحمه الله: « اعلم أن تلبيس إبليس علي الناس صدهم عن

---

(١) « سير أعلام النبلاء » (٤/٤٧٢).

(٢) « سير أعلام النبلاء » (٧/ ١٨٣).

العلم لأن العلم نور، فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء وقد دخل علي الصوفية في هذا الفن من أبواب أحدها : أنه منع جمهورهم من العلم أصلاً وأراهم أنه يحتاج إلي تعب وكلف، فحسن عندهم الراحة فلبسوا المراقع، وجلسوا علي بساط البطالة »[١] .

وبنفس فكرة تبني الأقطاب والقول بها أعتمد عليها المهدي السوداني في حروبه ضد الإنجليز وادعاء المهدية وأن النبي ﷺ أخبره بأنه المهدي يقظة لا مناماً إلي آخر هذه الخرافات حيث يقول المهدي السوداني في إحدى أوائل بياناته «أخبرني سيد الوجود بأني المهدي المنتظر وخليفتي عليه الصلاة والسلام بالجلوس علي كرسيه مراراً بحضره الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام إلي أن يقول:وفي ساعة الحرب يحضرهم سيد الوجود بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام[٢] .

ولما تحركت الحكومة لضرب المهدية في جزيرة « أبا»كتب المهدي خمس رايات رفع عليها شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله وعلى أربعة منها كتب علي كل واحد منها اسم واحد من الأقطاب الأربعة المتصوفة وهم الجيلاني والرفاعي والدسوقي والبدوي وكتب علي الخامسة محمد المهدي خليفة رسول الله »[٣] .

إن من الأسلحة التي استخدمها مروجو الطرقية من الصوفية في نشر باطلهم وقصصهم تلك القصص التي يزعمون فيها أن من ينكر عليهم أو يعترض أو ينتقدهم معرض نفسه للهلاك ويهدفون من وراء ذلك زرع الرعب والإرهاب النفسي والخوف والهلع في نفوس الناس والعجب أن يؤثر ذلك في بعض من ينتسب إلي

---

(١) « تلبيس إبليس » ص ٢٣٠.

(٢) من منشورات المهدية.ص ٢٤.

(٣) « الموسوعة الميسرة » (٣١٧/١).

العلم فتراه يترجم للمتصوفة ويحذر من الاعتراض علي ما يراه الناظر في تراجمهم من أشياء مخالفة فهذا الشيخ عبد الرؤوف المناوي وله مشاركة في العلوم يقول في مقدمة كتابه « الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية » : « ليحذر الناظر في تضاعيف الكتاب ويلزم الأدب، فلا ينكر فيحل به العطب »(١) أي الهلاك .

قلت: إذاً فماذا يفعل من يقرأ ما فيها من مخالفات شرعية؟، أيعطي شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أجازة؟، أم يداهن القوم ولا ينكر؟، أم يكون شعاره لا أسمع لا أرى لا أتكلم؟، أم يظل في حيرة بين النصوص الشرعية التي تطالبه بإنكار المنكر وبين ما يراه من هؤلاء من مخالفات شرعية ؟أم يسكت علي كمد ولا ينطق بينت شفه كما يقال .

اقرأ هذه الحكاية وقل لا حول ولا قوة إلا بالله فقد ذكروا عن شيخ يدعي أبا مدين يقولون قالت جماعة من الفقهاء المجاورين لأبي يعزى: ثبتت عندنا ولاية أبي يعزى ولكن نشاهده يلمس بيده صدور النساء وبطونهن ويتفل عليهن فيبرؤون ونري أن لمسهن حرام، فإن نحن تكلمنا في هذا هلكناً وإن سكتنا تحيرنا(٢) .

الله أكبر كيف تشهدون له بالولاية وهو يفعل أمامكم ما يوجب الإنكار من لمس المرأة الأجنبية في أماكن حساسة من جسدها، ثم لا تنكرون؟ !! والحق أني أشك في كونهم فقهاء لأن الفقيه الحق هو من لا يخاف في الله لومة لائم ويصدع بالحق غير هياب فإذا كان هذا مسلك الفقهاء كما تقول القصة والحكاية فالعوام علي هذا معذورون في تصديقهم بهذه الخرافات، إن إشاعة جو الرعب والهلع كثيراً ما يركز عليه الطرقية في نشر باطلهم وعقيدتهم الفاسدة في الأقطاب والغوث، حتي سبب هذا مُسلّمات عند الطرقية بأن الاعتراض علي الشيخ لا يجوز بل هو من سوء

(١) « الكواكب » (١٣/١).

(٢) « المطرب في مشاهير أولياء المغرب » ص ٥٦ .

الأدب وعلامة علي الخيبة والخسران بل وسوء الخاتمة حتى ربُّوا أجيالاً من المريدين ملغاة عقولهم كالبهائم تقاد ولا تدري إلي أين

كبهيمة عمياء قاد زمامها أعمي علي كوج الطريق الحائر

ولهذا تجدهم يشيعون عبارات تضفي القداسة علي الشيخ مثل : من اعترض انطرد . ومن ذاق عرف . وكن بين يدي شيخك كالميت بين يدي الغاسل . وأطفئ سراج عقلك واتبعني !! وفي هذا يقول عمر الفوتي التيجاني عن الشيخ محمد بن المختار الكنتي : « وقد انعقد إجماع مشايخ الصوفية علي وجوب الاستسلام للشيخ والاطراح بين يديه كالغسيل بين يدي الغاسل »(١) .

قلت : فلسنا ملزمين بهذا الإجماع ولا يعنينا في شيء ما دام مخالفاً للكتاب والسنة. بل الأعجب والأدهى والأمرّ قول الشعراني ينقل عن الدسوقي قوله: المريد مع شيخه علي صورة الميت لا حركة ولا كلام، ولا يقدر أن يتحدث بين يديه إلا بإذن ، ولا يعمل شيئاً إلا بإذنه من زواج أو سفر أو خروج أو دخول أو عزلة أو مخالطة أو اشتغال بعلم، أو قرآن أو ذكر أو خدمة في الزاوية ... فعليك يا ولدي بطاعة والدك – يعني شيخك – وقدمه علي والد الجسم فإن والد السر أنفع من والد الظهر(٢) ..

وتأمل هذا الكلام الذي يؤدي بالشباب إلي العقوق، وترك حق الوالدين الذي أكده ربنا بقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣] وبقوله : ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

بل يصرح ذو النون المصري بما هو أشتد وأنكي من قول الدسوقي السالف الذكر فيقول : « طاعة المريد لشيخه فوق طاعته لربه »(٣) .

---

(١) « الرماح » (١٢٢/١).

(٢) الطبقات الكبري » للشعراني (١٥٣/١).

(٣) « تذكره الأولياء » لابن الملقن (١٧١/١).

وهكذا وصلت طاعتهم لمشايخهم إلي حد الشرك والعياذ بالله. ومن تأمل في كلام الدسوقي السابق وجد أن المريد لا حول له ولا قوة ويحتاج لإذن من شيخه في كل شيء في العبادة والسفر وحتى الزواج، وبقي أن يقال لابد من الاستئذان في هل يأتي المريد أهله أم لا ؟طالما الأمر وصل إلي هذا السخف إن من المُسَلَّم به في الشرع المطهر أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق(١) ، كما ثبت عن المعصوم ﷺ ، فالقول بالطاعة المطلقة لشخص من الأشخاص دون رسول الله قد يصل بصاحبه إلي العبادة من دون الله ، واتخاذ الأولياء من دونه قال سبحانه : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها : « أي لا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله تعالي »(٢) .وإن من أكبر مظاهر الانحراف اعتقاد بعض الطرقية الطاعة المطلقة للمشايخ ظناً منهم أن المشايخ معصومون وبذلك ضلو وأضلوا .

ضلوا لأنهم خالفوا أمر الله ورسوله حيث اعتقدوا صحة ما يخالف الكتاب والسنة فلا معصوم إلا الأنبياء عليهم صلوات ربي وسلامه .

وأضلوا غيرهم فيما أشاعوه من هذه المعتقدات الباطلة الفاسدة. يحكي الشيخ سعيد حوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن كبير من كبراء الصوفية زعم زعماً عريضاً .

يقول الشيخ سعيد حوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « انطلق كثير من الصوفية بلا ميزان وتصور أن قلوب الشيوخ معصومة فضلوا وأضلوا قال لي بعضهم علي لسان كبير من الصوفية: بقرأني وآياتي لو أمرني الشيخ أن أسجد للات لسجدت . ثم استطرد هذا الصوفي المتبرم من إخوانه قائلاً: هل يجوز المسلم أن يعتقد أن ما أمره الشيخ به يجوز له تنفيذه ولو كان كفراً؟ أليس هذا هو عين ما فعله النصارى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ

---

(١) رواه أحمد (٤٠٩/١)، والبيهقي (١٢٢٧/٣) من حديث ابن مسعود.

(٢) « تفسير البغوي » (١٤٨/٢).

وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَـابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] وذلك كما فسرها رسول الله ﷺ بأن أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم إلي أن قال: إن مجرد الإعلان عن هذا الاستعداد للطاعة في مثل هذا كفر »[١] .

قلت : كيف لا ينكر علي أمثال هؤلاء الطرقية وهم ينخرون كالسوس في أعز ما تملك الأمة في توحيد الله عز وجل يصدون الناس عن الحق بنشر هذه الخرافات والبدع . وكيف لا ننكر علي أمثال الشعراني ما جمعه في كتبه من خرافات سماها كرامات فيها ما يستحي المسلم من ذكره ، ولعلى أذكر هنا مثالاً ذكره في كتابه الطبقات الكبرى حيث يقول عن شيخه أبي العباسي الحريثي : « ولقد قصدته في حاجة وأنا فوق سطوح مدرسة أم خونذ بمصر فرأيته خرج من قبره يمشى من دمياط وأنا أنظره إلي أن صار بيني وبينه نحو خمسة أذرع : فقال: عليك بالصبر ثم اختفي رضي الله عنه »[٢] . وهل نصدق هذا التلبيس؟ إن إغواء الشيطان لهؤلاء لا يقف عند حد كيف يصدق العقل شخص مات وخرج من قبره و ... إلخ؟

إن هذه الخرافات والترهات ما هي إلا تلبيس من تلبيسات الشياطين ولو أن أهل العلم أدوا ما عليهم من النصح والصدع بالحق لدخل الجرذان إلى حجورهم، فعسي الله أن يأذن لشريعته أن تحكم الأرض وأن تسود، و عندها تطهر المجتمعات من هذه البدع والعوائد الضالة، والأفكار المنحرفة وعندها سيفرح المؤمنون بنصر الله قل عسي أن يكون قريباً.

فالنبي ﷺ وضع لنا قاعدة مهمة فيمن يشترط شروطا لّا دليل عليها في الكتاب المبين حيث حكم عليها بالبطلان فقال ﷺ : « كل شرط ليس في كتاب الله فهو

---

(١) « تربينا الروحية » ص (٢٠٦-٢٠٧) .

(٢) « الطبقات الكبرى » (١٤٧/٢).

باطل وإن كان مائة شرط »[1] .

وكذا كل قول وكل تقسيم لا دليل عليه فاضرب به عرض الحائط ولا تلتفت إليه بل ولا تشغل نفسك به، وقل مثل هذا بملء فيك فيما ادعاه الصوفية من تقسيم القطب والقطبانية والدين إلي شريعة وحقيقة وظاهر وباطن وغير ذلك.

الوجه الثامن :

وأما ادَّعاؤهم وجود أعداد معينة للأقطاب أن النجباء أو النقباء أو الأبدال وغير ذلك من المراتب التي ادَّعوها فكل ذلك كذب وزور، ومن عظائم الأمور اعتقاد مثل هذا المسطور في كتبهم فلم يرد دعوى القطب والغوث في حديث صحيح من سنة المعصوم ﷺ بل الوارد في الأبدال ضعيف أو ضعيف جداً أو باطل ومنكر وموضوع وهذا الوارد هو الوارد في حق الأبدال لا في حق القطب والغوث فكيف يزعمون بوجود أقطاباً وغوثاً يلجأ إليه الملهوفون ويفزع إليه المؤمنون ويستجير به المكروبون ؟!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «وكذا كل حديث يروي عن النبي ﷺ في عدة الأولياء والأبدال والنقباء والبجباء والأوتاد والأقطاب، مثل أربعة أو سبعة، أو أثني عشر، أو أربعين، أو سبعين، أو ثلاثمائة، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر، أو القطب الواحد، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال، وروي فيه أنهم أربعون رجلاً وأنهم بالشام وهو في المسند من حديث علي رضي الله عنه وهو حديث منقطع ليس بثابت ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام، فلا يكون أفضل الناس في

---

(١) رواه البخاري (٢/٢٧، ٢٩-٣٠) ومسلم (٤/٢١٣-٢١٤) ومالك (٢/٧٨) وأبو داود (٢٩٣٩) والنسائي (٢/١٠٢-١٠٣) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

عسكر معاوية دون عسكر علي »[١] .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : « أحاديث الأبدال والأغواث والنقباء والنجباء، والأوتاد، كلها باطلة عن رسول الله ﷺ »[٢].

وقال الحافظ السخاوي رَحِمَهُ اللهُ : « حديث الأبدال له طرق عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً بألفاظ مختلفة كلها ضعيفة» ثم ساق الطرق عن أنس وغيره وقال في آخرها : «... إلي غير ذلك من الآثار الموقوفة وغيرها، وكذا من الموفوع مما أفردته واضحاً بيناً معللاً في جزء سميته « نظم اللآل في الكلام علي الأبدال »[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « ولهذا كان ما يقوله الفلاسفة في العقول العشرة الذين يزعمون أنها ملائكة، وما يقوله النصاري في المسيح ونحو ذلك، كفراً باتفاق المسلمين، وكذلك – أعني الغوث – ما يقوله بعضهم من أن في الأرض ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً يسمونهم النجباء، فينتقي منهم سبعون من النقباء، ومنهم أربعون هم الأبدال ، ومنهم سبعة هم الأقطاب، ومنهم أربعة هم الأوتاد ، ومنهم واحد وهو الغوث ، وأنه مقيم بمكة، وأن أهل الأرض إذا نابهم نائبة في زرقهم ونصرهم فزعوا إلي الثلثمائة والبضعة عشر رجلاً وأولئك يفزعون إلي السبعين، والسبعون إلي الأربعين، والأربعون إلي السبعة، والسبعة إلي الأربعة، والأربعة إلي الواحد، وبعضهم قد يزيد في هذا، وينقص في الأعداد والأسماء والمراتب، فإن لهم فيها مقالات متعددة حتى يقول بعضهم: إنه ينزل من السماء علي الكعبة ورقة خضراء باسم غوث الوقت، واسم خضر علي قول من يقول منهم: إن الخضر هو

(١) « الفرقان » ص ١٣-١٤ .

(٢) « المنار المنيف » ص ١٣٦.

(٣) « المقاصد الحسنة » ص ٨ ، ١٠.

مرتبة، وإن زمانه خضراً فإن لهم في ذلك قولين، وهذا كله باطل لا أصل له في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، ولا قاله أحد من سلف الأمة ولا أئمتها، ولا المشايخ الكبار المتقدمين الذين يصلحون للاقتداء بهم، ومعلوم أن سيدنا رسول رب العالمين، وأبا بكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم - كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة »(١) .

هذا وقد أخذ ابن عربي فكرة القطب من النحل الضالة وأقوال الفلاسفة السابقين كأفلاطون فالقطب عند الصوفية هو العقل المطلق عند أفلاطون وقد ذكر ذلك الشيخ سيد قطب رحمه الله (٢) .

قال الشيخ سفر الحوالي « والحاصل أن هذا العقل المطلق عند أفلاطون سماه الصوفية (القطب الأعظم) أو واحد الزمان أو الغوث الأكبر»(٣) ، أو نحو ذلك كما يقول الشعراني « ولو لم يصبح واحد الزمان يتوجه إليه في أمر الخلائق من البشر لفاجأهم أمر الله عز وجل فأهلكهم »(٤) .

ومما يهدم أسطورة القطب والغوث ادعاء وجود قطبين في وقت واحد كما يدعي ذلك في الرفاعي والشيخ عبد القادر الجيلاني فإنهما كانا متعاصرين والسؤال لمن تكون القطبية يا معشر الخرافين وأنتم تدعون أن الكون له قطب واحد فقط؟ هذه خرافات لا أساس لها فاتركوها يا قوم فهل يتصور عاقل وجود ما يعرف برجال الغيب أو الأقطاب والنجباء أو الغوث الأعظم ؟هل يتصور عاقل حينما يري من يقال عنهم رجال الغيب شعورهم نافرة، وأظافرهم طويلة، وأشكالهم غريبة، خارجة عن

(١) « حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور » ص ٧٩، ٨٠ .

(٢) خصائص التصور الإسلامي » ص ١٦٦ نقلاً عن العقاد.

(٣) « الرد علي الخرافين » في شبكة الإنترنت.

(٤) « الطبقات الكبرى » للشعراني (١/١٧٣).

المألوف، يلبسون الخرق المرقعة، ويلتقون من المزابل وينامون علي القاذورات ولا يحضرون جمعه ولا جماعات؟ ويقال منهم هؤلاء أولياء وربما يكون هذا القطب الأعظم الذي يدير الكون كله !! وربما يكون من رجال الغوث وربما يكون من النجباء أو الرجبيين أو الرحمانيين وربما يكون علي قلب نوح أو الخليل عليها الصلاة والسلام وأنت لا تدري هذه ترهات وخرفات ما أنزل الله بها من سلطان، إن هذا هراء وسخف، وضحك علي العقول، واستخفاف بها، بأي دليل يستدلون علي وجود القطبية ورجال الغوث والغيب .

والعجيب أن الصوفية المخرفين يدخلون عليك الإرهاب الفكري يقولون لا تتعرض على فلان أو فلان فإنه من رجال الغيب، فقد تصاب بمكروه، ويفعل بل كذا وكذا فقد تشل أركانك، وتذهب أموالك، ويموت أولادك، أو تصاب في زوجتك وأبويك أو يهدم بيتك، أو تصاب تجارتك بالكساد أو غير ذلك يستعملون هذا الإرهاب باختلاف الأكاذيب والقصص الباطلة وينشرون ذلك بين الناس حتى يصدقوهم وما هو إلا كذب ودجل وافتراء .

الوجه التاسع :

وأما ما جمعه الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ وعفا الله عنا وعنه من أحاديث مرفوعة وموقوفة في رسالته : « الخبر الدال علي وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال» فهذه الرسالة ليتة ما جمعها حيث لم يصح مما جمعه فيها حديث مرفوع بالإضافة إلى الآثار الموقوفة وأغلبها ضعيف وقد استغلها الطرفية أسوأ استغلال وطاروا بها كل مطار في عرض البلاد وطولها ظناً منهم أنهم وجدوا ما يتكئون عليه ويعتمدون عليه في إثبات وجود الغوث والأقطاب والأبدال .

ولكن لا حجة لهم بحمد الله، فقد غربل العلماء هذه الأحاديث علي بساط البحث وحكموا علي أسانيدها ونقدوها وقد تتبعها العلامة السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ كما

تقدم في رسالته « نظم اللآل في الكلام علي الأبدال»[١] وكذلك ابن الجوزي في الموضوعات[٢] والشوكاني في الفوائد المجموعة[٣] وتتبعها الشيخ المحدث ذهبي العصر عبد الرحمن المعلمي في تعليقه علي الفوائد المجموعة والشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة وقال رحمه الله : « نقلت أكثر أسانيد الأحاديث المتقدمة من رسالة السيوطي «الخبر الدال علي وجود القطب الأوتاد والنجباء والأبدال»[٤] وقد حشاها بالأحاديث الضعيفة، والآثار الواهية، وبعضها أشد ضعفاً من بعض كما يدلك هذا التخريج، ومن عجب أمره أنه لم يذكر فيها ولا حديثاً واحدً في القطب المزعوم ويسميه تبعاً للصوفية بالغوث أيضاً، وكذلك لم يذكر في الأوتاد والنجباء أي حديث مرفوع، إنما هي كلها أسماء مخترعة عند الصوفية، لا تعرف عند السلف، اللهم إلا اسم البدل فهو مشهور عندهم كما تقدم والله أعلم »[٥] .

قلت: والعجب من الحافظ السيوطي عفا الله عنا وعنه كيف يقول في بداية رسالته : « فقد بلغني من بعض من لا علم عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء من أن منهم أبدالاً ونقباء ونجباء وأوتاداً وأقطاباً وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك؛ فجمعتها في هذا الجزء المتستفاد، ولا يعول علي إنكار أهل العناد وسميته« الخبر الدال علي وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال والله الموفق»[٦] .

---

(١) « المقاصد الحسنة » ص ١٠ .

(٢) (١٥٢/٣).

(٣) ص ٢٤٧ - وما بعدها.

(٤) (٦٦٦/٣-٦٧١) ولابن عابدين صاحب الحاشية المشهورة رسالة أيضاً بعنوان « إجابة الغوث ببيان محل النقباء والنجباء والأبدال والغوث » لكن لم أطلع عليها وقد ذكرها الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي ص ٤٠٥ .

(٥) « السلسلة الضعيفة » (٦٧١/٣).

(٦) ضمن « الحاوي للفتاوي » (٤١٧/٢).

أي استفادة عفا الله عنا وعنك إذا كنت قد أبحت للطرقية الجهر بالذكر وإقامة الحضرات في رسالتك« نتيجة الفكر في الجهر بالذكر»وإذا كنت أجزت أن يتطور الولي ويظهر في أكثر من مكان في وقت واحد في رسالتك« المنجلي في تطور الولي» وإذا كنت قد أجزت رؤية النبي ﷺ بعد موته يقظة في رسالتك « تنوير الحلك في امكان رؤية النبي والملك » . وإذا كنت تبرئ ابن عربي من الطوام المرعشة التي وتفوه بها وقد كفره العلماء وأنت تدافع عنه وتبرئ ساحته وليس هذا فحسب بل وتعتقد ولايته في رسالتك « تنبيه الغبي إلي تبرئه ابن عربي» أو ليست كل هذه المسائل مخالفة لنهج السلف الصالح وليس هذا فحسب بل يتخذ منها الطرقية حججاً يلقنها كبيرهم لصغيرهم وسلفهم لخلفهم، مما ينشأ عنه جيل متجذر في العقائد الفاسدة نسأل الله العافية. فليتك يا إمام ما ألّفت هذا ولا جمعته نسأل الله لنا ولك العفو والصفح والغفران وسيري القارئ مقدار ما خالف فيه الإمام السيوطي كثير من المحدثين في الكلام علي تخريج الأحاديث التي أوردها في رسالته « الخبر الدال»وهذا ما يوضحه.

الوجه العاشر :

أنه لابد من استعراض تخريجات الأحاديث التي ساقها السيوطي رحمه الله وبيان الحكم عليها من خلال كلام أهل العلم(١) حتى لا يغتر بها من يقف عليها وبذلك نسدي للأمة معروفاً وهو واجب النصح ، والدفاع عن رسول الله ﷺ ونفي الكذب عن سنته وسوف أكون مختصراً جداً ولا أطيل في التوسع بتخريج الأحاديث ولكن أكتفي بالإشارة إلي الحديث واسم الصحابي والحكم علي سنده مختصراً ولكن من أراد التوسع فيرجع إلي المصادر التي أشرت إليها في الوجه التاسع والله المستعان وعليه التكلان فأقول وبالله التوفيق :

(١) وللشيخ حمدي السلفي رسالة بعنوان : « تقنيد أحاديث الأبدال » ذكرها في هامش الجزء الأول من « تخريج فتح الوهاب بتخريج مسند الشهاب » (٩/١) و لم تطبع إلى الآن.

وقد أورد الإمام السيوطي في رسالته « الخبر الدال» حديث الأبدال مرفوعاً من حديث عمر بن الخطاب ، علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، وعبادة بن الصامت، وابن عباس ، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وعوف بن مالك، ومعاذ بن جبل، وواثلة بن الأسقع، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي الدرداء، وأم سلمة، رضي الله عنهم، ومن مرسل الحسن، وعطاء، وبكر بن خنيس. كما أورد آثاراً عن ابن عباس،و قتادة، وشهر بن حوشب، وأبي الزاهرية، وابن شوذب وأبي الزناد، وزذان، وكعب الأحبار، والكناني ،وعن رجل من المرابطين بعسقلان. كما أورد حديثاً لا علاقة له بموضوع الأبدال سنشير إليه وهاك بيان درجة تلك الأحاديث حتي لا يعول أحد علي ما ذكر في رسالة الحافظ السيوطي وقد صرح السيوطي بتواتر حديث الأبدال كما في النكات البديعات على الموضوعات ولايسلم له فالأحاديث التي ذكرها مثخنة بالجراح لايتحقق معها صحة دعوى التواتر المعروف في مصطلح أهل الحديث وقد مشى على دعوى تواتر حديث الأبدال أحمد الغماري كما صرح به في قطع العروق الوردية من أصحاب البروق النجدية حيث قلد السيوطي في دعوى تواتر حديث الأبدال وهي دعوى عارية عن الصحة إذا ما وضعت على بساط البحث العلمي كما سترى.

*** أما حديث عمر رضي الله عنه فهو موقوف:**

رواه أبو طاهر المخلص ومن طريقة أخرجه بني عساكر في تاريخ دمشق قال المعلمي اليماني رحمه الله : في سنده شعيب بن إبراهيم عن سيف بن عمر البرهمي، شعيب غير معروف، وسيف قالوا: كان يضع الحديث واتهم بالزندقة(١) .

---

(١) هامش (٥) « الفوائد المجموعة » ص ٤٧ ومن العلماء المغاربة بل من أشدهم إنكارا علي الصوفية العلامة عبد الرحمن بن محمد التتيفي الجعفري الزياني حيث ألف عدة رسائل في الإنكار عليهم منها «تنبيه الرجال في نفي القطب والغوث والأبدال » .

* **وأما حديث عوف بن مالك :**

فقد رواه الطبراني في الكبير[(١)] وابن عساكر في تاريخ دمشق[(٢)] وفي سنده عمر بن واقد وقال الدار قطبي والنسائي والبرقاني متروك الحديث.

وقال البخاري والترمذي منكر الحديث[(٣)] .

وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث.

وقال ابن حبان: يقلب الأسانيد ويروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك.

ونقل المعلمي اليماني رحمه الله في تعليقه علي الفوائد المجموعة قول مروان الطاطري في عمرو« كذاب ».

وقال محمد بن المبارك الصوري « كان صدوقاً » وتعقبه الجوزجاني قائلاً « ما أدري ما قال الصوري أحاديثه معضلة منكرة »

قال المعلمي في الجمع بين القولين السابقين :« ويجمع بين ذلك قول أبي مسهر : كان يكذب من غير أن يتعمد »[(٤)] .

قلت : ولذلك خلص ابن حجر إلي الحكم النهائي علي عمرو بن واقد حيث قال : متروك[(٥)] . وفي سند الحديث أيضاً: شهر بن حوشب

قال ابن حجر رحمه الله: شهر صدوق كثير الإرسال والأوهام[(٦)] .

---

(١) (١٨/٦٥/١٢٠) .

(٢) (١/٢٩٠) .

(٣) « ميزان الاعتدال » (٣/٢٩١) .

(٤) الفوائد المجموعة » ص ٢٤٧ هامش (١).

(٥) « تقريب التهذيب » ص ٢ / ٢٤٥ .

(٦) وراجع « صيانة الإنسان » ص ٩٤ / ٩٥ فقد بسط الكلام على حال شهر بن حوشب .

* **وأما حديث عبادة بن الصامت فله طريقان :**

الأولى : رواه الإمام أحمد[١] : ثنا عبد الوهاب بن عطاء أنا الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى اله عليه وسلم قال الأبدال في هذه الأمة ثلاثون ، مثل إبراهيم خليل الرحمن عز وجل ، كلما مات رجل أبدال الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً وروواه الهيثم بن كليب في مسنده والخلال في كرامات الأولياء[٢] وأبو نعيم في أخبار أصبهان[٣] والخطيب في تالي التلخيص[٤] وابن عساكر[٥] من طريق الحسن بن ذاكون به وقال الإمام أحمد عن هذا الحديث « منكر » . والحديث فيه علل ثلاثة :

الأول : عبدالواحد بن قيس :

قال ابن حبان : هو ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير فلا يجوز الاحتجاج بما خالف الثقات ، فإن اعتبر معتبر بحديثه الذي لم يخالف الإثبات فيه فحسن .

وقال أبو حاتم : يكتب حديثه وليس بالقوي .

وقال يحي القطان :كان الحسن بن ذكوان يحدث بالعجائب عن الواحد بن قيس

قلت : وقد وثقه إلى معين والعجلي وأبو زرعة الدمشقي[٦] . والحديث من

---

(١) في « المسند » (٥/٣٣٢) .

(٢) رقم (٢) .

(٣) (١/١٨٠) .

(٤) (١/٢٤٨) .

(٥) (١/٣٩٢) .

(٦) « ميزان الاعتدال » (٢/٢٧٦) وقال ابن حبان في الثقات : لا يعتبر بمقاطيعه ولا مراسيله ولا براوية الضعفاء عنه .

روايته عن الحسن بن ذكوان .

الثانية : الانقطاع بين عبد الواحد بن قيس وعبادة بن الصامت فإن ذلك بيِّن لأنه أدرك عروة ونافع وروايته عن أبي هريرة مرسلة كما قال البخاري وابن حبان فعلى هذا هو لم يدرك عبادة بن الصامت ولم يره[١] .

الثالثة : الحسن بن ذكوان قال فيه يحي بن معين :كان صاحب أوابد.

وقد سبق قول يحي القطان : كان الحسن بن ذكوان يحدث عن عبد الواحد بن قيس بعجائب وقال الأثرم : قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل : ما تقول في الحسن بن ذكوان ؟ قال : أحاديثه أباطيل : يروى عن حبيب بن أبى ثابت ولم يسمع من حبيب ، إنما هذه أحاديث عمرو بن خالد الواسطي[٢] والحسن بن ذكوان موسوم بالتدليس وأورد له ابن عدى في كاملة[٣] أربعة أحاديث دلسها عمرو بن خالد الواسطي[٤] .

فإن قيل : فقد أخرج البخاري للحسن بن ذكوان في صحيحة[٥] .

فالجواب : أن البخاري رَحِمَهُ اللهُ أخرج حديثاً واحداً صرح فيه الحسن بالسماع فانتفت تهمة تدليسه فيه ومع ذلك فقد توبع عليه ورواه البخاري من رواية يحي القطان عنه ويحي من أعرف الناس بما يصح من حديثه وما ينكر وقال ابن عدى ؛ إن يحي القطان حدث عنه بأحرف ولم يكن عنده بالقوى وهذا يعني أن علماء

(١) كذا أفاده العلامة المعلمي في تعليقه وتخريجه على الفوائد المجموعة ص ٢٤٧ هامش (١) .

(٢) « ميزان الاعتدال » (٣٥٧/٣) .

(٣) (١٢٥/٥) .

(٤) ومنه تعلم خطأ الهيثمي رَحِمَهُ اللهُ حيث قال : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الواحد بن قيس ، وقد وثقه العجلي وأبو زرعة وضعفه غيرهما » . وإقرار السيوطي وكذا المناوي لا يليق بعدما عرفت علل الحديث الثلاثة .

(٥) حديث عمران ابن حصين مرفوعاً : يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ...الحديث .

الجرح والتعديل الجهابذة قد ينتقون من أحاديث بعض الضعفاء ما صح عندهم .

الطريق الثانية : أوردها ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ من رواية ابن مردويه[١] قال حدثنا محمد بن أحمد إبراهيم حدثنا محمد بن جرير بن يزيد حدثنا أبو معاذ نهار بن عثمان الليثي أخبرنا زيد بن الحباب أخبرني عمرو البزار عن عنبسة الخواص عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن عبادة بن الصامت مرفوعاً «الأبدال في أمتي ثلاثون ، بهم ترزقون ، وبهم تمطرون ، وبهم تنصرون» . قال قتادة إني لأرجو أن يكون الحسن منهم . قال الهيثمي « رواه الطبراني من طريق عمرو البزار عن عنبسة الخواص وكلاهما لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح»[٢] ومع وجود الجهالة في سنده إلا أن الرواة اختلفوا فيه على قتادة فقد رفعه بعضهم كما في الطريق السابق وبعضهم جعله من قول قتادة كما أخرج ذلك ابن عساكر[٣] .

فالحاصل أن الحديث في إسناده مجهولان كما أن في إسناده اضطراباً رواه بعضهم مرفوعاً وبعضهم مقطوعاً من قول قتادة .

*** أما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه :**

فله أربعة طرق وقد قال السخاوي عنها[٤] « طرقه كلها ضعيفة « وقد فصلها المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على الفوائد المجموعة[٥] وكذا العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة[٦] وهاك إيرادها مختصرة :

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٣٠٤/١).

(٢) « مجمع الزوائد » (٦٣/١٠).

(٣) « تاريخ دمشق » (٢٩٨/١) .

(٤) « المقاصد الحسنة » ص ٨ .

(٥) ص ٢٤٦ .

(٦) رقم ١٤٧٧ .

الطريق الأولى : رواها ابن عدى[١] من طريق ابن عساكر[٢] وابن الجوزي في الموضوعات[٣] ولفظه « البدلاء أربعون اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة» وفي سنده : العلاء بن زيدل.

قال ابن معين: كان يضع الحديث .

وقال البخاري وغيره : منكر الحديث .

وقال الدار قطني : متروك الحديث .

وقال ابن حبان : يروى عن أنس بن مالك نسخة موضوعة لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل التعجب « ثم ذكر هذا الحديث من مناكيره وقال : هذا باطل»

وقال الذهبي : تالف[٤] .

الطريق الثانية : أخرجها ابن عدي وقال « وهذا الحديث بهذا الإسناد ليس يعرف إلا بابن عبد العزيز الدينوري ، وهو من الأحاديث التي أنكرت عليه »[٥]

الطريق الثالثة : أخرجها الخلال في كتابه «كرامات الأولياء» وابن الجوزي في «الموضوعات»[٦] من طريق أبي عمر الغداني عن أبي سلمه الحراني عن عطاء عن أنس رضي الله عنه مرفوعا .

قال أبي الفرج : وفي إسناده مجاهيل « يعني أبا سلمه وأبا عمر لا يعرفان ».

---

(١) (٥/٢٢٠) .

(٢) « تاريخ دمشق » (١/٢٩١) .

(٣) (٣/١٥١).

(٤) « ميزان الاعتدال » (٥/١٢٣) .

(٥) « تاريخ دمشق » (١/٢٩٢) .

(٦) « ميزان الاعتدال » (٤/٢٠٤) .

الطريق الرابعة : أخرجها إلي عساكر من طريق نوح بن قيس الحداني عن عبدالله بن معقل عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس مرفوعا وإسناده ضعيف جدا في سنده عبدالله بن معقل .

قال الذهبي : عبدالله بن معقل بصري عن يزيد الرقاشي لا يدري من ذا ؟! روي عن نوح بن قيس فقط .

وفي سنده أيضا يزيد بن أبان الرقاشي

قال ابن حبان : كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنس عن النبي ﷺ وهو لا يعلم فلما كثر في روايته ما ليس من حديث أنس وغيره من الثقات بطل الاحتجاج به ، فلا تحل الرواية عنه إلا علي سبيل التعجب وكان قاصا يقص بالبصرة ، ويبكي الناس ، وكان شعبه يتكلم فيه بالعظائم[١] .

*** أما حديث ابن عمر رضي الله عنه :**

فقد رواه أبو نعيم في الحلية[٢] وابن عساكر[٣] وابن الجوزي[٤] وهو حديث باطل *قال أبو الفرج ابن الجوزي : موضوع فيه مجاهيل .

قلت : يعنى بالمجاهيل عبدالله بن هارون الصوري وابن أبي زيدون لا يعرفان

قال الذهبي :لا يعرف والخبر كذب في أخلاق الأبدال[٥] وأقره الحافظ ابن حجر في لسان الميزان[٦] .

---

(١) « المجروحين » لابن حبان (٩٦/١).

(٢) (٨/١) .

(٣) في « تاريخ دمشق » (١/ ٢٠٢ -٣٠٣)

(٤) في « الموضوعات » (١٥١/٣) .

(٥) « ميزان الاعتدال » (٢١٧/٤) .

(٦) « لسان الميزان » (٣٦٩/٣) .

*** أما حديث أبي هريرة رضي الله عنه :**

فقد رواه ابن حبان[١] وابن الجوزي[٢] من طريق عبد الرحمن بن مرزوق الطوسوسي عن عبد الوهاب ابن عطاء الخفاف عن محمد بن عمرو عن أبي مسلمه عن أبي سلمه عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا .

وهو حديث موضوع في سنده عبدالرحمن بن مرزوق . قال ابن حبان بعد إيراد الحديث وروايته : « هذا كذب ، عبد الرحمن بن مرزوق بن عوف أبو عوف ، شيخ كان بطر سوس يضع الحديث لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه » .

وقد ذكره الذهبي في ترجمته وأقر ابن حيان على ذلك[٣] .

ولحديث أبي هريرة طريق آخر ذكره السيوطي في« الخبر الدال» وفي سنده سيف ابن عمر : وهو إخباري تالف[٤] .

وقد حكم شيخ الإسلام ابن تيميه على الحديث بالبطلان فقال : « وقد روى بعضهم حديثا في هلال ، غلام المغيرة بن شعبة ، وأنه أحد السبعة ،والحديث باطل باتفاق أهل المعرفة وإن كان قد روى بعض هذه الأحاديث أبو نعيم في حلية الأولياء والشيخ أبو عبدالرحمن السلمي في بعض مصنفاته ، فلا تغتر بذلك فإن فيه الصحيح والحسن والضعيف يرويه على غير عادة بعض أهل الحديث الذين يروون ما سمعوا ، ولا يميزون بين صحيحة وباطله ، وكان أهل الحديث لا يروون مثل هذه الأحاديث لما ثبت في الصحيح[٥] عن النبي ﷺ أنه قال : « من حدث عني وهو يرى أنه

(١) « المجروحين » (٢/٦١) .

(٢) « الموضوعات » (٣/١٥١) .

(٣) « ميزان الاعتدال » (٤/٤٠٤) .

(٤) « ميزان الاعتدال » (٢ / ٢٥٥) .

(٥) رواه مسلم (١ / ٧) وأحمد (٤ / ٢٥٢ ، ٢٥٥) .

كذب فهو أحد الكاذبين »[١] .

*** أما حديث ابن مسعود رضي الله عنه :**

فله ثلاث طرق :

الأول : رواه الطبراني وأبو نعيم في الحلية[٢] ومن طريق ابن الجوزي في الموضوعات[٣] عن محمد بن السري القنطري ثنا قيس بن إبراهيم بن قيس السامري ثنا عبدالرحيم بن يحيى الآدمي ثنا عثمان بن عماره ثنا المعافى بن عمران عن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عبدالله بن مسعود مرفوعا وضعف هذا السند ابن الجوزي وقال « إسناده مظلم ،كثير من رجاله مجاهيل ليس فيهم معروف » . وقال الذهبي « قاتل الله من وضع هذا الافك »[٤] . وضّعفه أيضا المعلمي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يقول في سنده عبدالرحيم بن يحيى الآدمي ،وعثمان بن عمارة وهما مجهولان والمتهم بوضعه أحدهما[٥] وحكم عليه الألباني بالوضع[٦] .

الثاني : رواه الطبراني في المعجم الكبير[٧] وأبو نعيم[٨] من طريق ثابت بن عايش الأحدب عن أبى رجاء الكلبى .

وهذا سند ضعيف جدا فيه أبو رجاء الكلبى .

---

(١) « حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور » ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) في « الحلية » (١ / ٨) .

(٣) (٣ / ١٥٠) .

(٤) « ميزان الاعتدال » .

(٥) « ميزان الاعتدال » .

(٦) « السلسلة الضعيفة » حديث رقم (١٤٨٩) .

(٧) (٣٩٠/١) .

(٨) (٤ / ١٧٣) في « الحلية » .

قال ابن حبان : يروى عن الثقات الموضوعات ويرفع المرفوعات ، ولا تحل الرواية عنه[١] .

وقال ابن عدى : أحاديث غير محفوظة[٢] .

أما قول الهيثمي :رواه الطبراني عن ثابت بن عايش الأحدب عن أبى رجاء الكلبى وكلاهما لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح[٣] فقد تعقبه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة وحكم على الحديث بأنه ضعيف جدا[٤] .

الثالث : أشار إليها السيوطي في الآلي المصنوعة[٥] وهى من طريق ابن البيلمانى عن أبيه عن ابن مسعود .

قال المعلمي : ابن البيلماني تالف .

قال ابن حبان : حدث عن أبيه بنسخه شبيهًا بمائتي حديث كلها موضوعه[٦] .

*** وأما حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه :**

فله ثلاث أسانيد .

الأول : رواه أحمد في المسند[٧] وفي فضائل الصحابة[٨] وابن عساكر[٩]

---

(١) « المجروحين » (١ / ٢٩٩) .

(٢) « الكامل في الضعفاء » .

(٣) « مجموع الزوائد » (١٠ / ٦٣) .

(٤) رقم (١٤٧٨) .

(٥) (٢|٢٣١) .

(٦) هامش (٤) من « الفوائد المجموعة » ص ٣٤٦ ، ٣٤٧

(٧) هو من زيادات عبدالله (١ / ١١٢) .

(٨) (١٧٢٧) .

(٩) « تاريخ دمشق » (١ / ٢٨٩) .

والمقدسي[١] وهو منقطع بين شريح بن عبيد الشامي وعلي بن أبي طالب حيث لم يسمع شريح منه وأعله بالانقطاع كل من شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] ومن قبله ابن عساكر[٣] وكذا ابن القيم[٤] والمعلمي اليماني[٥] الشيخ أحمد شاكر[٦] والألباني[٧] .

وضعفه أيضا الحافظ ابن كثير وابن رجب وقد صح الأثر عن علي موقوفا قال الحافظ ابن كثير : « فيه انقطاع ، فقد نص أبو حاتم الرازي على أن شريح بن عبيد هذا لم يسمع من أبي أمامه ولا من أبي مالك الأشعرى وأن روايته عنهما مرسله ، فما ظنك بروايته عن على بن أبي طالب وهو أقدم وفاة منهما »[٨] .

وقال ابن رجب : « وشريح بن عبيد شامي معروف ، قيل : إنه لم يسمع من علي ولكنه أدركه فإنه يروى عن عقبه بن عامر وفضالة بن عبيد ومعاوية وغيرهم ثم قال : وقد روى ذكر الأبدال عن علي موقوفا وهو أشبه ... » .

وقال أيضا : « وروى عن علي من وجوه آخر في هذا الأثر صحيح عن علي رضي الله عنه من قوله »[٩] وكذا رجح الموقوف الضياء المقدسي وقال« شريح بن

---

(١) في « المختار » ٢ / ١١٠ / ٤٨٤) .

(٢) « الفرقان » ص ١٣-١٤ .

(٣) في « تاريخ دمشق » (١ / ٢٨٩) .

(٤) « المنار المنيف » (ص١٣٦) .

(٥) هامش ص ٤٧ « الفوائد المجموعة » .

(٦) من تعليق على « المسند » رقم (٨٩٦) .

(٧) « ضعيف الجامع الصغير » رقم (٢٢٦٦) .

(٨) « البداية والنهاية » (٦/٢٢١).

(٩) « مجموع رسائل ابن رجب » - فضائل الشام (٣/٢١٤) .

عبيد شامي ، وسمع معاوية بن أبي سفيان وغيره من أهل الشام ولا أتحقق هل سمع من علي رضي الله عنه أم لا ... فكأن الموقوف أشبه والله اعلم »[١] .

قلت : مما سبق يتبين خطأ قول السيوطي رحمة الله في حديث علي المرفوع هذا «سنده حسن »[٢] .

الثاني : أخرجه ابن أبي الدنيا في الأولياء قال : نا أبو الحسين الوسطى خلف بن عيسى نا يعقوب بن محمد الزهري نا مجاشع بن عمرو عن ابن لهيعه عن أبي هريرة عن عبد الله بن زيد عن علي .... وهذا حديث موضوع ففي سنده مجاشع بن عمرو أحد الكذابين .

قال ابن حبان : «كان ممن يضع الحديث على الثقات ويروى الموضوعات عن أقوام ثقات لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار »[٣] .

الثالث : رواه الطبراني في الأوسط[٤] وابن عساكر[٥] من طريقين عن الوليد بن مسلم وزيد بن أبي الزرقاء عن ابن لهيعة نا عياش بن عباس القتباني عن عبدالله بن زيد الغافقي عن علي بن أبي طالب ... وهذا سند ضعيف فيه ابن لهيعة وهو ممن خلَّط في حديثه بسبب احتراق كتبه وليس هذا الحديث من رواية العبادلة عنه فإنها حسنه على الأقل وأما قول الطبراني لم يرو هذا إلا زيد بن أبي الزرقاء فقد تعقبه ابن عساكر فقال : هذا وهم من الطبراني ، بل رواه الوليد بن مسلم أيضا عن ابن لهيعة

---

(١) المختارة (١/١١١) .

(٢) « اللآلئ المصنوعة » (٢|٣٢١)

(٣) المجروحين (٣/١٨) ، ميزان الاعتدال (٣/٤٣٦) .

(٤) (٤/١٧٦/٣٩٠٥) .

(٥) « تاريخ دمشق (١/٣٣٤) .

ثم ساقه ابن عساكر من طريق الوليد بن مسلم .

وهذا الطريق فيه اضطراب بين الوقف والرفع ، ولعل هذا الاضطراب من ابن لهيعة حيث خالف الإثبات فقد جاء الحديث موقوفا عن علي من طريق الحارث بن يزيد الحضرمي - أحد الإثبات الثقات الحضرميين - عن عبدالله بن زيد عن علي موقوفا رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق[١] .

فالحاصل : أن الحديث من طريق علي بن أبي طالب لعله موقوف أخطأ ابن لهيعه في رفعه وقد جاء الموقوف أيضا عن علي رضي الله عنه . أخرجه ابن المبارك في الجهاد[٢] ولفظه « لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم قوما كارهون لما ترون وأن فيهم الأبدال »[٣] .

وأخرجه الضياء في المختارة[٤] من طريق صالح بن كسيان عن الزهري حدثنا صفوان بن عبدالله بن صفوان:أن عليا قام بصفين وأهل العراق يسبون أهل الشام فقال ... فذكر نحوه .

فالحديث لم يصح مرفوعا من رواية علي بل غايته أن يكون موقوفا على علي رضي الله عنه وليس فيه عددهم ولا أوصافهم .

*** وأما حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه :**

فقد رواه البيهقي في شعب الإيمان[٥] وأبو بكر الكلاباذي في مفتاح

---

(١) (١ / ٣٣٥) .

(٢) رقم (١٩٢) .

(٣) سنتعرف بعد قليل على المعنى الصحيح للأبدال .

(٤) (١١٢/٢) ورواه عبدالرازق في المصنف (٢٠٤٥٥) وأحمد في فضائل الصحابة (١٧٢٦)وابن أبي الدنيا في الأولياء (٧٠).

(٥) رقم ١٠٨٩٣ .

المعاني[١] من طريق محمد بن عمران بن أبي ليلى أنا سلمه بن رجاء عن صالح المري عن الحسن عن أبى سعيد الخدري أو غيره مرفوعا .

وسنده ضعيف جدا فيه علل ثلاث :

الأول : ضعف صالح المري جداً.

قال الإمام أحمد : كان صاحب قصص يقص ليس هو صاحب آثار وحديث ولا يعرف الحديث . وقال عمرو بن على الفلاس : هو رجل صالح منكر الحديث جدا يحدث عن الثقات بالأباطيل والمنكرات . وقال البخاري : منكر الحديث ذاهب الحديث . وقال السعدي : واهي الحديث . وقال النسائي : متروك الحديث[٢] لذلك قال الحافظ ابن حجر فيه ضعيف[٣].

الثانية : الانقطاع بين الحسن البصري وأبى سعيد الخدري رضي الله عنهما .

قال علي بن المديني :رأى الحسن أم سلمه ، ولم يسمع منها ، ولا من أبى موسى الأشعري ... ولا من أبى سعيد الخدري[٤] ...

الثالث : الاختلاف في سنده فقد رواه البيهقي[٥] عن الحسن مرسلا . والحديث ضعفه الحافظ ابن حجر في لسان الميزان[٦] والألباني في السلسلة الضعيفة وقال ضعيف جدا[٧] .

---

(١) رقم (١١) .

(٢) « ميزان الاعتدال » (١٩٨/٤).

(٣) « تقريب التهذيب » (٤٢٣/١) .

(٤) « جامع التحصيل » (١٦٣/١) .

(٥) « شعب الإيمان » (٤٣٩/٧) .

(٦) « لسان الميزان » (٤|٤٣٢) .

(٧) رقم ١٤٧٧ .

*** أما حديث أم سلمه رضي الله عنها :**

فقد رواه أحمد[١] وأبو داود[٢] وفي سنده مجهول العين وهو صاحب أبي الخليل[٣] كما أن في سنده عمران بن داود القطان وضعفه غير واحد كما قال الحافظ الذهبي[٤] وقد ذكره في الضعفاء[٥] والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة[٦] ومن العجب أن يجازف الشيخ عبدالله الغماري مجازفة غير مسبوقة ويحكم على هذا الحديث بأن إسناده صحيح على شرط الشيخين في تعليقه على المقاصد الحسنة[٧] .

*** وأما حديث واثلة بن الأسقع :**

فرواه ابن عساكر[٨] وفي سنده الوليد بن مسلم وهو مدلس تدليس تسوية ولم يصرح بالتحديث في شيخ شيخه .

*** وأما حديث معاذ ابن جبل مرفوعا :**

فقد رواه أبو عبد الرحمن السلمي في سنن الصوفية .

قال الألباني : موضوع . وفي سنده ميسرة بن عبد ربه وهو كذاب وضاع

---

(١) (٣١٦/٦).

(٢) (٤٢٨٦) .

(٣) رقم ١٩٦٥ « السلسلة الضعيفة » .

(٤) « تلخيص المستدرك » (٤٣١/٤) .

(٥) « المغني في الضعفاء » رقم ١٩٦٥ .

(٦) رقم ١٩٦٥ .

(٧) ص ١٠ هامش ١ .

(٨) « تاريخ دمشق » (٥|٦٤٣) .

مشهور بذلك وفيه أيضا شهر بن حوشب ضعيف وفيه جعفر بن عبدالوهاب السرخسي لم أعرفه وفيه أبو عبد الرحمن السلمى نفسه متهم ، واسمه محمد بن الحسين بن محمد . أورده الذهبي في الضعفاء وقال متكلم فيه ، قال الخطيب : قال لي محمد بن يوسف القطان : كان يضع الحديث للصوفية(١) .

قلت: والعجب كيف أورده السيوطي في « الخبر الدال »(٢) ولم ينبه على وضعه وكذا أورده في الجامع الصغير(٣) ولم يعله مع ما فيه من هذا الوضاع والأغرب أنه قال في مقدمة الجامع الصغير « وصنته عن عما تفرد به من كذاب أو وضاع » !!

والحديث ضعفه الشيخ المعلمي بأبي عبد الرحمن السلمي(٤) ولعله لم يطلع على إسناده فإنه لو أطلع عليه لتبين له تعصيب الجناية بميسرة بن عبد ربه وبعد دراسة هذه الآثار المرفوعة تبين لك خطأ قول السيوطي رحمة الله في دعواه حيث يقول «حديث الأبدال صحيح فضلا عما دون ذلك ، وإن شئت قلت متواتر وقد أفردته بتأليف(٥) استوعبت فيه طرق الأحاديث الواردة في ذلك »(٦) .

*** وأما حديث أبي الدرداء موقوفا :**

فقد رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول : ثنا عبدالرحيم ثنا داود بن محبر

---

(١) « السلسلة الضعيفة » (٣|٢١٣)

(٢) ضمن « الحاوي للفتاوى » (٢/ ٤٣٨) .

(٣) (٣|٢١) .

(٤) هامش على « الفوائد المجموعة » .

(٥) يقصد رسالة « الخبر الدال ».

(٦) « النكت » للسيوطي (٢|٣٢) .

عن ميسرة عن أبي عبدالله الشامي عن مكحول عن أبي الدرداء رضي الله عنه[١] وهو حديث موقوف وسنده تالف والأثر موضوع ففيه داود بن محبر وهو كذاب مشهور بالكذب وهو صاحب كتاب العقل .

قال الحافظ الذهبي: صاحب العقل وليته لم يصنفه .

قال أحمد : كان لا يدرى ما الحديث .

وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث غير ثقة .

وقال الدار قطني :متروك وروى عبد الغني ابن سعيد عنه قال : كتاب العقل « وضعه ميسرة ابن عبد ربه ثم سرقه من داود بن المحبر ، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء ، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزى»[٢] وفيه أيضا ميسرة هو بن عبد ربه كذاب وضاع .

قال الحافظ الذهبي : كذاب مشهور[٣] .

وقال الشيخ المعلمي عن الحديث : لم أقف عليه ، وتفرد نوادر الأصول به يدل على سقوطه[٤] .

قلت: قد اطلعنا على سنده والحمد لله ولم يخب ظن الشيخ المعلمي فلم يثبت الأثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

*** مرسل بكر بن خنيس :**

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء .

قال العلامة الألباني : وهذا إسناد مرسل ضعيف بل معضل والمتن منكر دون

---

(١) نقله السيوطي في « الخبر الدال » (٢ / ٤٢٨) .

(٢) « ميزان الاعتدال » (٣|٣٢٢) .

(٣) « ميزان الاعتدال » (٤|١١٢) .

(٤) هامش (٣) « من الفوائد المجموعة » ص ٢٤٨ .

شك أو ريب بل هو موضوع[١] وفي سنده بكر بن خنيس .

قال الدار قطني :متروك .

وقال ابن معين :ليس بشيء : وقال مره : ضعيف[٢] .

وفي سنده أيضا عبد الرحمن بن محمد المحاربي وهو وإن كان وثقه ابن معين لكن قال الحافظ : لا بأس به ، وكان يدلس[٣] .

وأيضاً كان يروى المناكير عن المجهولين . قال أبو حاتم : صدوق يروى عن مجهولين أحاديث منكره ففسد حديثه بذلك .

وقال يحي بن معين : يروى مناكير عن مجهولين[٤] .

* **مرسل عطاء :**

رواه أبو داود في أسئلة أبي عبيده الأجري له وعنه الحاكم في الكني من طريق الرجال بن سالم عن عطاء وقال الذهبي في ترجمة الرجال : لا يدرى من هو؟ والخبر منكر ثم ذكره[٥] .

وقال الألباني : وتعقبه الحافظ في لسان الميزان والذي في الإكمال ، وتبعه المصنف - أي الذهبي - في المشتبه « أبو الرجال » : سالم بن عطاء فهو كنيه له لا اسم ، وسالم اسمه لا اسم أبيه ، وعطاء أبوه لا شيخه[٦] .

---

(١) « السلسلة الضعيفة » (٦٦٧/٣) .

(٢) « ميزان الاعتدال » (٣٤٤/١) .

(٣) « الكاشف » للذهبي (١٠٧/١) .

(٤) « ميزان الاعتدال » (٥٨٥/٢) .

(٥) « ميزان الاعتدال » (١٩٦/٣) .

(٦) « السلسلة الضعيفة » (٦٦٧/٣) .

*** مرسل الحسن :**

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب السخاء ثنا إسماعيل ابن إبراهيم بن بسام ثنا صالح المري عن الحسن أن الرسول ﷺ قال ...

وأخرجه البيهقي في الشعب والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وكليهما ينتهي به السند إلى صالح المري عن الحسن ... به[١] وهذا سند ضعيف جدا وصالح المري ضعيف كما قال الحافظ في التقريب[٢] .

*** أما أثر ابن عباس رضي الله عنه :**

فقد رواه الإمام أحمد في الزهد والخلال في كرامات الأولياء وسنده عند أحمد كما نقله السيوطي حدثنا عبدالرحمن ثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال:ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعه يدفع الله بهم عن أهل الأرض . هكذا نقله السيوطي في «الخير الدال »[٣] وأيضاً نقله في الحاوي في موضع آخر وقال ، أخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس... ثم ساقه وقال : « وهذا له حكم الرفع » .

قلت : لكن لا حجه في هذا الأثر لما ذهب اليه السيوطى رحمه الله من وجوه :

الأول : أن الأثر لم يصرح بأسماء هؤلاء الأبدال أو الأقطاب أو النجباء أو النقباء أو غير ذلك.

الثاني : أن مراد ابن عباس أن وجود هؤلاء السبعة لما كانوا مسلمين لم ينزل

---

(١) كذا نقله السيوطي في « الخبر الدال » (٢ / ٤٢٩) .

(٢) « تقريب التهذيب » (١ / ٤٢٣) .

(٣) ضمن « الحاوي للفتاوى » (٢/٣٧١ ، ٤٢٤) .

الهلاك العام الذي يهلك البشرية كلها لأن الهلاك العام يكون عندما لا يكون في الأرض موحد لله عز وجل وليس المراد أن هؤلاء السبعة يمنعون ما قدره الله تعالى وقضاه لو أراد بقوم هلاكا . فإن الهلاك قد ينزل وقد ينجو منه المؤمنون كما أخذ الله تعالى المكذبين من قوم نوح ولوط وصالح وهود وشعيب وموسى و نجى الله تعالى من آمن وذكر الله تعالى ذلك في كتابه وهذا الهلاك ليس هلاكا عاما بحيث يأخذ كل الناس معا بل هلاك للمكذبين وفي الوقت نفسه نجاة للمؤمنين .

قال الله تعالى عن نوح وقومه :﴿ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ * فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الشعراء : ١١٧-١٢٠] .

وقال عن هود : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود :٥٨] .

وقال تعالى عن صالح وقومه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ * وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ [هود: ٦٦-٦٨] .

وقال عن لوط وقومه : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٥٧ -٥٦] إلى أن قال : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ * فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [الحجر ٧٣-٧٤]

وقال عن شعيب وقومه : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود : ٩٤ -٩٥] .

وقال عن موسى وقومه : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء :٦٥ -٦٧] .

الثالث : أن الآثار عن بعض السلف جاءت بما ذكرته في الوجه الأول . حيث قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها » .

وهكذا الأثر أورده السيوطي ونسبه لعبد الرازق عن معمر عن ابن جريج قال : قال ابن المسيب : قال علي بن أبي طالب ثم ذكر الأثر وقال هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ومثله لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن الديري عن عبد الرازق به(١) .

وكذلك قال قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي ﴾ الآية [البقرة :٣٨] قال : مازال لله في الأرض أولياء منذ هبط آدم ،ما أخلي الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياء له يعملون لله بطاعته .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبدالبر : روى ابن القاسم عن مالك قال : بلغني عن ابن عباس أنه قال : لا يزال لله تعالى في الأرض ولى مادام فيها للشيطان ولى(٢) .

قلت : وهذا وإن كان بلاغا إلا أنه يوضح معنى وجود الصالحين في الأرض وأنها ما خلت من رجل صالح .

وقال ابن جريج في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ [إبراهيم : ١٤] قال : فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ناس على الفطرة يعبدون الله(٣) .

---

(١) « الحاوي للفتاوى » (٢/٣٧٠) .

(٢) نقله في « الحاوي للفتاوى » (٢/٣٧١) .

(٣) أخرجه ابن المنذر في تفسيره وصححه السيوطي في « الحاوي للفتاوى » (٢/٣٧١) .

وكذلك ورد عن زهير بن محمد[١] ومجاهد مثل[٢] قول ابن عباس ولكن بدون تقيد ذلك بقوله« من بعد نوح » وجاء عن شهربن حوشب[٣] عددهم أربعة عشر وعن كعب الأحبار[٤] أربعة عشر وعن زاذان[٥] اثنتى عشر .

وكل هذه الآثار لهم يسم فيها أبدال أو نقباء أو نجباء أو غير ذلك فلا حجة فيها لمن ذهب إلى القول بوجود الأقطاب أو الغوث والأبدال بالمعنى الصوفي .

الرابع : أن النبي ﷺ ذكر أن قيام الساعة والهلاك العام مرهون بعدم وجود مسلم على وجه الأرض وذلك في قوله :« لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض لا اله إلا الله »[٦] . وقال :« إن من شرار الناس عن الله من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون على القبور مساجد »[٧] .

فهذا يدل على أن الهلاك العام ينزل إذا لم يوجد مسلم موحد على وجه الأرض هذا هو ما يفيده أثر ابن عباس رضي الله عنه لا أكثر ولا أقل .

ثم إن المراد بأن الله يدفع بهم الشر عن الأرض ليس المراد به ما تفهمه الصوفية من البركة أي بركة الصالحين المتقين فقد ظنوا أن بركة الصالحين تدفع العذاب أو

---

(١) أخرجه الأزرقي في « تاريخ مكة » كما في « الحاوي للفتاوى » (٢/ ٣٧١) .

(٢) أخرجه الجندي في فضائل مكة في « الحاوي للفتاوى » (٣٧١/٢) .

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره كما في « الحاوي للفتاوى » (٢ / ٣٧٠) .

(٤) أخرجه أحمد في الزهد كما في « الحاوي للفتاوى » (٣٧١/٢) .

(٥) أخرجه الخلال في كرامات الأولياء كما في « الحاوي » (٣٧١/٢) .

(٦) سيأتي تخريجه .

(٧) رواه أحمد (٤٣٥/١) والطبراني في الكبير (١/٧٧/٣) وابن حبان (٣٤٠) من حديث ابن مسعود وقال شيخ الإسلام عنه : « إسناده جيد » انظر : « اقتضاء الصراط المستقيم » (ص١٨٥) وقال الهيثمي في « المجمع » (٢٧/٢) : رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

يحفظ الله بها الأمم بل المراد أن نشر الصالحين للعلم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر هو سبب دفع البلاء والعذاب لقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود :١١٦] لذلك قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله : « وقد فهم الوعاظ والفقهاء من خَلَفِنا الجاهل خلاف ما كان يفهمه السلف الصالح من بركة الصالحين المتقين وحفظ الله الأمم بهم فظنوا أن المراد بهم الذين يكثرون من الصيام والقيام وقراءة الأوراد والأحزاب كما قال الشاعر : وضرب الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي المثل بقوله في الزواجر :

لولا أناس لهم ورد يقومونا ... وآخرون لهم مرد يصومونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرا ... فإنكم قوم سوء لا تطيعونا

كلا ، إن أصحاب الأوراد ممن يقوم ليله بورد من تشريع من هو به عاص لله تعالى لعبادته بغير ما شرعه فكان ممن قال فيهم ، ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ [الشورى :٢١] أي بهلاكم . وفي الحديث : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » فالمراد بالصالحين الذين يحفظ الله بهم الأمم هم الذي قال الله فيهم : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] وهم المتقون الذين قال فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨]

وقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور :٥٥] وإن الله لا يحفظ الأمم بذواتهم وبركه أجسادهم ولا بعباداتهم الشخصية القاصر نفعها عليهم ، بل بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وطاعة الأمة لهم نعم :الله لا يهلك الأمة كلها بعذاب

الاستئصال مادام فيها جماعه من الصالحين ولكن يعذبها بذنوبها »[(١)] .

الوجه الحادي عشر :

وإذا ثبت صحة بعض الآثار الموقوفة بوجود الأبدال فليس المراد بهم الأبدال على طريقة الصوفية بل المراد بهم أهل الحديث ومن يجددون للأمة دينها وهم أهل السبق في الطاعة والالتزام والعلم والعمل من أهل استجابة الدعاء ينصر الله بدعائهم الجيوش ويرزق بدعائهم الناس . قال النبي ﷺ : « هل تنصرون إلا بضعفائكم أي بدعائهم »[(٢)] . وفي لفظ : « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها ، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم »[(٣)] وقال الإمام أحمد وقد سئل : هل لله في الأرض أبدال ، قال : نعم ، قيل من هم ، قال إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالا [(٤)] .

عاب قوم علم الحديث وقالوا ... هو علم طلابه جهال
عدلوا عن محجة العلم لما ... دق عنهم فهم العلوم وقالوا
إنما الشرع يا أخي كتاب الله ... لا هوة به ولا إشكال
ثم من بعده حديث رسول الله ... قاض يقضي إليه المال
وطريق الآثار تعرف بالنقل ... وللنقل فاعلمنه رجال
همهم نقله ونفى الذي قد ... وضعته عصابة ضلال
لم ينوا فيه جاهدين ولم ... تقطعهم عن طلابه الأشغال

---

(١) « تفسير المنار » (١٢|٢٠٧-٢٠٨) .

(٢) البخاري (٦ / ٦٧) .

(٣) رواه النسائي (٢ / ١٥) وصححه الألباني في « التوسل » ص ١٠٣ .

(٤) أخرجه الشيخ نصر المقدسي في كتابه « الحجة على تارك المحجة » وأخرجه ابن الجوزي في « مناقب الإمام أحمد » ص ٢٤٩،٢٤٨ .

وقضوا لذة الحياة اغتباطا بالذي حرروه منه وقالوا
ورضوه من كل شيء فلعمري لنعم ذاك البدال
ولقد جاءنا عن السيد الماجد حلف العلياء فيهم مقال
إن أبدال أمة المصطفى أحمد هم تذكر الأبدال(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسير الأبدال : « فسروه بمعان : فيها : أنهم أبدال الأنبياء ومنها : أنه كلما مات منهم رجل أبدل الله مكانه رجلاً ومنها : أنهم أبدلوا السيئات من أخلافهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات . وهذه الصفات لا تختص بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر ولا تحصر بأهل بقية من الأرض »(٢) .

فعلم من كلام الشيخ الإسلام رحمه الله أن تفسير الأبدال على غير التفسير الذي أشاعه الصوفية ولهذا تجد كثيراً من أئمة الحديث والفقه قد استعملوا هذا اللفظ في حق العلماء فتجدهم يقولون فلان من الأبدال(٣) ونحو ذلك

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية الأبدال من أهل السنة والجماعة فقال : « لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة »(٤) . وفي حديث عمه أنه قال : « هم

---

(١) نقله السيوطي في «الخبر الدال» ص (٢/٤٣٥) ضمن الحاوي ونسبه إلى كتاب الحافظ محب الدين ابن النجار في « تاريخ بغداد » .

(٢) « مجموع الفتاوى » (١١ / ٤٤١) .

(٣) راجع وصف العلماء بعض العباد والعلماء بذلك في تراجمهم وفي مواضع كثيرة منها سنن ابن ماجة (١/ ٢٤١) وسنن ابن داود (١/١٦٩) وسنن الدارمي (١/٣٧٦) شعب الإيمان للبيهقي (١/٤٩٤) أخبار مكة للفاكهي (٢/ ٣٣٠) (٢/ ٤٨٠) الصارم المنكي (١/٢٧٧) ، السنة لعبدالله بن أحمد (١/١٨٩) تفسير ابن كثير (٤/٧٣٣) والنشر في القراءات العشر (١/٩) وتفسير الثعالبي (٤/ ٤٥١) وغيرها كثير .

(٤) رواه أبو داود (١٢/٣٤١) عون المعبود ، وقد أسهب في جمع طرقه الألباني وصححه في السلسلة الصحيحة (١/٣٥٨) والسنة لابن أبي عاصم (١/٣٢) .

من كان على مثل ما أنا عليه اليوم »[١] صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة . وفيهم الصديقون ، والشهداء ، والصالحون ، ومنهم أعلام الهدى ، ومصابيح الدجى ، أولو المناقب المأثورة ، والفضائل المذكورة ، وفيهم الأبدال ، وفيهم أئمة الدين ، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، ولا يضرهم من خالفهم ، ولا من خذلهم ، حتى تقوم الساعة[٢] »[٣] .

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله : « وقد رويت أحاديث كثيرة في الأبدال لا تخلو من ضعف في أسانيدها ، وبعضها موضوع ، ولكن ليس فيها ذكر الشام ، ثم قال : وروي ابراهيم بن هاني عند الإمام أحمد قال : إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال ، فلا أدري من هم ، ومراده بأصحاب الحديث من حفظ الحديث وعلمه وعمل به ، فإنه نص أيضاً على أن أهل الحديث من عمل بالحديث لا من اقتصر على طلبه ، ولا ريب أن من علم سنن النبي ﷺ وعمل بها وعلمها الناس فهو من خلفاء الرسل وورثة الانبياء ، ولا أحد أحق بأن يكون من الأبدال منه والله أعلم »[٤] .

قال الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله في شرحه على العقيدة الواسطية عن هذا الموضع : « وأما قوله : وفيهم الصادقون ... إلخ . فالصديق صيغة مبالغة من الصدق

---

(١) رواه الترمذي (٣٩٧/٧ تحفة) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال العراقي « حديث افتراق الأمة أسانيدها جياد »تخريج الإحياء (٢٣٠/٣) وحسَّن إسنادها الحافظ ابن حجر أيضاً في تخريج الكشاف ص ٦٣ رقم

(٢) رواه البخاري (٢٩٣/١٣ ، فتح) ومسلم (٧٠/١٣ نووي) وغيرهم .

(٣) « شرح العقيدة الواسطية » للدكتور محمد خليل هراس ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٤) « فضائل الشام » (٢١٩/٣) ضمن « مجموع رسائل ابن رجب » .

، يراد به الكثير التصديق ، وأبو بكر رضي الله عنه هو الصديق الأول لهذه الأمة وأما الشهداء ؛ فهو جمع شهيد ، وهو من قتل في المعركة .

وأما الأبدال ؛ فهم جمع بدل ، وهم الذين يخلف بعضهم بعضاً في تجديد هذا الدين والدفاع عنه ، كما في الحديث : « يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينا[(١)] »[(٢)] .

وقريب من كلام الشيخ خليل هراس كلام الشيخ عبد الرحمن البراك[(٣)] .

ولكن ينبغي التنبه لأمر مهم عند اطلاق هذا القول أعنى أن يقال فلان من الأبدال فإن هذا القول لا ينبغي أن يطلق هكذا جزافاً ولا يقال لشخص من الأشخاص هكذا في وجهه لأنه من المدح والثناء نعم يقال هذا في غير مواجهته إذا كان أهلاً لذلك ولم تكن صادرة عن هوى بل عن علم وتقال فيمن اشتهرت إمامته وتقواه وصلاحه وقد نبه على ذلك الشيخ صالح آل الشيخ في التعليقات الحسان على الأصول الثلاثة من شريط له في شرحها .

الوجه الثاني عشر :

أن هذه الألفاظ القطب ، والغوث ، والأبدال ، والنجباء ، والنقباء ، والأوتاد ألفاظ التبس فيها الحق والباطل ، فبعض الناس ينكرها جملة وتفصيلاً لما يجد فيها من الباطل ، وبعضهم يؤمن بها لما يجد فيها من الحق[(٤)] ، ولنستعرض هذه الألقاب ما يقال فيها من حق وباطل :

---

(١) رواه أبو داود (١١/٣٨٥ عون المعبود) وغيره وقد قوّى إسناده الحافظ ابن حجر في « توالى التأسيس » ص ٤٩ وصححه الألباني في « صحيح الجامع » برقم (١٨٧٠) .

(٢) « شرح العقيدة الواسطية » ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٣) « توضيح مقاصد العقيدة الواسطية » .

(٤) « التجانية » ص ١٨٧ .

أولاً : القطب : إما بمعناه الذي سبق عند الصوفية وهو خليفة الله في تصريف شئون الوجود ...الخ فهذا المعنى باطل ومن المحال ومن المخالف للشرع والعقل فمعناه على هذا النحو يخلع عليه صفات الألوهية تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيراً وصدق والله الدكتور تقي الدين الهلالي حيث يقول(١) :

لا قطب نعرفه غير نجم يرى في السماء وقطب الرحى
ونحوها لا الذي ذكروا يكون مقيماً بغار حرا
يمد الأنام ويجرى الشئون وتلك وربك أدهى الفرا
فهل من كتاب وهل سنة أتت من صحيح الحديث بذا

وقدا استطاع العلامة المغربي ابن خلدون رَحِمَهُ اللهُ أن يحدد ظهور لفظ القطب عند الصوفية موضحاً أن هذا اللقب جاء من اختلاط عقائد الرافضة ومذهب الإسماعيلية مع عقائد الصوفية الحلولية والقائلين بالكشف والاتحاد ، حيث يقول رَحِمَهُ اللهُ « ثم إن هؤلاء المتأخرين من الصوفية المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس - توغلوا في ذلك ، فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملؤوا الصحف منه مثل : الهروي في كتاب المقامات ، وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذها ابن العفيف ، وابن الفارض والنجم الاسرائيلى في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم ، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الأخر ، واختلط كلامهم ، وتشابهت عقائدهم ، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين ... »(٢) .

وإن أُريد بالقطب هو الحديدة التي يدور عليها الرحى ، أو أنه الكوكب الذي

---

(١) « الهدية الهادية » ص٤٧ .

(٢) « مقدمة ابن خلدون » ص ٤٧٣ .

بين الجدي والفرقدين ، أو أنه سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم كما يقال فلان قطب بن فلان(١) سواء كان قطباً لبلده أو قبيلته أو لأسرته كما قال الشاعر :

كم أنبتت دوحة الإسلام من حسن   وأطلعت في بهيم الليل من قطب

فالقطب بهذا المعنى لا غبار عليه وهو معنى حق . فلا اختصاص إذا للأقطاب بعدد معين ، ولا يلزم أن يكون أفضل الناس في زمنه بل قد يكون أفضلهم ، وقد يكون من أفضلهم ، وقد يكون أسوأهم(٢) .

يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وأما إن قصد القائل بقوله : القطب الغوث الفرد الجامع : أنه رجل يكون أفضل أهل زمانه ، فهذا ممكن لكن من الممكن أن يكون في الزمان اثنان متساويان في الفضل ، وثلاثة وأربعة ولا يحزم بألاّ يكون في كل زمان أفضلُ الناس إلا واحداً وقد تكون جماعة ، بعضهم أفضل من بعض من وجه دون وجه وتلك الوجوه إما متقاربة ، وإما متساوية ثم إن كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته بالقطب الغوث الجامع بدعة ما أنزل الله بها من سطان ، ولا تكلم بهذا أحد من سلف الأمة وأئمتها ، وما زال السلف يظنون في بعض الناس ، أنه أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان ، ولا سيما أن لهذا الاسم من يدعي أن أول الأقطاب هو : الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما - ثم يتسلسل الأمر إلى من دونه إلى بعض مشايخ المتأخرين وهذا لا يصح لا على مذهب أهل السنة ، ولا على مذهب الرافضة ، فأين أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والحسن عند وفاة النبي ﷺ كان قد قارب سن التمييز والاحتلام؟ »(٣) .

---

(١) « لسان العرب » (٢/١٧٦) .

(٢) « مجموع الفتاوى » (١١/٤٤٠) .

(٣) « مجموع الفتاوى » .

الثاني : الغوث : إن أُريد به المعنى الصوفي وهو ملجأ الملهوفين من عباد الله أو قطب الأقطاب كما يقوله بعضهم فهذا المعنى باطل لا شك .

وإن أُريد به طلب الاستغاثة من المخلوق فيما يقدر عليه ، فهذا معنى حق قال الله تعالى : ﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص : ١٥] أو كان يحترق بيت إنسان وهو فيه وينادي أعينوني أو يكاد يغرق وينادي من يغيثه أو يكاد يقع من على شاهق فيغيثه أحدهم ففي هذه الحالات الاستغاثة صحيحة لا شيء فيها أما إن وقع به ضر أو نزل به كرب أو ألم به شيء ولا يقدر على دفع ذلك إلا الله تعالى وليس هذا في مقدور الإنسان فإن استغاثته حينئذ بإنسان مثله تعد شركاً ودعاء لغير الله عز وجل والله تعالى يقول : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال : ٩] .

بل ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الغوث لا يطلق إلا على الله عز وجل فهو غياث المستغيثين ولا ينبغي أن يطلق على غيره حيث قال رحمه الله « وأما لفظ الغوث ، والغياث ، فلا يُستحق إلا لله ، فهو غياث المستغيث ، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره ، ولا بملك مقرب ولا نبي مرسل »[١] .

وبعض الصوفية يطلق الغوث على رسول الله ﷺ وهو ليس من أسماء النبي ﷺ[٢]. بل لا يجوز الاستغاثة برسول الله ﷺ أو غيره .

وقد سئل القاضي أبو يعلى رحمه الله ما تقول في قول الإنسان اذا عَثَرَ : محمد أو علي فقال : إن قصد الاستعانة فهو مخطئ ، لأن الغوث من الله تعالى ، فقال وهما ميتان فلا يصح الغوث منهما ، ولأنه يجب تقديم الله على غيره[٣] .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٤٣٧/١١).

(٢) راجع : « معجم المناهي » للشيخ أبو بكر زيد ص٣٦٢.

(٣) « بدائع الفوائد » (٣٣/٤) .

* وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وأما قول القائل إذا عثر : يا جاه محمد ، يا ست نفسية ، أو سيدي الشيخ فلان ، أو نحو ذلك مما فيه استغاثته وسؤاله : فهو من المحرمات ، وهو من جنس الشرك فإن الميت سواء كان نبياً أو غير نبي لا يدعى ، ولا يسأل ولا يستغاث به لا عن قبره ، ولا مع البعد من قبره ، بل هذا من جنس دين النصارى الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله »(١) .

الثالث : « الأوتاد » : إن أُرِيد به ما يزعمه الصوفية من أنهم عبارة عن أربعة أركان من العالم(٢) لكل واحد منهم جهة من جهاته الأربع فهذا المعنى باطل أو أن لكل واحد منهم ركن من أركان الكعبة ويمدون الخلق بالإمدادات فهذا المعنى باطل أيضاً .

وإن أُرِيد به المعنى اللغوي كما يقال : فلان من أوتاد الأرض ، أو : فلان من الأوتاد ، يعنى بذلك أنهم على درجة كبيرة من التقوى والصلاح ، وأن الله يثبت به الإيمان والدين في قلوب من يهديهم الله على يديه كما يثبت الأرض بأوتادها ، فهذا المعنى ثابت لكل من كان بهذه الصفة ، ولا يختص بأربعة ولا أقل ولا أكثر(٣) .

الرابع : « الأبدال » : إن أُرِيد به المعنى الصوفي « أن من سافر منهم عن موضعه ترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد ، وهم على قلب إبراهيم . وأن عددهم سبعة أو أربعون فهذا كله باطل .

وإن أُرِيد به أنهم أولياء الله المتقون أو العباد الأتقياء ، وأنهم أبدلوا السيئات من أخلاقهم وأعمالهم وعقائدهم بحسنات ، فهذا معنى حق ، وهذه الصفات لا تختص بسبعة ولا أربعين ، ولا غير ذلك من الأعداد(٤) .

---

(١) « مجموع الفتاوى » (٢٧|١٤٥) (٣٧|١٦) .

(٢) « التعريفات » ص ١٣٩ للجرجاني .

(٣) « مجموع الفتاوى » ص ١٩٠ .

(٤) « التجانية » ص ١٩٠ .

وقد ألّف العز بن عبدالسلام رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في إنكار وجود الأبدال وأنكر بشدة على من يزعم أن الله يحفظ بالأبدال الأرض(١) .

الخامس : « النقباء » : إن أُريد بهم ما يزعمة الصوفية أنهم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلاثمائة وأن مسكنهم المغرب فهذا المعنى باطل إذ لا يعلم خبايا النفوس إلا الله تعالى . قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] وقال : ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] . وقال : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وإن أُريد بالنقباء المعنى اللغوي ، وأن النقيب هو الأمين والوكيل(٢) كما قال سبحانه : ﴿ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ [المائدة : ١٢] فهذا المعنى حق ، ولا اختصاص لهم بعدد معين ولا بمكان معين(٣) .

السادس : « النجباء » : إن أُريد به ما تزعمه الصوفية أنهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون إلا في حق الغير ، وأن عددهم أربعون أو سبعون(٤) وأن مسكنهم مصر ، فهذا المعنى باطل .

وإن أُريد به المعنى اللغوي من النجابة : وهي الفضل والشرف ، يقال : هو نجيبة القوم ، إذا كان النجيب فيهم(٥) ويقال : فلان من النجباء ، أي الفضلاء ،

---

(١) كما ذكر العلامة المرتضى الزبيدي في « تاج العروس » (٧/٢٢٣)

(٢) « لسان العرب » ٢ / ٢٦٧ .

(٣) « التجانية » ص ١٩٠ دكتور على بن محمد آل دخيل الله .

(٤) « الدرة الخريدة » ١ / ٤٩ ، « التعريفات » للجرجاني ص ١٣٩ .

(٥) « لسان العرب » (٢ / ٢٤٤) . و «التجانية » ص ١٩١ لعلى بن محمد آل دخيل الله .

فهذا معنى حق ، ولا اختصاص له بمعين ولا مكان معين[١] . ولا ريب أن ربنا عز وجل تفرد بعلم الغيب وهذا أصل لا يمكن الجدال فيه اختص الله عز وجل به لنفسه .

وقد ذكر العلامة ابن العربي رحمه الله كلاماً جميلاً عند قول النبي ﷺ « إنما أنا بشراً مثلكم وأنكم تختصمون إلي » فقال : « قوله : إنما أنا بشر[٢] أشار في هذا الموضع إلى أنه لا يعلم الغيب ، وهي مسألة أصولية ؛ فإن المشاهدة أبرزها الله إلى الخلق ، وجعلها متداركة لهم بالطرق التي شرع الله لهم إليها ، وأمسك الغيب لنفسه فهو عالم الغيب والشهادة ، وأخبر أنه لا يدريه إلا هو ، وقطع أطماع الخلق عنه فقال ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ الآية [آل عمران : ١٧٩] وألقى إلينا منه ما شاء للحكمة التي علم ، ومن فضله المتقدم قال ﴿ ولكن الله يهدى من يشاء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ﴾ معناه : فيطلعكم على الغيب فيعلمونكم به كما شاء لا إله إلا هو . وفي هذا إشارة إلى أنه لا يعلم شيء من علم الغيب إلا من قبل الرسل فلا يلحقنكم في ذلك ريب ولا تغتروا بمنجم ولا عراف ولا تستدلوا بأمارة ما في السماء من كوكب أو في الأرض من مذهب فإن ذلك فيه ضلال ولو جاز لأحد أن يدركه لكان أولانا به رسول الله ، وفي قصة الهدهد مع نبي الله سليمان قال : ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل : ٢٢][٣] .

* قال القرطبي رحمه الله : « فيها رد على من قال إن الأنبياء تعلم الغيب »[٤] .

الوجه الثالث عشر :

وأما دعوى أن القطب مسكنه مكة والنقباء المغرب والنجباء مصر ... الخ فلم

---

(١) « التجانية » .

(٢) رواه مالك (٢١٠٣ ، ٢٦٨٠) والشافعي (٣ / ٢٢٩) والطحاوي في شرح معاني (٤ / ١٤٥) .

(٣) « المسالك شرح موطا مالك » (٦ / ٢١٦) .

(٤) « تفسير القرطبي » (١٣ / ١٨١) .

يخبرنا هذا القائل على أي أساس تم هذا التوزيع الجغرافي للقطب والنقباء والنجباء وغيرهم ، فهذا باطل بلا شك ، وإفك مشهور ، وتجارة تبور في سوق التحقيق العلمي ، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم كانوا خير الخلق في زمنهم وكانوا بالمدينة ولم يكونوا بمكة(١) .

وهنا أسئلة تطرح نفسها وتؤكد على أن ما زعمه الطرقية في هذا المجال باطل .

فيقال لهم : لماذا خلت الأقاليم الأخرى من النقباء من الأبدال والنجباء ، واقتصر وجودهم على مصر والمغرب ومكة كما تزعمون؟ فهل أهل الأقاليم الأخرى مغضوب عليهم ولا حيلة لهم ؟ وهل يصدق هذا عاقل؟

فدعوى القطبانية والنجباء والأبدال والأوتاد والنقباء بالمعنى الصوفي هو معنى في الخيال والأوهام ولا حقيقة له في عالم الواقع والمشاهدة ، إذ ما معنى أن يسكن الأبدال الشام ولا يسكنون سواها أو يسكن النجباء مصر ولا يسكنون سواها أو يسكن النقباء المغرب ولا يسكنون سواها وكأن واضع هذه الخرافة أراد ألا يغضب أهل الشام ومصر والمغرب .

الوجه الرابع عشر :

وأما دعواهم بتطور الولي وأن له ثلاثمائة وستة وستون ذاتاً ! فهذا يناقض العقول إذ كيف يتجزأ شخص إلى هذه الأجزاء ويتحول إلى ذوات متعددة في وقت واحد في أماكن متفرقة ،ولا يعقل وجود ذات في أكثر من مكان في وقت واحد ، ولا أظن أن عاقلاً يشك في بطلان هذا فضلاً عن عالم بالشريعة ، ولكن الأمر عند الطرقية يختلف تماماً إذ عندهم أن الولي يتطور ويتشكل في أشكال مختلفة فتارة تدخل عليه فيكون في صورة سبع أو قط أو جندي أو غير ذلك ، وتارة يصلى الصلوات

---

(١) « رسالة زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور » ص ٦٤ لابن تيمية .

كلها في الحرم المكي أو النبوي ، وتارة تطوف الكعبة به ولا يطوف بها ، وتارة يصلى في جبل قاف وهو مكان على حد زعمهم لم يعص الله فيه طرفة عين ، وتارة و تارة ...إلى آخر هذه البلايا والموبقات لقد كان رسول الله ﷺ بشراً من البشر وذاته البشرية ذكرها القرآن في آيات لامراء فيها قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية [الكهف : ١١٠] ولم يصرح صحابي واحد من أصحاب رسول الله ﷺ أنه رآه في مكانين في وقت واحد وهذا كاف في إبطال زعم الصوفية رؤية شخص واحد في مكانين في وقت واحد .

قال الألوسي رحمه الله في نقده منكرات وبدع الصوفية وزعمهم أن الولي يتشكل : « ورأيت كثيراً منهم يسجد على أعتاب حجر قبور الأولياء ومنهم من يثبت التصرف لهم جميعاً في قبورهم ... وإذا طولبوا بالدليل قالوا: ثبت ذلك بالكشف ، قاتلهم الله تعالى ما أجهلهم وأكثر افتراءهم ، ومنهم من يزعم أنهم يخرجون من قبورهم ، ويتشكلون بأشكال مختلفة ... وكل ذلك لا أصل له في الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى »(١) .

وقد وصف الألوسي من يعتقد تصرف الأولياء بعد وفاتهم بالنفع والضر بأنه سخيف العقل يقول رحمه الله عند تفسير قوله : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات : ٥] أن البعض حملها على النفوس الفاضلة المفارقة وهو إيهام صحة ما يزعمه كثير من سخفة العقول من أن الأولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وإنقاذ الغريق والنصر على الأعداء وغير ذلك ما يكون في عالم الكون على معنى أن الله تعالى ، فوض اليهم ذلك ومنهم من حظي ذلك بخمسة من الأولياء والكل جهل وإن كان الثاني أشد جهلاً(٢) .

(١) « روح المعاني » (١٧/٢١٢-٢١٣)

(٢) « روح المعاني » (٣٠/٢٥).

الوجه الخامس عشر :

وأما دعواهم أن القطب له علامات أوصلها بعضهم إلى خمس وعشرين وذكر منها العصمة فهذا كذب وبهتان وأما ادّعاء العصمة للقطب أو الولي فهذه من الموبقات إذ العصمة لا تكون إلا للأنبياء صلوات الله وسلامة عليهم ومن المكر والدهاء الصوفي أنهم يعبرون عن العصمة أحياناً بعبارة « الحفظ »[١] .

ويراد بها العصمة أي عصمة الولي من الذنوب وهم في هذا يشابهون تماماً الروافض في دعواهم بعصمة الأئمة وهكذا تجد الصلة بين الصوفية والتشيع وقد مر بنا مثال سابق وهذا هو المثال الثاني .

يقول الشعراني : « متى صح للعبد سجود القلب لله عز وجل استحق العصمة إن كان نبياً والحفظ إن كان ولياً ، وإنما خص العلماء لفظ العصمة بالأنبياء من أجل فعلهم المباح ، فإنهم لا يفعلونه إلا على جهة التشريع فهو واجب عليهم فعله لوجوب التبليغ عليهم .... بخلاف غيرهم إذا فعلوا مباحاً لا يفعلونه على أنه مباح ، هذا هو الفرق بين العصمة والحفظ بالنظر للفظ للمعنى[٢] .

وكأن الشعراني لا يفرق بين عصمة الأنبياء وحفظ الأولياء إلا في اللفظ لا المعنى و إلا فالمعنى واحد . ولهذا يقول الشيخ سعيد حوى «إن بعض الصوفية يعتبرون الكرامة دليل الولاية ، ويعتبرون الولاية مظنة العصمة ، فمتى ظهرت كرامة على يد شيخ اعتبروا ذلك علامة على العصمة – وأن أعطوا العصمة هنا اسم الحفظ ثم بنوا على ذلك وجوب الالتزام بالشيخ ووجوب استثار به في كل شيء ووجوب الالتزام بكل ما قاله ، ويأخذون عنه الفتوى والسلوك وفي كل أمر ، وهو موضوع

(١) « تقديس الأشخاص » (١ / ٢٢٢) .

(٢) « الجواهر والدرر » ص ١٢٧ .

يترتب عليه ما يترتب من فساد أحياناً[١] .

قلت : بل يترتب عليه الفساد كله حيث يخرج من هذا السلوك أجيالاً لاغية لعقولهم ، مقلدين كأنهم بهائم تساق أو قطعان لا قبل لهم ولا يلوون على شيء ومن أجل ذلك ظهر من يقول كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي الغاسل ، ومن يقول : أطفئ سراج عقلك واتبعني ... إلخ هذه المنكرات والخرافات .

* ويقول الشيخ إحسان إلهي ظهير رَحِمَهُ اللَّهُ : « إن الصوفية يعتقدون في أوليائهم ما يعتقد الشيعة في أئمتهم من تأليههم وجعلهم أنبياء أو كالأنبياء معصومين ولو أنهم كثيراً ما يتجنبون استعمال هذه النقطة ، ويستبدلونها بالحفظ ، ولا يقصدون من ورائها إلا العصمة التي يستعملها الشيعة توقياً وتحفظاً من طعن الطاعنين واعتراض المعترضين ، وستراً لتلك الصلة الوثيقة التي تربطهم مع الشيعة ، ولو أن بعض المتهورين منهم لم يراعوا الكتمان والإخفاء وباحوا بهذا السر جهراً أو علناً عارفين بأن تقيتهم هذه لا تسمن ولا تغني من جوع ، لأن المراد من كلتا اللفظين واحد لا اختلاف بينهما من حديث المدلول »[٢] .

* ومما يؤكد أن عقيدة عصمة الأولياء منتشرة عند بعضهم قول القشيري عن الولي : « لا يخلق الله له الخذلان الذي هو القدرة على العصيان »[٣] .

فإذا كان الله تعالى كما يزعمون لم يخلق له القدرة على العصيان فكيف لا يكون معصوماً ؛ إن من مساوئ هذا القول أعني عصمة الأولياء أن دفع بعض الصوفية إلى وجوب تأويل معاصي الأولياء على فرض وقوعها منهم على مذهب القائلين بالعصمة .

---

(١) « تربينا الروحية » ص ٢١٩ .

(٢) « التصوف المنشأ والمصادر » ص٢٠٤.

(٣) « الرسالة » ص ٦٦٧ .

فهذا ابن عربي زعيم الاتحاديين يقول : « من شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه وبينة منه ، ولا يزن أحواله بميزانه ، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة ، فيجب التسليم وكم من رجل كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه الله في فيه عسلاً ، والناظر يراه شرب خمراً وهو ما شرب إلا عسلاً »(١) .

وهذا الكلام خطير جداً ولكي تدرك خطورته لابد أن تعلم أن شيوع هذا الكلام على نحو ما ذكره ابن عربي فيه تسهيل لنشر الفواحش بين الناس ويترتب عليه تجميد شعيرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفي هذا ما فيه من الفساد وإلا فما معنى أن ترى رجلاً في يده كأس خمر ولا تنكر عليه بل الأدهى أن تعتقد فيه الولاية على كلام ابن عربي .

ويذكر الشعراني في ترجمة الشيخ أبي بكر الحديدي أنه رأى الشيخ محمد العدل - أحد أولياء زمانه - يحسس على بطن امرأة أجنبية لمرض كان بها فصاح عليه : واديناه ! و امحمداه ! الله أكبر عليك يا عدل . فقال : والله ما قصدتها بشهوة ، فقال له الحديدي : أنت معصوم ، نحن ما نعرف إلا ظاهر السنة(٢) ، فانظر إلى الجهل كيف يحكم له بالعصمة ؟!

ومما يحكى أيضاً أن بعض من يزعمون أنه ولى من الأولياء اختلى بامرأة أجنبية أمام المريدين وأغلق عليها الباب ، فتعجب المريدون لذلك وأنكروا عليه وانصرفوا إلا واحداً منهم لم ينكر على الولي بل قام ليسخن له ماء ليغتسل من الجنابة على حد زعمه(٣) !!

---

(١) نقله في « الإبريز » ص ٢٢٨ .

(٢) « الطبقات الكبرى » (٢ / ١١٥) .

(٣) ومن العجب أنني سمعت الدكتور علي جمعة يستدل بهذه القصة وينشرها على الناس مستدلاً بها على عدم الإنكار على ما يصدر من الأولياء !

فأي ولاية هذه التي يخالف فيها الولي أمر رسول الله ﷺ ويجاهر بذلك ويختلي بامرأة أجنبية والنبي ﷺ يقول : «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثها »[١] .

ومن أقوال السلف « لا تخلون بامرأة ولو كنت تحفظها القرآن الكريم » ، إن هذه الموبقات تنافي ولاية الله تعالى فإن الولي هو من فعل المأمور، وترك المحظور، وصبر على المقدور، ولا أقول هو معصوم كما يقول بعض الصوفية ، بل هو معرض للذنوب والآثام ولكن يتوب من قريب شأنه شأن غيره من المؤمنين ويقول الشعراني : « اعلم أن الحق تعالى لا ينظر إلى القطب الذي هو السلطان الباطن إلا بعين الأهلية ، ولو أنه تعالى نظر إلى السلطان الظاهر بهذه العين ما جار إمام قط ... وإلى ذلك الإشارة بحديث : « من أعطيها يعني الأمارة بغير مسألة وَكَّل الله تعالى به ملكاً يسدده » وهذا هو معنى العصمة ، لكن الأدب أن يقال إنه محفوظ لا معصوم »[٢] .

ومن هذا النص عن الشعراني يلاحظ :

أ- القول بعصمة القطب أو السلطان الباطن لأن الله ينظر إليه بعين خاصة .

ب- أن الله لو نظر بعين الأهلية إلى الحاكم أو القاضي أو السلطان الظاهر كما يسميه - لصار معصوماً ولكنا يطلق عليه الحفظ لا العصمة .

ج- الحديث الذي ذكره ليس فيه ما يدعم القول بعصمة من أعطي الإمارة من غير مسالة بل غايته أن يسدده الله في أحكامه واجتهاداته ، وينصره في جهاده ، أما أن يكون معصوماً من الخطأ فلا[٣] .

وحتى يتبين لك أن القول بعصمة الولي أو القطب الصوفي هي عقيدة باطلة بالكتاب والسنة أما الكتاب فقد جاءت النصوص للدلالة على أن الأنبياء هم المعصومون وهم من

---

(١) رواه أحمد (١ / ١٨) والترمذي (١١٧١) من حديث عمر رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (ح ٦٠٣) .

(٢) « اليواقيت والجواهر » (٢ / ١٣٠) .

(٣) « تقديس الأشخاص » (١ / ٢٢٤) .

تجب طاعتهم مطلقاً ومن جعل القطب المزعوم أو الولي أو غيرهما مطاعاً مطلقاً فقد جعله مضاهيا للأنبياء وأعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها .

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء : ٥٩] .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول ، فمن أثبت شخصاً معصوماً غير الرسول ، وأوجب رد ما تنازعوا فيه إليه لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسول وهذا خلاف القرآن »(١) .

قال رسول الله ﷺ:« كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »(٢) .

ومقتضي هذا الحديث أن بني آدم كلهم خطاء بدون استثناء ، إلا من قام موجب على تخصيصه من ذلك وهم الأنبياء فيما يبلغونه من الوحي(٣) .

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس من شرط الولي أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر الله به ، أو مما نهى الله عنه وليست كذلك ، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله تعالى وتكون من الشيطان ، لبسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله تعالى ، فإن الله تعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »(٤) .

---

(١) « منهاج السنة » (٦ / ١٩٠).

(٢) رواه الترمذي (٤ / ٦٥٩) وابن ماجة (٤٥٢١) وأحمد (٣ / ١٩٨) وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٤١٥) .

(٣) « تقديس الأشخاص » (١ / ٢٣٥) .

(٤) « مجموع الفتاوى » (١١ / ٢٠١) .

فلاحظ أن شيخ الإسلام يتكلم عن المتبعين للكتاب والسنة لا الخرافيين والطرقية ممن زعموا الولاية وهم تاركين للأمر ومرتكبين للنهي وأصحاب أحوال شيطانية .

ويقول ابن القيم رحمه الله : « أن يكون العبد مصطفى لله ، وولياً لله ، ومحبوباً لله، ونحو ذلك من الأسماء الدالة على شرف منزلة العبد وتقريب الله له لا ينافي ظلم العبد نفسه أحياناً بالذنوب والمعاصي ، بل أبلغ من ذلك أن صديقيته لا تنافي ظلمه لنفسه ، ولهذا قال صديق الأمة وخيارها للنبي ﷺ :«علمني دعاء أدعو به في صلاتي . فقال :قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر لذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم(١) »(٢) .

قلت : وقد ثبت أن النبي ﷺ قال لأبي بكر عندما أوّل رؤيا " « أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً »(٣) إذا كان هذا في حق الصديق وأنه يخطئ ويصيب بنص حديث رسول الله ﷺ فكيف يزعم الصوفية أن الولي معصوم من الخطأ سبحانك هذا بهتان عظيم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « اتفق سلف الأمة وأئمتها وجميع الطوائف الذين لهم قول يعتبر : أن من سوى الأنبياء ليس بمعصوم ؛ لا من الخطأ ، ولا من الذنوب ، سواء كان صديقاً ، أو لم يكن ،ولا فرق بين أن يقول هو بمعصوم من ذلك أو محفوظ من ذلك أو ممنوع من ذلك »(٤) .

---

(١) رواه البخاري (٨٣٤) ومسلم (٤ / ٢٠٧٨) .

(٢) « طريق الهجرتين » ص ٣٣٢ .

(٣) رواه البخاري (٧٠٤٦) ومسلم (٢٢٦٩) (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) « شرح حديث أبي بكر الصديق اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً » ص٤٥

الوجه السادس عشر :

وأما دعواهم أن القطب لا يطيق رؤيته إلا الخواص فهذه دعوى القصد من نشرها إضفاء هالة من التعظيم على القطب المزعوم والامتناع من كثرة التردد عليه في مسكنه وخلوته ظناً منهم أن هذا يعطيه مكانه واحترامًا بين الناس وما من شك أن هذا سلوك باطل بني على باطل ومن يقارن هذا إن صح بحال النبي ﷺ وصحابته مع الناس يجد البون الشاسع فقد كانوا يبرزون للناس ، ويجالسونهم ، ويسلمون عليهم ، ويقضون حاجاتهم ، ويعودون مرضاهم ، ويحضرون جنائزهم ، ويصلون عليها ، ويشيعون موتاهم إلى القبور ،ويترحمون على موتاهم ، ويلبون دعوة الأحياء ، ويخاطبون الناس على مختلف طبقاتهم ، ويعلمونهم الكتاب والسنة ؛ ويجاهدون في سبيل الله ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويصلون أرحامهم ، ويربون أولادهم ويحرصون على حثهم على الفضائل والمسارعة في الخيرات وهم مع ذلك يؤدون فرائض الله تعالى . « وأما ذلك الكائن الموصوف بالقطب الصوفي فهو عند الخرافيين يبدو أنه بلغ مقاماً أعلى من مقامات الأنبياء والصحابة ، وأسراره لا تتطرق إليها العقول ، فأولي به أن يختفي وراء الستار ، ولا يمكن أحداً من رؤيته إلا الخواص الذين عرفوا ما الذي يجري وراء الكواليس وماذا يدبر المدبرون لسلب عقول وإيمان السذج والمغفلين ويبدو أن هؤلاء كانوا على ذكاء خارق حيث وضعوا هذا الحاجز المنيع أمام القطب حتى لا تكرر مطالبات المريدين لمقابلته فإن في ذلك فضحاً للفكرة وأي فضح »(١) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ « وإذا كان النبيان الكريمان (عيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما) هما مع إبراهيم ونوح أفضل الرسل

---

(١) « تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي » (١ / ١١٩) .

ومحمد ﷺ سيد ولد آدم ولم يحجبوا عن هذه الأمة لا عوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم ؟ »[١] .

الوجه السابع عشر :

وأما دعواهم بوجود مجلس للقطب وأعوانه يجتمع في زمن معين ولو موضوعات يبحثها ...الخ فهذا من الهذيان والهوس الصوفي ومن بنات أفكار ابن عربي والدباغ والتجاني وغيرهم من الخرافيين وأقسم بالله غير حانث لو قيل لشخص أن يصور مجلساً نيابياً أبلغ من تصوير الخرافيين للمجلس الصوفي الخفي لما استطاع أن يصور كتصور الخرافيين ، بل من قرأ ألف ليلة وليلة لما وجد فيها مثل هذه الترهات ولا هذه المشاهد التي سطرها منظرو الصوفية عن ذالكم المجلس الخفي الذي زعمه الصوفية .

ومن العجب الغريب أن يخرج علينا بعض النواب في البرلمان المصري وينبري للدفاع عن كتب ابن عربي وخاصة كتاب الفتوحات المكية حيث اقترح أحد الغيورين سحب الكتاب من الأسواق لما يمثله من شركيات وكفريات وطامات لها الأثر السيئ على توحيد الناس لرب العالمين . ويزعم النائب المشار إليه أن كلام ابن عربي فوق مستوى الفهم ولا يناسب عقول أهل هذا العصر وكأنه يرفع من مكانه كلام ابن عربي ولكن الواقع خلاف ذلك لمن تتبع كلامه خاصة في الفتوحات المكية الذي سماه أبو حيان الأندلسي « بالقبوح الهلكية » وأيضاً كتابه « فصوص الحكم » . « والأجدر أن يسمى «فصوص الظلم »

إن الدعاة بحاجة إلى هبة قوية لتخليص الناس من هذه العقائد الفاسدة والكتب المنحرفة عن جادة أهل السنة .

---

(١) « حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور » ص ٨٥ .

الوجه الثامن عشر :

أما دعواهم بأن القطب هو أفضل جماعة المسلمين فهذا ادعاء يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . أما الكتاب فإن الله تعالى ذكر أقسام المنعم عليهم في قوله عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ [النساء : ٦٩] ولم يجعل منهم ما يسمى القطب ولا الغوث الصوفي فكيف يدعى الصوفية أن القطب هو أفضل جماعة المسلمين؟ ومن خلال الآية السابقة يتضح أن الأنبياء أفضل البشر ثم الصديقين ثم الشهداء ثم من دونهم من الصالحين ولا ريب أن أعظم الصالحين هم الأنبياء ويليهم الصد يقون ثم الشهداء ثم من دونهم وأما السنة فقد ورد في الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : «صعد النبي ﷺ أحداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف ، فقال : اسكن أحد فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان »[(١)] ففي الحديث بيان مرتبة الصديقة والشهادة فالصديقية دون مرتبة النبوة والشهادة دونها .

ومما يدل على أهمية مرتبة القطب الصوفي التي أدعاها الصوفية عندهم وفي كتبهم ، نلاحظ كيف أن الشعراني الصوفي ترجم لكثير ممن ادَّعى أنهم أقطاب وأما عند كلامه على ترجمة أبي بكر الصديق فلم يتجاوز ١٦ سطراً من طبقاته بينما ترجم لعلي بن محمد وفا القطب في نظره في ٣٤ صفحة !![(٢)]

الوجه التاسع عشر :

وأما زعمهم أن القطب وأعوانه وسائط بين الله تعالى وبين خلقه ولا يصل إلى الخلق شيء من الرزق والنصر إلا من جهتهم ، فهذه عقيدة باطله تربو على عقيدة

---

(١) رواه البخاري (٣٦٩٩) .

(٢) « تقديس الأشخاص » (١ / ١١٥) .

المشركين ، والقول به يلزمه لوازم باطلة منها كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « يلزم منه أن يرزق الله سبحانه الكفار وينصرهم على عدوهم بالذات بلا واسطة ويرزق المؤمنين وينصرهم بواسطة المخلوقات ، ولا شك أن التعظيم في عدم الواسطة »(١) .

ويقول شيخ الإسلام أيضاً : « من فسر « الأربعين الأبدال » بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل ، بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم ، ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر(٢) .

وقال أيضاً في حكم من اتخذ وسائط بينه وبين الله في دفع الضر وكشف الكرب « وإن أثبتم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه ، فالله إنما يهدى عبادة ،ويرزقهم بتوسطهم فالخلق يسألونهم وهم يسألون الله ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم والناس يسألون أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب إلا قتل »(٣) .

* وسئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ عن رجلين تناظرا فقال أحدهما : لابد لنا من واسطة بينا وبين الله فقال رَحِمَهُ اللهُ : « الحمد لله رب العالمين ،إن أراد أنه لابد لنا من

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١١/ ٤٣٧) .

(٢) المصدر السابق (٢١ / ٤٤٢) .

(٣) « مجموع الفتاوى » (١ / ١٢٦) .

واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه ، ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأمثال ذلك ، إلا بالرسل الذين أرسلهم الله لعباده ... » .

إلى أن قال وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك ويرجون إليه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون المنافع ويجتنبون المضار ... » .

ثم قال : « وقال تعالى : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٧٩-٨٠] فبين سبحانه أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر ، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ، ودفع المضار ، مثل أن يسألهم غفران الذنب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين »[1] .

قلت : فكيف عن اتخذ القطب المزعوم والأوتاد وغيرهم وسائط يدعوهم من دون الله عز وجل ويتوكل عليهم .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله : « بالجملة فقد علم المسلمون كلهم ، أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في الرغبة والرهبة ، مثل : دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق ، ودعائهم عند الكسوف والاعتداد لرفع البلاء ، وأمثال ذلك ، إنما يدعون في ذلك الله وحده لا شريك له ، لا يشركون به شيئاً ، ولم يكن للمسلمين قط أن يرجعوا

---

(١) « مجموع الفتاوى » (١ / ١٢١ ، ١٢٤) .

بحوائجهم إلى غير إلى عز وجل بل كان المشركون في جاهليتهم ، يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله ، أفتراهم بعد التوحيد والإسلام ، لا يجيب دعاؤهم إلا بهذا الواسطة التي ما أنزل الله بها من سلطان؟ قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [المؤمنون : ١٢] وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء : ٦٧] وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠،٤١] وقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٢ - ٤٣](١) .

الوجه العشرون :

وأما دعواهم بأن القطب والغوث مفزع العامة فهذه عقيدة باطلة فلا مفزع يفزع إليه الخلق في السراء والضراء إلا الله وحده الذي خلقهم ورزقهم وهو الذي يرفع عنهم الضراء ويكشف الكروب والخطوب ، ويقضي الحاجات ، وينزل البركات على من يشاء ، وينزعها عمن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، بيده النفع والضر ، والموت والحياة والنشور والبعث ، والسعادة والشقاء ، والجنة النار ، بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه له ملك السموات والأرض وما بينهما ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، له الأمر من قبل ومن بعد ، كل شيء إليه فقير ، وكل شيء عليه يسير ، ليس كمثله

---

(١) « حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور » ص ٨١ ، ٨٢ .

شيء وهو السميع البصير ، إليه تصمد الحوائج ، وهو الصمد وهو المجيد الذي كمل في سؤدده ، وكمل في مجده ، وكمل في عظمته ، وكمل في جوده وكرمه ، وكمل في أوصافه الحسني كلها هو المحمود بكل لسان ، يعطي ويمنع ، ويجود ويسمح ، ويعفو ويصفح ، عطاؤه مبذول ، وستره مسبول ، حليم ستير ، فأين هذا من القطب المزعوم؟ بل أين هذا ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً؟ إن المشركين مع شركهم بالله عز وجل إذا نزلت بأحدهم مصيبة أو أحدق به خطب وإحن تراه يفزع بداعي الفطرة إلى الله عز وجل ويخلص له الدعاء ، لا يفزع إلى قطب من الأقطاب ولا غوث من الأغواث ، ولا لنقيب أو وتد ، أو نجيب بل يفزع إلى الله تعالى كما قال عز وجل : ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة : ١٨٦] فلم يدع الرب عز وجل خلقه لأحد ولم يوكل أحداً بل هو الوكيل وهو الولي الحميد ، فكيف يزعم الطرقية أن المفزع إلى القطب أو الغوث ؟

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأما عن القطب الغوث الفرد الجامع فهذا يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة ، مثل تفسير بعضهم أن الغوث هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطة في نصرهم ورزقهم ، حتى يقول إن الملائكة وحيتان البحر بواسطته فهذا من جنس قول النصارى في المسيح عليه الصلاة والسلام والغالية في علي رضي الله عنه ، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه ، فإن تاب وإلا قتل ، فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته »(١) .

---

(١) « زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور » ص ٦٢ - ٦٣ لابن تيمية .

الوجه الحادي والعشرون :

وأما دعواهم بتسلسل الأقطاب من لدن آدم عليه الصلاة والسلام إلى آخر زمن النبي ﷺ : « فهذه دعوى فارغة نشأت من الجهل والتلبيس وتلاعب الشيطان بعقول الطرقية ومن العجب أن يصرح بذلك ابن عربي دون حياء حيث يزعم أنه اطلع على أولئك الأقطاب وعددهم خمس وعشرين قطباً من لدن آدم إلى نبينا محمد ﷺ ، بل ويزعم أنه رآهم في جلسة برزخية بمدينة قرطبة وتعرّف على أسمائهم وأوصافهم وقد ترجمت له أسماؤهم إلى اللغة العربية وهذه الخرافات رد عليها الأستاذ محمد أحمد لوح بقوله « والرد على هذا أن يقال : فمن كان القطب في زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين كان الناس كفاراً؟ ، وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل : ١٢٠] أي مؤمناً وحده وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لسارة : يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك »[١] فإذا كان إبراهيم هو القطب فأين الأبدال والأوتاد والنجباء؟ وإن زعموا أنهم نشأوا بعد رسولنا محمد ﷺ ففي أي زمان كانوا ؟ ومن أول هؤلاء ؟ وبأية آية وبأية حديث يستدلون ؟ حتى يخالفوا قطبهم ابن عربي الذي يقول بأنهم كانوا موجودين منذ زمن آدم عليه الصلاة والسلام[٢] .

إن هذه الحكومة الوهمية التي على رأس هرمها القطب والغوث هي أسطورة حقاً وصدق الشيخ عبد الرحمن الوكيل حيث وصف القطب فقال « أسطورة تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلهية ، وخلعها على وهم باطل سمى في الفلسفة «

---

(١) رواه البخاري (٣٣٨٥) ومسلم (١٨٤/٤) .

(٢) « تقديس الأشخاص » (١٣٢/١) .

العقل الأول » وفي المسيحية « الكلمة» : وفي الصوفية « القطب »(١) .

الوجه الثاني والعشرون :

وأما الادعاء بأن الكون يمسكه أربعة الأقطاب من الجهات الأربعة الشمال والجنوب والشرق والمغرب ، وهو ادعاء باطل مخالف للنصوص فإن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر : ٤١] وإن من شرك الاعتقاد أن البلاء يندفع عن الناس بهؤلاء الأربعة أو أن الكون يمسكه هؤلاء الأربعة أو غيرهم من المخلوقات ومن الوقاحة والشرك الظاهر ما يصرح به الدباغ الصوفي حيث يقول « إن القط لا يأكل الفأر إلا بأذن القطب »(٢) إن هذه الجرأة التي صرح بها الطرقية هي في الحقيقة ترمي إلى تجريد الله تعالى من ربوبيته ومنازعته في ألوهيته تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً إذا الكل مخلوق لله عز وجل مربوبون مقهورون لا يخرجون عن قهره وسلطانه ، ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وكون وجود صالحين أحياء أو أموات مدفونين في ناحية أو بلد أو قرية أو مدينة لا يدفع عذاب الله عز وجل إن نزل أو يرفع كرباً حاق بأهلها قدّرة الله عليهم ، ولهذا من الكذب والافتراء الزعم بأن أصحاب القبور من الصالحين يدفعون البلاء عن الناس بل هذا من الاعتقادات الجاهلية .

* يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « وأما ما يظنه بعض الناس أن البلاء يندفع عن أهل بلد أو إقليم بمن هو مدفون عندهم من الأنبياء والصالحين ، كما يظن بعض الناس أنه يندفع عن أهل بغداد البلاء لقبور ثلاثة : أحمد بن حنبل ، وبشر

---

(١) « هذه هي الصوفية » ص ١٢٤ لعبد الرحمن الوكيل .

(٢) « الإبريز » ص ١٨٩ - ١٩٠ .

الحافي ومنصور بن عمار[١] ويظن بعضهم أنه يندفع البلاء عن أهل الشام بمن عندهم من قبور الأنبياء الخليل وغيره عليهم السلام ، وبعضهم يظن أنه يندفع البلاء عم أهل مصر بنفيسة أو غيره ، أو يندفع عن أهل الحجاز بقبر النبي ﷺ وأهل البقيع أو غيرهم فكل هذا غلط مخالف لدين الإسلام ، مخالف للكتاب والسنة والإجماع ، فبيت المقدس كان عنده من قبور الأنبياء والصالحين ما شاء الله فلما عصوا الأنبياء وخالفوا ما أمر الله به ورسله سلط عليهم من أنتقم منهم ، والرسل الموتى ما عليهم إلا البلاغ المبين ، وقد بلغوا رسالة ربهم ، كذلك نبينا ﷺ ، ... وقد ضمن الله لكل من أطاع الرسول أن يهديه وينصره ، فمن خالف أمر الرسول استحق العذاب ولم يغن عنه أحد من الله شيئاً كما قال النبي ﷺ :« يا عباس يا عم رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنك شيئاً ، يا فاطمة بنت رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً »[٢] .

* وقال ﷺ لمن ولاه من أصحابه : « لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول : يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك »[٣] ، وكان أهل المدينة في خلافة أبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان على أفضل أمور الدنيا والآخرة ، لتمسكهم بطاعة الرسول ﷺ ثم تغيروا بعض التغير بقتل عثمان رضي الله عنه وخرجت الخلافة النبوية من عندهم ، وصاروا رعية

(١) وهو أثر أخرجه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ١٩٤ والغريب أنه لم يعلق عليه ولكن علق عليه المحقق بقوله « وهذا من الأوهام ... فقبور الأولياء والصالحين لا أثر لها في دفع البلاء ، وإذا عمت المنكرات وانتشر الفساد في أمة ، فهي حرية بعذاب الله - إلا أن تتوب - مهما كان فيها من قبور للأولياء والصالحين حتى ولو كانت قبور أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ومن المؤكد أن الإمام أحمد رحمه الله لو كان حياً وسمع مثل هذا الكلام لا نكرة ولم يرض به » هامش (٢) ص ١٩٤ .

(٢) رواه البخاري (٤٧٧١) ومسلم (٢٠٤) من حديث أبي هريرة .

(٣) رواه مسلم .

لغيرهم ، ثم تغيروا بعض التغير ، فجرى عليهم عام الحرة من القتل والنهب ، وغير ذلك من المصائب ما لم يجر عليهم قبل ذلك ، والذي فعل بهم ذلك وإن كان ظالماً معتدياً فليس هو أظلم ممن فعل بالنبي ﷺ وأصحابه ما فعل ، وقد قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] . وقد كان النبي ﷺ والسابقون الأولون مدفونين بالمدينة وكذلك الشام كانوا في أول الإسلام في سعادة الدنيا والدين ، ثم جرت فتن ، وخرج الملك من أيديهم ، ثم سلط عليهم المنافقون الملاحدة والنصارى بذنوبهم ، واستولوا على بيت المقدس وقبر الخليل ، وفتحوا البناء الذي كان عليه ، وجعلوه كنيسة ، ثم صلح دينهم فأعزهم الله ونصرهم على عدوهم لما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أنزل الله إليهم من ربهم فطاعة الله ورسوله قطب السعادة وعليها تدور ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء : ٦٩] ومكة نفسها لا تدفع البلاء عن أهلها ويجلب لهم الرزق إلا بطاعتهم لله ورسوله كما قال الخليل عليه السلام : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٣٧] ... فالمساجد والمشاعر إنما تنفع فضيلتها لمن عمل فيها بطاعة الله عز وجل ، وإلا فمجرد البقاع لا يحصل بها ثواب ولا عقاب وإنما الثواب والعقاب على الأعمال المأمور بها والمنهي عنها ...وهو سبحانه علق الوعد والوعيد والثواب والعقاب والحمد والذم بالإيمان به وتوحيده وطاعته ، فمن كان أكمل في ذلك كان أحق بتولي الله له بخير الدنيا والآخرة ، ثم جميع عبادة مسلمهم وكافرهم هو الذي يرزقهم ، وهو الذي يدفع عنهم المكاره ، وهو الذي يقصدونه في النوائب قال الله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن

نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣] وقال الله تعالى : ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء :٤٢] أي بدلاً عن الرحمن هو أصح القولين ... فلا يكلأ الخلق بالليل والنهار فيحفظهم ويدفع عنهم المكاره إلا الله ، قال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الملك: ٢٠] ومن ظن أن أرضا معينة تدفع عن أهلها البلاء مطلقاً لخصوصها ، أو لكونها فيها قبور الأنبياء والصالحين ، فهو غالط ، فأفضل البقاع مكة وقد عذب الله أهلها عذاباً عظيماً فقال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [النحل:١١٢-١١٣] .

قلت : فإن الله تعالى هو الذي بيده كل شيء والخلق فقراء إليه وكلهم محتاجون إلى رحمته ، ورزقه ، ونصره وحفظه ، وتأيده ، ومغفرته ، ورضاه ، وتوفيقه ، وأن الطاعة هي قطب السعادة والمعصية باب الخذلان والسخط ولا يغني عن العبد شيئاً إن أراد الله به ضراً ولا يدفع أحد ما قدره الله له من المحن والمصائب لا أقطاب ولا أبدال ولا أغواث ومما يؤكد كلام شيخ الإسلام رحمه الله ما نراه في عالم اليوم وحسبك مثالاً ما وقع في العراق في عصرنا من احتلالها وضربها بكل الأسلحة التي جربتها أمريكا فيها من طائرات وبارجات وصواريخ وقنابل من البحر والبر والجو بل ساعدها ثمان وعشرون دولة في ذلك والعراق فيها مدافن للصحابة والتابعين لهم بإحسان وفيها مدافن لعلماء مشهورين فهل دافعت أوصَّدت هذه القبور ما فعلته الصليبية الحاقدة الصهيونية في هذا البلد المسلم . بل دخلت الجيوش إلى أفغانستان ولا زالت فيها ولم نغن عنهم مدافن الصالحين وغيرها . بل سفكت فرنسا دماء الجزائريين ما يقارب المليون ونصف المليون في الجزائر ولم

يدافع عنها لا غوث ولا قطب ومصر دخلها نابليون وضرب الأزهر بمدافعه ودخله بخيله ورجله وفيها من المقامات والأضرحة ولم تغن عنهم شيئاً وقل مثل ذلك في فلسطين وما يفعله اليهود الصهاينة من قتل وتشريد بالرغم من وجود مدافن كثير من الأنبياء ولم تغن عنهم أهلها شيئاً بل الزلازل والبراكين التي تضرب البلاد والصواعق والرعود والبروق والأعاصير وكلها ينتج عنها آلاف الموتى ولم نجد أثراً لقطب أو غوث أو وتد إذا علم هذا تبين أن الأسطورة المسماة بالغوث والقطب هي خرافة لا أساس لها من الصحة .

وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول : « ولهذا يقال : ثلاثة أشياء ما لها من أصل : باب النصيرية ، ومنتظر الرافضة ، وغوث الجهال» فالنصيرية تدعي في الباب الذي لهم ، ما هو من هذا الجنس ، أنه الذي يقيم العالم فذاك شخصه موجود ، ولكن دعوى النصيرية فيه باطلة وأنه محمد بن الحسين المنتظر ، والغوث المقيم بمكة ونحو هذا، فإنه باطل ليس له وجود »[1] .

* وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله « وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت »[2] .

قلت : أما وخرافة الأقطاب الأربعة التي ينشرها الصوفية في مصر بأنها محروسة بهم هي نفس الخرافة التي ينشرها صوفية اليمن حيث يقول بعضهم لولا أربعة أقطاب في اليمن لخسف الله بها .

ولكن هذا اليمني سمى أربعة آخرين « هم الشنقيطي وإبراهيم عقيل والهدار ومحمد بن على مرعي »[3] ولما لا تدخل الشام على الخط فليس بلد أحق من بلد

---

(١) « حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور » ص ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) « شرح الزرقاني على المواهب اللدنية » (٥ / ٣٩٧) .

(٣) هامش (١) ص ١٤٦ من تعليق الشيخ عقيل المقطري على «الصارم المنكي» للحافظ بن عبدالهادي .

ولا جهة أحق من جهة فهذا الكوثري الحنفي عفا الله عنا وعنه يزعم أيضاً أن الشام محروسة ومحاطة بأربعة أوتاد[(١)] .

ويزعم بعضهم أن المشايخ ينصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء قال أبو الحسن القرشي : إن أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء الشيخ معروف الكرخي ، والشيخ عبدالقادر الجيلي ، والشيخ عقيل المنبجي ، والشيخ حيوه بن قيس الحراني[(٢)] .

والغريب أن ينقل اليافعي في هذا الكلام دون تعقيب بل ويدافع وينافح عن الصوفية في كتابه مرآة الجنان ويحمل على الحافظ الذهبي في رده على الصوفية المخرفين.

* قال صاحب المنار عند تفسير قوله الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة : ٨٣]

يقول : « وأما قوله : ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ فهوا استثناء لبعض من كانوا في زمن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام أو في كل زمن ، فإنه لا تخلو أمة من الأمم من المخلصين الذين يحافظون على الحق بحسب معرفتهم وقدر طاقتهم ، والحكمة في ذكر هذا الاستثناء عدم بخس المحسنين حقهم وبيان أن وجود قليل من الصالحين في الأمة لا يمنع عنها العقاب الإلهي إذا فشا فيها المنكر وقلَّ المعروف ولو تدبر جهالنا هذه الآية لعلموا أنهم مغرورون بالاعتماد على الأقطاب والأوتاد والأبدال في تحمل البلاء عنهم ، ومنع العذاب أن ينزل بالأمة ببركتهم ، فلو

(١) « مقالات الكوثرى » ص ١٢٣.

(٢) « مرآة الجنان » (٢/٩٥) لليافعي .

فرض أن هؤلاء الأقطاب موجودون حقيقة فإن وجودهم لا يغني عن الأمة شيئاً وقد عصى الله جماهيرها ونقضوا ميثاقه الذي واثقهم به ، فقد جرت سنته تعالى في خلقه بأن بقاء الأمم عزيزة إنما يكون بمحافظة الجماهير فيها على الأخلاق والأعمال التي تكون بها العزة ويحفظ بها المجد والشرف ومن لم يعتبر بآيات الله في كتابه ، ولا يعتبر بآياته وسنته في خلقه ، فقد فتن المسلمون في دينهم ودنياهم وحل بجميع بلادهم ما حل من البلاء وهم لا يعتبرون : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد : ٢٤] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة : ١٣] »(١) .

الوجه الثالث والعشرون :

وأما دعواهم أن القطب يمد الناس ويعرفهم ويمد الأولياء ! فهذه عقيدة باطلة تدفعها النصوص والواقع .

ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذه الفرية والخرافة فيقول : « وكذلك ما يزعمة بعضهم من أن القطب الغوث الجامع ، يمد أولياء الله ، ويعرفهم كلهم ونحو هذا ، فهذا باطل ، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ولا يمدانهم فكيف بهؤلاء الضالين المغترين الكذابين ؟ ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم ، إنما عرف الذين لم يكن رآهم من أمته بسيماء الوضوء - وهو الغرة والتحجيل .. ومن هؤلاء من أولياء الله مما لا يحصيه إلا الله - عز وجل - ، وأنبياء الله الذين هو إمامهم وخطيبهم ، لم يكن يعرف أكثرهم ، بل قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر : ٧٨] وموسى لم يعرف الخضر والخضر لم يكن يعرف موسى ؛

(١) « تفسير المنار » (٣٠٢/١) .

بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر : وأني بأرضك السلام ؟ فقال له : أنا موسى قال : موسى بني إسرائيل ، قال : نعم ، وقد كان بلغه اسمه وخبره ، ولم يكن يعرف عينه ، ومن قال إنه نقيب الأولياء ، أو إنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل »[١] .



(١) « حكم زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور » ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٣)

الاعتصام برب البرية

من بدعتي الذكر باسم الله المفرد والحضرة الصوفية

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

القاهرة
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . أما بعد فإن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة في النار .

مضىٰ على درب رسول الله ﷺ أصحابه الكرام رضي الله عنهم ، وكانوا أعز أمة وأعظمها مكانة بين الناس ، لم يغيروا ولم يبدلوا ، بل حذروا من تنكب طريق الكتاب والسنة ، ومن الانخراط في البدع وأهلها ، فكانوا خير خلف لخير سلف ، ثم خلف من بعدهم خلوف ، شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله وتفرقوا شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، حيث استثقلوا التكاليف الشرعية ، واتبعوا أهواءهم ، فابتدعوا بدعا في العقائد والعبادات ، والأذكار والصلوات ما أنزل الله بها من سلطان .

ومن هذه الطرق التي تنكبت الطريق المستقيم الصوفية الطرقية حيث ابتدعوا لهم طقوسا وأحزابا وأورادا اشتملت على مخالفات كثيرة ، كما اخترعوا هيئات للذكر بالرقص تعرف بـ « **الحضرة الصوفية** » حيث يعقدونها في مساجدهم وزواياهم، وفي الموالد وغيرها يأخذ بعضهم في التمايل والرقص يمينا وشمالا ويصيح صياحا كالسباع الضواري بما يخرجه من حلقه ويذكر الله بذكر منحرف لا يمت إلى الذكر الشرعي بصلة وهذه الهيئة المنكرة التي أضحكت عليهم الكفار من الأجناس الأخرى بل وأضحكت السفهاء من أهل الملل ، لا يشك عاقل فضلا عن عالم بأن هذه الحضرات الصوفية من المحدثات في الدين وأبسط دليل على ذلك كونها تخالف هدى رسول الله ﷺ في الذكر .

والمتأمل في سلوك الطريقة يجد أن الحضرة عندهم حظيت بمزيد من الاهتمام بل هم يعتبرونها جزءا لا يتجزءا من برنامج الطريقة ولا استثني طريقه من الطرق الصوفية ، فما من طريقه من الطرق إلا وتجد أنها تعقد هذه الحضرة في موعد محدد إن لم يكن في الأسبوع أكثر من مرة فهي لا تقل عن مرة واحدة في الأسبوع ويعد المتخلف عن حضورها مقصرا غاية التقصير ، ومعرضا نفسه لغضب شيخ الطريقة ، فهم يحرصون على الحضور إليها أكثر من حرصهم على حضور صلاة الجماعة أو أو أشد ، وهذا يؤكد مقدار تغلغل هذه البدعة في نفوسهم .

من هنا كانت هذه الرسالة التي سميتها بـ « **الاعتصام برب البرية من بدعتي : الذكر باسم الله المفرد والحضرة الصوفية** » . وأعني بمفهوم « الحضرة » في عصرنا ما يطلقونه على التجمع لإقامة الذكر المنحرف على هيئة منكرة ، مع العلم أن لفظة « حضرة » تطلق في التراث الصوفي القديم على جمع الفناء في توحيد الربوبية . أي فناء العبد في الرب ليكون كما قيل :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

نعوذ بالله من الضلال !! غير أني لم أتعرض لها في هذه الرسالة . وقد تعرضت لبدعة أخرى هي بدعة الذكر باسم الله المفرد !!

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ولا يجعل لأحد فيه شيئا وأن يكتب الثواب لمن قرأ هذه الرسالة ولمن نشرها وطبعها ، وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

الإسماعيلية في ١/١٢/١٤٢٨هـ

مدخل

لتسأولات وكشف شبهة

قد يقول قائل : لماذا تحملون علي الطرق الصوفية في عقدهم لهذه الحضرات والجلسات ؟ ونحن نري كثيراً منهم يبتغون بذلك زيادة الخير والفضل !! وقد يتمتع الكثير منهم بالنية الحسنة !! دعوا القوم وشأنهم ، واتركوهم وحالهم ؟ لماذا لاتوجهون سهام اللوم والانكار الى الفساق وأهل المجون ممن يترك الصلوات وينتهك الحرمات؟ فلماذا تنكرون علي الصوفية ؟

أوليس هم يذكرون الله تعالي ؟ والجواب أن هذه الشبهة طالما سمعناها ممن يدافع عن الطرقية المتصوفة ولكنها بحمد الله شبهة مكشوفة .

ويمكن ردها من وجوه متعددة :

الوجه الأول :

أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا محاباة فيه لأحد بل الإنكار علي المتصوفة وغيرهم من المخالفين للشرع المطهر أمر لا يختلف عليه أهل العلم بالسنن والآثار فدين الله لابد أن يكون خالصاً لله عز وجل ولابد أن يكون صافياً من شوائب البدع والضلالات فنحن ننكر علي أهل الملة ارتكابهم للمحظور وترك المأمور، بل الإنكار علي الصوفية يتأكد لأنهم يعتقدون بعض البدع والضلالات والأفكار المنحرفة فيظنون بها أنهم على الجادة وليسوا كذلك لأن الشيطان زين لهم البدعة فهي أحب إليه من المعصية وشتان بين من يرتكب بدعة ينافح عليها ويدافع وبين من يرتكب مفسقاً يصبح به من عصاه الموحدين فالأول علي سبيل ضلالة، والثاني علي سبيل نجاه في الجملة ويرجي له التوبة مع علمه بأنه مخطئ وعاص بكبيرته وفاسق بها أما المبتدع فقلما يقلع عن بدعته ويتركها .

الوجه الثاني :

أننا لا نقطع بحسن نية الطرقية في أفعالهم وما يرتكبون من بدع فالقطع بذلك لا ينبغي لأن الاطلاع علي النوايا من خصائص علام الغيوب فهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فكيف يقطع لهم يحسن النوايا في أعمالهم المخالفة للشرع وهي أمور لا يعلمها إلا الله تعالي كما أن حسن النوايا لا يبرر المخالفات الشرعية .

الوجه الثالث :

ثم لو فرضنا حُسن النوايا في تلك الأفعال التي يقومون بها في الحضرات فهل النية الحسنة وحدها تكتفي في الحكم علي العمل بالصحة والشرعية أم لابد أن ينضم إلي ذلك اتباع الرسول ﷺ ؟

فالدين يقوم علي أصلين عظيمين :

أحدهما : أن لا نعبد إلا الله . والثاني : أن لا نعبده إلا بما شرع لا بالأهواء والبدع ولا بعبادات مبتدعة، وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، كما قال تعالي : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك : ٢] . وقال الفضيل ابن عياض : أخلصه وأصوبه قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتي يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون علي السنة، وذلك تحقيق قوله تعالي ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠][١] .

---

(١) قاعدة جليلة في التوصل والوسيلة ص ٢٦٩ .

الوجه الرابع :

أن وسائل التقرب إلي الله تعالي من طاعات وأقوال وأعمال ومعتقدات كلها محصورة في إطار الشرع المطهر فمن زاد عليها أمر فقد ابتدع وضل فمن اخترع صلوات وأذكار وهيئات للذكر معينة، وأثبت منها ما لم ترد به السنة ولا عمل به السلف الصالح فقد ابتدع في الدين، وضل عن الصراط المستقيم .

الوجه الخامس :

أن اعتقاد الطرقية بأن في الحضرة الصوفية زيادة خير وعمل هو في الحقيقة استدراك علي الشرع المطهر وبيان ذلك أن عقد هذه الحضرات بهذه الهيئات التي يزعمونها لو كانت مشروعة لجاءت عن رسول الله ﷺ فدعواهم أنها زيادة وخير هواستدراك علي النبي ﷺ واعتراف منهم بلسان الحال أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي ولا شك أن معتقد ذلك خارج عن ملة الإسلام، مفارق لجماعة المسلمين .

الوجه السادس :

أن دعواهم زيادة الخير في إقامة الحضرات دعوى باطلة مشابهة تماماً لدعوي من حكي الله عنهم اختراع وابتداع الرهبنة . قال الله تعالي :﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَـآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ٢٧].وقد ذكر القرطبي رحمه الله بأن المعني ماكتبناها عليهم ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله(١) .

وقال الشوكاني رحمه الله في معني الآية : « ماكتبناها نحن عليهم رأساً ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله »(٢) .

---

(١) تفسير القرطبي (٢٦٣/١٧)

(٢) فتح القدير (١٧٨/٥)

وعند التأمل في هذه الآيات ومعناها يمكن ملاحظة أن الله تعالي ذم أهل الرهبنة وهذا يدل علي أن حسن النية وحده لا يكفي في تصحيح العمل واضفاء الشرعية عليه وأن ادعاء زيادة الخير دون دليل شرعي لهو أمر في غاية الانحراف والضلال .

الوجه السابع :

لا يمكن الحكم علي فعل الطرقية هذا بأنه ذكر لله تعالي بل هو تلاعب وعبث من أفعال المجانين والسفهاء لا يمتري في ذلك عاقل وأما تشغيب الطرقية علي من ينكر عليهم ذلك بأن هذا الإنكار هو الإنكار علي من يذكرون الله فهذا باطل باطل وبيان ذلك أن ذكر الله تعالي لا يستطيع أحد أن يتفوه بتحريمه أو يزعم ذلك فنحن لا ننكر علي من يذكر الله ولكن ننكر عليه مخالفته للسنة في طريقة الذكر المشروع وهذا ينبغي أن يكون من القارئ علي بال وسوف أعطي أمثلة علي ذلك حتي يتضح الأ مر وينكشف زيف الطرقية من الصوفية حيث يتشبثون بعمومات في الأدلة دون نظر للمخصص أو تقيد للمطلق .

والعجب أنهم يستخدمون أسلوب التهييج علي من ينكر عليهم بدعهم فإذا أنكرت عليهم مثلاً العمل بمطلق حديث كهذا قالوا : هذا يحرم قراءة القرآن ولا شك أن هذا تشغيب ما بعده تشغيب .

وقل مثل ذلك فيمن ينكر عليهم ممارسة صلوات مبتدعة كصلاة الرغائب وصلاة عاشوراء وغيرها لو أنكرت عليهم شغبوا عليك بأنك تحرم الصلاة ويشيعون بين الناس هؤلاء يحرمون الصلاة والحق خلاف هذا التشغيب والتهييج الذي أرادوا من ورائه تشويه صورة المسلم المتبع .

وقل مثل ذلك فيمن ينكر عليهم ممارسة الصلاة علي النبي ﷺ بعد الأذان جهرة فتراهم يشوهون صورة من ينكر عليهم بأنه يحرم الصلاة علي النبي ﷺ وليس الأمر كذلك بل صرح كثير من العلماء بأن الصلاة علي النبي ﷺ جهرة بعد الأذان

كما يفعله بعضهم بدعة فتبين مما سبق أننا ننكر علي الطرقية مخالفتهم للسنة لا أصل الذكر وقراءة القرآن أو الصلاة علي النبي ﷺ بل الإنكار منصب علي مخالفتهم للسنة في كيفية الصلوات أو الذكر هيئة وطريقة أو اختراع أوراد ما أنزل الله بها من سلطان . فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد ضرب المنكدر بن عبد الله بن الهدير التميمي علي صلاة بعد العصر فقيل له : أعلى الصلاة؟ فقال : لا علي خلاف السنة(١) .

الوجه الثامن :

أن الإنكار علي الصوفية المخرفين أولي ويجب تقديمه لأن فيهم من ينشرون بدعاً وعقائد فاسدة ونشرها أخطر بلا شك من فعل الفساق ولهذا قالوا إن البدعة أحب إلي إبليس من المعصية فالمعصية يتاب منها وأما البدعة فقلما يتوب صاحبها .

الوجه التاسع :

يكفي القارئ أن يعرف تأثير هؤلاء الطرفية المخرفين في العوام حتى أصبح لهم نفوذ كبير في كثير من البلاد الإسلامية وأصبحوا يشكلون مناصب كبيرة في صنع القرار السياسي وبما يمثلونه من أعداد كبيرة في تلك البلاد ويكفي القارئ أن يعرف أن عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها يزيد علي عشرة ملايين(٢) فما بالك بالدول الآخري التي تضم أعدادا كبيرة منهم ولا شك أنهم يؤثرون بباطلهم في الناس لذا وجب التصدي لهم .

ومما ينبغي أن يعلم أن دعاة التصوف المنحرفين كثيرون في عالمنا ولهم تأثير

---

(١) رواه مالك الموطأ (٢٢/١) وأصله في البخاري (١٢٣٣) أن عمر كان يضرب الناس علي الصلاة بعد العصر أي صلاة الناقلة .

(٢) راجع : التجانية ص ٧ .

كبير علي العوام فهاهو عبد الله الحبشي الذي تلقي الطريقة النقشبندية يجيز في لبنان التقرب إلي الله تعالي بالرقص والغناء واستعمال الدف ويقول : إن إباحته عامة للرجال والنساء ويقول « والتخصيص بالنساء لا يشهد له العرف ولا الشرع كما أنه يجيز الاستغاثة بالأموات ويدعو إليها جهاراً نهاراً وينكر علي من ينكر التوسل البدعي وينعته بالوهابية وكراهية النبي ﷺ إلي آخر ما تفوه به الظالم لنفسه[١] حتى تعدي إلي الطعن في الصحابة وعلماء السلف »[٢] .

وكلما نشط دعاة المنهج السلفي في نشر العقيدة الصحيحة وسنة رسول الله ﷺ كلما انحسر دعاة الفتنة من الروافض والمخرفين من الصوفية .

إننا في سلوكنا مع مخالفينا من المتصوفة وغيرهم ننشد الدليل من الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم . وما أجمل ما قال ابن القيم رحمه الله : « إذا ظفرت برجل واحد من أولي العلم،طالب للدليل، محكم له، متبع للحق حيث كان، وأين كان، ومع من كان، زالت الوحشة وحصلت الألفة وإن خالفك؛ فإنه يخالفك ويعذرك . والجاهل الظالم يخالفك بلا حجة ويكفرك أو يبدعك بلا حجة، وذنبك : رغبتك عن طريقته الوخيمة وسيرته الذميمة، فلا تغتر بكثرة هذا الضرب، فإن الآلاف المؤلفة منهم؛ لا يعدلون بشخص واحد من أهل العلم، والواحد من أهل العلم يعدل ملء الأرض منهم »[٣] .

تنبيه

ولا يعنى الإنكار على الصوفية المخرفين أن نغمط الصوفية حقهم فالانتفاع

---

(١) راجع هذيان هذا الشخص وشبهاته في كتاب عبد الرحمن دمشقية : « شبهات أهل الفتنة وأجوبة أهل السنة » .

(٢) انظر :المصدر السابق ص ٣-٥ .

(٣) إعلام الموقعين (٣٠٨/١)

بالخير عن كل طائفة أمر ينبغي أن يكون ديدن المسلم فلا يمنعه وجود بعض الأخطاء والشطح عند الصوفية أن ينتفع المرء ببعض الكلمات التي قالها بعضهم بل وأهل الشطح وغيرهم إن قالوا كلام حق وصدق وجب قبوله من باب الإنصاف .

ولهذا قال ابن القيم بعد أن ذكر شطح الصوفية : « وهذه الشطحات أوجبت فتنة على طائفتين من الناس ، أحدهما : حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة ، لطف نفوسهم ،وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل الشطحات ، وأنكروها غاية الإنكار وأساؤوا الظن بهم وهذا عدوان وإسراف ، فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة ، وأهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم وتعطلت معالمها ثم ذكر ابن القيم الطائفة الثانية التي قبلت كل ما عند الصوفية من حق وباطل وهؤلاء معتدون مفرطون » ، ثم قال : « والطائفة الثالثة وهم أهل العدل الإنصاف الذين أعطوا كل ذي حق حقه وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته ، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول ،ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح بل قبلوا ما يقبل ، وردوا ما يرد »(١) .

قلت : بل العدل والإنصاف أن يحكم على ما يقال من خلال الكتاب والسنة ولو كان هذا القائل من اليهود والنصارى وهذا هو العدل والصدق ، و قد قل الإنصاف في هذه العصور . ورحم الله الإمام مالك حيث يقول في زمانه : « ما في زماننا شيء أقل من الإنصاف »(٢) .

فكيف لو رأى أهل هذا الزمان . قال ابن عبد البر رحمة الله : « من بركة العلم الإنصاف فيه ومن لم ينصف لم يَفْهم ولم يُفْهِم »(٣) .

---

(١) مدارج السالكين (٢/٣٩-٤٠) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/١٣١)

(٣) المصدر السابق (١/١٣١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند قوله : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ [المائدة : ٣] : « نزلت هذه الآية بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به ، فإن كان البغض الذي أمر الله به ، قد نهى صاحبه أن يظلم من أبغضه ، فكيف في بغض مسلم بتأويل أو شبهة أو بهوى نفس ، فهو أحق أن لا يظلم بل يعدل عليه[١] .

وقال ابن القيم رحمه الله « والله تعالى يحب الإنصاف ، بل هو أفضل حليه تحلى بها الرجل ، وخصوصا من نصب نفسه حكما بين الأقوال والمذاهب وقد قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى : ١٥] فورثة الرسول ﷺ منصبهم العدل بين الطوائف وألا يحمل أحدهم مع قريبه وذوى مذهبه ، وطائفته ، ومتبوعة ، بل يكون الحق مطلوبة ، يسير بسيره وينزل بنزوله ويدين بدين العدل والإنصاف[٢] .

ثم يعلمنا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كيفية التعامل بالإنصاف مع المخالفين حتى في المعتقد فيقول في كلام ممتع : « والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق وألا نقول عليه إلا بعلم ، وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني فضلا عن رافضي قولا فيه حق أن نتركه أو نرده كله بل لا نرد إلا ما فيه باطل دون ما فيه من الحق بل إن الولاء يكون للمؤمن بحسب ما فيه من طاعة »[٣] .

ويقول أيضا : « إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية ، وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجمع الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة

---

(١) منهاج السنة (١٢٧٥/٣) .

(٢) إعلام الموقعين (١٢٦/٣-١٢٧) .

(٣) منهاج السنة (٣٤٢/٢-٣٤٣)

، فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته ، وهذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه فلم يجعلوا الناس إلا مستحقا للثواب فقط، وإلا مستحقا للعقاب فقط ،وأهل السنة يقولون إن الله يعذب بالنار من أهل الكبائر من يعذبه ، ثم يخرجهم منها بشفاعة من يأذن له في الشفاعة بفضل رحمته »[(١)] .

ومن الإنصاف ما ذكره العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يقول : « وقد قدمنا في سورة مريم ما يدل على أن بعض الصوفية على الحق ولا شك أن منهم ما هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبذلك عالجوا أمراض قلوبهم وحرسوها وراقبوها وعرفوا أحوالها وتكلموا على أحوال القلوب كلامًا مفصلا كما هو معلوم ، كعبد الرحمن بن عطية أو ابن أحمد بن عطية أو ابن عسكر أعني أبا سليمان الداراني – وكعون ابن عبدالله الذي كان يقال له حكيم الأمة وأضرابهما وكسهل بن عبدالله التستري وأبي طالب المكي وأبى عثمان النيسابوري ويحي بن معاذ الرازي ، والجنيد بن محمد ومن سار على منوالهم لأنهم عالجوا أمراض أنفسهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا يحيدون عن العمل بالكتاب الله والسنة ظاهرا وباطنا ، ولم تظهر منهم أشياء تخالف الشرع فالحكم بالضلال على جميع الصوفية لا ينبغي ولا يصح على اطلاقه ، والميزان الفارق بين الحق والباطل في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فمن كان منهم متبعا لرسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وهديه وسمته ، كمن ذكرنا وأمثالهم فإنهم من جمله العلماء العاملين ولا يجوز الحكم عليهم بالضلال ،وأما من كان على خلاف ذلك فهو الضال ،نعم صار المعروف في الأونة الأخيرة وأزمنة كثيرة قبلها بالاستقراء أن عامة الذين يدعون التصوف في أقطار الدنيا إلا من شاء الله منهم دجاجله يتظاهرون بالدين ليضلوا

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٩-٢١٠)

العوام الجهلة وضعاف العقول من طلبة العلم ليتخذوا بذلك أتباعا وخدما وأموالا وجاها وهم بمعزل عن مذهب الصوفية الحقة ، ولا يعلمون بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، واستعمارهم لأفكار ضعاف العقول أشد من استعمار كل طوائف المستعمرين ، فيجب التباعد عنهم والاعتصام من ضلالتهم بكتاب الله وسنه نبيه ولو ظهر على أيديهم بعض الخوارق ، ولقد صدق من قال :

إذا رأيــت رجــلا يــطــيــر وفــوق مــاء الــبــحــر قــد يــســيــر
ولم يــقــف عــن حــدود الــشــرع فــإنــه مــســتــدرج أو بــدعــي

والقول الفصل في ذلك هو قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٣-١٢٤] فمن كان عمله موافقا لما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام فهو المهتدي »(١) .

قلت : هذا هو المنهج المعتدل ، لا منهج من يبخس الناس حقوقهم ، فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء ،والحسنة بين سيئتين فالزم هذا الطريق والمنهج ولا تك باغيا في حكمك على الناس وأقبل الحق ولو كان من بعيد بغيضا واردد الباطل ولو كان من حبيب قريباتفلح في الدنيا والآخرة إن شاء الله .

قال الشيخ خلدون مكي الحسني : « الصوفية مصطلح له عموم وخصوص ، أما من حيث العموم فهو يُطلق على كل من كان زاهداً أو عابداً أو متنسكاً متواضعاً ، وهذا الإطلاق حصل على أزمنة متأخرة عن زمن الزهاد والعبّاد الأوائل . وأما من حيث الخصوص فهو يُطلق على طائفة وضعت لنفسها قواعد فلسفية عالجت

---

(١) أضواء البيان (٢١/١٧٤) .

انطلاقا منها نصوص الشريعة الإسلامية ، فخرجت بمفاهيم جديدة تعارض الأصول الشرعية ، وانحرفت عن الإسلام انحرافاً كبيراً ، ومن بين أهل العموم والخصوص برزت طائفة من الصوفية يشتركون مع القاسم الأول في العبادة والزهد ، ولكنهم متلبّسون ببدع كثيرة ويكثر فيهم الجهل ، وفي الوقت نفسه يحسنون الظن برجال القسم الثاني المنحرف ، ولذا لا يقبلون أي نقد لهم . كما برزت طائفة أخرى لا تعرف الزهد ولا العبادة ولا الأخلاق الحميدة ، وضاعت عندهم جميع المبادئ الإسلامية . وإنما تستروا بالتصوف ليضمنوا وجودهم في مجتمعات المسلمين التي تتقبل التصوف بوجهٍ عام »[1].

ومن الفواقر أنك إذا أنكرت على الصوفية ما هم فيه من الخرافات والبدع أطلقوا عليك ألقابا بدعية هذا متطرف ، هذا وهابي هذا كذا وكذا كما يطلق العلمانيون على أصحاب الاتجاه الإسلامي ألقابا هم أحق بها وأهلها حيث يؤلبون الحكومات والحكام على الأبرياء من الدعاة إلى الله عز وجل وقد أحسن من قال :

أو كان إرهابا جهاد نبينا	أم كان حقا بالكتاب مصدقا
أتطرف إيماننا بالله في	عصر تطرف في الهوى وتزندقا
إن التطرف ما نرى من قومنا	من صانع الكفر اللئيم وأطرقا
إن التطرف ما نرى من ظالم	أودى بأحلام الشعوب وأرهقا
إن التطرف أن نذم محمداً	والمقتدين به ونمدح عفلقا
إن التطرف أن يظل رصاصنا	متلعثما ورصاصهم متفيهقا



(١) كتاب « إلى أين أيها الحبيب الجفري » لخلدون مكي .

فصل

في تعريف الذكر

يقول ابن الأثير : « وقد تكرر الذكر في الحديث ويراد به تمجيد الله تعالى وتقديسه وتسبيحه وتهليله والثناء عليه بجميع محامده »[١] .

فالأذكار النبوية متضمنة الثناء على الله عز وجل والتعرض للدعاء والسؤال ،لهذا فإن حاجة القلب لذكر الله تعالى حاجة ضرورية ومن بديع كلام شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله : « الذكر للقلب كالماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء »[٢] .

ولا يقتصر الذكر على التسبيح والتهليل والتمجيد بل كل طاعة تعد ذكراً . قال النووي رحمه الله : « واعلم إن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها ،بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى كذا قال سعيد بن جبير رحمه الله وغيره من العلماء وقال عطاء رحمه الله : مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام ، كيف تشترى وتبيع ، تصلى وتصوم وتنكح وتطلق وتحج وأشباه هذا . »[٣] .

وتتفاوت درجات الذكر بتفاوت معانيها



---

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٦٣) .

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٨٥) .

(٣) الأذكار ص ٩ للنووي .

فصل

في فضل ذكر الله تعالى وثواب الذاكرين الله والذاكرات

من أعظم العبادات ، وأرفعها في الدرجات ذكر الله تعالى ولا يعلم مدى ثواب الذاكر لله إلا الله عز وجل قال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٤١-٤٢] . وبيّن الله تعالى الثواب والأجر العظيم للذاكرين الله كثيرا والذاكرات فقال ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] . ونهى عن الغفلة عن ذكره وعدها من الخسران المبين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون : ٩] . وقال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٤١] .

قال البغوي رحمه الله « أي بالليل والنهار وفي البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية »(١) . و قال الحافظ ابن حجر : « الذكر يقع تاره باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ، ولكن يشترط ألا يقصد به غير معناه ، وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل ،فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ، ونفي النقائص عنه ازداد كمالا »(٢) .

* وقال ابن كثير رحمه الله « إن الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم هم الذين لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم »(٣).

(١) تفسير البغوي معالم التنزيل (٦ . ٣٦) .

(٢) فتح الباري (٢٤٥/١٣) .

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٣٨) .

وذكر عاقبة من أعرض عن ذكره فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤] .

وأما الأحاديث النبوية فقد ذكر فيها بيان عظم ذكر الله تعالى فمن ذلك قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه »(١) .

فالذاكر في معية الله تعالى وكفي بذلك شرفا ورفعة وكرما .

فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله في من عنده »(٢) .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت »(٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « سبق المفردون قالوا : ما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات »(٤) .

ومن ذلك قوله ﷺ : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، و أرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ؛ قال : ذكر الله »(٥) .

---

(١) رواه البخاري (١٧١/٨) ومسلم (٢٠٦١/٤) واللفظ للبخاري .

(٢) رواه مسلم (٢٠٧٤/٤) .

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٧) ومسلم (٥٣٩/١) .

(٤) رواه مسلم (٢٠٦٢/٤) .

(٥) رواه أحمد (١٩٥/٥) والترمذي (٣٣٧٤) وابن ماجة (٣٧٩٠) ، وغيرهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

وعن عبد الله رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله إن أبواب الخير كثيرة ، ولا أستطيع القيام بكلها ، فأخبرني بشيء أتشبث به ، ولا تكثر على فأنسى . وفي رواية : إن شرائع الإسلام قد كثرت على وأنا قد كبرت ، فأخبرني بشيء أتشبث به قال : « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى »(١) .

ومن فضائل الذكر : ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة سيارة و فضلا ؟(٢) يلتمسون مجالس الذكر في الأرض ، فإذا أتوا على مجلس ذكر حف بعضهم بعضا بأجنحتهم إلى السماء فيقول الله تعالى : من أين جئتم؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويسألونك ويستجيرونك ، فيقول : ما يسألون ؟ وهو أعلم ، فيقولون : يسألون الجنة ، فيقول وهل رأوها ؟ فيقولون : لا يارب ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ ثم يقول : ومم يستجيروني ؟ وهو أعلم بهم ، فيقولون من النار ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ ثم يقول : اشهدوا أنى قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوني ، وأجرتهم مما استجاروني ، فيقولون : ربنا إن فيهم عبدا خطاء جلس إليهم وليس منهم ، فيقول : وهو أيضا قد غفرت له ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »(٣) .

قال ابن القيم : مجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين ، وكل مضاف إلى شكله وأشباهه ، وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه(٤) .

وهذا الحديث فيه فوائد كثيرة .

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٧٥) وابن ماجة (٣٧٩٣)

(٢) فضلا بضمتين أو بضم فسكون أو بفتح فسكون أي ملائكة زائرين ولا وظيفة لهم سوى حلق الذكر . فتح الباري (١١/٢١٣)

(٣) رواه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩)

(٤) الوابل الطيب (ص : ١٥٨)

قال الحافظ رحمه الله : « وفي الحديث فضل مجالس الذكر والذاكرين ، وفضل الاجتماع على ذلك ، وأن جليسهم يندرج في جميع ما يتفضل الله تعالى به عليه إكراما لهم ولو لم يشاركهم في أصل الذكر وفيه محبة الملائكة بني آدم واعتناؤهم بهم : وفيه أن السؤال قد يصدر من السائل وهو أعلم بالمسئول عنه ، والتنويه بقدره ، والإعلان بشرف منزلته ، وقيل : إن في خصوص سؤال الله الملائكة عن أهل الذكر الإشارة إلى قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] فكأنه قيل لهم انظروا إلى ما حصل منهم من التسبيح والتقديس ، مع كل ما سلّط عليهم من الشهوات ووساوس الشيطان وكيف عالجوا ذلك وضاهوكم في التسبيح والتقديس ، وقيل إنه يؤخذ من هذا الحديث أن الذكر الحاصل من بني آدم أعلى وأشرف من الذكر الحاصل من الملائكة لحصول ذكر الآدميين مع كثرة الشواغل ، وصدوره في عالم الغيب بخلاف الملائكة في ذلك كله ؛ وفيه بيان كذب من ادعى من الزنادقة أنه يرى الله تعالى جهرا في دار الدنيا . ... وفيه جواز القسم في الأمر المحقق تأكيدا له ، وفيه أن الجنة اشتملت على أنواع الخيرات والنار على أنواع المكروهات فوق ما وصفتا به ، وأن الرغبة والطلب من الله ، والمبالغة في ذلك من أسباب الحصول »[١] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى . قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه ، فقال : (ما أجلسكم ؟) قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا . قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا :

(١) فتح الباري (١١/٢١٣)

والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ؛ ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة »[١] .

قال ابن القيم : « فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده محبته له ، وأن له مزية على غيره من الأعمال »[٢] .

وقد ذكر ابن القيم رحمة الله في كتابه القيم « الوابل الصيب » فوائد ذكر الله عز وجل فأفاد وأجاد .



(١) رواه مسلم (٢٧٠١) .

(٢) الوابل الصيب (ص : ١٥٩) .

فصل

في أن النبي ﷺ هوالذي تولى بيان كيفية ذكرالله تعالى

لقد سبق في الآيات السابقة والأحاديث بيان فضل الذكر والذاكرين الله تعالى والذاكرات وهى نصوص مجملة كما رأيت وتحتاج إلى بيان وتفصيل لهذا الإجمال ولا شك أن من قام بهذا البيان وكشف هذا الإجمال هو نبينا محمد ﷺ حيث قال تعالى له : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

وقال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] . وقد بين النبي ﷺ كيفية الصلاة والحج والعمرة وأداء الزكاة ومقاديرها وغير ذلك فلم يترك شيئاً إلا وبينه للأمة الإسلامية وبيان كيفية الذكر قولاً وعملاً قد وردت عن النبي ﷺ فلم يدع لأحدٍ مجالاً ليزيد أوينقص في ذلك فقام رسول الله في بيان ذلك خير قيام،فقد أثر عنه في مواطن كثيرة أذكار معينة وقد خصص العلماء لها الكتب وشرحوها وبينوا معانيها والناظر في كتب الأذكار يجد شمول هذه الأذكار لجميع أحوال المسلم وتصرفاته في حياته اليومية .

ونظرة عجلي في كتاب الأذكار للإمام النووي وهو من أمتع المصنفات في هذا الباب يجد القارئ أبواب كثيرة من الأذكار ، وهذا بعضها : (باب ما يقول من سمع المؤذن والمقيم) ، (باب الدعاء بعد الأذان) (باب التعوذ بعد دعاء الاستفتاح) (باب الأذكار بعد الصلاة) (باب ما يقول إذا لبس ثوبه) (باب ما يقول إذا لبس ثوباً أو نعلاً جديداً) (باب أذكار المرضى والموت) (باب الأذكار المشروعة في العيدين) ، (باب ما يقول إذا نزل المطر) (باب ما يقول إذا سمع صياح الديك ونهيق الحمار ونباح الكلب) (باب ما يقوله عند القيام من المجلس)،(باب الذكر في الطريق) (باب ما يقول بعد نزول المطر) (باب أذكار

الصباح والمساء) وغيرها من الأبواب كثير وكثير[١] .

والسؤال الذي يطرح نفسه إذا كان هذا هو هدى رسول الله ﷺ في ذكره لربه عز وجل وهو أن يذكر الله تعالى على كل أحيانه ﷺ فهل يليق بمن قرأ هدى رسول الله ﷺ في الذكر الشرعي أن يركن إلى حضرات الطرقية المنكرة والتي لا فائدة فيها ؟ فالحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وبيان أوامر الله عز وجل فما ترك من شيء يقربنا إلى الله إلا وأمرنا به وبينه وما ترك من شيء يباعدنا عن الله وجنته إلا ونهانا عنه فجزاه الله خير ما جازى نبياً عن أمته ورسولاً عن قومه .



(١) راجعها : في كتاب الأذكار للنووي .

فصل

في الإنكار على الطرقية اختراع أوراد وأذكار مخالفة لهدي النبي ﷺ

هذا وقد انتشرت في الأسواق عشرات من الأوراد والكتيبات التي تلزم المسلم بتلاوة ورد من الأوراد في يوم أو ساعة معينة من الساعات أو تلزم الأشخاص بكيفية من كيفيات الصلاة على النبي ﷺ كصلاة الفاتح المنتشره والأوراد القادرية وغيرها عند التيجانية وكثير من الصيغ الواردة في كتاب دلائل الخيرات[1] للجزولي ولا شك أن انتشار هذه الكتب يساعد على الأعراض عن الأذكار المشروعة والصيغ الواردة عن النبي ﷺ في الصلاة والسلام عليه ذكرها وجمعها العلامة ابن القيم في جلاء الأفهام والسخاوى في القول البديع ، وابن حجر الهيتمي في الدر المنضود والشيخ الألباني رحمه الله في صفة الصلاة وغيرها من الكتب ولا شك أن خير الهدى هدى محمد ﷺ . وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل يدعو بدعاء يقول فيه : « بسم الله ربنا تبارك حيطاننا يس سقفنا » .

فأجاب : « هذا الدعاء المسئول عنه ليس بمأثور والمشروع للإنسان أن يدعوا بالأدعية المأثورة فإن الدعاء من أفضل العبادات ، وقد نهانا الله عن الاعتداء فيه فينبغي لنا أن نتبع فيه ما شرع وسن كما أنه ينبغي لنا ذلك في غيره من العبادات والذي يعدل عن الدعاء المشروع إلى غيره وإن كان من أحزاب بعض المشايخ الأحسن له ألا يفوته الأكمل والأفضل وهي الأدعية النبوية لأنها أفضل وأكمل

---

(١) وهذا الكتاب اشتمل على أخطاء كثيرة وقد تتبع أخطاء هذا الكتاب الشيخ خير الدين وانلي في كتابه « دليل الخيرات وسبل الجنات » وكذا الشيخ عبد الدويش في كتاب « الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات » .

باتفاق المسلمين من الأدعية التي ليست كذلك ، وإن قالها بعض الشيوخ فكيف يكون في عين الأدعية ما هو خطأ أو إثم أو غير ذلك ومن أشد الناس عيباً من يتخذ حزباً ليس بمأثور عن النبي ﷺ ، وإن كان حزباً لبعض المشايخ ويدع الأحزاب التي كان يقولها سيد ولد آدم وإمام الخلق وحجة الله على عبادة والله أعلم »(١) .

ومن الفواقر ما نجده في كتب الطرقية حيث يدعى بعضهم صيغ للصلاة على النبي ﷺ قد اخترعها القوم من قبل أنفسهم وادعوا لها الفضل والأجر وكل منهم يزعم أنه تلقاها من رسول الله ﷺ يقظة وبعضهم تلقاها من الملك ثم يلزمون أتباعهم بقراءتها في الحضرة الصوفية .

فهذه صلاة الفاتح التي يعظمها التجانية في أورادهم ويخترعون لها فضائل تربو على فضائل القرآن بزعمهم كما سيأتي بيانه وقبل الكلام عليها أسردها لك ثم أعقب عليها بكلام أهل العلم وهاك نصها : « اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، الخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم »(٢) .

واستمع إلى أحدهم وهو يبن مصدر هذه الصلاة فيقول « صلاة الفاتح لما أغلق لم تكن من تألف البكري ،ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات ... فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور »(٣) .

قلت : هل تصدق هذا الهراء ، أوحى بعد رسول الله ﷺ ؟! عجباً .

(١) مجموع الفتاوى (٢٢/٥٢٥) .

(٢) أحزاب وأوراد القطب التجاني ص ١١ ، الدار السنية في شروط وأحكام وأوراد الطرقية التيجانية ص ١١ لمحمد سعد الرباطي .

(٣) جواهر المعاني في فيض أبي العباس التجاني (١/١٣٧-١٣٨) على حرازم برادة .

ومن أشنع ومستبشع الأقوال ما ذكره التجاني في ثواب هذه الصلاة حيث يقول : « واعلم أن كل ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية ، لو توجهت بجميعها مائة ألف عام كل يوم تذكرها مائة ألف مرة وجميع ثواب ذلك كله ما بلغ مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق « فإن كنت تريد نفع نفسك للآخرة ، فاشتغل بها على قدر جهدك ، فإنها كنز الله الأعظم »[(١)] .

قلت : انظر كيف يصرف هذا الشيطان الناس عن صيغ الصلاة على النبي ﷺ المأثورة عنه ﷺ كما يخترع التيجاني الثواب والأجر لمن يردد صلاة الفاتح لما أغلق أرأيت جهلاً أعظم من هذا وبدعة أشد مقتا من هذه البدعة ؟ وإذا كانت صلاة الفاتح لما أغلق هي الكنز الأعظم كما يزعم التجاني فكيف خفي هذا الكنز على سيد ولد آدم ﷺ ونزل به الملك على البكري الذي أعطاه بدوره للتجاني لينشره بين الناس ؟! إن هذا الهراء والهوس ينبغي أن تطهر منه عقول الناس، وينبغي أن يفضح مرتكبوه ، حتى لا يروج هوسهم على الناس . ثم تهيأ أخي القارئ إلى الداهية الكبرى والزعم الباطل الذي تفوه به التجاني في فضل هذه الصلاة المزعومة حيث يقول : كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو : أن المرة الواحدة منها بستمائة ألف صلاة ... إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات ، تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها ... ثم أمرني ﷺ بالرجوع إلى صلاة الفاتح لما أغلق . . فأخبرني أولاً بأن المرة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أوصغير ومن القرآن ستة آلاف مرة[(٢)] .

---

(١) المصدر السابق (٢/١٨٣) .

(٢) جواهر المعاني (١/١٣٥-١٣٦) .

قلت : ما ذكره التجاني هنا محض تخرص وكذب لا يروج إلا على السذج البسطاء الجهلاء مسلوبي العقول والإرادة .

ويقول أيضاً : « من صلى بها - أي بالفاتح لما أغلق - مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك ستمائة ألف صلاة ، من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها »[(١)] بل يزعم التجاني أن الأوراد التي يقولونها هي الكرت والصك لدخول الجنات بغير حساب ولا عقاب .

يقول : « كذلك كل من أخذ وردنا يبعث من الأمنين ويدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه وذريته المنفصلة عنه »[(٢)] .

يقول الأستاذ محمد أحمد لوح تعليقاً على هذه الأوراد التجانية : « إن الواقف على هذا الكلام لن يأخذه الاستغراب إذا وجد المسلمين في أكثر بقاع الأرض معرضين عن الأذكار والصلوات النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ في الوقت الذي يتمسكون بأوراد المشايخ ويعضون بالنواجذ أملين أن يحصلوا على هذا الثواب الذي لو فكروا قليلاً لأدركوا أنه لا يعدو أن يكون دعاوى عارية لا حجة عليها من الشرع ، بل باطلة لأنها تتضمن أن ما يحصل عليه هذا الذاكر المبتدع يفوق ما يحصل عليه كل ذاكر من الجن والإنس والملائكة من أول العالم إلى وقت تلفظ الذاكر بها بمن فيهم الأنبياء وأصحابهم ، ولأنها تتضمن تفضيل هذا الذكر على القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »[(٣)] .

ومن الهراء الذي ينشره التجانية بين الناس أهمية المواظبة على هذه الصلاة حتى

---

(١) جواهر المعاني (١/١٣٧) .

(٢) المصدر السابق (٢/١٦٢) .

(٣) تقديس الأشخاص (١/٢٩٣ ، ٢٩٤) .

قال أحد التجانية « لقنوا الناس صلاة الفاتح ليموتوا على الإيمان »[١] .

وقبل أن نترك الكلام على هذه الصلاة لابد من نقد هذه الصلاة حيث تجرد لذلك أحد التجانية ممن هداه الله تعالى إلى الحق وتركها وهو الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المغربي الأصل حيث يقول رَحِمَهُ اللَّهُ « كيف يقول تعالى : اللهم صلى على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ... الخ ؛ لأن الله هو السيد ومحمد عبده ورسوله ﷺ فلا يليق بذي الجلال والأكرام أن يخاطب نفسه ويقول : اللهم صلى على سيدنا محمد . . . فإن قالوا : إن الله سبحانه وتعالى أنشأ هذه الصلاة لعبادة لا لنفسه فلا يلزم ما ألزمتمونا به ، قلنا : لو كان الأمر كذلك لقال الله تعالى فيما أوحى به إلى البكري أو كتبه له قلم القدرة يا أيها البكري قل لعبادي يقولوا اللهم صلى على سيدنا محمد . . . كما قال تعالى لخاتم النبيين : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء : ٥٣] »[٢] .

قلت : وعند التجانية ورد آخر يسمونه ، جوهرة الكمال « وهي صيغة أخرى للصلاة على النبي ﷺ فيها من المخالفات الشرعية ما فيها يزعم فيها الشيخ الرباطي أن التجاني تلقاها من النبي ﷺ يقظة لا مناماً »[٣] .

وكذا اخترعوا لها ثواباً وفضائل وأحكاما لمن قرأها على طهارة مائية وغير ذلك ونشر ثوب أبيض في المكان الذي تتلى فيه والجلوس عليه . وغير ذلك من البدع والعجب أنهم يزعمون أن من قالها ضمن له الموت على الولاية وفيها من المخالفات الشرعية ما فيها وفيها وصف للرسول الأعظم ﷺ بصفة لا تليق وقد تصدي أيضاً لنقدها الشيخ محمد تقي الدين الهلالي فانظر نقده لها في

---

(١) الدرر السنية ص ٢٤ .

(٢) الهدية الهادية ص ١٠٦ لتقي الدين الهلالي .

(٣) الدرر السنية (ص٢٥) .

كتابه الهدية الهادية[١] .

ومن الأوراد أيضاً المشتملة على كثير من المخالفات كتاب دلائل الخيرات للجزولي وفيه ما فيه من المجازفات والغلو والتعدي ويكاد هذا الكتاب أن يكون للطرقية الأساس الأول في أورادهم للصلاة على النبي ﷺ وقد هاجم العلامة أبو بكر العربي الذين يخترعون الأوراد والأدعية وينسبونها إلى الأنبياء والصحابة فقال « وقد احتال الشيطان الناس في هذا المقام ، فقيض له قوم سوء يخترعون لهم أدعية يشتغلون بها عن الاقتداء بالنبي ﷺ ، وأشد ما في الحال أنهم نسبوها إلى الأنبياء ، فيقولون : دعاء آدم ،دعاء نوح ، دعاء إدريس ، دعاء يونس ، دعاء أبي بكر الصديق ، فاتقوا الله في أنفسكم ، ولا تشتغلوا من الحديث بشيء إلا بالصحيح منه » [٢] .

وإن تعجب فعجب من صاحب إحياء علوم الدين حيث يزعم أن الذاكر قد يسمع كلام الله مباشرة في خلوته يقول « وذهبت الصوفية إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية فيجلس فارغ القلب مجموع الهم يقول الله..الله..الله على الدوام فليفرغ قلبه ولا ينشغل بتلاوة ولا كتب حديث !! قال : فإذا بلغ هذا الحد التزم الخلوة في بيت مظلم وتدثر (تغطى) بكسائه فحينئذ يسمع نداء الحق بـ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ .

وقد تعقّب الذهبي هذا الكلام فقال : قلت : سيد الخلق إنما سمع يأيها المدثر من جبريل عن الله وهذا الأُحمق لم يسمع نداء الحق أبداًبل سمع شيطانًا أوسمع شيئًا لا حقيقة من طيش دماغه والتوفيق في الاعتصام بالسنة والإجماع »[٣] .



---

(١) ص ١١٠ - ١١ .

(٢) المسالك شرح موطا مالك (٣/٤٨٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء(١٩/٣٢٢)

فصل

في فضائل وفوائد الصلاة من السلام على النبي ﷺ

إن هذه الشعيرة العظيمة أعني الصلاة والسلام على النبي ﷺ لها فضائل وفوائد جمة تعود على العبد في دينه ودنياه بالنفع العميم والخير العظيم ، وقد جمع ابن القيم رحمه الله منها أربعين فائدة من خلال ما وقع له من أحاديث وآثار واستنباط من الأحاديث والآثار وسوف ننقل بعضها هنا ليحرص العبد على مداومته على الصلاة والسلام على النبي المختار بأبي هو وأمي ﷺ .

وهاك بعض هذه الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة والسلام عليه[١] :

الأول : امتثال أمر الله سبحانه تعالى .

الثاني : موافقة سبحانه في الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلفت الصلاتان ، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال ، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف .

الثالث : موافقة ملائكته فيها .

الرابع : حصول عشر صلوات من الله على المصلى مرة .

الخامس : أن يرفع له عشر درجات .

السادس : أن يكتب له عشر حسنات .

السابع : أن يمحى عنه عشر سيئات .

العاشر : أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها (بسؤال) الوسيلة له أو أفردها .

الحادي عشر : أنها سبب لغفران الذنوب .

الثانية عشرة : أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه .

---

(١) لخصنا هذه الفوائد من جلاء الأفهام لابن القيم من ص ٦١٠ - وما بعدها .

الثالثة عشره : أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة .

الرابع عشره : أنها سبب لقضاء الحوائج .

الخامس عشر : أنها سبب لصلاة الله على المصلى أو صلاة ملائكته عليه .

السادسة عشر : أنها زكاة للمصلى وطهارة له .

السابعة عشر : أنها سبب لرد النبي ﷺ على المصلى والمسلم عليه .

الثامنة عشر : أنها سبب لطيب المجلس ، وأن لا يعود حسرة على أهله يوم القيامة

التاسعة عشر : أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره .

العشرون : أنها سبب لنجاة العبد من الدعاء عليه برغم الأنف إذا تركها عند ذكره ﷺ .

الحادية والعشرون : أنها ترمى صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها .

الثانية والعشرون : أنها تنجي من فتن المجلس الذي لا يذكر الله تعالى ورسوله ﷺ ، ويحمد الله ويثنى عليه فيه ، ويصلى على رسوله ﷺ .

الثالثة والعشرون : أنها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلى عليه بين أهل السماء والأرض ، لأن المصلى طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه ، والجزاء من جنس العمل فلابد أن يحصل للمصلى نوع من ذلك .

الرابعة والعشرون : أنها سبب للبركة في ذات المصلى ، وعمله وعمره وأسباب مصالحه ؛ لأن المصلى داع ربه أن يبارك عليه ، وعلى آله وهذا الدعاء مستجاب ، والجزاء من جنسه .

الخامسة والعشرون : أنها سبب لنيل رَحِمَهُ اللَّهُ .

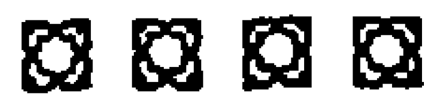
السادسة والعشرون : أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها ،

وذلك عقد من عقود الإيمان لا يتم إلا به لأنه العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له ، وتزايد شوقه إليه واستولى على جميع قلبه .

السابعة والعشرون : أنها سبب لهداية العبد وحياة قلبه ، فإنه كلما أكثر العبد الصلاة عليه وذكره استولت محبته على قلبه ... ولهذا كانت صلاة أهل العلم العارفين بسنته وهدية المتبعين له عليه خلاف صلاة العوام عليه الذين حظهم منها إزعاج أعضائهم بها ورفع أصواتهم ، وأما أتباعه العارفون بسنته ، والعالمون بما جاء به ، فصلاتهم عليه نوع آخر ، فكلما ازدادوا فيما جاء به معرفة ، ازدادوا له محبة ومعرفة بحقيقة الصلاة المطلوبة له من الله .

الثامن والعشرون : أنها متضمنة لذكر الله عز وجل وشكره ، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله .

التاسعة والعشرون : أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء .



فصل

في بعض صيغ الصلاة على النبي ﷺ الواردة في السنة الصحيحة

لما كانت الصلاة والسلام على النبي ﷺ من الأمور المشروعة في الشرع المطهر بل أفتى بعضهم بوجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ وممن أفتى بذلك ابن بطة من الحنابلة والحليمي من الشافعية ، واللخمي من المالكية ، والطحاوي من الحنفية(١) .

كان من المناسب أن يتعرف العبد على بعض الصيغ الواردة عن النبي ﷺ في الصلاة والسلام عليه وذلك ليحرص المسلم على الإتيان بها وترك ما أحدث الناس من صيغ قد يكون فيها بدع وضلالات وهم لا يشعرون . **ومن هذه الصيغ :**

(أ) اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد(٢) .

(ب) اللهم صلى على محمد ، وعلى أزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ،(٣) .

(ج) اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم(٤) .

---

(١) أفاده صاحب كشاف القناع الشيخ البهوني رحمه الله في كتابه المشهور كشافه لقناع (١/١٧) .

(٢) وردت من حديث كعب بن عجره رواها البخاري (٤٧٩٧) ومسلم (٤٠٦) وأبو داود (٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨) وغيرهم .

(٣) وردت من حديث أبي حميد الساعدي رواه البخاري (٣٣٦٩) ومسلم (٤٠٧) .

(٤) وردت من حديث أبي سعيد الخدري رواها البخاري (٩٧٩) .

(د) اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد(١) .

(ه) اللهم صلى على محمد النبي الأمي ، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد(٢) .

وغيرها كثير يمكن مراجعتها في جلاء الأفهام لابن القيم رحمه الله أو القول البديع للسخاوي رحمه الله وقد جمعها أيضاً الشيخ الألباني رحمه الله في صفة صلاة النبي ﷺ فراجعها إن شئت أيضاً في تعليق وتحقيق مشهور حسن سلمان لجلاء الأفهام لابن القيم(٣) .

ومن الأوراد البدعية أيضاً : ما يعرف بصلوات الكبريت الأحمر عند القادرية حيث نسبوها للشيخ عبد القادر وهى نسبة غير صحيحة إذ في هذه الصلوات عبارات لأهل وحدة الوجود وعبارات فاسقة وأوصاف لا تليق يصف فيها كاتبها رب العالمين وكذا يوجد بها عبارات غامضة منكرة قد تولى بيانها الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني في كتابة الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية(٤) فراجعها إن شئت وغيرها كثير وكثير قد تتبع الكثير منها صاحب السنن والمبتدعات فأجاد وأفاد رحمه الله وكذا ذكر بعضها الشيخ على محفوظ في الإبداع في مضار الابتداع

---

(١) وردت من حديث أبي سعود الأنصاري أيضاً رواها مسلم (٤٠٥) .

(٢) وردت من حديث أبي سعود الأنصاري أيضاً رواها الدارقطني (٣٥٥/١) وقال هذا إسناد حسن متصل .

(٣) ص ١٠ .

(٤) ص ٦٥٢ ، ٦٥٣ .

وكلها كتب حذرت من أوراد الصوفية واختراعاتهم وبدعهم فراجعها فإنها مفيدة في بابها ولسنا بحاجة إلى الأوراد والبدع الصوفية والأحزاب التي ابتدعها مشايخ الطرق الصوفية وألزموا بها متبوعيهم ومن دار في فلكهم .

قال الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالسلام خضر « الأوراد والأحزاب والأذكار والأدعية والاستغاثات والتوسلات التي صنعها مشايخ الطرق وأكبَّ على التعبد بها المتمرزقون والمتصوفون ، لا تسن قراءتها ولا تستحب ، بل ولا تباح المواظبة عليها؛ لأنها شرع لم يأذن به الله ورسوله : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [الشورى : ٢١] . وليس لأحد من الناس أيا كان أن يشرع للعباد عبادة ويحثهم على العمل بها والمواظبة عليها ؛ لأن هذا من حق الله عز وجل وحده على سائر عباده فلم تشرع قراءة ورد سحر البكري ولا ميميته ، ولا منبهجتة ولا منظومته ، ولا ورد الستار للباكوني ، ولا مسبعات وصلوات ، ومنظومة الدرد ير ، ولا أوراده وأحزاب وأدعية الجيلاني ، ولا أوراد وأحزاب وأدعية الرفاعي ، ولا البدوي ولا الدسوقي ،ولا البيومي ، ولا أوراد الشاذلية والنقشبندية ، والعفيفية ، ولا تشرع قراءة جميع ما في كتاب مجموع الأوراد ولا جميع ما في كتاب الأذكار الطيبة الذي فيه أوراد وأحزاب الطرق السبعة ، ولا جميع ما في كتاب مجموع أوراد الخلوتية ، وكتاب دلائل الخيرات ماعدا المأثور منه ، وكذا دعاء عكاشة ، ودعاء ابن السلطان ، وحرز الجوشني ، وحرز الغاسلة ، والساسبة ، ودعاء يسن ، ودعاء الواقعة ،ودعاء أول السنة وآخرها ، ودعاء عاشوراء ، ودعاء النصف من شعبان ، وكذا الجلحوتية ، والبرهنية ، وما يزعمون زوراً وافتراء أنه الاسم الأعظم ، وكذا الذكر بالاسم المفرد ، كل هذه وما مشاكلها لم تشرع ، ولم يثبت عنه ﷺ فيها شيء ، وإنما فيها تكليف العباد بما لم يشرعه لهم عز وجل - دع ما فيها من الألفاظ السخيفة المسماة عندهم بالسريانية أو اللاوندية ، التي قال مالك فيها وما يدريك

لعلها أن تكون كفراً واتفقت كلمة المذاهب على حرمة قراءتها وكتابتها ؛ لأن الله عز وجل ،وأعظم وأكبر وأجل وأرفع من أن يعبد بمثل هذه المخترعات ، اللهم إلا بما شرعه على لسان نبيه المعصوم الذي ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] . ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣-٤] »[١] .

ومن الغريب أن ينسب الصوفية بعض كتب الأوراد إلى بعض العلماء كالإمام النووي رحمه الله حيث نسب بعضهم كتاب حزب الإمام النووي بل قد شرحه غير واحد منهم وفي نسبته إلى الإمام النووي رحمه الله نظر لا يخفي .

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله : « حزب الإمام النووي في نحو صفحتين ، شرحه ابن الطيب الفاسي المتوفي سنة ١١٧٥هـ ، وهذا الحزب يتناقله الصوفية بالإجازة ، كما هي مسوقة في الشرح المذكور ، لكنه غير معدودٍ في مؤلفاته ، وقد اشتهر له كتابه النافع الأذكار فكيف يصنع بهذا الحزب الذي لم يرد في المرويات ويتجاوزها ، وقد نظرت فيه فلم أر فيه ما يحذر إلا الاختراع ومجانبة الوارد ، وإني لفي شك من نسبته إليه رحمه الله »[٢] .

ومن الكتب التي اخترعت في الأوراد أيضا : « ما فعله زكريا محمد القزويني في كتابه « مفيد العلوم ومبيد الهموم » واختراع ما أسماه دعوات الأسبوع ، فجعل لكل يوم دعاءً ، ودعاء يوم الجمعة ، ودعاء يوم السبت ... »[٣] .

ومنها : ما اخترعه محمد زكريا بما أسماه مختصر الحزب الأعظم ورتبه محمد إقبال . قال فيه : « الحزب الأول يوم الجمعة ... الحزب الثاني يوم السبت ...

---

(١) المنحة المحمدية في بيان العقائد السلفية ص ١٩٦ - ١٩٨ .

(٢) تصحيح الدعاء ص ١٤٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٤٠ - ١٤١ .

الحزب الثالث يوم الأحد ... إلى أخر أيام الأسبوع وكما فعل الجزولى في رسالته دلائل الخيرات من جعله لكل يوم من الأسبوع حزباً مخصوصاً أكثرها لم تروها الأحاديث الصحيحة أو الحسنة بل هي إما موضوعة أو ضعيفة » .

والغريب العجيب أنه رتب صيغاً للصلاة على النبي ﷺ واخترع لها فضائل من عنده ثم جاء من بعدهم من يدعى محمد علوي المالكي ، فجمع أدعية وأوراداً وأحزاباً ورواتب فيما سماه « شوارق الأنوار من أدعية السادة الأخيار » « مما ضمنه الاستغفار الكبير ، ودعاء البسملة الكبير والصغير ، ودعاء يس ودعاء آية الكرسي، وهما للحداد ، وراتب الحداد ، وراتب العطاس ، وراتب السقاف ، وورد ابن عجيل، وأحزاب الشاذلي ، ودعاء التوسل ، وصلاة ابن مشيش ، والنارية ، والفرج ، والمجيبة ، والفتح ، والعظيمية ، ظلمات بعضها فوق بعض » .

وقد قرأت كلمه لصاحب المنا، حول الأوراد التي يتناقلها المتصوفة وما تشتمل عليها من أخطاء عقدية يوردوها من يزعمون أنهم صالحون وأولياء فقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [هود : ١١٦] قال : « جاءت هذه الآية بعد بيان هلاك الأمم بظلمهم وإفسادهم في الأرض للإعلام بأنه لو كان فيهم جماعات وأحزاب أولو بقية من الأحلام والفضائل والقوة في الحق ينهونهم عن ذلك لما فشا فيهم وأفسدهم وإذن لما هلكوا ، فإن الصالحين المصلحين في الأرض هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من الهلاك ما داموا يطاعون فيها بحسب سنه الله ، كما أن الأطباء هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من فشو الأوبئة فيها ما دامت الجماهير تطيعهم فيما يأمرون به من أسباب الوقاية قبل حدوث المرض ، ومن وسائل العلاج والتداوى بعده ، فإذا لم يمتثل الجمهور لأمرهم ونهيهم فعل الفساد فعله منهم ، وقد فهم الوعاظ والفقهاء من خلفنا الجاهل خلاف ما كان يفهمه السلف الصالح من بركة الصالحين المتقين

وحفظ الله الأمم بهم ، فظنوا أن المراد بهم الذين يكثرون من الصيام والقيام وقراءة الأوراد والأحزاب كما قال الشاعر وضرب الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي المثل بقوله في الزواجر :

لولا أناس لهم ورد يقومونا وآخرون لهم سرد يصومونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرا فإنكم قوم سوء لا تطيعونا

كلا ، إن من أصحاب الأوراد من يقوم ليله بورد من تشريع مبتدع هو به عاص لله تعالى لعبادته بغير ما شرعه ، فكان ممن قال فيهم : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ ﴾ [الشورى : ٢١] أي بهلاكهم وفي الحديث « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر »[١] . كم من مصل وهو مصداق الحديث « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً »[٢] .

وكذلك كان دراويش مهدي السودان ، وأمثالهم من المسلمين الجاهلين لهداية القرآن فنكل بهم الإفرنج بمساعدة الفاسقين من المسلمين واستولوا على بلادهم ... كلا إن المراد بالصالحين الذين يحفظ الله بهم الأمم هم الذين قال الله فيهم ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحين ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] وهم المتقون الذين قال الله فيهم ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] وقال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه ابن ماجه (٦/٨) وغيره من حديث أبي هريرة وقال البوصيري هذا إسناد صحيح رجاله ثقات .

(٢) لم يصح مرفوعاً عن النبي ﷺ وصح مرفوعاً من قول ابن مسعود في الزهد لأحمد (١٥٩) والحسن البصري الزهد لأحمد (ص٢٦٢) راجع السلسلة الضعيفة للألباني عند الحديث رقم (٢) .

مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٥] .

وقد تقدم الكلام فيهم قريباً أن الله لا يحفظ الأمم بذواتهم وبركة أجسادهم ولا بعبادتهم الشخصية القاصر نفعها عليهم ، بل بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وطاعة الأمة لهم . نعم إن الله لا يهلك الأمة كلها بعذاب الاستئصال ما دام فيها جماعة من الصالحين ولكنه يعذبها بذنوبها فيما عدا ذلك مما فصلناه في قصة الطوفان الرابعة »(١) .

والعجيب أن أصحاب الحضرة الصوفية قد ذهدوا في مجالس العلم التي هي مجالس الذكر على الحقيقة وحرصوا على إقامة هذه الحضرات المبتدعة ولذلك يقول الإمام الشاطبي رحمة الله في الاجتماع على مجالس الذكر : « أن ما ذكره من مجالس الذكر صحيح إذا كان على حسب ما اجتمع عليه السلف الصالح فإنهم كانوا يجتمعون لتدارس القرآن فيما بينهم ، حتى يتعلم بعضهم من بعض فهو مجلس من مجالس الذكر التي جاء في مثلها من حديث أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »(٢) .

وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من الاجتماع على تلاوة كتاب الله ... إلى أن قال : « وإذا اجتمع القوم على التذكر لنعم الله أو التذاكر في العلم وإن كانوا علماء أو كان فيهم عالم فجلس إليهم متعلمون أو اجتمعوا يذكر بعضهم بعضا بالعلم بطاعة الله والبعد عن معصيته ... وما أشبه ذلك مما كان يعمل به رسول الله ﷺ في أصحابه وعمل به الصحابة والتابعون ، فهذه المجالس كلها مجالس ذكر وهي التي

---

(١) تفسير المنار (١٢/ ٢٠٧ - ٢٠٨) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدري رضي الله عنهما

جاء فيها من الأجر ما جاء ... وكالذي نراه معمولا به في المساجد من اجتماع الطلبة على معلم يقرئهم القرآن ، أو علما من العلوم الشرعية أو يجتمع إليه العامة ، فيعلمهم أمر دينهم ، ويذكرهم بالله ويبين لهم سنة نبيهم ليعلموا بها ويبين لهم المحدثات التي هي ضلالة ليحذروا منها ، ويجتنبوا مواطنها والعمل بها .

ثم يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فهذه مجالس الذكر على الحقيقة وهي التي حرمها الله أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف . فقلما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة في الصلاة إلا على اللحن ، فضلا عن غيرها ولا يعرف كيف يتعبد ولا كيف يستنجي أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة ، وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي يغشاها الرحمة وتنزل فيها السكينة ، وتحف بها الملائكة ؟! فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا فاقتدوا بجهال أمثالهم ... وقد جاء عن السلف أيضا النهى عن الاجتماع على الذكر والدعاء بالهيئة التي يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون وجاء عنهم النهي عن المساجد المتخذة لذلك، وهي الربط التي يسمونها بالصفة ذكر من ذلك ابن وهب وابن وضاح وغيرهما ما فيه كفاية لمن وفقه الله ، فالحاصل من هؤلاء أنهم حسنوا الظن بأنهم فيماهم عليه مصيبون ، وأساؤوا الظن بالسلف الصالح أهل العمل الراجح الصريح وأهل الدين الصحيح ، ثم تحدث عن حال الصحابة رضي الله عنهم في سماع القرآن وحال السلف الصالح ثم قال عن حال أهل الرقص في الحضرات بخلاف هؤلاء القوم الذين لم يشموا من أوصاف الفضلاء رائحة فأخذوا بالتشبه بهم فأبرز لهم هواهم التشبه بالخوارج ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد المذموم ولكنهم زادوا على ذلك الرقص والزفن والدوران والضرب على الصدور ، وبعضهم يضرب على رأسه ... وما أشبه ذلك من العمل المضحك للحمقى لكونه من أعمال الصبيان و المجانين ، والمبكى للعقلاء رحمة لهم ولم

يتخذ مثل هذا طريقا إلى الله وتشبيها بالصالحين »[١] .

وقد ألف للصوفية الشيخ عبد الغني النابلسي كتبا في سماع الآلات و الطرب عليها واستخدامها منها كتابة « إيضاح الدلالات في سماع الآلات »[٢] استدل فيه على جواز آلات اللهو بقول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة : ١١] لمكان أفعل التفضيل ، لإثبات أصل الخيرية للهو كالتجارة ، وهذا زعم متوهم ، وأعجب من ذلك أن استدل بعطف التجارة على اللهو في صدر الآية على جواز استعمال آلات اللهو وقد حذر العلامة الألوسي من كتاب عبدالغني السابق هذا فقال عن أدلتة التي ذكرها في هذا الكتاب وصفها بأنها « دائرة على أدلة أضعف من خصر شادن ، تدور على محور الغنج في مقابلتهم ، ومنها أكاذيب لا أصل لها لن يرتضيها عاقل ، ولن يقبلها ، ولا أظن أن ما يفعلونه – أي الصوفية من السماع والرقص – إلا شبكة لاصطياد طائر الرزق – والجهلة يظنون مخلصاً من ربقة الرق ، فإياك أن تميل إلى ذلك ، وتوكل على الله المالك »[٣] .

ومن كتب الشيخ عبد الغني : « تحفة أولي اللباب في العلوم المستفادة من الناي والشباب » قلت : سبحان لله ليست شعري أي علوم مستفادة من أشياء قضى النبي ﷺ على حرمة استخدامها وتوعد على من استعملها بل ألف بعض المغاربة رسالة في تكفير من يحرم السماع وسمى رسالته « بوارق الألماع في تكفير من يحرم السماع »[٤] وهي من المخطوطات في الرباط ، وصاحبها هو عمر بن البخاري

(١) الاعتصام (٣٣٨/١-٣٦٥)بتصرف يسير

(٢) وقد طبع في دار العلم بدمشق .

(٣) روح المعاني (١٠٦/٢٨) .

(٤) ولا تحسبن أنه يقصد سماع القرآن بل يقصد سماع الطرقية الصوفية فإلى الله المشتكي وبه المستعان .

والمؤلف من عنوانه يكفر من يحرم السماع الصوفية المبتدع فانظر كيف يتجرأ هذا الصوفي الجاهل على التكفير ثم بعد ذلك يتهمنا الصوفية بأننا نكفر ونكفر حسبنا الله ونعم الوكيل ...

فالحكم في هذه الكتب وما على شاكلتها معروف وهو الإتلاف ولإحراق كما حرق الأمير علي بن يوسف بن تاشفين كتاب إحياء علوم الدين باجماع العلماء في عصره ، وهذا جعفر بن إدريس الكتابي المتوفى ١٣٢٣ يؤلف لهم أيضاً « مواهب الأدب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب »(١) .

وأسوق شهادة من أكبر صوفية هذا الزمان وهي تؤكد أن ما يقوم به الصوفية من الطبل مع الذكر ليس من هدي رسول الله ولا أصحابه . يقول محمد زكي ابراهيم رائد جماعة العشيرة المحمدية ذات التوجه الشاذلي الطريقة يقول : متى يجوز الطبل ؟ المسلمون متفقون على أن الطبل جائز في العرس وفي الحرب وفي الأعياد بشروطه وصورته وحقيقته التي ورد بها ، فإقحام الطبل إذن في الذكر وهو عبادة أساسية ركنها الأول التبتل والخشوع والانصراف إلى الله ، يعتبر خروجاً بالحكم عن محله ، فيفقد قوة الاستدلال ويتحول إلى بدعة منكرة لم يقل بشرعيتها أحد لا من الصوفية ولا من الفقهاء . والقاعدة أن الله تعالى إنما يعبد بما شرع فلا يعبد بالأهواء ولا بالبدع ، وكل ما ورد من جواز الطبل فهو محصور كما أسلفنا في العرس والحرب والعيد ، أما الذكر بمقدماته وأصوله وأهدافه ، فهو شيء آخر غير العرس والحرب والعيد ، وكل واحد من هذه الثلاثة له وجه وحقيقة تتحمل إدماج الطبل فيه ، أما العبادة فليست من ذلك في شيء بأية حال .

حكم الله في الذكر :

وفي القرآن الكريم : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٨] .

---

(١) كما في المعيار المعرب (١٨٥/١٢) . الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب (٩٩/٣) .

والتبتل يتنافى كل التنافي مع الطبل والزمر والرقص مهما فلسفوه ، والتمسوا له أساليب المشروعية ، فالحق حق والباطل باطل والحق أبلج والباطل لجلج ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، والله يقول : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ [الأعلى : ١] يعني قدسه ، وهو لا يكون مقدساً مع الطبل والزمر وقد وصف الله المؤمنين بأنهم : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال : ٢] ولا يكون الوجل مع الطبل والزمر ، ويقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الحديد : ١٦] . والخشوع لا يكون مع الطبل والزمر ، وكل ما لم يثبت شرعاً ولا عقلاً فهو باطل ، فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟

القياس الفاسد :

ثم إن قياس الاحتفالات والموالد على الأعراس والحروب والأعياد قياس باطل من كل وجه منطقاً وديناً ولا حجة في الشرع ولا في العقل ولا في الأدب ولا في الكرامة لفاعل ذلك ، إلا أنها موروثات ومحاكيات وتقاليد فهي من المدسوس على التصوف الذي يجب على المقبلين على الله أن يكافحوه ، وأن يتخلصوا منه إلى العبادة النقية المصفاة من كل تهمة ومنقصة حتى لا يكونوا ممن قالوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] ويتعرضوا بهذا لأسوأ الأحكام .

فعل النبي ومن بعده :

وبهذا يكون الأمر قد بلغ من الوضوح ما لا مرية فيه ، إذ لم يثبت ولا حتى في قصة « الزير سالم وألف ليلة وليلة » أن النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين أو الأربعة الأئمة ولا من قبلهم ولا من بعدهم ولا الأربعة الأقطاب(١) ومن ورث مقاماتهم ومن ورثوا هم مقامه من قبل أو من بعد ولا مشاهير الأولياء حتى سيدي عبد السلام

---

(١) هذه أسطورة من أساطير التصوف لا أساس لها فتنبه !!

الأسمر وابن عروس وأمثالهم لم يثبت من الطريق اليقيني ولا من طريق غلبة الظن أن أحداً منهم فعل هذا إلا في الحالات المشروعة ، وما ينسب إليهم من ذلك فإنما هو من دس الزنادقة والقرامطة وأدعياء التصوف ودخلائه .

فعل المتأخرين :

وحتى لو سلمنا جدلا ، بأن أحداً من المتأخرين الصالحين حدث منه الطبل على الذكر ، فلا بد قطعاً بأنه كان في حال خرج به عن إرادته ومسلوب الإرادة له أحكام شخصية استثنائية خاصة لا يسمح بها الشرع إلا لأمثاله[١] ، فأما والعقل موجود والإدارة حاصلة ففعل ذلك معصية يؤدب فاعلها ويستتاب ، وإلا أقيم عليه حد المبتدعة عبثاً أو استحلالاً !! أما الجاهل فيعلم ، فإن أصر على البدعة بعد العلم بالحكم أقيم عليه الحد ، لو كنا نحكم بكتاب الله ، أو لو كنا نعرف التصوف الصحيح .

أقوال الأئمة :

وما قدمناه هو ملخص ما قرره علماء المسلمين وأئمة الصوفية بالإجماع كابن حجر في كف الرعاع وابن الحاج في المدخل وهو خلاصة بحوث الغزالي في الإحياء والسهروردي في العوارف وأبي طالب في القوت والقشيري في الرسالة والمحاسبي في الإرشاد فضلا عن طوائف الفقهاء والمحدثين وأهل الفتوى ممن لا حصر لهم في السالفين والخالفين .

كلام السهروردي :

ثم استمع إلى السهروردي عند كلامه على السماع يقول :لا شك أنك إذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع وما يفعلونه فيه ، فإن نفسك تنزه أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره . انتهى . نعم هل

---

(١) بل كيف يسمح له الشرع بمخالفة أمر الله ورسوله .

يتصور أحد في الدنيا أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - مثلاً بوقارهم كانوا يدقون الدفوف ويهزون الأكمام ويتطوحون ذات اليمين وذات الشمال ، أو أن رجلاً صالحاً وقوراً متفقهاً في أي عصر يفعل ذلك ، ما لم يكن مخبولاً أو مفتوناً .

الشافعي والمزني :

ومن الباطل أن ينسب إلى الإمام الشافعي مشروعية ذلك ، فقد سئل الإمام المزني من كبار أصحاب الشافعي عن هذه الدعوى ذكراً راقصاً على الطار والشبابة فقال : لا يجوز ودافع عن الشافعي بقصيدته المعروفة ، التي منها :

حاشا الإمام الشافعي النبيه ... أن يرتقي غير معاني نبيه
أو يترك السنة في نسكه ... أو يدعي في الدين ما ليس فيه
فالضرب بالطار في مجلس ... والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال في الورى ... وليس في التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبي الهدى ... ولا صحابي ولا تابعيه
إن ولي الله لا يرتضي ... إلا بما الله له يرتضيه
إياك تغتر بأفعال من ... لا يعرف العلم ولا يبتغيه
أنكر عليهم إن تكن قادراً ... فهم رجال إبليس لا شك فيه[1]



---

(١) عن مجلة المسلم سنة ١٣٧٧ هـ بتصرف .

فصل

في وجوه ابطال الحضرة الصوفية

ودونك أخي القاريء هذه الوجوه في إثبات أن الحضرة الصوفية بدعة ضلالة وليس هذا الحكم خاصا بحضرة صوفية معينة بل يشمل كل حضرة لأي طريقة من الطرق الصوفية إذ لايجوز الانخراط فيها ولا إعانة أهلها ولاتمكينهم على إقامتها في المساجد ولا خارجها كما يجب الإنكار على أهل تلك الحضرات والأخذ على أيديهم بشدة لتختفي هذه المناظر المؤسفة .

الوجه الأول : إن إقامة ما يعرف بالحضرة بدعة محدثة وكل بدعة ضلالة في النار لأن البدعة هي ما لم يعهد على عصر رسول الله ﷺ ولن يستطيع أحد من دعاة التصوف أو الطرقية أن ينقل ولو حرفاً واحداً يدل على حدوث هذه الحضرات في عهد رسول الله ﷺ لذا فمن المسلم به أن كل شيء يتقرب به إلى الله تعالى ولم يكن له أصل عن رسول الله ﷺ فهو شيء مردود على صاحبه لأن الأصل في العبادة المنع لأنها توقيفية(١) .

قال رسول الله ﷺ « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد »(٢) ، وفي رواية : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »(٣) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ولهذا كان الأصل الذي بني عليه الإمام أحمد رحمه الله وغيره من الأئمة مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى : عبادات يتخذونها دنياً وينتفعون بها في الآخرة أو في الدنيا والآخرة ، وإلى عادات ينتفعون

---

(١) راجع تقرير ذلك في القاعدة الجليلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٧٣ .

(٢) رواه البخاري (٥/٣٠١ فتح) ومسلم (١٧) (١٧١٨) .

(٣) وهذا لفظ مسلم (١٧١٨) (١٨) .

بها في معايشهم فالأصل في العبادات ألا يحظر منها إلا ما حظره الله »[١] .

وقال أيضا : « فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو مما أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذه شريكا لله »[٢] .

ومن أغرب وأعجب ما قرأته عن الشعراني الصوفي الذي يهاجم من ينكر على الطرقية هذه الاجتماعات وقيام الحضرات يقول مستحسنا هذه الحضرات « لا ينبغي لأحد أن يعترض على أحد فيما هو منسوب إلى الحق سبحانه وتعالى أو رسله ، كمن يعترض على الذاكرين كثيرا أو المسبحين أو التالين لكلام الله تعالى أو المصلين على رسول الله ﷺ أو لأصحاب الأوراد ، لأن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق ، والطريق الذي يظن المعترض أنها لا توصل إلى الله تعالى بحسب ما عنده قد توصل إليه ... إلى أن قال : فإن كل ما ابتدع على طريق القربة إلى الله تعالى فهو من الشريعة والسنة الظاهرة ... فالمفتي بغير دليل شرعي بأن الاجتماع على ذكر الله تعالى على الهيئة المشهورة بدعة جاهل في مطرود ملعون »[٣] .

قلت : بل الجاهل الغبي المطرود الملعون هو من خالف هدى رسول الله ﷺ وابتدع الأوراد والهيئات التي لم تعهد في عصر رسول الله ﷺ فقول الشعراني هذا فيه تلبيس على الناس وتضليل كما سبق بيانه وهو أن الإنكار على أصحاب الحضرات ليس إنكار لذكر الله عز وجل بل إنكار لمخالفتهم السنة ولهدى رسول الله ﷺ حيث

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٦) .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٨٤)

(٣) الأنوار القدسية ص ٢٠-٢١ ومن العجب أن يؤلف أحدهم للصوفية كتابا في الرقص في الحضرات فهذا متصوف على الطريقة الكتانية يدعى محمد عبدالمعطي يؤلف لهم « المنحة العطوفية في جواز الرقص للصوفية » !! راجع الإعلام للزركلي (٧/٧٧)

شرع الطرقية أورادا واجتماعات ما أنزل الله بها من سلطان ونحن لم نقل للناس لا تذكروا الله ولا تسجدوا بل المنكر عليهم أنكر مخالفتهم للسنة وعدم متابعتهم للنبي ﷺ في طريقة الذكر الشرعي هذا وقد استدل بحديث : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » استدل به القرطبي وغيره على بدعية السماع الصوفي .

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله : « وجه الدليل أن الغناء المطرب لم يكن من عادة النبي ﷺ ولا فعل بحضرته ولا اتخذ المغنين ، ولا اعتنى بهم فليس ذلك من سيرته ، ولا سيرة خلفائه من بعده ، ولا من سيرة أصحابه وعترته، فلا يصح بوجه نسبته إليه ، ولا أنه من شريعته ، وما كان كذلك فهو من المحدثات التي هي بدع وضلالة ،وقد يتعامى عن ذلك من غلبه عليه الهوى »(١) .

الوجه الثاني : الحضرة تشتمل على آلات الغناء في بعضها وهذا محرم بالنص والإجماع كما أن بعض الحضرات التي يعقدها الصوفية تشتمل على استعمال لآلات الغناء وهذا ما يحدث في كثير من الموالد التي يقيمها الطرقية عند قبور الصالحين وقد عرف العلماء الغناء بأنه « رفع الصوت بالكلام الملحن على وجه التطريب »(٢) غير أن الطرقية أضافوا إليه كذلك الآلات الموسيقية ولا شك في تحريم ذلك بالنص والإجماع أما النص ففي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ الآية [لقمان : ٦] وقد أقسم عبد الله بن مسعود : أن اللهو في هذه الآية هو الغناء(٣) وورد كذلك عن غيره من المفسرين وكذلك ورد في آيات أخرى كما في النجم ، والإسراء وكذلك

---

(١) نقله الهيثمي في كف الرعاع ص ٦٩ .

(٢) انظر حاشية ابن عابدين (٦/ ٣٤٩) ، كف الرعاع (ص ٥٩ / ٦٠) لابن حجر الهيتمي ، مجموع الفتاوى(١١/٥٧٧)

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٢١/٣٩) وهو قول الحسن البصري ،ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة ،وإبراهيم النخعي .

ورد في السنة تحريم الغناء وآلاته باستثناء الدف في العرس للنساء ، فعن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ قال : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ... [١] الحديث »[٢] .

الوجه الثالث : هيئة الاجتماع على الحضرة بدعة أنكرها السلف

أن الإجماع على الذكر بالهيئة التي نراها عند الطرقية هي في الحقيقة أدخل في معنى البدعة فإن من ضوابط معرفة البدعة أن كل ما أطلقه الله ورسوله من الأمور وقيده بعض الناس بهيئة خاصة أو قيده بقيود خاصة فلا شك أنه بدعة وهذا ينطبق تماما على بدعة الحضرة الصوفية بهيئتها التي يمارسونها وقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم ينكرون على الناس تقيدهم لما أطلقه الشرع بدون دليل ومن ذلك إنكار ابن مسعود رضي الله عنه على قوم قيدوا الذكر بهيئة وشكل معين ففي قصة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حين أتى ابن مسعود رضي الله عنهما فقال له : « رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة ، في كل حلقه رجل ، وفي أيديهم حصى ، فيقول ، كبروا مائة فيكبرون مائة ، فيقول : هللوا مائة ، فيهللون مائة، فيقول : سبحوا مائة ، فيسبحون مائة قال ابن مسعود : فما قلت لهم ؟ قال : ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك قال : أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم ، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء ، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقه من تلك الحلق فوقف عليهم فقال : ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا : يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح ، قال : فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء . ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله « دل هذا الحديث على تحريم المعازف ، والمعازف هي آلات اللهو عند أهل اللغة وهذا اسم يتناول هذه الآلات كلها » مجموع الفتاوى (٥٣٥/١١) .

(٢) رواه البخاري (رقم ٥٢٦٨) وغيره .

متواقرون ، وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تكسر ، والذي نفسي بيده أنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد ، أو مفتتحوا باب ضلالة قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير قال : وكم من مريد للخير لم يصبه »(١) .

قلت : وقوله رضي الله عنه كم من مريد للخير لم يصبه يدل على أن النية الحسنه وحدها لا تكفي لصحة العمل بل لابد أن ينضم إليها الاتباع للنبي ﷺ .

قال الشيخ صالح السحيمي معلقا على أثر ابن مسعود السابق الذكر : « فإذا كان ابن مسعود رضي الله عنه قد أنكر هذه الهيئة التي يذكرون الله بها رغم أن الذكر الوارد فيها مشروع ، بيد أنه أنكر عليهم الشكل والصفة من حيث الإجماع ورفع الصوت تخصيص هذا الوقت بالذات للذكرفكيف لو اطلع ابن مسعود على هذه الأذكار التي يذكر بها بعض المسلمين اليوم ، وهى لا تمت إلى ذكر الله بصله ، مما ابتدعه أصحاب الطرق الصوفية وغيرهم من الأذكار التي زينها لهم الشيطان ، منها ما يرددونه بصوت واحد من قولهم (هو هو) أو (حي حي) وغير ذلك من ألوان الهذيان الذي يرددونه ويزعمون أنه ذكر الله في الوقت الذي لو سمعتهم وهم يترنمون بهذه الأذكار التي لا يفهم منها شيء في كثير من الأحيان

---

(١) رواه الدارمي (٦٨/١) وصححه الألباني في تخريج إصلاح المساجد للقاسمي ص ١٢ وأما قول السيوطي رحمه الله « هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحافظ في كتبهم « نتيجة الفكر في الجهر بالذكر » ضمن الحاوي (٣١/٢) فيقال: هذا الأثر كما رأيت في الدارمي وسنده صحيح والحمد لله « ثم يقول السيوطي عن الأثر السابق « ثم رأيت ما يقتضي إنكار ذلك عن ابن مسعود قال الإمام أحمد بن الزهد ثنا حسين بن محمد ثنا المسعودي عن عامر بن شفيق عن أبي وائل قال : هؤلاء الذين يزعمون أن عبدالله كان ينهي عن الذكر ما جالسته عبدالله مجلساً قط إلا ذكر الله فيه « قلت : لكن الأثر ضعيف لضعف المسعودي على أن الأثر ليس صريحاً فيما ذهب إليه السيوطي رحمه الله فإن ابن مسعود لم ينه عن ذكر الله بل نهى الناس عن الصياح والتزام هيئة معينة في الذكر فتنبه .

لخيل إليك أن أمامك سباعا تتعاوي أو كلابا تتهارش على فريسة ، بل تحولت أذكار كثير ممن ينتسب إلى الإسلام اليوم إلى أنواع من الرقصات المختلفة ، فضلا عما يصحب ذلك من آلات الطرب والمعازف واختلاط الرجال بالنساء وشرب المسكرات ، وغير ذلك من أنواع الفساد التي يجلبها عليهم الشيطان فيا ليت شعري ماذا سيقول هذا الصحابي الجليل لو اطلع على هذه المناظر أو سمع تلك الأصوات المنكرة ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان ١٩] »[1] .

قلت : رحم الله السلف الأول ورضي عنهم فقد كبتوا البدع ووأدوها في مهدها وأجهزوا عليها ، وكبتوا أهلها ولكن لما ضعف الدين عند المتأخرين وقل الوازع أطلت البدعة برأسها وضعف الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وانتشر الجهل كل ذلك أدى إلى انتشار بدع الصوفية وخاصة ما يتعلق بحلق الذكر « الحضرات » بهيئاتها المعروفة عندهم فانتشرت هذه البدع أعنى الحضرة على الهيئة الجماعية على يد المدعو نور الدين الشوني المتوفى سنة ٩٤٤ .

كما أرَّخ لذلك الشعراني حيث قال عنه : تفرعت عنه سائر مجالس الصلاة على النبي ﷺ التي على وجه الأرض الآن في الحجاز والشام ومصر والصعيد والمحلة الكبرى وإسكندرية وبلاد المغرب وبلاد التكررور . ذلك لم يعهد لأُحد قبله ، إنما كان الناس لهم أوراد في الصلاة على رسول الله ﷺ فرادي في أنفسهم ، وأما اجتماع الناس على هذه الهيئة فلم يبلغنا وقوعه عن أحد[2] .

قلت : فليبشر الشونى بقوله ﷺ : « من سنن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من

---

(١) تنبيه أولى الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار ص ٦٧ -٦٨ للدكتور صالح السحيمي ط دار ابن حزم .

(٢) الطبقات الكبرى (١٤٩/٢) .

عمل بها إلى يوم القيامة »[١] وليت الناس وقفوا عند هذا الحد بل توسعوا في شكل وهيئة الحضرة الصوفية وأضافوا إليها طقوسا أخرى مثل نشر الثياب البيض في وسط الحلقة والجلوس عليها كما يمارسه مدعو الذكر وهم التجانية وغيرهم ويعلق الأستاذ محمد أحمد لوح على كلام الشعراني المتقدم فيقول : « ومعنى هذا أن الناس منذ عهد النبي ﷺ كانوا على هديه ، فواظبوا على ذكر الله والصلاة على النبي ﷺ فرادى ، من غير اشتراط الجماعة إلى أن جاء القرن العاشر فظهر ذلك الرجل فشرع هذه البدعة ونشرها حتى عم البلدان »[٢] .

ومن العجب الغريب في أمر هؤلاء الصوفية أنك لا تكاد تجد واحدًا منهم يعقد التسبيح بيده بل أغلبهم يعتمدون في ذلك على المسابح الطويلة والقصيرة وبعضها ذات أنواع وبعضهم يتفنن في طولها وشكلها ونقشها ونوعها فهذا يتخذ مسبحة ألفية والآخر مئوية و الثالث مسبحة طويلة بالأمتار كما في بعض طرق الصوفية في السودان وقد رأيتهم وربما علقها بعضهم في رقبته أو على الحائط قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمة الله « أما التسبيح بما يجعل في نظام من الخرز فمن الناس من كرهه ،ومنهم من لم يكرهه ، وإذا حسنت فيه النية فهو حسن غير مكروه ، وأما اتخاذه من غير حاجه ، أو إظهاره للناس مثل تعليقه في العنق أو جعله كالسوار في اليد أو نحو ذلك ، فهذا إما رياء الناس أو مظنة الرياء ومشابهة المرائين من غير حاجة فالأول محرم ، والثاني أقل أحوال الكراهة فإن مراءة الناس في العبادات المختصة كالصلاة والصيام والذكر وقراءة القران من أعظم الذنوب »[٣] .

---

(١) رواه مسلم (٧/١٠) .

(٢) تقديس الأشخاص (٣٣٤/١) .

(٣) مجموع الفتاوى (٦٥٣/١١) .

الوجه الرابع : أن هناك فرقا بين مشروعية العبادة بأصلها ومشروعية العبادة بصفتها إذ شرعية الأصل لا تستلزم شرعية الوصف والخلط بينهما هو الذي أدى للوقوع في بدعة الحضرة الصوفية . فإن ذكر الله تعالى ثابت لاشك وهو أصل لكن الوصف الذي اتبعه الطرقية من الصوفية في إقامة الذكر بهذه الهيئة المنكرة التي يفعلونها هي بدعة بلا شك وخطأ الصوفية جاء من سحب دليل الأصل على الوصف بمعنى أنهم احتجوا بالأصل وهو اطلاق مشروعية الذكر على جواز هذه الهيئة التي يمارسونها ومن هنا وقعوا في البدعة ولهذا يقال لهم إنما أوتيتم من عدم التفريق بين أصل العبادة ووصفها وعدم التفريق بينهما طامة كبرى أفضت بكم إلى الإحداث في الدين إذ الأصل في العبادات الإطلاق أي الإطلاق عن الشرط والإطلاق عن الصفة والإطلاق عن الزمان والإطلاق عن المكان والإطلاق عن المقدار فبقاء المطلق على إطلاقه أمر ثابت ولا يقيد إلا بدليل وبناء عليه فمن قيد عبادة مثلا بصفه فلابد أن يأتي بدليل يدل على مشروعية فعل هذه العبادة على هذه الصفة المعينة ، ولاحق له أن يستدل على شرعية هذا الوصف بالدليل الذي يثبت أصل العبادة فإن دليل الأصل للأصل والوصف شيء زائد على الأصل يتطلب دليل أخر غير دليل الأصل ، ومجرد شرعية الأصل لا يلزم منها تشريع الوصف .

فلابد من التفريق بين أصل العبادة ووصفها وبناء عليه فمن احتج بقول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب : ٤١] على مشروعيه الرقص في الحضرات يقال له أخطأت فإن ذكر الله تعالى هنا في الآية مطلق فلماذا قيدته بهذه الصفة المذمومة وهي الرقص في الحضرات على الوجه المنكر الذي لم يفعله رسول الله ﷺ القائل : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منا فهو رد » . فمن أحدث في أمرنا ما ليس منه جنسا أو ما ليس منه صفة أو ما ليس منه مقدارًا أو ما ليس منه شرطًا ،كل ذلك الإحداث رد على صاحبه .

والخلاصة هو أن يقال : إن للعبادة أصلا ووصفا وسببا وزمانا ومكانا ومقدارا واشتراطا وإبطالا وقف على الدليل لأن اثبات شيء من ذلك حكم شرعي والأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها للأدلة الصحيحة الصريحة لا ما أثبته المذهب الذي تسير عليه ، فالمذاهب كلها توزن بالدليل ،لا أن الدليل يوزن بها ،والأقوال كلها تابعه للدليل لا أن الدليل تابع لها ،فالدليل هو الميزان وما سواه فتابع ،والدليل هو الأول وما سواه فآخر وإذا علم هذا فلا يجوز الزيادة على ما أثبته النص ، ولا يجوز التقصير عما أثبته النص ، ولا يجوز أحداث شيء لم يثبته النص ، فإن الدين كامل تمام كما قال تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ [المائدة : ٣] فالحكم الشرعي سواء كان واجبًا أو عرفًا أو مستحبًا أو مكروهًا أو مباحًا لابد له من دليل فإذا سمعت أحدا يقول هذا الشيء واجب فقل له أين الدليل؟ وإذا سمعت أحدا يقول هذا حرام أو يقول هذا مستحب أو يقول هذا مكروه ، فقل له أين الدليل ؟قال الله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل : ١١٦] . وقال : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء : ٣٦] وبناء عليه لا يجوز إنشاء عبادة إلا بدليل ، ولا يجوز ربطها بزمان أو بمكان أو وصف أو مقدار أو سبب إلا بدليل ، كما لا يجوز ادعاء مبطل للعباد إلا بدليل فالعبادة أصلا ووصفا وزمانا ومكانا وشرطا وسببا ومبطلا ومقدارا لها وقف على الدليل لأن الأحكام الشرعية تفتقر في ثبوتها على الأدلة الصحيحة .

ثم اعلم أن من أهل البدع من يعمد إلي عبادة هي مشروعة في أصلها لكنه يقيدها بصفة أجنبية أو زمان أجنبي أو مكان أجنبي على المشروع وبذلك يقع في الإحداث في الدين شاء أم أبى ولهذا أمثله كثيرة منها ما نحن بصدده كالذكر فإن

الله عز وجل أمر به في كتابه ورغب فيه رسول الله ﷺ في سنته فاخترع الطرقية المخرفون من الصوفية له هيئه معينه كالرقص في الحضرات وقيدوا الذكر بهذه الصفة المنكرة وزادوا أشياء من عندياتهم وافتروا على الشرع المطهر بأنه أباح ذلك .

الوجه الخامس : أن هذه الأدلة التي ذكرتموها إنما يستدل بها على إثبات أصل شرعية الذكر وبيان فضله ونحن لا ننكر عليكم ذلك ولم نتطلب منكم دليلاً على ذلك وإنما الذي ننكره عليكم هو هذه الصفة الجديدة المحدثة التي تفعلونها فالدليل المطلوب منكم هو الدليل المثبت لشرعية فعل الذكر على هذه الصفة فأين الدليل عليها ؟ولا حق لكم أن تستدلوا على ذلك بالأدلة المثبتة لمشروعيةالأصل لأن الأصل للأصل والوصف شيء زائد على الأصل والمطلوب هو دليل الصفة لا دليل الأصل ومشروعية الأصل لا تستلزم مشروعية الوصف فلابد أن تفرقوا بين الأصل والوصف

الوجه السادس : اشتمال الحضرة على رفع الصوت في المساجد وهذا ممنوع . فإن إقامة هذه الحضرات في المساجد قد أدى إلى رفع الأصوات فيها مما ينافي حرمه المساجد وإذا كان النبي ﷺ قد نهى عن الجهر بالقرآن حتى لا يشوش القارئ على مصلٍ أو تالٍ آخر أو مسبح أو غير ذلك حيث ورد أن النبي ﷺ سمع بعض أصحابه يجهر بقراءته فرفع الستر وقال : « ألا كلكم مناج ربه فلا يؤذين بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة »(١) .

فكيف لو رأى رسول الله ﷺ رفع الأصوات التي يمارسها الطرقية في المساجد؟ كيف يقول لو سمع هذا الشخير والنخير والصياح في المساجد؟ إن رفع الأصوات في المساجد ينافي قول الله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ

(١) رواه أبو داود ١٣٣٢ وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦٣٩

لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٣٦] وإذا كان الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ كره رفع الصوت في المساجد بالعلم وغيره[١] فماذا عساه أن يقول لو رأى طرقية زماننا وما أحدثوه من رفع الأصوات في حضرات الرقص التي يدعون فيها أنهم يذكرون الله تعالى ؟

إن تعزير هؤلاء الطرقية أمر مطلوب لإجبارهم على احترام المساجد لقد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه شخصين يرفعان أصواتهما في مسجد رسول الله ﷺ فاستداعهما وقال لهما من أين أنتما؟ قالا من الطائف قال لو كنتما من أهل المدينة لا وجعتكما ضربا ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ !![٢] .

وهذا يدل على أن رفع الصوت في المساجد ممنوعا وأن كون عمر لم يعذرهما واكتفي بتحذيرهما فلكونهما يجهلان هذا الحكم لكونهما من خارج المدينة ولعلهما من أعراب البادية ومظنة العلم عندهم ضعيفة فلهذا عزرهما بالجهل فالحاصل أن رفع الصوت في المساجد أمر منكر .

قال الشيخ على محفوظ : « من البدع المكروهة رفع الصوت بالذكر (المحرف) في المسجد كما يقع من أرباب الطرق الذين ينصبون حلقات الذكر »[٣] . ثم نقل عن أئمة الفقه المنع من رفع الصوت في المسجد وبأن رفع الصوت فيه ليس من هدي الصحابة رضي الله عنهم ، فقال : « رفع الصوت في المسجد لغير حاجة شرعية قد ورد النهي عنه ،وروى مالك في الموطأ أن النبي ﷺ خرج على الناس وهم يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال : « إن المصلي يناجي ربه فلينظر بما يناجي به ولا يجهر

---

(١) فتح الباري ٠(١|٦٦٨) وجاء عنه أيضا التفرقه بين رفع الصوت بالعلم والخبر وما لابد منه فيجوز وبين رفعه بالغلط ونحوه فلا

(٢) رواه البخاري (رقم ٤٧٠) .

(٣) الإبداع في مضار الابتداع ص ١٨٣ .

بعضكم على بعض بالقرآن » ، وفي الدر المختار يحرم رفع الصوت في المسجد إلا للمتفقه ، وقال ابن العمادالشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : يحرم القراءة جهرا على وجه بشوش على نحو مصل وفي مختصر سيدي خليل وشروحه : يكره رفع الصوت بقراءة القرآن في المسجد خوف التشويش على المصلين والذاكرين فإن شوش حرم اتفاقا .

ثم قال الشيخ علي : « وصح أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يكرهون رفع الصوت بالذكر والقرآن لاسيما في المساجد فإذا كان معه تشويش لا يشك في التحريم »[١] .

ورحم الله الشيخ إسماعيل بن أبي بكر اليماني المقرئ أحد أئمة الشافعية باليمن في قصيدة له يرد فيهاعلى الطرقية أصحاب الحضرات[٢] :

برغم سنة خير العجم والعرب أمست مساجدنا باللهو واللعب
ما كان صلى عليه الله يأمرنا بضرب دف ولا زمر ولا قصب
فضحتمونا وصيرتم مساجدنا وهى المصونات كالحانات للعب
فلا تطيلوا علينا في مساجدنا فإنها جعلت للصحف والكتب
وللعبادة والتسبيح لا لعبا يغري امرءاً بالتصابي وهو غيرصبي

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « إن رفع الأصوات في الذكر المشروع لا يجوز إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ونحو ذلك فالسنة للذاكرين الداعين ألا يرفعوا أصواتهم رفعاً شديداً ... وفي هذا من الآثار عن سلف الأمة ما ليس هذا موضعه كما قال الحسن البصري : رفع الصوت بدعة وكذلك نص عليه أحمد وغيره »[٣] .

---

(١) الإبداع ص ١٧٨ .

(٢) المولد النبوي : أصله .. حقيقته ، للشيخ أحمد بن حسن المعلم ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) الاستقامة (٣٢٢/١) .

قال الشيخ محمد رشيد رضا في سؤال رفع إليه بخصوص رفع الصوت بالذكر في المساجد فقال : « إن رفع الصوت الشديد بالذكر والدعاء المشروعين مكروه منهي عنه، وأما هذا الذي يفعله أهل الطريق في ليالي المساجد والزوايا وفي الطرقات أحياناً فهو من بدعهم المنكرة من كل ناحية لم يرد عن رسول الله ولا عن السلف الصالح، وفعله في المساجد شر من فعله في غيرها ، لأنه يشغل المصلين وقد يمنعهم من الصلاة التي بنيت المساجد لأجلها،ومن الذكر والتفكر والتدبر من العبادات المشروعة بل اتفق العلماء على أن تلاوة القرآن إذا كان رفع الصوت بها في المسجد يشغل المصلين ويشوش عليهم فإنه يمنع »[١] .

ومما يدل على كراهية رفع الصوت بالدعاء والذكر في عموم الأوقات قول النبي ﷺ : « يا أيها الناس؛ أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إن الذين تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »[٢] قال الحافظ ابن حجر : قوله « أربعوا على أنفسكم » بفتح الموحدة أي أرفقوا قال الطبري : فيه كراهة رفع الصوت[٣] بالدعاء والذكر وبه قال عامة السلف من الصاحبة والتابعين . إلا أن هذا الجهر مقيد بما لا يؤذي أحداً من مصلٍّ أو تالٍ أو مجلس علم أو نائم فقد جاءت الأخبار بالنهي عن الجهر بالقرآن إذا أحدث التالي تشويشاً على غيره قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ

(١) مجلة المنار العدد(١٤) ص (٤) .

(٢) رواه البخاري في مواضع (١٩٩/٣) (٧٥/٥) (٢١٣/٧) (١٦٨/٨) ومسلم (٢٠٧٦/٤) وأبو داود (١٨٢/٢) والترمذي (٤٥٧/٥) وأحمد (٤١٧/٤،٤١٨،٣٩٤،٤٠٢،) .

(٣) وهذا لا ينفي ورود أدلة في أحوال وأوقات يشرع فيها الجهر بالذكر كرفع الصوت بالتلبية في الحج والعمرة لحديث « أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أو من معي أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية » رواه مالك وغيره ومن طريقة الشافعي (٥١٣/١) وأحمد (٥٦/٤) وأبو داود (٤٠٤/٢) وغيرهم .

ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ١١٠] .

قال العلامة ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيرها : « قوله ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ﴾ أي قراءتك ﴿ وَلَا تُخَافِتْ ﴾ فإن في كل من الأمرين محذوراً »(١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة وهو في قبة له، فكشف الستور وقال : « إن كلكم يناجي ربه فلا يؤذين بعضكم بعضاً ولا يرفعن بعضكم على بعض في القراءة أو قال الصلاة »(٢) .

والحديث له لفظ أخر من حديث أبي سعيد أيضاً وفيه « وقد علت أصواتهما بالقراءة فقال : إن المصلي يناجي ربه لينظر بما يناجيه به ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن »(٣) .

وعن على بن أبي طالب رضي الله عنه قال : نهى النبي ﷺ أن يرفع الرجل صوته بالقرآن قبل العتمة وبعدها، يغلط أصحابه ، والقوم يصلون(٤) .

وقد استدل االسرخسي (الحنفي) على كراهة رفع الصوت عند سماع القرآن والذكر والجنائز بحديث قيس بن عباد : كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون الصوت عند الثلاثة : الجنائز والقتال والذكر .

وبحديث الحسن رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يكره رفع الصوت عند

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (٣٢٢/٤) .

(٢) رواه عبدالرزاق (٤٩٨/٢) ومن طريقه أحمد (٩٤/٣) وأبو داود (٥٣/٢) والحاكم (٣١١/١) والبيهقي (٧/٣) .

(٣) رواه مالك (٨٠/١) ومن طريقة أحمد (٣٤٤/٤) والبخاري في خلق أفعال العباد (ص١٠٧) والنسائي في الكبرى (٢٦٤/٢) والبغوي (٨٦/٣) والبيهقي (١١/٣) .

(٤) رواه أحمد (١٠٤/١، ٨٨) وأبو يعلى (٣٨٤/١) .

ثلاثة : عند قراءة القرآن وعند الجنائز وعند الزحف أي القتال .

قال السرخسي : « ففي الحديثين كراهة رفع الصوت عند سماع القرآن والوعظ يتبين به أن ما يفعله الذين يدعون الوجد والمحبة مكروه (يقصد الصوفية) ولا أصل له في الدين ويستبين به أن تمنع الصوفية مما يعتادونه من رفع الصوت وتمزيق الثياب عند السماع فإن ذلك مكروه في الدين عند سماع القرآن والوعظ، فما ظنك عند سماع الغناء »[١] .

وجاء في شرح الوقاية : « ثم اعلم أنه يحرم التسبيح والتكبير والصلاة على النبي ﷺ عند عمل محرم كما إذا سبح أو كبر أو هلل أو صلى على النبي ﷺ في مجلس الفسق واللهو[٢] ، فهو حرام يأثم عليه، وكذلك التاجر الفاتح متاعه بمشتريه، وسبح وصلى على النبي ﷺ ، وأراد بذلك إعلام المشتري جودة متاعه، وكذلك الفقاعي[٣] يقول عند فتح كور الفقاع : لا إله إلا الله أو يقول : صلى الله على النبي أو نحو ذلك ، لأنه يأخذ به ثمناً ويرغب المشتري هناك كذا في تحفة الملوك للعيني ، ومن هنا يفهم أن بالأولى يحرم ذكر الله أو النبي مع الرباب كما هو شأن الأعراب ، أو مع الزمارة كما هو شعار السيارة من شحاذ أهل اليمن في السوق وأرباب التجارة » .

ثم قال : « ويجب منع الصوفية الذين يدعون الوجد والمحبة من رفع الصوت وتمزيق الثياب عن سماع الغناء، مع أن ذلك حرام عند سماع القرآن فكيف عند الغناء الذين هو حرام ؟ خصوصاً في هذا الزمان الذي اشتهر فيه الفسق وظهرت فيه أنواع البدع وانتشرت فيه طائفة تحلوا بحلية العلماء وتزيوا بزي الصلحاء ، والحال أن قلوبهم ممتلئة من الشهوات الكاسدة والأهواء الفاسدة ، فالعجب منهم أنهم

---

(١) شرح السيد الكبير (٦٧/٢) ونقله في شرح الوقاية .

(٢) كما يحدث في الأفلام التي تعرض خاصة عند مشاهدة المتبرجات والعياذ بالله .

(٣) هو من يبيع الفقع وهو الكمأة .

يدعون محبة الله ويخالفون سنة رسول الله ﷺ فيصفقون بأيديهم ويضربون بأرجلهم ويصعقون بأفواههم ، ويظهرون ما ليس في قلوبهم ويعتركون بحركات مختلفة في أبدانهم، والأزباد تنزل من أشداقهم حتى إن الجهال والحمقى من العامة يعتقدونهم ويلازمونهم ويقصدونهم ويعطونهم وينسبون أنفسهم إليهم وينفقون عليهم أعاذنا الله من شرهم وشر ما لديهم »[١] .

الوجه السابع : التصفيق الذي يصاحب الحضرة لا يجوز فكيف إذا كان في المساجد ومما تشتمل عليه الحضرة الصوفية أيضاً التصفيق باليد حيث يقوم الطرقية بهذا العمل المشين في المساجد أثناء ممارستهم للحضرة وقد نص العلماء على أن هذا التصفيق هو من فعل السفهاء ومن التشبه بالنساء ، ولو كان خارج الصلاة، فإن الحكم في الصلاة خاص بالنساء بل تصفيق الطرقية في الحضرات أشبه بفعل أهل الجاهلية ممن حكي الله عنهم : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما : التصدية : التصفيق باليد، المكاء : مثل الصفير[٢] .

قال ابن الجوزي رحمه الله : « والتصفيق منكر يطرب ، ويخرج عن حد الاعتدال ويتنزه عن مثله العقلاء، ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية ، وهي التي ذمهم الله عز وجل بها فقال : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] فالمكاء : الصفير والتصدية التصفيق ... وفيه أيضاً تشبه بالنساء ، والعاقل يأنف من أن يخرج عن الوقار إلى أفعال الكفار والنسوة[٣] .

---

(١) شرح الوقاية (١٩٣/٦-١٩٤) .

(٢) تفسير الطبري (٥٢٣/٣) .

(٣) تلبيس إبليس ص ٣١٦ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأما سماع المشركين الذين ذكره الله تعالى في قوله ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] . . . إلى أنه قال الشيخ رحمه الله : « فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله فقد ضاهي هؤلاء في بعض أمورهم »(١) .

وقال صاحب « عون المعبود في شرح سنن أبى داود » عند حديث : « إنما التصفيق للنساء والتسبيح للرجال » وفيه أن السنة لمن نابه شيء في الصلاة ، كإعلام من يستأذن عليه، وتنبيه الإمام وغير ذلك أن يسبح إن كان رجلاً فيقول سبحان الله ، وأن يصفق إن كانت امرأة وكأن منع النساء من التسبيح لأنها مأمورة بخفض صوتها في الصلاة مطلقاً لما يخشي من الافتتان ومنع الرجال من التصفيق لأنه من شأن النساء قاله الحافظ »(٢) .

وقال الملا على القاري : « التصفيق وهو ضرب إحدى اليدين على الأخرى للنساء : لأن صوتهن عورة(٣) ؛ قال ابن مالك ، وقال ابن حجر : أي لا للرجال فإنه بعد أن غلب في النساء صار لا يليق بشهامة الرجال »(٤) .

وقال ابن حجر الهيتمي : وقد حرم بعض العلماء التصفيق على الرجال بقوله : إنما التصفيق للنساء « وعبارة الحليمي : فإنه مما يختص به النساء وقد منعوا من التشبه بهن »(٥) .

قلت : وهذا الحكم ينسحب كذلك على تصفيق الرجال في الحفلات ولا

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٦٢/١١) .

(٢) عون المعبود (١٥٢/٢) .

(٣) ليس هذا اطلاقة والمسألة فيها تفصيل راجع اعلام الأبي للشيخ عطاء .

(٤) مرقاة المفاتيح (٧٣٩/٣ .

(٥) الزواجر (٢٩٧/٢) للهيتمي .

يختص بالحضرات الصوفية لهذا أفتى الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بأن التصفيق في الحفلات للرجال هو التحريم للأظهر في الدليل(١) وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه « متلقى عن غير المسلمين ولا ينبغي للمسلم أن يفعله »(٢) .

قال الشيخ على محفوظ رَحِمَهُ اللَّهُ في إنكاره على الصوفية : « ومن قبائحهم التصفيق حالة الذكر فإنه خفة ورعونة مشابهة لرعونة الإناث »(٣) .

الوجه الثامن : تعريض المسجد للتلوث والامتهان بترك المأكولات فيه كما بفعل أهل الحضرة ومما جرته الحضرات الطرقية إلى المساجد عادة من العادات التي لا تكاد تنفك عن الحضرة وهي الأكل بعد هذا الرقص وهز الأوساط والأكتاف، ومما يؤسف له أنهم يجلبون الأكل داخل المساجد وأحياناً تترك هذه المأكولات وبقاياها مما ينتج عنه انبعاث الروائح الكريهة داخل المساجد مما ينافي احترام وصيانة المساجد عن مثل هذا العبث .. إن المساجد ينبغي صيانتها، والحفاظ عليها من كل ما يؤدي إلى تلوثها وقد سمعنا عن بعض العلماء كان يكره الوضوء في المسجد فكيف لو رأى بقايا المأكولات والمشروبات مما أحدثه الطرقية في المساجد، لقد توسع الطرقية في عقد جلسات الأكل في المسجدحتى غدا المسجد مطبخاً للطعام ومائدة لهؤلاء اللئام وليتهم احترموا المساجد وحافظوا عليها لكنهم لم يفعلوا لجهلهم وصدق من قال :

إذا مـا الجهـل خـيـم في بـلاد رأيـت أسـودهـا مـسـخـت قـروداً

لقد حظيت المساجد في عهد رسول الله ﷺ بالعناية والصيانة والاحترام فقد أمر ببناءها في الدور وتجميرها أي تبخيرها ، والمحافظة عليها، من عبث العابثين

---

(١) كتاب الدعوة فتاوى الشيخ بن باز (١/٢٢٧) .

(٢) فتاوى الشيخ محمد العثيمين (٢/٩٣٤) جمع شقيقي أشرف عبدالمقصود وفقه الله .

(٣) الإبداع ص ٢٣٣ .

وإزالة الروائح الكريهة عنها لقد كان للمسجد من يقوم على تبخيره في عهد رسول الله ﷺ وممن قام بذلك الصحابي المعروف بنعيم المجمر ؛ ولو تتبعنا احترام الصحابة للمساجد وما كانوا عليه من صيانتها لوجدنا المثال الذي يجب أن يحتذي في ذلك وصدق ابن القيم رحمه الله في وصف الطرقية المخرفين حيث يقول[1] :

ألا قل لهم قول عبد نصوح وحق النصيحة أن تسمع
متى علم الناس في ديننا بأن الغناء سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل الحمار ويرقص في الجمع حتى يقع
وقالوا سكرنا بحب الإله وما أسكر القوم إلا القصع
كذاك البهائم إن أشبعت يرقصها ريها والشبع
ويسكره الناي ثم الغناء ويس لو تليت ما انصدع
فيالعقول ويا للنهى ألا منكر منكم للبدع
تهان مساجدنا بالسماع وتكرم عن مثل ذاك البيع

ما أحوج هؤلاء إلى التأديب ، لتطهير المساجد من بدعهم، ولن يتأتى ذلك إلا أن يستشعر القائمون على أمور المساجد عظم المسؤلية الملقاة على عاتقهم إنها مسألة تكليف لا تشريف وإن الله سائلهم عما فعلوا فيها وإني على يقين أن كل من يسر لهؤلاء الطرقية فتح المساجد، لإقامة الحضرات وحفلات هذا الرقص هو بيقين مشارك لهم في الإثم والعدوان . قال تعالى يقول ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] ولن يعفي المسئولون إمام الله يوم القيامة .

ورحم الله من قال :

واحسرتا على الطريق المستقيم قد ادعاه كل أفاك أثيم

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٦١) .

قد أشرقوا على كهوف الكفر وستروا بدعتهم بالفقر
واتخذوا مشايخاً جهالاً لم يعرفوا الحرام والحلال
فنفروهم من دعاة الدين أولي التقى والعلم واليقين
فاعرضوا عن سبل الرحمن واتبعوا مسالك الشيطان
وهدموا قواعد الإسلام واعتبروا خرائف الأوهام
وعكسوا حقائق الأمور ونصبوا حبائل الفجور
وجعلوا ملء البطون أصلهم بنوا عليه أمرهم وسبلهم
بعداً لقوم ألحدوا في الدين واشتغلوا بطاعة اللعين
وأولعوا بالافك والتلبيس تأسياً بشيخهم إبليس
وأسفاه على حماة الدين أولي الذكا والعلم والتمكين
آه على طريقة الكمال أفسدها طوائف الضلال(١)

ومن الفواقر وأقبح المناكر : ما وقع في حضر موت من قبل الصوفية من ضرب الدفوف في المساجد وقد أنكر أهل العلم هذا الصنيع ومنهم من أفرد رسالة في الانكار عليهم وهو العلامة عبد الله بن عوض بن مبارك بن سالم آل بكير حيث أفرد لانكار هذه البدعة رسالة له بعنوان السيف القاطع وسوف أنقل منها بعض المقتطفات لأهميتها ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وإن من أنكر المناكر، وأقبح العواهر ، التي يجب رفعها ، ويحق للمهج أن تبذل في منعها ما شاع وفشا من ضرب الدفوف في المساجد خصوصاً في جهتنا هذه فإنهم اتخذوا بيوت الله أسواقاً تدق فيها الطبول وصيروها مواضع لهو ولعب كما تشهد بذلك النقول والعقول وهي بدعة قبيحة ونزعة شيطانية ليست من الدين في شيء ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ فيجب

---

(١) مجموعة الرسائل المنيرية .

على كل من على بها أن يسعى في رفعها وإجلائها عن أشرف مواضع الأرض بيوت مالكنا وخالقنالاسيما وقد أمرنا تعالى بتعظيمها فقال : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] والمساجد من أحل الشعائر المطلوب وقال تعالى : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور : ٣٦] ، فإن المراد من الرفع حساً ومعنىً كما قاله المفسرون والتعظيم المعنوي بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوي وغير ذلك مما لاينبغي ... فأي رفعة في دق الدفوف في بيوت الله وهي من جملة آلات اللهو فلعمري إن ضربها بالمساجد لمناقض لما طلب الله من تعظيمها ورفعها وأنت خبير بأن ضرب الدف نقيصة تنخرم بدوام ضربه واستماعه المروءة وتُرَدُّ به الشهادة كما هو مقرر في كتب الفقه ، نص على ذلك النووي في « روضة الطالبين وعمدة المفتين » وهو أعظم كتب المذهب عند السيوطي فقال النووي في كتاب الشهادات من الروضة « فمن ذلك : المداومة على اللعب بالشطرنج والحمام رُدَّت شهادته وإن لم يقترن به ما يوجب التحريم لما فيه من ترك المروءه وكذا من داوم على الغناء أو سماعه وكان يأتي الناس ويأتونه أو اتخذ جارية أو غلاماً ليتغنيا للناس وكذا المداومة على الرقص وضرب الدف » .

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد فليقل : لا ردها الله عليك ، فإن المساجد لم تبن لهذا » ولقد تهافت السفهاء والجهلة والأراذل على ضرب الدفوف واتخذوه وسيلة لصرف وجوه العامة وأكل أموالهم بالباطل ونبذوا الواجبات الشرعية خلف أظهرهم وغربوا على العامة فضلوا وأضلوا ولا كفاهم حتى بقبائح أفعالهم بيوت ربناومواضع صلواتنا ومحل عباداتنا إذا دخل أحد المسجد وجدهم في لهم وطبول وصياح ما درى ما يقول فحسبهم الذي لايحول ولا يزول ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾[البقرة : ١١٤] .

وكتاب الله مستعبد بتلاوته فضلاً عن ضرب آلات اللهو فأي قربة وأي عبادة في ضرب الدفوف ما هي إلا بدعة مضلة فتأمل فإن ضرب الدفوف في المساجد واتخاذه عبادة مما لا دليل عليه في الشريعة المحمدية والعجب كل العجب من هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفاعيل من ضرب الدفوف وآلات لهو أخرى يسمونها مطارد نعوذ بالله ويدعون محبة الصالحين افتراء على الله وما المحبة إلا في الاتباع لا في الابتداع فمن أحب الصالحين اقتدى بهم وسلك طريقهم ولم يأمر الصالحون بهذه الأفعال القبيحة ولم يفعلوها لأنهم مقتدون برسول الله ﷺ ولم يمن هذا من دينه فحاشى الصالحين من هذه القبائح حاشاهم لقد نسبوا للصالحين أشياء هم مبرؤن عنهاواخترعوا في دين الله أموراًقبيحة لاتستند إلى شيء من أدلة الشرع بحال فمن أقبح ما ابتدعوا وأعظم ما اجترحوا اجتماعهم في المساجد لشأن ضرب الدفوف لهواً ولعباً وجعلوا ذلك ورداً مؤكداً لهم في بعض ليالي الأسبوع ويحافظون عليه محافظة تامة أشد من محافظتهم على الصلوات وينسبون ذلك لبعض الأكابر والله أعلم بمقصودهم وعلى كل حال ففعلهم هذا بطالة وضلالة لأنهم إما يعتقدون بذلك التقرب إلى من نووه وفي هذا خطر عظيم لأن المخلوق لايتقرب إليه بشيء من الطاعات وإما يعتقدون بذلك التقرب إلى الله وذلك باطل لن الله أجل من أن يتقرب إليه بمثل هذه القبائح والملاهي وإما أن يقولون ليس لنا قصد من هذين القصدين إنما مقصودنا إهداء ثواب ذلك من ذكر فنقول ليس فعلكم هذا من الطاعات حتى يحصل به ثواب غاية الأمر ونهايته أنه مكروه إذا لم يكن في مسجد والمكروه لايتقرب بفعله إنما يتقرب بتركه بل مثل هذه الفعال بعض ما كان عليه الجاهلية الأولى كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٤] أي صفير ورقيص وضرب الدفوف أقبح من الصفير والرقص « والمكاءالصفير والتصدية الرقص وهو منقول في تفسير الآيه عن السلف كابن عمر وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد ابن جبير وأبي رجاء العطاردي

ومحمد ابن كعب القرظي وحجر بن عابس ونبيط بن شريط وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم والسدي وآخرين كما ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم وابن كثير وغيرهم ».

وبعض المتهورين يحرض العامة على التمسك بمثل هذه البدع ويحببها إليهم ويزينها لهم لغلبة هواه واستيلاء الشيطان عليه وليصرف بذلك وجوههم إليه فمثله كمثل الحمار يحمل أسفاراًفبأي وجه يلقى الله هذه المداهن ويأمرهم بفعلها في المساجد ويحضر معهم مداهنة منه وجهالة وذلك غير جائز فإن بيوت الله أنزه من أن تتخذ مواضع لهو وطرب . . . فإن ضرب الدفوف في المساجد بدعة محدثة لم تكن في عهده صلى الله عليه وآله وسلم ولا في عهد خلفائه ولا في عهد التابعين فلو كانت من القربات لكانوا أول سابق إليها فما هي إلا ضلالة وأي ضلالة ومحدثة وأي محدثة ... فبالله هل كان ضرب الدفوف من سنته ﷺ أو من سنة خلفائه الراشدين وهل كانوا يضربون به في مساجدهم؟! لا والله لم يجيء في ذلك شيء يقتضي أنهم يضربونه في المساجد أو أنهم يتقربون بضربه إلى الله إلا ما جاء في بعض الأحاديث الضعيفة من الأمر بضربه في العرس[١] ثم ختم كلامه بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[٢] .

ومن الفتاوى التي تنكر الذكر بالدف والرقص فتوي من مركز الفتوى على موقع

---

(١) يقصد حديث أعلنوا هذا النكاح واضربوا عليه بالدفوف في المساجد فهو ضعيف بهذا التمام وقد ضعفه ابن الملقن في البدر المنير (٦٤٣/٩) وابن حجر في الفتح(٢٢٦/٩)والحديث حسن بدون زيادة (في المساجد)راجع آداب الزفاف للألباني رحمه الله والسلسلة الضعيفة للألباني(٩٧٨)ومن الجدير بالذكر أن ضرب الدف في العرس خاص بالنساء دون الرجال قال الحافظ بن حجر رحمه الله : « والأحاديث القوية فيها الإذن في ذلك للنساء فلا يلتحق بهن الرجال لعموم النهي عن التشبه بهن » فتح الباري (٢٢٦/٩) .

(٢) السيف القاطع في صون المسجد عن الدف رغم أنف المنازع ص ٢٣ .

اسلام ويب رقم الفتوى (٤٣٩٢٤) **ما حكم ذكرالله تعالى بالدف والمعروف عند عامة الناس بالحضرة علما بأنها تشتمل على تعليم العوام من الناس أمور دينهم من عبادات ومعاملات إلا أن الشيء الجالب للانتباه هو أن فيها بعض الأشخاص يذدبون حتى الصرع بمعنى آخر من كثرة الذكر يسقط الشخص بدون شعور فيرمونه بالماء أو بوضع مفتاح بيده ؟**

الإجابـة : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد : فإن اتخاذ الدف واللهو وسيلة لذكر الله تعالى لم يكن من هدي سلف هذه الأمة الصالح، وقد أنكر بعض أهل العلم هذا النوع من السماع، ومن هؤلاء محمد بن العبدري المعروف بابن الحاج في كتابه المدخل، حيث كان مما قال بهذا الشأن : وأما الدف، والرقص بالرجل، وكشف الرأس، وتخريق الثياب، فلا يخفى على ذي لب أنه لعب، وسخف، ونبذ للمروءة والوقار، ولما كان عليهاالأنبياءوالصالحون . وقال في موضع آخر : ألا ترى أن الشيخ الإمام السهروردي -رَحِمَهُ اللهُ- لما أن تكلم على السماع قال في أثناء كلامه : ولا شك أنك إذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع، وما يفعلونه في نفسك تنزه أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره . انتهى . فالواجب تنزيه المجالس عن مثل هذا النوع من الذكر، والاكتفاء بما هو مشروع من تعليم الناس أمور دينهم، ويسعنا في ذلك ما وسع أصحاب رسول الله ﷺ، ولنتذكر ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه : كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها . ولعل من المناسب أن ننقل هنا كلاماً لابن تيمية في مجموع الفتاوى، حيث قال : وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة، مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف . انتهى . وأما السقوط على الأرض عند الذكر، فلو كان في ذكر مشروع لما

كان مدحاً، وإلا لفعله النبي ﷺ وأصحابه، فكيف وهو في ذكر غير مشروع، وما ذكر من كون النبي ﷺ تواجد حتى سقطت بردته عن منكبه عند سماع شعر الأعرابي قال عنه ابن تيمية في مجموع الفتاوى : وهذا الحديث كذب بإجماع العارفين بسيرة رسول الله ﷺ وسننه وأحواله » . انتهى والله أعلم .

الوجه التاسع : أن هذه الحضرات يصحبها رفع الأصوات بالذكر وهذا مخالف للنصوص وبيان ذلك أن من مواصفات الذكر الشرعي والصلاة الشرعية عدم الجهر بشكل يؤذي الناس أو يشوش عليهم . قال الله تعالى ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

قال القرطبي رحمه الله « دل هذا على أن رفع الصوت بالذكر ممنوع »(١) .

وقال ابن كثير رحمه الله « أما قوله : ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهراً، ولهذا قال ﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ وهكذا يستحب أن يكون الذكر، لا يكون نداء وجهراً بليغاً، ولهذا لما سألوا رسول الله ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦](٢) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : كنا مع النبيّ ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ « يأيها الناس أربعوا على أنفسكم ، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً » الحديث(٣) .

ألم يقل الله عز وجل ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾

---

(١) الأحكام القرآن (٧/٣٥٥) .

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/٤٤٥) .

(٣) رواه البخاري (٦٣٨٤) ومسلم(٤/٢٠٧٦) وقوله أربعوا: ارفقوا ولا تجهدوا أنفسكم فتح الباري (١١/١٩١) .

[الأعراف : ٥٥] . وقد قال أهل التفسير : تفسير المعتدين في الآية هم الرافعون أصواتهم بالدعاء[١] .

قال الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر بعض البدع الإضافية : « كالجهر والاجتماع في الذكر المشهوريين الصوفية فإن بينه وبين الذكر المشروع بوناً بعيداً إذ هما كالمتضادين عادة »[٢] .

ومن الخطل والخبل : أن يزعم بعضهم أن الذاكر قد يصل بذكره إلى درجة مشاهده الحق سبحانه وتعالى وهذا من الطوام المرعشة التي ذكرها وزعمها الغزالي صاحب الإحياء حيث يقول : « لاينبغي للمريد أثناء الخلوة أن يشغل نفسه ، لا بتفكير ولا بحديث ولا بقرآن، ولا بعلم، بل يتفرغ للذكر بقول « الله الله » أو « هو،هو » باللسان والقلب، والأعضاء ، ثم يترك اللسان إلى القلب ، ثم يترك القلب فيصل إلى المشاهدة ، ثم يغيب عن نفسه لمشاهدته، ثم يفنى عن كليته بكليته ، حتى كأنه في حضرة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار « فحينئذ يتجلى الحق على قلبه فيضطرب عند ذلك، ويندهش ويغلب عليه السكر، وحال الحضور والإجلال والتعظيم، فلا يبقى فيه متسع لغير مطلوبة الأعظم، كما قيل : فلا حاجة لأهل الحضور إلى غير شهود عيانه ، وقيل في قوله تعالى : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج : ٣] قيل الشاهد : هو الله ، والمشهود هو عكس جمال الحضرة الطلبية فهو الشاهد والمشهود يعني الله تعالى »[٣] .

الوجه العاشر : اشتمال الحضرة على بدعة الرقص .

فهذه الحضرات التي أقامها ويقيمها الطرفية جرت بدعة أشنع وأشنع وهي بدعة

---

(١) تفسير ابن كثير

(٢) الاعتصام (٢١٩/١) .

(٣) راجع الرد على الخرافيين لسفر الحوالي ص ٧١ .

الرقص والدف بالمزمار والشبابة وغيرها مما اتخذوه ديناً وقربة إلى الله تعالى ومن تتبع حال القوم وجد هذه البدعة منشرة فيما بينهم فما تكاد تجد حضرة من الحضرات خالية من الرقص فيها والإقدام على مثل هذه البدعة من الرعونة وإسقاط المرورة والعبث، بل وينحط أصحابها إلى رتبة السفهاء بلا شك حيث يقومون بحركات هستيرية في الحضرة في قفز مستمر وتصفيق وتمايل يميناً ويساراً كما يحدث ذلك في الموالد حيث يكون هذا الأمر على أشده وكل يخرج ما عنده من المواهب في هذه الاجتماعات !! بل ويحدث فيها اختلاط بين الرجال والنساء ويقع فيها ما لا يرضاه الله ورسوله ﷺ ، من كشف للعورات ، وصياح وزعيق،ونهيق وشهيق وزفير وغير ذلك وتمزيق للثياب ، وإغضاب لرب الأرباب ، ولرسول الملك الوهاب ﷺ ولا شك أن هذا باطل وهراء وضحك على الذقون والعقول واستخفاف بعقول الناس ، وتشويه للدين ، والرقص محرم بنص القرآن الكريم : قال ابن عقيل رحمه الله : « وقد نص القرآن على النهى عن الرقص قال عز وجل ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] وذم المختال فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان : ١٨] والرقص أشد المرح والبطر أو لسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لا تفاقهما في الإطراب والسكر؟ فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعها في الإطراب ، وهل شيء يزري بالعقل والوقار ويخرج عن سمت الحلم والأدب أقبح من ذي لحية يرقص؟ فكيف إذا كانت شيبة ترقص وتصفق على وقاع الألحان والقضبان خصوصاً إذا كانت أصوات نسوان ومردان؟! وهل يحسن بمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو إلى إحدى الدارين صائر أن يشمس بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوة ؟،و الله لقد رأيت مشايخ في عصري مابان لهم سن في تبسم فضلاً عن ضحك مع إدمان مخالطتي لهم كالشيخ أبي القاسم بن زيدان ،

وعبدالملك بن بشران ، وأبي طاهر العلاف والجنيد والدينوري »[١] .

قلت : هذا حال مشايخهم في الزمن الماضي فكيف لو رأى حال مشايخ اليوم ممن يبيح الغناء والربا وجواز العمل في حمل الخمر عند الكفار[٢] وبناء المساجد على القبور والتوسل بالمقبور و . . . و . . . و . . . والقائمة تطول هذا بخلاف من يصحح مذهب الطرقية من الصوفية ويفتح لهم مراكز العلوم والكليات والدراسات وغيرها . فإنا لله وإنا إليه راجعون عفوك اللهم .

قال ابن الجوزي رحمه الله : « وقد نَفَّر جماعة من المتصوفة خلقاً من الخلق عن الكسب وأوحشوا بينهم وبينه وهو دأب الأنبياءوالصالحين وإنما طلبوا طريق الراحة وجلسوا على الفتوح(الصدقات)فإذا شبعوا رقصوا فإذا انهضم الطعام أكلوا فإذا لاحت لهم حيلة على غني أوجبوا عليه دعوة إما بسبب شكر أو بسبب استغفاروأطم الطامات إدعاؤهم أن هذا قربة وقد انعقد إجماع العلماء أن من ادعى الرقص قربة إلى الله كفر »[٣] .

قال ابن رجب رحمه الله : « فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله ، فعمله باطل مردود عليه ، وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية ، وهذا كمن تقرب إلى الله تعالى بسماع الملاهي ، أو بالرقص ، أو

---

(١) تلبيس إبليس ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٢) إن لله وإنا إليه راجعون انظر إلى ما قاله ابن عقيل شيخ الحنابلة في بغداد يقول « ريح الخمر كصوت الملاهي ، فيما إذا شم ريحها كان بمثابة من سمع صوت الملاهي وأصغي إليها ويجب ستر المنخرين والإسراع كوجوب سد الأذنين عند الإسماع » نقله البهوتي في كشاف القناع (١/٣٤١) قلت: هذا بالطبع يحمل على من قصد شم ريحها فكيف بمن أباح حملها من فقهاء ضغط الواقع والتقلبات الدولية نسأل الله العافية .

(٣) صيد الخاطر ص ١٥٤ .

بكشف الرأس في غير الإحرام ، وما أشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع الله ورسوله التقرب بها بالكلية » .

وقال - في قاعدة مفيدة في هذا القسم - : « وليس كل ما كان قربة في موطن يكون قربة في كل المواطن ، وإنما يتبع في ذلك ما وردت به الشريعة في مواضعها »(١) .

ومما يدل على تحريم الرقص الصوفي المزعوم الذي اتخذوه ديناً وقربة إلى الله تعالى وهو باطل بلا شك ولا يمت إلى دين الله عز وجل بصله إذ هو من خرافات الصوفية الطرفية ومن شطحاتهم وبدعهم التي ما فتؤا يروجونها في أوساط العامة والخاصة .

فمن الأدلة على تحريم هذا الرقص قوله ﷺ : « كل لعب ابن آدم حرام إلا ثلاثة ملاعبة الرجل أهله ، وتأديبه لفرسه، ومناضلته لقوسه » .

قال النسفي رحمه الله : « وهذا نص صريح في تحريم الرقص الذي يسميه متصوفة الوقت سماع الطيب، وإنما هو سماع فيه أنواع الفسق وأنواع العذاب في الآخرة »(٢) .

بل إن الزعم بأن الرقص في الحضرات من الشرع المطهر هو زعم باطل وكذب فاضح وقد سئل الإمام الحلواني ،وهو من الحنفية عمن سموا أنفسهم الصوفية ، واختصوا بنوع لبسة ، واشتغلوا باللهو والرقص، وادعوا لأنفسهم المنزلة، فقال : أفتروا على الله كذباً أم بهم جنة(٣) .

وممن أنكر على الصوفية رقصهم في الحضرات والمساجد وتجويزهم السماع

(١) جامع العلوم والحكم ص١٦

(٢) شرح الكنز للنسفي نقلاً عن حكم الحضرة في المذاهب الأربعة من موقع الالوكة

(٣) الرهص والوقص لمستحل الرقص ص ٣٦ للعلامة إبراهيم الحلبي الحنفي .

المحرم الإمام برهان الدين البقاعي فقد كان له باع كبير في الإنكار عليهم وألف في ذلك مؤلفات خاصة فمن ذلك رسالة له بعنوان « إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر » وسبب تأليف هذه الرسالة أفصح عنه في مقدمتها حيث قال رَحِمَهُ اللَّهُ : « إني لما رجعت من مصر بعد طول الغيبة إلى دمشق راجياً حسن الأوبة بقلة المناكر وكثرة الناصر على الظالم وجدتها قد تغير أهلها، فوجدت في جامعها الأعظم (الجامع الأموي) قوما يتحلقون ويهللون بصوت واحد من بعد صلاة الجمعة إلى العصر ذكراً يخرجونه عن وجهه إلى حيز المعصية بالأصوات المزعجة ... » .

ثم شرع رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان الذكر المشروع وكيفيته والرد على من أجاز الرقص في الذكر على طريقه الصوفية والرسالة ذكرها صاحب كشف الظنون[(١)] ومعجم المصنفين[(٢)] وهدية العارفين[(٣)] وقد نشرت في مكتبة العبيكان بالسعودية[(٤)] .

* وممن نقض بدع الصوفية في استحلالهم الرقص في الحضرات وتجويزهم السماع الشيخ محمد بن محمد المعروف بقاضي زاده المتوفى سنة ١٠٤٤ ألف رسالة بعنوان « ارشاد العقول السليمة إلى الأصول القويمة بإبطال البدع السقيمة » وهي رسالة مختصرة ذكر فيها أنه لما طالع رسالة في جواز الرقص الصوفي منسوبة إلى المفتي المعروف بعلي حلي كتب في إبطالها واثبات مدعاه .

* وممن نقض بدعهم في الرقص والغناء أيضاً الشيخ إبراهيم بن محمد الحلي سنة ٩٥٦هـ حيث كتب رسالة له بعنوان « الوهص والوقص لمستحل الرقص » رد فيها على الشيخ سنبل بن يعقوب المتوفى سنة ٩٨٩ حيث كتب الأخير رسالة أفتى

---

(١) (١٧٠/١) .

(٢) (٢٧٨/٢) .

(٣) (٢٢/١) .

(٤) حققه الأخ الفاضل سليمان الحرش سنة ١٤٢١ هـ .

فيها بجواز الرقص في الحضرات الصوفية كتبها للسلطان سليمان القانوني أحد سلاطين الدولة العثمانية ومع ما كانت عليه الدولة العثمانية من الجهاد الإسلامي إلا أنها كانت تشجع الصوفية وتنشر المشاهد وبناء القباب على القبور وغيرها ومن ذلك تشييد قبر ابن عربي الصوفي في دمشق وجعل الأوقاف عليه .

لقد بلغ من إنكار العلماء على هؤلاء الطرقية من الصوفية أصحاب الزاوايا والحضرات والبدع والمنكرات بلغ ببعض العلماء أن يفتى بعدم إعطاء الزكاة لهم واعتبارهم فيمن ترد شهادتهم ولا تقبل .

فهذا هو العلامة تقي الدين الحصني رحمه الله وهو من الشافعية يقول عند بيان من لا تدفع إليهم الزكاة : « ... الأراذل من المتصوفة الذين قد اشتهر عنهم أنهم من أهل الصلاح المنقطعين لعباده ربهم، قد اتخذ كل منهم زاوية أو مكاناً يظهر فيه نوعاً من الذكر، وقد لف عليهم من له زى القوم وربما انتمى أحدهم إلى أحد رجال القوم كالأحمدية والقادرية ، وقد كذبوا في الانتماء، فهؤلاء لا يستحقون شيئاً من الزكوات ، ولا يحل دفع الزكاة إليهم، ومن دفعها إليهم لم يقع الوقع وهي باقية في ذمته . . . ويجب على كل من يقدر على الإنكار أن ينكر عليهم، وإثمهم متعلق بالحكام الذين جعلهم الله تعالى في مناصب لإظهار الحق وقمع الباطل وإقامة ما جاء رسول الله ﷺ بأمانته والله أعلم »(١) .

وقال أيضاً في ذكر من لا تقبل شهادتهم : « فلا تقبل شهادة القمام، وهو الذي يجمع القمامة أي الكناسة ويحملها، وكذا القيم في الحمام، ومن يلعب بالحمام يعنى يطيرها لينظر تقلبها في الجو، وكذا المغني سواء أتى الناس أو أتوه، وكذا الرقاص كهذه الصوفية الذين يسعون إلى ولائهم الظلمة والمكسة، ويظهرون التواجد عند رقصهم، وتحريك رؤوسهم، وتلويح لحاهم الخسيسة كصنع

(١) كفاية الأخيار(١/٩٨)

المجانين، وإذا قرئ القرآن لا يستمعون له ، ولا ينصتون وإذا نعق مزمار الشيطان صاح بعضهم على بعض بالوسواس، قاتلهم الله ما أفسقهم وأزهدهم في كتاب الله ، وأرغبهم في مزمار الشيطان وقرن الشيطان، عافانا الله من ذلك »(١) .

قلت : وكلام التقي الحصني رحمه الله في عدم إعطاء هؤلاء من الزكاة له وجاهته لأن هذا الإعطاء يساعدهم على ما هم عليه من ممارسة البدع والباطل والله تعالى يقول ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة : ٢] فكيف بمن يبني لهم الزوايا والمساجد ليمارسوا فيها الحضرات المبتدعة والرقص المشين؟بل هذه الزوايا التي اتخذوها لأنفسهم ليست من الشرع المطهر في شيء بل هي أماكن ممارسة البدع(٢) وقد أنكرها غير واحد من العلماء أذكر منهم العلامة ابن الجوزي رحمه الله حيث يقول في ذكر تلبيس إبليس على الصوفية في المساكن قال « أما بناء الأربطة فإن قوماً من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد .

وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه :

أحداها : أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد .

الثاني : أنهم جعلوا للمساجد نظيراً يقلل جمعها .

الثالث : أنهم أفانوا (الأصح أفتوالعل معناها حرموا) أنفسهم نقل الخطى إلى المساجد .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) وقد كثر بناء هذه الزوايا في العصر العثماني ففي القاهرة وحدها كان يوجد مائتان وخمسة وعشرون زاوية هذا في العهد العثماني أما بعد هذا العهد فقد زاد عددها حتى قال الشيخ محمد الحجوى رحمه الله « حتى أنك إذا اتجهت في أي مدينة أو قرية في غالب الممالك الإسلامية تجد زواياها أكثر من المساجد ومن المدارس » راجع الفكر الإسلامي في تاريخ الفقه الإسلامي (٢/٦١٢) تحقيق الدكتور عبدالعزيز القارئ .

الرابع : أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في بالأديرة .

الخامس : أنهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى نكاح

.السادس : أنهم جعلوا لأنفسهم علماً ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم . وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين لكوبة ومناخاً للبطالة وإعلاماً لإظهار الزهد، وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ، ووقفوا عليها الأحوال الخبيثة، وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فاسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء البارد »[(١)] .

قلت : سبحان الله كأن ابن الجوزي يصف طرقية زماننا الذين يدورون على الطعام في كل مولد ويسارعون إلى حضوره لا هم لهم إلا الأكل وملء البطون والنوم ملء الجفون وصدق الإمام الشافعي حيث يقول : « لا يكون الصوفي حتى يكون فيه أربع خصال كسول أكول نؤوم كثير الفضول »[(٢)] .

وقال أيضاً : « لو أن رجلاً تصوف من أول النهار لم يأت عليه الظهر إلا وجدته أحمقا »[(٣)] .

وقال أيضاً : « ما لزم أحد الصوفيين أربعين يوماً فعاد عقله أبداً »[(٤)] .

ولا تنس أن الشافعي رحمه الله قد أدرك بعض بدع الصوفية التي نشأت في بغداد وسمع عن بعض بدعهم ومنهاالرقص والغناء الذي يسمونه التغبير .

---

(١) تلبيس إبليس ص ٢١٧ .

(٢) مناقب الشافعي (٢/٢٠٨) للبيهقي .

(٣) مناقب الشافعي (٢/٢٠٨) للبيهقي .

(٤) أخرجه ابن الجوزي بسنده عنه في تلبيس إبليس ص ٣٧١ .

حيث يقول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : « خلفت بالعراق شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يشغلون به الناس عن القرآن »(١) .

وأما الإمام مالك وهو أستاذ الشافعي فلم ير شيئاً من بدعهم في المدينة لأن المدينة وقتها كانت غاية في التمسك بالسنة وأكثر بغضاً وإنكارا للبدعة والمبتدعين .

وكان الإمام مالك ينكر على من خالف السنة إنكاراً شديداً أو ابتدع بدعة وكذلك ينكر إذا بلغه شيئاً من ذلك .

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : قال التنيسي : كنا عن مالك وأصحابه حوله، فقال رجل من أهل نصيبين : عندنا قوم يقال لهم الصوفية، يأكلون كثيراً ، ثم يأخذون في القصائد، ثم يقومون فيرقصون، فقال مالك : أصبيان هم ؟ قال : لا ، قال : أمجانين هم؟ قال : لا، هم قوم مشايخ، وغير ذلك عقلاء، فقال مالك : ما سمعت أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا !! فقال له الرجل : بل يأكلون، ثم يقومون ويرقصون دوائب، ويلطم بعضهم رأسه، وبعضهم وجهه، فضحك مالك، ثم قام فدخل منزله، فقال أصحاب مالك للرجل : لقد كنت يا هذا مشئوماً على صاحبنا لقد جالسناه نيفاً وثلاثين سنة ، ما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم(٢) .

قال ابن التركماني رَحِمَهُ اللَّهُ : « إن هذا الرقص الموزون ، الموافق لتوقيعات الألحان ، آلات الطرب ، ومراعاة التصنع في الحركات ، يستقبح من النساء وأهل المجانة ، فكيف يستحسن من أهل الزهد والمحبة والديانة ؟، فنعوذ بالله من مكابرة العقول ، ومخالفة المنقول ، وأما فعل ذلك في المساجد فأشد بلاء لما فيه من إظهار البدعة في بيوت الله تعالى ، لأن المساجد ما بنيت إلا للصلاة ولذكر الله ، قال الله

---

(١) تلبيس إبليس ص ٢٨٣ ورواه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص٣٦ وأبو نعيم في الحلية (١٤٦/٩)وصححه ابن القيم في إغاثة اللهفان (٢٢٩/١) .

(٢) ترتيب المدارك (٥٤/٢) للقاضي عياض .

تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [النور : ٣٦] وقد وجب تنزيهها من المباحات كالبيع والشراء ونشدان الضالة ، كما ثبت في الحديث الصحيح وهو قوله ﷺ لمن يبيع في المسجد : لا أربح الله تجارتك ،ولمن ينشد الضالة لا ردها ، فتنزيهها عن البدع المستنكرة وإعلان المعصية بطريق الأولى وأما فعل ذلك في البيوت فإن كان بإذن أربابها ، فقد شاركهم الإذن في الإثم وسقط الضمان لما يخربونه من السقف والحيطان وإن كان بغير إذن ، فحرام انضم إلى حرام ، ويجب ضمان الناقص بفعل الراقص »[1] ، وقال ابن الجوزي رحمه الله : « وقد انعقد إجماع العلماءعلى أن من ادعى الرقص قربة إلى الله تعالى كفر »[2] .

وقال تقي الدين السبكي : « الرقص نقص، والغناء سفاهة »[3] .

ونقل عن بعض العلماء قوله « الرقص نقص، وهو من أفعال أهل البطالات لا يليق بالعقلاء، ولا يناسب أحوال العقلاء ، لأنهم يتزهون أنفسهم عن مشابهة السفلة الطغام ، وعن مشاكله الصبيان والنسوان »[4] .

ونقل الشيخ على محفوظ في الإبداع عن ابن الحاج قوله : « وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل ، حاشا لله أن يقول هذا القول الشنيع حجة المسلمين وإمام العاملين الإمام ابن حجر أمطر الله على جدثه صيب الرحمة والرضوان »[5] .

---

(١) اللمع (١ / ٧٨) .

(٢) صيد الخاطر ص ١٥٤

(٣) ١٥٣ - كف الرعاع (٢/٢٨٢) للهيتمي .

(٤) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٦/٥٦٧) للزبيدي .

(٥) الإبداع ص ٣٢٢ نقلا عن ابن الحاج في المدخل .

قال ابن الحاج رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يتكلم عن الصوفية وبدعة الغناء والرقص الصوفي « وقد ذكر أن بعض الناس عمل فتوى في سنة احدي وستين وستمائة ومش بها على الأربع مذاهب ولفظها : **ما تقول السادة الفقهاء وأئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته في جماعة من المسلمين وردوا إلى بلد فقصدوا المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف، وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك في المساجد شرعاً أفتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى ؟**

فقالت الشافعية : السماع ومكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم .

وقالت المالكية : يجب على ولاة الأمور زجرهم وإخراجهم من المساجد حتى يتوبوا . وقالت الحنابلة : فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وإن كان حاكما وإن عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم .

وقالت الحنيفة : الحصر التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والأرض التي يرقص عليها حتى يحفر ترابها ويرمى والله أعلم »(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ « أما الرقص فلم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ ولا أحد من الأئمة ، بل قد قال الله تعالى في كتابه ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ [لقمان : ١٩] وقال في كتابه ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] أي بسكينة ووقار ... وإنما عبادة المسلمين الركوع والسجود ، بل ضرب الرف والرقص لم يأمر الله به ولا رسوله ولا أحد من سلف الأمة »(٢) .

وقال أيضاً : « ولو كان هذا مما يؤمر به ويستحب وتصلح به القلوب للمعبود

---

(١) المدخل (٣/٩٩) .

(٢) مجموع الفتاوى (١١ / ٥٩٩) .

المحبوب لكان ذلك مما دلت الأدلة الشرعية عليه »[١] بل الرقص في الحضرات الصوفية هو تماماً شبيه بفعل عباد العجل الذين عبدوه من دون الله عز وجل حيث قال الله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [الأعراف : ١٤٨] وقال في حق زعيمهم السامري الذي أضلهم ﴿ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ [طه : ٨٨] فطفق اليهود يطوفون حوله ويرقصون بل لا يزالون مصرين إلى اليوم على تجديد هذه العبادة بما يعرف عندهم بالبقرة الحمراء .

فالحاصل : أن الطرقية شابهوا أصحاب السامري في الرقص وهز الأوساط والتمايل يمينا ويساراً في الحضرات ولعل في عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية السابقة ما يؤكد ذلك وهو قوله « إنما عبادة المسلمين الركوع والسجود » .

قال الاستاذ محمد أحمد لوح تعليقاً على مقولة شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « لعله إشارة منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أن العبادة بالرقص وسماع الأغاني بدعة يهودية تسربت إلى المنتسبين إلى الإسلام بطريقة أو بأخرى ، وهذا ما تأكد لي حين وقفت على نص في أحد أسفار العهد القديم عن اليهود يدعو إلى عبادة الله بالرقص والدف والغناء يقول النص : « هللوا غنوا الرب ترنيمة جديدة تسبيحه في جماعة الأتقياء ليفرح إسرائيل بخالقه ، ليبتهج بنو صهيون بملكهم ، ليسبحوا اسمه برقص بدف وعود ليرنموا له لأن الرب راض عن شعبة ... سبحوه برباب وعود وسبحوه بدف ورقص سبحوه بأوتار ومزمار »[٢] . ويؤكد أن الرقص كان ديناً معروفاً عند مبتدعي اليهود »[٣] ما ذكره القرطبي عن أحد العلماء حيث سئل عن مذهب الصوفية في

(١) المصدر السابق (١٠ / ٧٧) .

(٢) العهد القديم مزمور ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١ / ٣٢٩ - ٣٣٠) .

الرقص والتواجد حتى يقع أحدهم مغشياً عليه ؟فأجاب : « مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ، ويتواجدون ، فهو دين الكفار وعباد العجل ... إلى أن قال : فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ، وغيرهم من أئمة المسلمين »(١) .

وقال القرطبي رحمه الله في ذم ما عليه الطرقية من الرقص في الحضرات : « وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك ، فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه ، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير ، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان ، حتى رقصوا بحركات متطابقة ، وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال ، وأن ذلك يثمر سني الأحوال ، وهذا على التحقيق : من آثار الزندقة ، وقول أهل الخرقة والله المستعان »(٢) .

قال الحافظ ابن حجر عقب كلام القرطبي : « وينبغي أن يعكس مرادهم ، ويقرأ : يثمر سيء الأحوال عوض سني الأحوال »(٣) .

وأما الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله فوضح كثير من بدع الصوفية في كلامه الآتي ومن ذلك الرقص والغناء فقال : « ومما أحدث من العلوم الكلام في العلوم الباطنة في المعارف وأعمال القلوب ، وتوابع ذلك بمجرد الرأي والذوق ، أو

(١) تفسير القرطبي (١١ / ٢٣٧ - ٢٣٨) .

(٢) فتح الباري (٢ / ٢٦٨) .

(٣) المصدر السابق .

الكشف ، وفيه خطر عظيم ،وقد أنكره أعيان الأئمة كالإمام أحمد وغيره . . . . وقد اتسع الخرق على الراقع في هذا الباب ودخل فيه قوم إلى أنواع الزندقة والنفاق ودعوى أن أولياء الله أفضل من الأنبياء ، أو أنهم مستغنون عنهم ، وإلى تنقص ما جاءت به الرسل من الشرائع ؛ وإلى دعوى الحلول والاتحاد ، أو القول بوحدة الوجود ، وغير ذلك من أصول الكفر والفسوق والعصيان ، كدعوى الإباحة ، وحل محظورات الشرع ، وأدخلوا في هذا الطريق أشياء ليست من الدين في شيء فبعضهم زعموا أنه يحصل به ترقيق القلوب كالغناء والرقص ، وبعضهم زعموا أنه يراد لرياضة النفوس كعشق الصور المحرفة ونظرها ، وبعضهم زعموا أنه لكسر النفوس والتواضع كشهرة اللباس ، وغير ذلك مما لم تأت به الشريعة ، وبعضه يصدعن ذكر الله وعن الصلاة كالغناء والنظر إلى المحرم ، وشابهوا بذلك الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً »(١) .

وقد عاصر الشيخ رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ فترة انتشار الطرق الصوفية سواء في سورية والشام أو في مصر وكان ينكر عليهم أشد الإنكار .

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ : « ولما جئت مصر ورأيت فيها من بدع أهل الطريق أضعاف ما في بلادنا وأنشأت المقالات الضافية في المنار في منكراتهم في الموالد وغيرها »(٢) .

ففي حادثة وقعت له إنكاره على الطائفة المولوية أتباع جلال الدين الرومي التي نشأت في تركيا وهم يتخذون الرقص على نغمات الموسيقي عبادة . يقول إنه رأى غلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيضاً ناصعة كجلابيب العرائس يرقصون بها على نغمات الناي ويدورون دورانا فنيا سريعاعلى أبعاد متناسبة ، ويمدون سواعدهم ، ويميلون أعناقهم ، ويمرون واحداً واحدا أمام شيخهم يركعون

(١) من رسالة فضل علم السلف على الخلف ص ٣١ لابن رجب الحنبلي .

(٢) المناروالأزهر ص ١٧٣ .

له : قلت ما هذا ؟ قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف لم أملك نفسي وقفت في بهوة النظارة وصحت بأعلى صوتي بما معناه : أيها الناس أو المسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عليه ، لأنه إقرار له ، وأنه يصدق علي مقترفيه قول الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ [الأنعام : ٧٠] وإنني قد أديت الواجب على فاخرجوا رحمكم الله وخرجت من المكان »[1] .

ومن الخبل والخطل الذي لا يكاد ينتهي أن بعض الصوفية جمع ما ظنه دليلاً على عمل الحضرة الصوفية في كتاب سماه « نجوم المهتدين بأدلة استحباب الذكر على طريقة المشايخ المتأخرين ، برفع الأرجل من الأرض والاهتزاز شوقاً لرب العالمين » وهو لعبد الكبير الكتاني .

قلت : الحمد لله الذي قال على طريقة المشايخ المتأخرين فإن هذا الرقص لا يعرفه المشايخ المتقدمون من سلفنا الصالح والعجب أن المؤلف قد ورد عنه أنه تمايل وتواجد ورقص في مجلس عند سماع بيتين من الشعر وكانت عليه عباءة فألقاها . وقال لمنشد الأبيات : « من قتل قتيلاً فله سلبه » وأعطاه العباءة .

والبيتان هما[2] :

إن شاهدت مقلتي سلمى بذي سلم　　علـي نـذر لا أخـل بـه إلا لـعـذر
تعفير خدي بذاك الترب كالجاني　　إلـــى الإخـــلال أنجـــانـــي

الوجه الحادي عشر : اشتمال الحضرة على السماع والغناء الصوفي

وهذه بدعة أخرى من البدع التي اشتملت عليها الحضرة الصوفية الغناء الصوفي

---

(١) المصدر السابق ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) ذكر ذلك محمد بن حمزة بن علي الكتاني على موقع روض الرياحين في ٢٩|٤|١٤٢٨

أو ما يعرف بالسماع قديماً حيث اتخذه الصوفية قربة وديناً يتقربون به إلى الله عز وجل وقد بات هذا التقليد جزءاً لا يتجزأ من الحضرة الصوفية حيث يقوم أحدهم ويدعى المنشد ليغني لهم بأوراد وألحان فيها مخالفات شركية وغلو في الأولياء ومن يتابع إنشادهم في الموالد التي تقام عند القبور يطول تعجبه مما يسمع من الاستغاثة بغير الله ، وطلب المدد من الأموات ، ودعاؤهم من دون الله لكشف الكربات والملمات والتماس البركات وتكمن خطورة السماع الصوفي في أنهم جعلوه ديناً وقربه يتقربون به إلى الله وليس من باب اللهو واللعب ولو كان هكذا لهان الخطب ولكن دعوى اتخاذه ديناً هي الأخطر بل هي البلية العظمى ، والداهية الكبرى ، حتى لقد وجد من يتأثر بهذا السماع الصوفي أكثر من تأثره بالقرآن الكريم كما يحكي الشعراني الصوفي وهو يصف أحد مشايخ الصوفية ويقول : « وكان إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعه ، وإذا سمع شعراً قامت قيامته »[1] .

وقد علق ابن الجوزي على أمثال فعل أولئك الطرقية المخرفين بقوله : « وقد نشب السماع بقلوب خلق منهم فآثروه على قراءة القرآن ، ورقت قلوبهم بما لا ترق عند القرآن ، وماذاك إلا تمكن هوى باطن ، وغلبة طبع وهم يظنون غير هذا »[2] .

ومن الغريب والعجيب أن يُحَسِّن القشيري الصوفي لهم هذا السماع حيث ينقل تأثير السماع على أعضاء الجسم فيقع لكل منها نصيب فما يقع إلى العين تبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح ، وما يقع على اليد تمزق الثياب ، وتلطم ، وما يقع على الرجل فترقص[3] والحق أن تأثير هذا السماع فيهم أمر لا يستريب فيه أحد وهو من تتزين الباطل ولا تحسبن أنني أتجني عليهم بل لقد رأيت ذلك منهم حيث

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني (١ / ٧٨) .

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٤٠ .

(٣) الرسالة للقشيري ص ٦٥٧ .

كانت لي تجربة شخصية مع هذه الطرق ودعوتها إلى الحق فمنهم من تاب وأناب ومنهم من أصر ولم يدعو وصب علينا الاتهامات الباطلة والتهم المزيفة وإذا أردت مزيدا من الحقائق فانظر إلى حضراتهم أثناء هذا السماع ومدى تأثرهم به أكثر من تأثرهم بسماع القرآن الكريم ولا شك أن هذا من استحواذ الشيطان عليهم وخداعة لهم ومكره بهم .

ولله در بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يصف حال القوم عند السماع البدعي الذي آثروه على سماع القرآن فيقول :

تلي الكتاب فأطرقوا لا خيفة ... لكنه إطراق ساه لا هي
وأتي الغناء فكالحمير تناهقوا ... والله ما رقصوا لأجل الله
دف ومزمار ونغمة شادن ... فمتى شهدت عبادة بملاهي ؟
ثقل الكتاب عليهم لما رأوا ... تقييده بأوامر ونواهي
سمعوا له رعداً وبرقا إذا حوى ... زجراً وتخويفاً بفعل مناهي
ورأوه أعظم قاطع للنفس عن ... شهواتها ياويحها المتناهي
وأتى السماع موافقا أغراضها ... فلأجل ذاك غدا عظيم الجاه
أين المساعد للهوى من قاطع ... أسبابه عند الجهول الساهي
إن لم يكن خمر الجسوم فإنه ... خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر إلى النشوان عند شرابه ... وانظر إلى النشوان عند تلاهي
وانظر إلى تمزيق ذا أثوابه ... من بعد تمزيق الفؤاد اللاهي
فاحكم بأي الخمرتين أحق با ... لتحريم والتأثيم عند الله[1]

ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينا بعض مفاسد الغناء : « فقد بينا أن الغناء يخرج الإنسان عن الاعتدال ويغير العقل، وبيان هذا أن الإنسان إذا طرب فعل ما يستقبحه

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٢٢٥ - ٢٢٦) .

في حال صمته من غيره من تحريك رأسه، وتصفيق يديه ودق الأرض برجليه، إلى غير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة، والغناء يوجب ذلك بل يقارب فعله فعل الخمر في تغطية العقل، فينبغي أن يقع المنع منه »(١) .

وأما سماع السلف الصالح الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين فهو سماع آيات القرآن والتأثر بها . فعن حصين بن عبدالرحمن قال : قلت لأسماء بنت أبي بكر : كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن ؟ قالت : كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم عز وجل تدمع عيونهم وتقشعر جلودهم . فقلت إن هاهنا رجالا إذا قرئ على أحدهم القرآن غشي عليه فقالت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(٢) .

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « فأما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده ، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم وزكاه نفوسهم ، فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع النبيين والمؤمنين ،وأهل العلم وأهل المعرفة . . . وبهذا السماع أمر الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] وعلى أهله أثنى كما في قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر : ١٧-١٨] وكما أثني على هذا السماع ذم المعرضين عن هذا السماع فقال : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمان : ٧] ومما يؤكد بدعية السماع الصوفي أن أكابر الصوفية في زمانهم ذموه وكرهوه كما ذمة أئمة المذاهب وأما من تبعهم وانتسب للطرقية فقد خالفوا ما ورد عن هؤلاء الأكابر . **والأمثلة على ذلك كثيرة :**

(١) تلبيس إبليس ص ٢٩٠ .

(٢) نقله ابن الجوزي بسنده في تلبيس إبليس ص ٢٤٥ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ : « خلفت ببغداد شيئاً أحدثه الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن » .

وسئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال : « هو محدث أكرهه ، قيل له :إنه يرق عليه القلب ؟ فقال : لا تجلسوا معهم قيل له أيهجرون ؟ فقال : لا يبلغ بهم هذا كله ، فبين أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق ولا خرسان ، ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف ولم يحضره مثل إبراهيم بن أدهم ،ولا الفضيل في عياض ، ولا معروف الكرخي ، ولا السري السقطي ، ولا أبو سليمان الداراني ،ولا مثل الشيخ عبد القادر والشيخ عدي ولا الشيخ أبى البيان ،ولا الشيخ حياة وغيرهم بل في كلام طائفة من هؤلاء كالشيخ عبد القادر وغيره النهى عنه وكذلك أعيان المشايخ »(١) .

قلت : ومما يؤكد كلام شيخ الإسلام أن الشيخ عبد القادر الجيلاني ورد عنه كراهة الرقص والسماع الذي يدعيه الطرقية وهذه لا شك ضربة قاصمة لأرباب الطريقة القادرية الذين يزعمون اتباعهم للشيخ عبد القادر وهم يخالفون ماعليه . فقد جاء عنه : « وإن كنا لا نرى السماع والقول والقضب والرقص وقد قدمنا كراهيته »(٢) .

ويؤكد هذا الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ فقد سئل رَحِمَهُ اللَّهُ : « هل كان الشيخ عبد القادر الجيلاني يحضر مجالس السماع أو أمر بحضورها فقال : أما الشيخ عبد القادر والذي وصل إلينا من أخباره الصحيحة أنه كان فقيهاً زاهداً عابداً يتكلم على الناس ، ويرغبهم في الزهد والتوبة ، ويحذرهم من العقوبة على المعصية فكان يتوب على يديه من الخلق ما لا يحصي كثرة وله كرامات مستفيضة ولم ينقل إلينا عن أحد من أهل عصره ولا من بعده أكثر ممانقل عنه ولا عرف عنه في مسألة السماع

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥٩٥) .

(٢) الغنية (٢/١٦٧) للجيلاني .

بهذه الآلات شيئاً »[١] .

وقال الحافظ الذهبي رحمه الله : « وفي الجملة فالشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه، والله الموعد ، وبعض ذلك مكذوب عليه »[٢] .

وقال : « ليس في المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبد القادر لكن كثير منها لا يصح وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة »[٣] .

قلت : وعلى فرض أن بعض العلماء حضر مجلس السماع فلا حجة للصوفية فيه قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « والذين حضروا هذا السماع من المشايخ الصالحين شرطوا له شروطاً لاتوجد إلا نادراً فعامة هذه السماعات خارجة عن إجماع المشايخ ومع هذا فأخطؤ ا والله يغفر لهم خطأهم فيما خرجوا به عن السنة وإن كانوا معذورين »[٤] ومن العجب أن اتخاذ الصوفية للرقص والسماع إنما يعتبرونه قربة وديناً حتى قال بعضهم[٥] :

دقـقـنـا الأرض بـالـرقـص عـلـى غـيـب مـعـانـيـكـا
ولا عـيـب عـلـى رقـص لـعـبـد هـائـم فيكـا
وهـذا دقـنـا لـلأرض إذا طـفـنـا بـواديـكـا

ويقول السهروردي : « ربما صار الرقص عبادة بحسن النية إذا نوى به استجمام النفس »[٦] .

---

(١) قلائد الجواهر مناقب الشيخ عبدالقادر ص ١٣٥ محمد بن يحي التادفي .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/٤٥١) .

(٣) المصدر السابق (٢٠/٤٥٠)

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٥٩٧)

(٥) اللمع لأبي نصر سراج الدين ص ٤٥٢ .

(٦) عوارف المعارف ص ١٨٠ .

قلت : كيف يكون عبادة وهو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان وأشبه بأفعال العابثين والسفهاء والمجانين .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في وصف هؤلاء اللاهين الراقصين ممن يزعمون أنهم بذلك يتقربون إلى الله : « فلو رأيتهم عن ذياك السماع – فتمايلوا تمايل النشوان، وتكسروا في حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسر المخانيث والنسوان ؟! ... فيا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذة وطرباً ، واتخذوا دينهم لهوا ولعباً ، ومزامير الشيطان أحب إليهم من سماع سور القرآن »[1] .

وقد وجه الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتقادات لاذعة إلى الصوفية في بدعتهم جواز السماع والرقص في الحضرات فقال « أكره سماع نهيق حمر جهلة المتصوفة »[2] .

ومن الجدير بالذكر أن ألفت نظر القارئ إلى أن لائحة الطرق الصوفية في مصر تنص على تحريم الرقص في الذكر والقيام بهذه الأفعال التي تشبه أفعال المجانين ومع ذلك لم يتقيد الطرقية بما جاء في لائحتهم وهذا ما يؤكد انتشار الجهالة والخرافة في هذه الطرق بشكل كبير فقد جاء في لائحة الطرق الصوفية المادة الثامنة: « يحرم مثل هذه الأمور وأن كل من اتصف بأعمال مناقضة للأعمال والآداب الشرعية كضرب الجسم بالسلاح أو أكل الحشرات والهوام أو دوس الأنام بالأنعام ونحوها والذكر بهيئة الرقص والتخبط وعدم استكمال الحروف فيه وإنشاد. الأغاني المخلة بالآداب وإقامة الزوار في الأضرحة »[3] .

الوجه الثاني عشر : إنكار أهل العلم قديماً وحديثاً هذه الحضرات الصوفية ،

---

(١) إغاثة اللهفان (١/٢٢٤) .

(٢) من كتاب له بعنوان غرائب الاقتراب (ق٣٦/ب) بواسطة جهود أبي الثناء الألوسي في الرد على الرافضة ص ١٠٦ للدكتور عبدالله البخاري .

(٣) الموالد دراسة للعادات والتقاليد الشعبية في مصر للدكتور فاروق مصطفى ص ٣٢٣ .

فأهل العلم الشرعي من علماء الآخرة كانوا ومازلوا ينكرون أمثال هذه البدع الصوفية قديماً وحديثاً من الحضرات الصوفية وغيرها وقد ورد عنهم الإنكار الصريح على مرتكبي هذه البدع . فهذا هو العلامة ابن قدامة المقدسي رحمه الله في رسالته ذم ما عليه مدعو التصوف قد رفع إليه سؤال يقول فيه صاحبه : « ما تقول السادة الفقهاء ... فيمن يسمع الدف والشبابة[1] والغناء ويتواجد حتى إنه يرقص ... مع اعتقاده أنه محب لله وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله فكان مما أجاب به العلامة ابن قدامة قوله : إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة ،والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع غير مقبول القول، ومقتضى هذا أنه لا تقبل روايته لحديث رسول الله ﷺ،ولا شهادته برؤية هلال رمضان، ولا أخباره الدينية وأما اعتقاده محبه الله عز وجل ، فإنه يمكن أن يكون محباً لله سبحانه مطيعاً له في غير هذا ... وأما هذا فمعصية ولعب ذمة الله تعالى ورسوله ﷺ، وكرهه أهل العلم وسموه بدعة، ونهوا عن فعله، ولا يتقرب إلى الله سبحانه بمعاصيه ، ولا يطاع بارتكاب نواهيه، ومن جعل وسيلته إلى الله سبحانه معصيته، كان حظه الطرود والإبعاد، ومن اتخذ اللهو واللعب ديناً كان كمن سعى في الأرض بالفساد، ومن طلب الوصول إلى الله سبحانه من غير طريق رسول الله ﷺ وسنته فهو بعيد من والوصول إلى المراد ..

وقال أيضاً : « ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ كان شفيقاً على أمته حريصاً لأمته ودلهم عليها بفعله وقوله ، وكان الصحابة من الحرص على الخير والطاعة والمسارعة إلى رضوان الله بحيث لم يذكر خصلة من خصال الخير إلا تسابقوا إليها ، فما نقل عن النبي ﷺ ولا عن أحد من صحابته أنه سلك هذه الطريقة الرديئة ، ولا سهر ليلة في سماع يتقرب به إلى الله سبحانه ولا قال : من رقص فله من الأجر كذا ولا قال : الغناء ينبت الإيمان في القلب ، ولا استمع الشبابة فأصغى إليها وحسنها أو جعل في

(١) مزمار من القصب .

استماعها وفعلها أجراً، وهذا أمر لا يمكن مكابرته وإذا صح هذا لزم أن لا يكون قربة إلى الله سبحانه ، ولا طريقاً موصلاً إليه ، ووجب أن يكون من شر الأمور »(١) .

قلت : وقد ذهب الفقيه أبو العباس السكسكي إلى أبعد مما ذهب إليه ابن قدامة رحمه الله حيث أخرج السكسكي الصوفية من دائرة أهل السنة والجماعة لأن في أقوالهم بعض ما يؤذن بالحلول ومسلك الباطنية من ناحية ولأنهم من ناحية أخرى قد خرجوا عن أحكام الشرع بما يفعلون في أذكارهم من الرقص والصفيق وغير ذلك، ويزعمون أن ذلك عبادة وقربة إلى الله(٢) .

هذا وقد جعل السراج الطوسي رحمه الله : « الرقص من زلات الصوفية ومن أغاليط أفعالهم »(٣) .

وقال الهجويري : « بأن الرقص ليس له أصل في الشريعة لا يفعله إلا أرعن أومتصنع جاهل ، يدل على جهالة فاعله وإن الشريعة لم ترد به لا في كتاب ولا سنة ولا فعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء ، وإنما يفعله السفهاء الذين التسبت عليهم الحقائق بالأهواء »(٤) .

وممن أنكر هذا الرقص أيضاً ابن عقيل رحمه الله حيث يقول : « أنا أذم الصوفية لوجوه يوجب الشرع ذم فعلها ، منها أنهم اتخذوا مناخ البطالة وهى الأربطة فانقطعوا إليها عن الجماعات في المساجد فلا هي مساجد ولا بيوت ولا خانات وصمدوا فيها للبطالة عن أعمال المعاش وبدنوا أنفسهم بدن البهائم للأكل والشرب والرقص

---

(١) ذم ما عليه مدعو االتصوف ص ٩-١٠ لابن قدامة .

(٢) البرهان في معرفة عقائد الإيمان لأبي العباس بن منصور السكسكي ص ٦٦ تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج .

(٣) اللمع للسراج الطوسي ص ٥٣ .

(٤) كشف المحجوب (٢/٦٤٣-٦٦٤) للهجويري .

والغناء . . ويعتقدون أن الغناء بالقضبان قربة وقد سمعنا عنهم أن الدعاء عند حدو الحاوي وعند حضور المخذه مجاب اعتقاداً منهم أنه قربة وهذا كفر أيضاً لأن من أعتقد المكروه والحرام قربة كان بهذا الاعتقاد كافراً ... إلى أن قال : والنفقة على هؤلاء كالنفقة على المغنيات ...

ثم يقول في بيان خلالهم ... وكذلك بغضهم لأصحاب الحديث وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر بشيء سموه الحشيش والمعجون والغناء المحرم سموه السماع والوجد والتعرض بالوجد المزيل للعقل حرام كفى الله الشريعة شر هذه الطائفة ... وما على الشريعة أضر من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء يفسدون عقائد الناس بتوهميات شبهات العقول وهؤلاء ويفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان ويحبون البطالات وسماع الأصوات وما كان السلف كذلك بل كانوا في باب العقائد عبيد تسليم وفي الباب الآخر أرباب جد ونصيحتي إلى أخواني أن لا يقرع أفكار قلوبهم كلام المتكلمين ولا تصغي مسامعهم إلى خرافات المتصوفين بل الشغل بالمعاش أولى من بطالة الصوفية والوقوف على الظواهرأحسن من توغل المنتحلة وقد خيرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح .

ثم قال : والمتكلمون عندي خير من الصوفية لأن المتكلمين قد يزيلون الشك والصوفية يوهمون التشبيه فأكثر كلامهم يشير إلى إسقاط السفارة والنبوات . فإذا قالوا عن أصحاب الحديث قالوا أخذوا عملهم ميتاً عن ميت فقد طعنوا في النبوات وعولوا على الواقع . ومتى أزرى على طريق سقط الأخذ به ومن قال حدثني قلبي عن ربي فقد صرح أنه غني عن الرسول ومن صرح بذلك فقد كفر فهذه كلمة مدسوسة في الشريعة تحتها هذه الزندقة ومن رأيناه يزري على النقل علمنا أنه قد عطل أمر الشرع ، وما يؤمن هذا القائل : حدثني قلبي عن ربي أن يكون ذلك من إلقاء

الشياطين فقد قال الله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ [الأنعام : ١٢١] وهذا هو الظاهر لأنه ترك الدليل المعصوم وعول على ما يلقى في قلبه الذي لم يثبت حراسته من الوساوس وهؤلاء يسمون ما يضربهم خاطراً ، ثم قال والخروج على الشريعة كثير إلا أن الله عز وجل يؤيدها بالنقلة الحفاظ الذابين(١) عن الشريعة حفظا لأصلها بالفقهاء لمعاينها ، وهم سلاطين العلماء لا يتركون لكذاب برأساً ترتفع . ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والناس يقولون إذا أحب الله خراب بيت تاجر عاشر الصوفية قال وأن أقول وخراب دينه »(٢) .

وممن انتقد مسلك الصوفية العلامة أبو حيان فيما يزعمون من حلقات الذكر والرقص وادعاء الكرامات لمشايخهم وغير ذلك فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ولو عاش الحسن إلى هذا الزمان العجيب الذي ظهر فيه ناس يتسمون بالمشايخ ، يلبسون ثياب عند العامة بالصلاح ، ويتركون الاكتساب، ويرتبون لهم أذكار لم ترد في الشريعة يجهرون بها في المساجد ويجمعون لهم خداماً يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم، ونيل أموالهم، ويذيعون عنهم كرامات ويروون لهم منامات يدونونها في أسفار ،ويحضون على ترك العلم ،والاشتغال بالسنة، ويرون الوصول إلى الله بأمور يقررونها من خلوات وأذكار لم يأت بها كتاب نزل، ولانبي مرسل، ويتعاظمون على الناس بالانفراد على سجادة، ونصب أيديهم للتقبيل ، وقلة الكلام، وإطراق الرؤوس، وتعيين خادم يقول الشيخ مشغول في الخلوة، رسم الشيخ، قال الشيخ، رأى الشيخ، الشيخ نظر إليك،الشيخ كان البارحة ،يذكرك إلى نحو هذا من الألفاظ »(٣) .

وممن أنكر على الصوفية الرقص والسماع العلامة ابن الصلاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

---

(١) أي المدافعين عنها .

(٢) نقلته على طوله من تلبيس إبليس ص ٤٤٨ - ٤٥٢ بتصرف .

(٣) البحر المحيط (١٣٣/١) .

وهذه فتوى للإمام العلامة أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهير بـ (ابن الصلاح) في الصوفية - هداهم الله - أنقلُها نصُّ السُّؤال :

مسألة : أقوامٌ يقولون : إنَّ سماع الغناء بالدُّفِّ والشَّبابة حلال ، وإنْ صَدَرَ الغناءُ والشبابة من أَمْرَدٍ دَلْقٍ حَسَن الصَّوت كان ذلك (نور على نور) ، وذلك ؛ يحضرهم النساء الأجنبيات ، يُخالطونَهم في بعض الأوقات ، ويُشاهدونَهُنَّ بقُربِهم في بعض الأوقات ، وفي بعض الأوقات يُعانِقُ الرجال بعضهم بعضاً ، ويجتمعون لسماع الغناء ، وضَربِ الدُّفِّ من الأمرد ، والذي يغني لهم ، مُصَوِّبين رؤوسهم نحو وَجْهِ الأَمرد ، مُتَهالِكين على المُغَنِّي والمُغَنَّى ، ثمَّ يَتَفرَّقون عن السماع بالرَّقص والتَّصفيق ويعتَقِدون أنَّ ذلك حلالٌ وقُربَةٌ يَتَوصَّلُون بها إلى الله تعالى ، ويقولون : إنه أفضل العبادات ، فهل ذلك حرام أم حلال ؟ ومن ادَّعى تحليلَ ذلك هل يُزجَرُ أم لا ؟ وهل يجب على وَلِيِّ الأمر أنْ يمنعهم من ذلك ؟ فإذا لم يمنعهم وهو قادر عليه يأثم بذلك أم لا ؟

أجاب رضي الله عنه : ليُعلَم : أنَّ هؤلاء من إخوان أهلِ الإباحة الذين هم أَفسَدُ فِرَق الضلالة ،ومِن أجمعِ الحمقى لأنواع الجهالة والحماقة ، هم الرافضون شرائعَ الأنبياء ، القادحون في العلم والعلماء . لَبِسوا ملابس الزُّهَّاد ، وأَظْهَروا تَرْكَ الدُّنيا ، واسترسلوا في اتِّباعِ الشَّهَوات ، وأجابوا دواعي الهوى ، وتَظاهروا باللَّهْوِ والملاهي ،فَتَشاغلوا بما لم يكن إلا في أهل البَطالة والمعاصي . وزعموا أنَّ ذلك يُقَرِّبُهم إلى الله تعالى زُلفى ، مُقتَدون فيه بمن تَقَدَّمَهُم من أهل الرَّشاد ، ولقد كذبوا على الله سبحانه وتعالى ، وعلى عباده الذين اصطفى ، أُحبُولَةً نصبوها من حبائل الشيطان خِداعاً ،وأُعجوبة من حوادث الزمان جلبوها خداعاً للعوامِّ ،وتهويشاً لمناظم الإسلام ،فَحَقٌّ على ولاة الأمر - وَفَّقَهم الله وسدَّدَهم - قَمْعُ هذه الطائفة ، وبَذْلُ الوسع في إعدام ما ذُكِرَ من أَفعالهم الخبيثة ، وتعزيرهم على ذلك ، واستِتابَتِهم ، وتَبديد

شَملِهِم ، وأنْ لا يأخُذَهم في ذلك لومة لائم ولا يدخلهم ريبٌ في ضلالهم ، ولا تَوَانٍ في إخزائِهِم وإبعادِهم ؛ بسبب قول قائل : هذا فيه خلاف بين المسلمين ؛ فإنَّهم بِمَجمُوعِ أفعالهم مُخالِفُون إجماعَ المُسلمين ، مُشايِعُون به باطنيَّةَ المُلحِدين ، وإنَّما الخلاف في بعض ذلك ، مع أنَّه ليس كلُّ خِلافٍ يُستَرْوَحُ إليه ، ويُعتَمَدُ عليه . ومَن يَتَّبع ما اختلف فيه العلماء ، وأَخَذَ بالرُّخَصِ من أقاوِيلِهم : (تَزَنْدَقَ أو كاد)فقولهم في السماع المذكور أنَّه مِنَ القُرُبات والطَّاعات ؛ قولٌ مُخالِفٌ لإجماع المسلمين ، فإجماعُهم على خلاف قولهم هذا ؛ مَنقولٌ مَحفوظٌ مَعلوم . مَن خالف إجماع المسلمين فعليه ما في قوله تعالى : (وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسول مِنْ بَعدِ ما تَبَيَّنَ له الهُدى ويَتَّبِع غَيرَ سبيل المؤمنين نُوَلِّه ما تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهنَّم وساءت مصيراً) وأما إباحةُ هذا السَّماع وتحليلُه ؛ فلْيُعلَم : أنَّ (الدُّفَّ والشَّبابة والغِناء) إذا اجتمعت فاستماع ذلك حرامٌ عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين ، ولم يثبُت عن أَحَدٍ مِمَّنْ يُعتَدُّ بقوله في الإجماع والاختلاف أنَّه أباح هذا السماع .

والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعي ؛ إنَّما نُقِلَ في الشَّبابة مُنفَرِداً ، والدُّفِّ مُنفَرِداً ، فَمَنْ لا يَحصل أو لا يَتَأَمَّل ، ربَّما اعتقد فيه خلافاً بين الشافعيِّين في هذا السماع الجامع هذه الملاهي ، وذلك وَهْمٌ ومِنَ الصَّغائِرِ إلى ذلك يَتَمادى به عليه أدلة الشرع والعقل مَن استَباح هذا من مشايخ الصوفيَّة - وهُم الأَقَلُّونَ منهم - فإنَّما استباحه بشروط مَعدُومَةٍ في سماع هؤلاء القوم .

منها : أنْ لا يكون المُستَمِعُ شَهوانياً ، فَهُمْ عند ذلك لا يَستَبيحونَهُ بل يَنهون عنه نهياً شديداً ، ولا خلاف أيضاً مِن جِهَتِهم في هذا على أنهم لو خالفوا فيه لم يَجُزْ لأحد تقليدُهم ، ولن يُعتَدَّ بخلافهم في الحلال والحرام ، فإنَّه إنَّما يُرجَعُ في ذلك إلى أئمة الاجتهاد المُبَرَّزين في علوم الشريعة ، المُستَقِلِّين بأدلة الأحكام .

وهكذا لا يُعتَدُّ بخلاف مَنْ خالف فيه من الظاهرية ؛ لتَقاصُرِهم عن درجة

الاجتهاد في أحكام الشريعة فإذاً ؛ هذا السماع غيرُ مباحٍ بإجماع أَهْلِ الحلِّ والعَقْد من المسلمين وأما ما ذُكِرَ من سماعهم من الأمرد مع النساء الأجنبيات ، واستِباحَتُهم لذلك ؛ فهو قَطعاً مِنْ شأن أهل الإباحة ، ومِنْ تخاليط الملاحدة ، ولم يَستَجزْهُ أَحَدٌ مِنَ المسلمين من عُلمائهم وعُبَّادهم وغيرهم .

وقولهم في السماع من الأمرد الحسن : (نورٌ على نور) ؛ مِن جنس أقوال المباحية الكَفَرَة الذين إذا رَمَقَ بعضهم إمرأةً ، قالوا : (تَمَّتْ سعادَتُه) ، فإذا غار أحدهم على أهله فمَنَعَها مِنْ غَيْرِه ، قالوا : (هو طِفْلُ الطَّريقة ، لم يبلُغ بَعدُ) أخزاهم الله أنى يُؤفَكُون بَرَزوا في ظَواهِرِ أهل السبت ، وأَضمَروا بَواطِنَ أَربابِ السَّبْت ، وتَظاهَروا بِزيِّ قَومٍ عُرِفوا بالصَّلاح ، وتَناطَقُوا بِعباراتِهم ، مثل : لفظ (المعرفة والمحبة وغيرهما) ، وهم عن حقائقها ، وعن طرائِقِهم عاطلون ، وبما يُضادُّ ذلك من المَخازي والخَبائِثِ ناهِضُون ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ومَنْ اشتَبَهَ عليه حال هؤلاء القوم ، أو كان عندَه شيءٌ يَحسِبُه حُجَّةً عاضِدَةً لهم ، فلْيَذكُر ما عنده ، لتَدحَضَ شُبهَتُه - إن شاء الله تعالى - بالحُجَجِ البالِغَة ، والأدِلَّة الواضِحَة .

ومَنْ قَصَّرَ مِنْ وُلاة الأمر - صانَهم الله تعالى في القيام بما وجب - عليه من تطهير الأرض مِنْ هؤلاء الخُبَثاء ، وأفعالهم الخَبيثة ؛ فقد احتَقَبَ إِثماً ، وصار للإسلام والشريعة خَصماً واللهُ الكريمُ يَمُنُّ بِتَوفيقه عليهم وعلينا وعلى جميع المسلمين »(١) انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ تعالى .

وممن أنكر على الصوفية مسالة السماع بآلات اللهو على وجه التقرب إلى الله العلامة ابن رجب الحنبلي حيث ذكر أنواع السماع وقسمها إلى نوعين وذكر النوع أو القسم الثاني وهو غناء الصوفية وقال : « القسم الثاني : أن يقع استماع الغناء

(١) من كتاب أدب المفتي والمستفتي (٢/ ٤٩٩-٥٠١)

بآلات اللهو أو بدونها على وجه التقرب إلى الله وتحريك القلوب إلى محبته والأنس به والشوق إلى لقائه وهذا هو الذي يدعيه كثير من أهل السلوك (الصوفية) ومن يتشبه بهم ممن ليس منهم وإنما يتستر بهم ويتوصل بذلك إلى بلوغ غرض نفسه من نيل لذته فهذا المتشبه بهم مخادع ملبس وفساد حاله أظهر من أن تخفى على أحد ، وأما الصادقون في دعواهم ذلك وقليل ما هم فإنهم ملبوس عليهم حيث تقربوا إلى الله عز وجل بما لم يشرعه الله تعالى واتخذوا ديناً لم يأذن الله فيه فلهم نصيب ممن قال الله تعالى فيه : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] والمكاء الصفير والتصدية التصفيق باليد كذلك قاله غير واحد من السلف . وقال تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] فإنه إنما يتقرب إلى الله عز وجل مما يشرع التقرب إليه على لسان رسوله ﷺ فأما ما نهى عنه فالتقرب به إليه مضادة لله عز وجل في أمرة قال القاضي أبو الطيب الطبري رحمه الله في كتابه في السماع اعتقاد هذه الطائفة مخالف لإجماع المسلمين فإنه ليس فيهم من جعل السماع دنياً وطاعة ولا رأى اعلانه في المساجد والجوامع وحيث كان من البقاع الشريفة والمشاهد الكريمة وكان مذهب هذه الطائفة مخالفاً لما اجتمعت عليه العلماء وتعوذ بالله من سوء التوفيق انتهى ما ذكره ولا ريب أن التقرب إلى الله تعالى بسماع الغناء الملحن لا سيما مع آلات اللهو مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام بل ومن سائر الشرائع المسلمين أنه ليس مما يتقرب به إلى الله ولا مما تزكى به النفوس وتطهر به فإن الله تعالى شرع على ألسنه الرسل كل ما تزكوا به النفوس وتطهر به من أدناسها وأوضارها ولم يشرع على لسان أحد من الرسل من ملة من الملل شيئاً من ذلك ، وإنما يأمر بتزكية النفوس بذلك من لا يتقيد بمتابعة الرسل من أتباع الفلاسفة كما يأمرون بعشق الصور وذلك كله مما تحي به النفوس الأمارة بالسوء لما لها من الحظ

ويقوى به الهوى وتموت به القلوب المتصلة بعلام الغيوب وتبعد به عنه فغلط هؤلاء واشتبه عليهم حظوظ النفوس وشهواتها بأقوات القلوب الطاهرة والأرواح الزكية المتعلقة بالمحل الأعلى واشتبه الأمر في ذلك أيضاً على طوائف من المسلمين ممن ينتسب إلى السلوك ولكن هذا مما حدث في الإسلام بعد انقراض القرون الفاضلة ...

ثم قال عن حدث من الأحداث ظهر بعد عهد الصحابة الحدث الثاني : سماع القصائد الرقيقة المتضمنة للزهد والتخويف والتشويق فكان كثير من أهل السلوك والعبادة يستمعون ذلك وربما أنشدوها بنوع من الألحان استجلاباً لترقيق القلوب بها ثم صار منهم من يضرب مع إنشادها على جلد ونحوه بقضيب ونحوه وكانوا يسمون ذلك التغبير وقد كرهه أكثر العلماء قال يزيد بن هارون ما يغبر إلا فاسق ومتى كان التغبير ؟ وصح عن الشافعي من رواية الحسن بن عبد العزيز الجروي ويونس بن عبد الأعلى أنه قال : تركت بالعراق شيئاً يسمونه التغبير وضعته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن وكرهه الإمام أحمد وقال : هو بدعة محدثة قيل له إنه يرقق القلب قال بدعة ومن أصحابنا من حكي عنه رواية أخرى في الرخصة في سماع القصائد المجردة وهي اختيار أبي بكر الخلال وصاحبه أبي بكر عبد العزيز وجماعة من التيميين وهؤلاء يحكي عنهم الرخصة أيضاً في الغناء وإنما أرادوا سماع هذه القصائد الزهدية المرققة لم يرخصوا في أكثر من ذلك ... وعلى مثل ذلك يحمل عامه ما روي عن المتقدمين من الصوفية وغيرهم في الترخيص في السماع والغناء فإن غناءهم وسماعهم كان لا يزيد على سماع هذه القصائد إلا الضرب بالقضيب معها أحياناً فإذا كان الشافعي رحمه الله قد أنكر الضرب بالقضيب وجعله من فعل الزنادقة الصادين عن القرآن فكيف يكون قوله في آلات اللهو المطربة وإن كان قد وقع في سماع ذلك طائفة من الصالحين والصادقين بتأويل ضعيف فلهم أسوة بكثير من العلماء الذين شذوا عن أهل العلم بأقاويل ضعيفة ولم يقدح

ذلك في منازلهم ولم يخرجهم عن دائرة العلم والدين فكذلك هؤلاء لا يخرجون عن دائرة الصلاح وإن كان الجميع لا يتبعون في زلاتهم ولا يقتدي بهم فيها[١] .

وهاك كلمات وفتاوى لعلماء المذاهب الأربعة في رقص الصوفية وغنائهم وما يعرف عندهم بالحضرة .

أولاً : المذهب الحنفي

قال البزازي رَحِمَهُ اللَّهُ : « ... وغرضه استماع الدف والمزمار واللعب بالرقص الذي أحدثه أولاً السامري حين أخرج لهم عجلاً جسداً له خوار ، وقد نقل صاحب الهداية (المرغيناني) فيها : أن المغني للناس ، إنما لا تقبل شهادته لأنه يجمعهم على كبيرة ، والقرطبي : على أن هذا الغناء وضرب القضيب والرقص حرام بالإجماع عند ذلك وابن ضيفة والشافعي وأحمد في مواضع من كتابه .

وسيد الطائفة الشيخ أحمد اليسوى صرح بحرمته ورأيت فتوى شيخ الإسلام جلال الملة والدين الكرماني أن مستحل هذا الرقص كافر ، ولما علم أن حرمته بالإجماع لزم أن يكفر مستحلة ، وللشيخ الزمخشري في كشافه : « كلمات فيهم ، تقوم بها عليهم الطامة ولصاحب النهاية والإمام المحبوبي أيضاً كلام أشد من ذلك »[٢] .

وقال أيضاً : « من قرأ القرآن على ضرب الدف والقضيب يكفر لاستخفافه وأدب القرآن أن لا يقرأ في مثل هذه المجالس ، والمجلس الذي اجتمعوا فيه للغناء والرقص لا يقرأ فيه القرآن كما لا يقرأ في البيع والكنائس لأنه مجمع الشيطان »[٣] .

وقال الطحاوي « وأما الرقص والتصفيق والصريخ وضرب الأوتاد والصنبح

---

(١) نزهة الإسماع في مسألة السماع . لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ من (ص ٦٨-٧٤) بتصرف .

(٢) الفتاوى البزازية (٤ / ٣٤٩) .

(٣) الفتاوى البزازية (٤ / ٣٤٩) .

والبوق الذي يفعله بعض من يدعي التصوف فإنه حرام بالإجماع لأنها زي ، الكفار »[١] .

وقال الخصاف : هل يجوز الرقص والسماع ؟

والجواب لا يجوز ، وذكر في الذخيرة : « أنه كبيرة ، ومن أباحة من المشايخ فذلك للذي حركاته كحركات المرتعش »[٢] .

وفي تحفة الملوك تحت عنوان تصرفات الصوفية : « ويجب منع الصوفية الذين يدعون الوجد والمحبة عن رفع الصوت وتمزيق الثياب عند سماع الغناء لأن ذلك حرام عند سماع القرآن فكيف عند سماع الغناء الذي هو حرام خصوصاً في هذا الزمان »[٣] .

ثانيا : مذهب الشافعي

السماع هو المسمى عندهم بالتغبير . قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ : « تركت بالعراق شيئاً يقال له التغبير أحدثه الزنادقة ليصدوا الناس عند القرآن »[٤] .

وسئل الإمام المزني رَحِمَهُ اللهُ وهو من كبار أصحاب الشافعي رَحِمَهُ اللهُ : ما تقول في الرقص على الطار والشبابة فقال هذا لا يجوز في الدين فقالوا أما جوزه الشافعي ؟ فأنشد رَحِمَهُ اللهُ قائلا :

حاشا الإمام الشافعي النبيه أن يرتقي غير معاني نبيه
أو يترك السنة في نسكه أو يبتدع في الدين ما ليس فيه

---

(١) المصدر السابق (٤ / ٣٣٨) .

(٢) مراقي الفلاح (٢ / ٣١١) .

(٣) تحفة الملوك (١ / ٢٨٤) .

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٩ / ١٤٦) والخلال في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ص ٣٦ .

فالضرب بالطارات في ليلة والرقص والتصفيق فعل السفيه
هذا ابتداع وضلال في وليس في التنزيل ما يقتضيه
ولا حديث عن نبي الهدى ولا صحابي ولا تابعيه
إياك تغتر بأفعال من لا يعرف العلم ولا يبتغيه
أو يبتدع طاراً وشبابة ضيع العمر بلهو وتيه
أنكر عليهم إن تكن قادراً فهم رجال إبليس لا شك فيه
ولا تخف في الله من لائم وكل من دان به تزدريه[(١)]

قال الشيخ العز بن عبدالسلام : « وأما سماع المطربات المحرمات فغلط من الجهلة المتشبعين المجترئين على رب العالمين، ولو كان ذلك قربة كما زعموه لما أهمل الأنبياء أن يفعلوه، ويعرفوه لأتباعهم وأشياعهم، ولم ينقل ذلك من أحد من الأنبياء ولا أكابر الأولياء ولا أشار إليه كتاب من الكتب المنزلة من السماء، وقد قال الله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ولو كان سماع المطربات من الدين، لبينه رسول رب العالمين . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ولا يباعدكم من النار إلا أمرتكم به ، وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه[(٢)] »[(٣)] .

وقال أيضاً : « ولهذا لم يشتغل الأنبياء والصديقون وأصحابهم بسماع الملاهي

---

(١) المدخل لابن الحاج (٣/ ٩٦) .

(٢) رواه عبدالرزاق في المصنف (١١/١٢٥) وروى نحوه الشافعي (٢/١٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٧/٧٦) .

(٣) قواعد الأحكام (٢/١٨٣،١٨٢) .

والغناء واقتصروا على كلام ربهم لشدة تأثيره في أحوالهم »[١] . وأما الرقص والتصفيق فخفة ورعونة مشبهة برعونة الإناث لا يفعلها إلا ارعن أو متصنع كذاب ، كيف يتأتي الرقص المتزن بأوزان الغناء ممن طاش لبه وذهب قلبه، وقد قال عليه السلام « خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم »[٢] . ولم يكن أحد من هؤلاء الذين يقتدي بهم ليشغل شيئاً من ذلك وإنما استحوذ الشيطان على قوم يظنون أن طربهم عند السماع إنما هو متعلق بالله عز وجل ، ولقد مانوا[٣] فيما قالوا وكذبوا فيما ادعوا من جهة أنهم عند سماع المطربات وجدوا لذتين اثنتين : إحداهما لذة المعارف والأحوال المتعلقة بذي الجلال، والثانية لذة الأصوات والنغمات والكلمات الموزونات الموجبات للذات النفس التي ليست من الدين ولا متعلقة بأمور الدين، فلما عظمت عندهم اللذتان، غلطوا فظنوا أن مجموع اللذة إنما حصل بالمعارف والأحوال وليس كذلك بل الأغلب عليهم حصول لذات النفوس التي ليست من الدين بشيء وقد حرم بعض العلماء التصفيق لقوله عليه الصلاة والسلام (إنما التصفيق للنساء) ولعن عليه الصلاة والسلام المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ومن هاب الإله وأدرك شيئاً من تعظيمه لم يتصور منه رقص ولا تصفيق، ولا يصدر التصفيق والرقص إلا من غير جاهل،ولا يصدران من عاقل، ويدل على جهالة فاعلها أن الشريعة لم ترد بهما في كتاب ولا سنة ولم يفعل ذلك أحد من الأنبياء ولا معتبر من أتباع الأنبياء، وإنما يفعل ذلك الجهلة السفهاء الذين التبست عليهم الحقائق بالأهواء، وقد قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩] وقد مضى السلف وأفاضل

---

(١) المصدر السابق (٢م١٨٤) .

(٢) رواه البخاري (٣٠٨/٥ فتح)، من حديث عمر بن حصين .

(٣) أي كذبوا .

الخلف ولم يلابسوا شيئاً من ذلك، ومن فعل ذلك أو أعتقد أنه غرض من أغراض نفسه وليس بقربة إلى ربه، فإن كان ممن يقتدي به ويعتقد أنه ما فعل ذلك إلا لكونه قربة فبئس ما صنع لا يهامه أن هذا من الطاعات ، وإنما هو من أقبح الرعونات وأما الصياح والتغاشي والتباكي تصنعا ورياء فإن كان عن حال لا تقتضيه فقد أثم من وجهين : أحدهما ايهامه الحال التامة الموجبة لذلك ، والثاني : تصنعه به ورياؤه، وإن كان عن حال تقتضيه أثم إثم ريائه لا غير ، وكذلك نتف الشعور وضرب الصدور ، وتمزيق الثياب محرم لما فيه من إضاعة المال ، وأي ثمرة لضرب الصدور، ونتف الشعور ، وشق الجيوب ، إلا رعونات صادرة عن النفوس »(١) .

وقال الشربيني الشافعي : « قال السبكي - وهو من كبار أئمة الشافعية - السماع على الصورة المعهودة منكر وضلالة وهو من أفعال الجهلة والشياطين ومن زعم أن ذلك قربة فقد كذب وافترى على الله ومن قال إنه يزيد في الذوق فهو جاهل أو شيطان ومن نسب السماع إلى رسول الله ﷺ يؤدب أدباً شديداً ويدخل في زمرة الكاذبين عليه ﷺ ومن كذب عليه متعمداً فليتبنوا مقعده من النار وليس هذا طريقة أولياء الله تعالى وحزبه وأتباع رسول الله ﷺ بل طريقة أهل اللهو واللعب والباطل وينكر على هذا باللسان واليد والقلب »(٢) .

ثالثاً : المذهب المالكي :

قال القاضي عياض قال التنيسي : كنا عند مالك وأصحابه حوله ، فقال رجل من أهل نصيبين : عندنا قوم يقال لهم الصوفية ، يأكلون كثيراً ، ثم يأخذون في القصائد ، ثم يقومون فيرقصون ؟ فقال مالك : أصبيان هم ؟ قال : لا ، قال : أمجانين هم ؟ قال : لا ، هم قوم مشايخ وغير ذلك عقلاء ، فقال مالك : ما سمعت

(١) قواعد الأحكام (٢/١٨٧،١٨٦) .

(٢) مغنى المحتاج (٤ / ٤٢٦) .

أن أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا .

قال له الرجل : بل يأكلون ، ثم يقومون دوائب ، ويلطم بعضهم رأسه ،وبعضهم وجهه ، فضحك مالك ثم قام فدخل منزله ، فقال أصحاب مالك للرجل : لقد كنت يا هذا مشؤوماً على صاحبنا ، لقد جالسناه نيفاً وثلاثين سنة ، ما رأيناه ضحك إلا في هذا اليوم(١) .

وقال ابن الحاج المالكي : (فصل) وأشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه في المساجد ؛ وقد تقدم توقير السلف رضي الله عنهم للمساجد ؛ فكيف لا يكون ذلك وقد كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكراً كان أو غيره . وقد نهى رسول الله ﷺ عن رفع الصوت بالقراءة ... وبعض هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف(٢) .

وقال ابن الحاج المالكي : « فإن قيل : أليس قد روي عن جماعة من الصالحين أنهم سمعوه ؟ قلنا : ما بلغنا أن أحداً من السلف الصالح سمعه ولا فعله ، وهذه مصنفات أئمة الدين وعلماء المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود وكتاب النسائي رضي الله عنهم إلى غيرهم خالية من دعواكم وهذه تصانيف فقهاء المسلمين التي تدور عليها الفتوى قديماً وحديثاً في شرق البلاد وغربها ، فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس تصانيف لا تحصى وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين ، وكلها مشحونة بالذب عن الغناء وتفسيق أهله ! فإن كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يلزمنا الاقتداء بقوله

---

(١) ترتيب المدارك (٢ / ٥٤) .

(٢) المدخل (٣/٩٨) .

ونترك الاقتداء بالأئمة الراشدين »[١] .

وقال ابن الحاج : « وأما الدف والرقص بالرجل وكشف الرأس وتخريق الثياب فلا يخفى على ذي لب أنه لعب وسخف ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الأنبياء والصالحون . . . ولو لم يكن في السماع والرقص شيء يذم إلا أنه أول من أحدثه بنو إسرائيل حين اتخذوا العجل إلهاً من دون الله تعالى فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون . . . فهم أصل لما ذكر وما كان هذا أصله فينبغي بل يتعين على كل عاقل أن يهرب منه ويولي الظهر عنه إن كان عاجزاً عن تغييره ، وأما إن كان له قدرة على ذلك فيتعين عليه والله الموفق »[٢] .

وقال القاضي أبو بكر الطرطوشي في كتابه المسمى بكتاب « النهى عن الأغاني » : « وبلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين ؛ وفقنا الله وإياهم ؛ قد استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم في حب الأغاني وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذي يقربهم من الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين : ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء : ١١٥] وقد سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء . فقال : إنما يفعله عندنا الفساق ، ونهى عن الغناء واستماعه وأما أبو حنيفة رحمه الله فإنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب ، وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وإبراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك ، ولا نعلم أيضاً بين أهل البصرة خلافاً في كراهية ذلك والمنع منه . وأما الشافعي رحمه الله فقال في كتاب القضاء : إن الغناء لهو مكروه ويشبه الباطل والمحال .

(١) المدخل (١٠٨/٣) .

(٢) المدخل (١١٠/٣-١١٨) .

وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن ... وهذه الطائفة (يعني الصوفية) مخالفة لجماعة المسلمين لأنهم جعلوا الغناء ديناً ورأت إعلانه في المساجد والجوامع »[١] .

وسئل الإمام القاضي أبو بكر الطرطوشي رحمه الله : « **ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية ؟ وأعلم ـ حرس الله مدته ـ أنه اجتمع من الرجال ، فيكثرون من ذكر الله تعالى ، وذكر محمد ﷺ ثم إنهم يوقعون بالقضيب على شيء من الأديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغيشاً عليه ، ويحضرون شيئاً يأكلونه . هل الحضور معهم جائز أم لا ؟ أفتونا مأجورين يرحمكم الله .**

الجواب : - يرحمك الله - مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري ، لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل ، وأما القضيب فأول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى ،وإنما كان يجلس النبي ﷺ مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار ، فينبغي للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ، ولا يعينهم على باطلهم وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق »[٢] .

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾]الأنفال : ٢ [قال رحمه الله : « وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم

---

(١) المدخل (١٠١/٣) .

(٢) تفسير القرطبي (٢٣٧/١١-٢٣٨) .

لربهم ، وكأنهم بين يديه . ونظير هذه الآية ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ لَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾]الحج : ٣٤[وقال : ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد : ٢٨] فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب . والوجل : الفزع من عذاب الله ؛ فلا تناقض وقد جمع الله بين المعنيين في قوله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٢٣] أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله فهذه حالة العارفين بالله ، الخائفين من سطوته وعقوبته ؛ لا كما يفعله جهال العوام والمبتدعة الطغام من الزعيق والزئير، ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير . فيقال لمن تعاطي ذلك وزعم أن ذلك وجد وخشوع : لم تبلغ أن تساوي حال الرسول ولا حال أصحابه في المعرفة بالله ، والخوف منه ، والتعظيم لجلاله ؛ ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٣] .

فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم ؛ فمن كان مستنا فليستن بهم، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو أخسهم حالاً ؛ والجنون فنون »[1] .

قال أبو عبدالله القرطبي : قال أبو الفرج : وقال القفال من أصحابنا : لا تقبل شهادة المغنى والرقاص .

قلت : وإذا ثبت أن هذا الأمر لا يجوز فأخذ الأجرة كذلك لا يجوز وقد ادعى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣٤٨/٧) .

أبو عمر بن عبدالبر الإجماع على تحريم الأجرة على ذلك(١) .

وسئل الشيخ الصالح عبدالعزيز بن محمد القيرواني المالكي عن قوم تسموا بالفقراء يجتمعون على الرقص والغناء ، فإذا فرغوا من ذلك أكلوا طعاماً أعدوه للمبيت عليه ، ثم يصلون ذلك بقراءة عشر من القرآن والذكر ، ثم يغنون ويرقصون ويبكون ، ويزعمون في ذلك كله أنهم على قربة وطاعة ويدعون الناس إلى ذلك ... فما الحكم فيهم وفي رأيهم هل تجوز إمامتهم وتقبل شهادتهم أم لا؟ بينوا لنا ذلك فأجاب : بأن قال : ... ولم يكن أحد في مغربنا من هذه الطوائف فيما سلف ، إلى أن ظهرت هذه الطائفة الأمية الجاهلة الغبية الذين ولعوا بجمع أقوام جهال فتصدوا إلى العوام الذين صدورهم سالمة ، وعقولهم قاصرة ، فدخلوا عليهم من طريق الدين ، وأنهم لهم من الناصحين وأن هذه الطريق التي هم عليها هي طريق المحبين ، فصاروا يحضونهم على التوبة والإيثار والمحبة وصدق الأخوة ، وإماته الحظوظ والشهوة وتفريغ القلب إلى الله بالكلية ، وصرفه إليه بالقصد والنية . وهذه الخصال محمودة في الدين فاضلة ، إلا أن الذي في ضمنه على مذاهب القوم سموم قاتلة ، وطامات هائلة . وهذه الطائفة أشد ضرراً على المسلمين ، من مردة الشياطين ، وهي أصعب الطوائف للعلاج ، وأبعدها عن فهم الاحتجاج، لأنهم أول أصل أصلوه في مذهبهم ، بغض العلماء والتنفير عنهم ، ويزعمون أنهم عندهم قطاع الطريق المحجوبون بعلمهم عن رتبة التحقيق، فمن كانت هذه حالته ، سقطت مكالمته ، وبعدت معالجته ، فليس للكلام معه فائدة ، والمتكلم معه يضرب في حديد بارد ، وإنما كلامنا مع من لم ينغمس في خابيتهم ، ولم يسقط في مواتهم ، لعله يسلم من عاديتهم ، وينجو من غاويتهم .

واعلموا أن هذه البدعة في فساد عقائد العوام ، أسرع من سريان السم في

(١) المصدر السابق (٥٨/١٤) .

الأجسام ،وأنها أضر في الدين من الزنى والسرقة المعاصي كلها معلوم قبحها ، عند من يرتكبها ويجتلبها ، فلا يلبس مرتكبها على أحد ، وترجى له التوبة والإقلاع عنها. وصاحب هذه البدعة يرى أنها أفضل الطاعات ، وأعلى القربات ، فباب التوبة عنه مسدود ، وعنه شرود مطرود ، فكيف ترجى له منها التوبة ، وهو يعتقد أنها طاعة وقربة ، بل هو ممن قال الله فيهم : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف : ١٠٣] ، وممن قال فيهم : ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر : ٨]ثم ضرر المعاصي إنما هي في أعمال الجوارح الظاهرة ، وضرر هذه البدع إنما هي في الأصول التي هي العقائد الباطنة ، فإذا أفسد الأصل ، ذهب الفرع والأصل وإذا فسد الفرع بقي الأصل ويرجى أن ينجبر الفرع وإن لم ينجبر الفرع لم تذهب منفعة الأصل . ثم إن الذي يغوي الناس ويدعوهم إلى بدعته ، يكون عليه وزره ووزر من استن بسنته . قال الله العظيم : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل : ٢٥] . وقال رسول الله ﷺ : « من سن سنة حسنة كان له اجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزرمن نعمل بها إلى يوم القيامة » ولا تنشأ هذه العلل إلا من مرض في القلب خفي ، أو حمق جلي ، فاحذروها وأهلها . ولا تغتروا بهم ولو أنهم يطيرون في الهواء ، ويمشون على الماء فإن ذلك فتنة لمن أراد الله فتنته ، وعلم شقوته . قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ [المائدة : ٤١] فلا يغتر أحدكم بما يظهر من الأوهام والخيالات من أهل البدع والضلالات ، ويعتقد بأنها كرامات ، بل هي شرك وحبالات ، ونصبها الشيطان ليقتنص بها معتقد البدع ومرتكب الشهوات ، وإنما تكون من الله الكرامة لمن ظهرت منه الاستقامة ، وإنما تكون الاستقامة بإتباع الكتاب والسنة ، والعمل

بما كان عليه سلف هذه الأمة ، فمن لم يسلك طريقهم ، ولم يتبع سبيلهم، فهو ممن قال الله فيهم : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

فمن حرف كتاب الله أو ترك العمل به أو عطله ، فقد افترى على الله كذاباً ، واتخذ آيات الله هزواً ولعباً،فإذا رأيتم من يعظم القرآن فعظموه ، وإذا رأيتم من يكرم العلماء وأهل الدين فأكرموه قال الله العظيم : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج : ٣٠] ومن رأيتموه خالف القرآن فارفضوه واهجروه في الله وأبغضوه ومن رأيتموه يجانب العلماء فجانبوه ، فإنه لا يجانبهم إلا ضال مبتدع غير مقتد بالشرع ولا متبع ، فإن الشرائع لا تؤخذ إلا عن العلماء ، الذين هم ورثة الأنبياء، كيف وقد جعل الله شهادته وشهادة ملائكته كشهادة أولى العلم قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ [آل عمران : ١٨] . ولست أعني بالعلماء المشتغلين في زماننا هذا بعلوم الجدال والممارة ولا المعتنين بدرس مسائل الأقضية والشهادات ، فيتقربون بذلك إلى جمع الحطام ، والتقرب من الولاة والحكام ، ونيل الرياسة عن العوام ، وإنما نعنى بالعلماء الذين يعملون بعلمهم وقال فيهم النبي ﷺ : « يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ، ينفقون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين » فأولئك ورثة النبيين وأئمة المتقين الذين يجب أن يقتدى بهم ويتأدب بآدابهم ، ويقتفى آثارهم ، وتحفظ أخبارهم ، ولكن ضمهم لحودهم ،وقل على بسيط الأرض وجودهم فما يورد من آثارهم أثر ، فهم الكبريت الأحمر ، وإن كان عجز عن بلوغ رتبتهم وقصر ، لكنه يعرف الحق فلا يغلط في نفسه ولا يغتر ، فهذه النصيحة لمن وقف عليها من الأخوان الصادقين والمريدين ، والعامة المسلمين ، ليميزوا بها بين المحققين والمبطلين من المنتمين إلى الدين ولا يغتروا بالملبس من أجل حسن الظن ومحبتهم للصالحين ، ويدخل عليهم الخلل في

عقائدهم ، ويميلون بها إلى عوائدهم . وأما ما ذكرتموه من أفعالهم واشتغالهم بالرقص والغناء والنوح فممنوع غير جائز ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان : ٦] .

قال مالك في المدونة : « وأكره الإجارة على تعليم الشعر والنوح وعلى كتابة ذلك » . قال عياض : معناه نوح المتصوفة وإنشادهم على طريق النوح والبكاء ، فمن اعتقد في ذلك أنه قربة لله تعالى فهو ضال مضل ، ولا يعلم المسكين أن الجنة حفت بالمكاره ، وأن النار حفت بالشهوات ، والله تعالى لم يبعث أحداً من الأنبياء باللهو والراحة والغناء ، وإنما بعثوا بالبر والتقوى وما يخالف الهوى . قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠ - ٤١] . فالباطل خفيف على النفوس ، ولذلك خف في الميزان ، والحق ثقيل في الميزان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل : ٥] . وأما ما ذكرتموه من قراءة القرآن والاستماع إليه فإنه جائز وفيه قربة وطاعة والله عز وجل قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] وإن كان بعض أول ذلك في الصلاة وهذا إذا كان على الوجه المأذون فيه ؛ لا يقصد به رياء ولا سمعة . قال أبو محمد في رسالته : ويبجل كتاب الله العزيز فلا يتلى إلا بسكينة ووقار . والنساء فيما ذكرنا كالرجال فالمنع في حقهن أشد وكتب عبدالعزيز بن محمد القيرواني حامداً الله ومصليا على نبيه المصطفى . انتهى

وسئل فقيه بجاية وصالحها أبو زيد سيدي عبدالرحمن عن مثل هذا السؤال ، فأجاب عنه بما نصه : **« قد نص أهل العلم فيما ذكرت من أحوال بعض الناس من الرقص والتصفيق ، على أن ذلك بدعة وضلال وقد أنكره مالك وتعجب ممن يفعل لما ذكر له ... »**[١] .

---

(١) المعيار المعرب (٢٩/١١) .

وسئل الشيخ أبو إسحاق الشاطبي (من أئمة المالكية والمرجع في علم الأصول) عن حالة طائفة ينتمون إلي التصوف والفقر ،يجتمعون في كثير من الليالي عند واحد من الناس ،فيفتتحون المجلس بشيء من الذكر علي صوت واحد ثم ينتقلون بعد ذلك إلي الغناء والضرب بالأكف والشطح ،هكذا إلي أخر الليل ويأكلون في أثناء ذلك طعاما يعده لهم صاحب المنزل ،ويحضر معهم بعض الفقهاء فإذا تكلم معهم في أفعالهم تلك يقولون : لو كانت هذه الأفعال مذمومة أو محرمة شرعا لما حضرها الفقهاء فأجاب ما نصه : الحمد لله كما يجب لجلاله ، والصلاة على محمد وآله . سألت وفقني الله وإياك عن قوم يتسمون بالفقراء ،يجتمعون في بعض الليالي ،ويأخذون في الذكر ثم في الغناء والضرب بالأكف والشطح إلي أخر الليل ،وأن اجتماعهم علي إمامين من أئمة ذلك الموضع يتوسمان بوسم الشيوخ في تلك الطريقة ،وذكرت إن كل من يزجر عن ذلك الفعل ،يحتج بحضور الفقهاء معهم ولو كان حراما أو مكروها لم يحضروا معهم .

والجواب والله الموفق للصواب : إن اجتماعهم للذكر على صوت واحد إحدى البدع المحدثات التي لم تكن في زمن رسول الله صلى علية وسلم ولا في زمن الصحابة ولا من بعدهم ،ولا عرف ذلك قط في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، بل هو من البدع التي سماها رسول الله صلي الله علية وسلم ضلالة ،وهي مردودة . ففي الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من أحدث في أمرنا ما ليس منة فهو رد » يعني فهو مردود وغير مقبول ، فذلك الذكر الذي يذكرون غير مقبول وفي رواية « من عمل عملا ليس علية أمرنا فهو مردود » وفي الصحيح أنه ﷺ كان يقول في خطبته : أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وفي رواية وكل محدثة بدعة في النار وهذا الحديث يدل علي أ ن صاحب البدعة في النار والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

وعن الحسن البصري أنه سئل وقيل له : ما ترى في مجلسنا هذا ؟ قوم من أهل السنة والجماعة لا يطعنون على أحد نجتمع في بيت هذا يوما فنقرأ كتاب الله وندعو الله ربنا ، ونصلى على النبي ﷺ ، وندعو لأنفسنا ولعامة المسلمين قال : فنهى الحسن عن ذلك أشد النهى ، لأنه لم يكن من عمل الصحابة ولا التابعين وكل ما لم يكن عليه عمل السلف الصالح ، فليس من الدين ، فقد كانوا أحرص على الخير من هؤلاء ولو كان فيه خير لفعلوه . وقد قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] . قال مالك بن أنس : فما لم يكن يومئذ ديناً لم يكن اليوم ديناً وإنما يعبد الله بما شرع وهذا الاجتماع لم يكن مشروعاً قط فلا يصح أن يعبد الله به . وأما الغناء والشطح فمذمومان على ألسنة السلف الصالح فعن الضحاك : الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب وقال المحاسبي : الغناء حرام كالميتة وسئل مالك بن أنس عن الغناء الذي يفعل بالمدينة فقال : إنما يفعله عندنا الفساق وهذا محمول على غناء النساء وأما الرجال فغناؤهم مذموم أيضاً ، بحيث إذا داوم أحد على فعله أو سماعه سقطت عدالته ، لما فيه من إسقاط المروءة ومخالفة السلف وحكي عياض عن التنيسي أنه قال : كنا عند مالك وأصحابه حوله ، فقال رجل من أهل نصيبين يا أبا عبدالله عندنا قوم يقال لهم الصوفية ، يأكلون كثيراً ، ثم يأخذون في قصائد ، ثم يقومون فيرقصون ؟ فقال مالك : أصبيان هم ؟قال : أمجانين هم ؟قال : لا ،هم قوم مشايخ ،وغير ذلك عقلاء ،فقال مالك : ما سمعت أن أحدا من أهل الإسلام يفعل هذا إلا أن يكون مجنونا وصبيا فهذا بين أنه ليس من شان الإسلام ثم يقال ولو فعلوه على جهة اللعب كما يفعله الصبيان لكان أخف عليهم مع ما فيه من إسقاط الحشمة وإذهاب المروءة وترك هدي أهل الإسلام وأرباب العقول ، لكنهم يفعلونه على جهة التقرب إلى الله والتعبد به ، وأن فاعله أفضل من تاركه ،وهذا أدهى وأمر ، حيث يعتقدون أن اللهو واللعب عبادة ، وذلك من أعظم

المحرمات الموقعة في الضلالة الموجبة للنار والعياذ بالله . وأما ما ذكرتم من شأن الفقيهين الإمامين ، فليسا بفقيهين إذا كانا يحضران شيئاً من ذلك وحضورهما ذلك على الانتصاب إلى المشيخة قادح في عدالتهما فلا يصلى خلف واحد منهما حتى يتوبا إلى الله من ذلك ، ويظهر عليهما أثر التوبة ، فإنه لا تجوز الصلاة خلف أهل البدع نص على ذلك العلماء . وعلى الجملة فواجب على من كان قادراً على تغيير ذلك المنكر الفاحش ، القيام بتغييره وإخماد نار الفتنة ، فإن البدع في الدين هلاك ، وهي في الدين أعظم من السم في الأبدان والله الواقي بفضله والسلام على من يقف على هذا : إبراهيم الشاطبي[1] .

وأجاب عن السؤال السابق أيضاً **الفقيه الصالح أبو عبدالله الحفار المالكي** بما نصه : « الحمد لله والصلاة على محمد رسول الله ﷺ .الجواب مستعيناً بالله : إن هذه الطائفة المنتمية للتصوف في هذا الزمان وفي هذه الأقطار ، قد عظم الضرر بهم في الدين ، وفشت مفسدتهم في بلاد المسلمين ولا سيما في الحصون والقرى البعيدة عن الحضرة هنالك ، يظهرون ما انطوى عليه باطنهم من الضلال ، من تحليل ما حرم الله ،والافتراء عليه وعلى رسوله وبالجملة فهم قوم استخلفهم الشيطان على حل عرى الإسلام وإبطاله ، وهدم قواعده ولسنا لبيان حال هؤلاء ، فهم أعظم ضرراً على الإسلام من الكفار ، وإنما يقع الجواب على حال من ذكر في السؤال على تقدير سلامة عقيدته ، لكنهم قوم جهلة ، ليس لديهم شيء من المعارف ولا يحسن واحد منهم أن يستنجي ولا يتوضأ دع ما سوى ذلك ، لا يعرف ما فرض الله عليه بهيمة من البهائم في دينه ، وما أوجب الله عليه في يومه وليلته ، ليس عنده من الدين إلا الغناء والشطح ،وأكل أموال الناس بالباطل ، واعتقاد أنه على شيء وهذا كله ضلال من وجوه : أعظمها أنهم يوهمون على عوام المسلمين ومن لا عقل

(١) المعيار المعرب (٤١/١١) .

من النساء ، ومن يشبههن في قلة العقل من الرجال أن هذه الطريقة التي يرتكبونها هي طريقة أولياء الله وهي من أعظم ما يتقرب به إلى الله فيضلون ويضلون ، وفي ذلك افتراء على الله وعلى أوليائه وعلى شريعته وأوليائه . قال عمر رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ بحضرة الصحابة رضي الله عنهم : « أيها الناس قد سنت لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ،وتركتم على الجادة ، إلا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً » فليس في دين الله ولا فيما شرع أن يتقرب إليه بغناء ولا شطح ، والذكر الذي أمر به وحث عليه ومدح الذاكرين له به ، هو على الوجه الذي كان يفعله ﷺ ولم يكن على تلك الطريقة من الجمع ورفع الصوت على لسان واحد فلا يتقرب إلى الله إلا بما شرع وعلى الوجه الذي شرع ، فمن كلام السلف : لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها وسئل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن الصراط المستقيم فقال : « تركنا محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة ، وعن يمينه جواد وعن شماله جواد (جمع جادة) وعليها رجال يدعون من مر بهم ، هلم لك ، هلم لك . فمن أخذ منهم في تلك الطرق سلك به إلى النار ، ومن استقام على الطريق الأعظم انتهى به إلى الجنة ثم تلا ابن مسعود هذه الآية : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] وحين ذكر عليه السلام أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل من هي يا رسول الله ؟ قال : « ما أنا عليه وأصحابي » أو كما قال عليه السلام إلى غير ذلك مما جاء في هذا الباب ولا يحصي كثرة وإنما حمل هذه الطائفة على ارتكاب هذه الطرق المهلكة في الدين أنهم لما احتاجوا إلى ما يحتاج إليه الناس من المأكل والمشرب والملبس وسائر المآرب التي يحتاج الإنسان إليها ، ولم تكن لهم لا صناعة ولا حرفة يتعيشون بها ، أو كانت وصعب عليهم الكد في طلب المعاش ، وتكلف الخدمة لخسة همتهم بركونهم إلى الدعة والراحة ، فسول

لهم الشيطان وزين لهم هذه الطريقة التي هي لهو ولعب ، ولبسوا فيها على الجهال بالذكر الذي يفتتحون به مجالسهم ، ولبسوا المرقعات ونصبوها شبكة إذ كانت لباس الخيار من أهل هذه الطريقة قبل أن تدخلها البدع والضلالات وقالوا لهم : هذه الطريقة الأولياء ، وهي أقرب الطرق إلى الله و إلى نيل رضاه والكون في جواره في الآخرة ، فتهافت الجهال عليهم وأوصلوهم إلى ما شاءوا من نيل شهواتهم إلى أقصى الغايات ؛ فالإنسان إذا قيل له كل واشرب واشطح وتلذذ بالغناء واللهو والعب طول عمرك ولا تتعب في عبادة ولا غيرها ثم مصيرك في الآخرة إلى أعلى الدرجات مع الأولياء والصالحين ، فيرى أن هذه الجنة معجلة قبل الموعود بها ، وأنه قد حصل على ما لا غاية بعده من السعادة فأي مصيبة أعظم من هذه في إضلال عباد الله فالواجب على من قدر على هؤلاء - الذين هم كالأكلة في جنب الدين - أن يمنعهم ويحول بينهم ما هم بسبيله وأن يجليهم عن موضعه ، فهو في ذلك مجاهد مأجور،فمفاسدهم متعددة ديناً ودنياً قال بعض الحكماء لتلامذته : كونوا كالنحل في الخلايا ، قالوا كيف النحل في الخلايا ؟ قال : إنها لا تترك عندها بطالاً إلا نفته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق عليهم المكان ويأكل العسل ويتعلم الكسل . فهؤلاء القوم هذه صفتهم ، لأنه لا نفع بهم ، فهم يضيقون على الناس في المساكن ، ويأكلون أرزاقهم بغير حق ، ويعلمونهم الكسل ، وترك الحرف ، والاتكال على ما في أيدي الناس ، وهم بمنزلة الربيع في أثناء الزرع يضيق المكان ، ويستبد بالماء ، ويفسد الزرع ، فلذلك يقلع ويرمي به وأما حضور الفقهاء معهم وقولهم لو كنا على غير طريقة مرضية لما حضرها الفقهاء معنا فيقال : إن حضور الفقهاء معهم ليس بدليل على الجواز ، ولا عدمه دليل على المنع ،ولا يعرف الحق بالرجال ، بل الرجال يعرفون بالحق ، فالفقيه إذا حضر معهم ووافق واستحسن فعلهم فهو مثلهم بل هو شر منهم وهو باسم الفسق أولى منه باسم الفقه وإن حضر ليرى تلك الطريقة

وما تنطوي عليه حتى يحكم بما يشاهد من أحوال أهلها ، ثم بعد ذلك يحكم عليها بما يقتضيه الفقه ، فحضوره حسن وإن كان حضوره على جهة تفريج النفس ، كما يحضر الإنسان مجالس اللهو واللعب ، فإن تكرر ذلك منه على هذا الوجه ، فذلك مسقط لعدالته وإن كانت فلتة فلتقل عثرته ولا يعد للحضور معهم فيكون مثلهم على ما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ فمن كثر سواد قوم فهو منهم هذا ما حضر تقييده في هذا الوقت والسائل يستحث في التعجيل فهذا القدر كافٍ في الغرض المطلوب والله يوفقنا إلى الاقتداء بسلفنا ، ويعصمنا من الابتداع في الدين ، والسلام على من يقف على هذا والرحمة والبركة من كاتبه محمد الحفار »[1] .

وسئل القاضي أبو عمرو بن منظور عن إمام قرية يؤم الناس ، وهو يحب طريقة الفقراء ، وفي القرية زاوية يجتمع فيها بعض من أصحاب القرية ليلة الجمعة وليلة الاثنين والإمام المذكور معهم، يفتتحون بعشر من القرآن ويبدؤون بالذكر الموصوف لهم فإذا فرغوا منه يستفتح المداح وأصحابه دائرون عليه يضربون الكف ويقولون معه ، والإمام المذكور يمدح مع المداحين ويضرب الكف معهم ويرقص مع الذي رقص منهم ، فإذا كان ليلة مولد النبي ﷺ يمشي الإمام معهم إلى قرية أخرى بنحو عشرين ميلاً من قريتهم ويبقى المسجد بلا خطبة ولا إمام ولا أذان حتى يرجعون ، وتكون غيبتهم أربعة أيام أو ثلاثة أيام فقيل إن الإمام الذي يعمل هذا لا تجوز إمامته ، والذي يسمع العريف خير من الفقراء ، والإمام المذكور يعلم أن طريقة الفقراء بدعة لم تكن في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد التابعين بعده ، ويعلم أن أفضل الذكر ما خفي ،وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ولكن حمله على هذا محبته في الذكر وفي مدح رسول الله ﷺ ومحبته في مجامعة

---

(١) المعيار المعرب (١١/٤٢) .

الإخوان ، هل يلزم من اغتاب هذه الطريقة شيء أم لا ؟

فأجاب : تأملت السؤال بمحوله ، وقد سئل عن مثله العلماء الفقهاء الذين يقتدى بهم ويعمل على قلوبهم ، والكل منعوا تلك الطريقة وقالوا بتبديع مرتكبها ، والسنة بخلاف ذلك ، والرقص لا يجوز ، وهو تلاعب بالدين ،وليس من أفعال عباد الله المهتدين . وإمامه من يرى هذا المذهب ويسلك طريقهم لا تجوز لا سيما وقد انضاف إليه مع عمله هذا تعطيل المسجد وتركه دون مؤذن ولا إمام ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾ [للبقرة : ١١٤] وهذا يدخل تحت الوعيد . وقول من قال إن يسمع العريف خير من الفقراء فهذا يظهر أنه صحيح ، ووجهه أن الذي يسمع العريف عاص ويعلم أنه على غير شيء وهذا الذي يشطح ويرقص يعتقد أنه على شيء وهو على غير شيء أو متلاعب ،وما خلقنا للعب ، وهو بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ويكون للإمام حظه من هذه الطريقة ، وحضوره كافٍ في منع إمامته ، لأنه مكثر سوادهم ، ومن كثر سواد قوم عد منهم وأما محبة الرسول والصحابة فيتوصل إليها بغير هذا ، وهي ساكنة في القلب ،والإكثار من الصلاة والسلام عليه والترضي عن أصحابه في نفسه وفي بيته هو وجه العبادة . والطاعن في هذا الإمام وإن كان من قرية أخرى قام على وجه الحسبة وتغيير المنكر ، فلا عتاب عليه إن شاء الله تعالى فهذا وجه الجواب عن السؤال . انتهى

وأجاب الشيخ أبو الحسن العامري : الاجتماع على الذكر إذا كان يذكر كل واحد وحده ،وأما على صوت واحد فكرهه مالك . وأما القيام والشطح فمن ظن أنه عبادة فهو جاهل تجب عليه التوبة من ذلك ، فإن ناظر على ذلك وقال إنه عبادة فقد خالف الإجماع ، ومخالفة الإجماع كفر فيستتاب فإن تاب وإلا قتل . وكيف يعتقد أن يعبد الله بشطح وهو لهو ولعب ؟!! انتهى .

وأجاب سيدي أبو عبدالله السرقسطي عن نظيرتها بما نصبه : جواب السؤال أن

طريقة الفقراء في الذكر الجهري على صوت واحد والرقص والغناء بدعة محدثة لم تكن في أصحاب رسول الله ﷺ ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلاله في النار فمن أراد اتباع السنة واجتناب البدعة في ذكر الله والصلاة على رسوله فليفعل ذلك منفرداً بنفسه غير قارن ذكره غيره ، وليخف ذكره فهو أفضل له ، وخير الذكر الخفي(١) .

رابعًا : المذهب الحنبلي :

وقد سُئل الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى : « ما تقول السادة الفقهاء – أحسن الله توفيقهم – فيمن يسمع الدف والشبابة والغناء ويتواجد ، حتى إنه يرقص هل يحل ذلك أم لا ؟ اعتقاده أنه محب لله ، وأن سماعه وتواجده ورقصه في الله ؟ وفي أي حال يحل الضرب بالدف ؟ هل هو مطلق ؟ أو في حالة مخصوصة ؟ وهل يحل سماع الشعر بالألحان في الأماكن الشريفة ، مثل المساجد وغيرها ؟

فقال الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله : إن فاعل هذا مخطئ ساقط المروءة ،والدائم على هذا الفعل مردود الشهادة في الشرع ، غير مقبول القول ، ومقتضي هذا : أنه لا تقبل روايته لحديث رسول الله ﷺ ، ولا شهادته برؤية هلال رمضان ولا أخباره الدينية وأما اعتقاده محبة الله عز وجل ، فإنه يمكن أن يكون محباً لله سبحانه ، مطيعاً له في غير هذا ، ويجوز أن يكون له معاملة مع الله سبحانه ،وأعمال صالحة في غير هذا المقام وأما هذا فمعصية ولعب وذمة الله تعالى ورسوله ، وكرهه أهل العلم ، وسموه : بدعة ، ونهوا عن فعله ، ولا يتقرب إلى الله سبحانه بمعاصيه ، ولا يطاع بارتكاب مناهيه ، ومن جعل وسيلته إلى الله سبحانه معصيته ، كان حظه الطرد والإبعاد ، ومن اتخذ اللهو واللعب دينا ، كان كمن سعى في الأرض فساداً ، ومن طلب الوصول إلى الله سبحانه من غير طريق رسول الله ﷺ وسنته فهو بعيد من الوصول إلى المراد .

---

(١) المعيار المعرب (١١ / ١٦٠) للونشريسي .

وقد روى أبو بكر الأثرم قال : سمعت أبا عبد الله يعنى أحمد بن حنبل يقول : « التغبير محدث » ومنه قوم يغبرون بذكر الله ، أي يهللون ويرددون الصوت بالقراءة ونحوها وقال أبو الحارث : سألت أبا عبد الله عن التغبير وقلت : إنه ترق عليه القلوب فقال : « هو بدعة » وروى غيره أنه كرهه ، ونهى عن إسماعه .

وقال الحسن بن عبد العزيز الجروى : سمعت الشافعي محمد بن إدريس يقول: « تركت بالعراق شيئاً يقال التغبير ، أحدثته الزنادقة ، يصدون الناس به عن القران »

وقال يزيد بن هارون : « ما يغبر إلا فاسق ، ومتى كان التغبير؟ » وقال عبد الله بن داود : « أرى أن يضرب صاحب التغبير » والتغبير : اسم لهذا السماع ، وقد كرهه الأئمة كما ترى ولم ينضم إليه هذه المكروهات من الدفوف والشبابات ، فكيف به إذا انضمت إليه واتخذوه ديناً ؟ فما أشبههم بالذين عابهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥] . قيل المكاء التصفير ، والتصدية : التصفيق وقال الله سبحانه لنبيه : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأنعام : ٧٠] .

فأما تفصيل هذه المسموعات من الدف والشبابة وسماع كل واحد منهما منفرداً : فإن هذه جميعها من اللعب ، فمن جعلها دأبه ، أو اشتهر بفعلها أو استماعها ، أو قصدها في مواضعها ، أو قصد من أجلها فهو ساقط المروءة ، ولا تقبل شهادته ، ولا يعد من أهل العدالة ، وكذلك الرقاص »[1] .

قال أبو عبدالله بن بطة العكبرى رحمه الله : « سألني سائل عن استماع الغناء فنهيته عن ذلك وأعلمته أنه مما أنكرته العلماء واستحسنه السفهاء وإنما تفعله طائفة سموا بالصوفية وسماهم المحققون الجبرية أهل همم دنيئة ، وشرائع بدعية يظهرون الزهد وكل أسبابهم ظلمة، يدعون الشوق والمحبة بإسقاط الخوف والرجاء ، يسمعونه من

---

(١) ذم ما عليه مدعو التصوف ص ٤٣ .

الأحداث والنساء(١) ويطربون ويصعقون ويتغاشون ويتماوتون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه ، تعالى الله عما يقوله الجاهلون علواً كبيراً »(٢) .

وأخيرا أقول كما قال الشاعر :

يـاعـصـبـة مـا ضَـرّ أمـة أحـمـد وسـعىٰ عـلـى إفـسـادهـا إلا هـي
طــار ومــزمــار ونــغــمــة شــادن أرأيــت قــط عــبــادة بمــلاهــي

وأحسن آخر حيث يقول :

أقــال الــلــه صــفــق لــي وغــنــي وقــل نــكــراً وســم الــرقــص ذكــراً

قلت : والعجب أن يؤلف للصوفية في إباحة السماع غير واحد منهم فهذا محمد المالكي الشاذلي الوفائي الشهير بأبي المواهب يؤلف لهم كتاباً سماه « فرح الأسماع برخص السماع » يقول في أوله : « فهذه فوائد تتعلق بإباحة السماع والغناء سبب جمعها إنكار الجهال وقوع الأنذال في الأبدال »

تأمل كيف وصف المنكرين على الطرقية بالجهال والأنذال بينما الطرقية الخراقين هم أحق بهذا الوصف !!

الوجه الثالث عشر : أن سلف الأمة وهم خير القرون لم يفعلوا هذه الحضرات

ولم يؤثر عنهم حرف واحد في إقامة هذا الرقص ولو كان خيراً لسبقونا إليه فيما يتعلق بعبادة أو كرامة أوسياسة أو علم أو غير ذلك .

---

(١) لا تتعجب من هذا القول ! فلو رأيت الموالد وما يحدث فيها فلن يطول تعجبك فقط بل سيطول اندهاشك وتسترجع مما يقع فيه من غناء النساء في الموالد في وسط الحضرات الصوفية ولنا رسالة في بيان بدعية الموالد يسر الله إتمامها .

(٢) نقله ابن الجوزي عنه في تلبيس إبليس ص ٢٩١ .

وما أحسن ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مدح الصحابة وبيان قدرهم : « لكن المقصود أن يعرف أن الصحابة خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء فيما ظهر فيمن بعدهم مما يظن أنها فضيلة للمتاخرين ولم تكن فيهم فإنها من الشيطان وهي نقيصة لا فضيلة سواء كانت من جنس العلوم أو من جنس العبادات أو من جنس الخوارق والآيات أو من جنس السياسة والملك بل خير الناس بعدهم أتبعهم لهم »[١] .



(١) مجموع الفتاوى (١١٧/١٠) .

فصل

في الأدلة التي استدل بها الطرقية على إقامة الحضرات والرقص فيها وسماع الغناء فيها

وقد تمسك الطرقية بما ظنوه دليلاً لهم في إقامة الحضرة الصوفية والرقص فيها وسماع الغناء ورأوا أن ذلك لا بأس به بل هو من التقرب إلى الله عزوجل ، والناظر في أدلتهم لا يجدها تخريج عن ما يلي :

(أ) عموم لبَّسوا به على الناس قد استندوا إليه ولا دليل لهم فيه .

(ب) أحاديث باطلة لا تصح عن المعصوم ﷺ .

(جـ) أقوال عارية عن الدليل عليها من كتاب ولا سنة .

(د) أحاديث صحيحة ليست في مورد الاحتجاج وهي بعيده كل البعد عما فهموه

(هـ) تأويل للآيات والأحاديث بغير دليل صحيح .

وسوف أقوم بسرد هذه الأدلة التي ظنوها حجة لهم وأرد عليها حتى يتضح لكل ذي عنين مقدار الخطأ الذي ارتكبه الطرقية في النصوص الشرعية الصحيحة .

تنبيه

قبل سرد ماستدل به أهل البدع على ما يقومون به من رقص في الحضرات وغناء وسماع وتمايل ووجد كما يزعمون، أود أن أذكر بقاعدة ذكرها الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ وهو أن أهل البدع بل وأهل الكفر أيضًا يحاولون التماس أي شيء يساند بدعهم وكفرهم ولهم طرق غير منضبطة في الاستدلال .

قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : « ومن نظر إلى طرق أهل البدع في الاستدلال عرف أنها لا تنضبط؛ لأنها سيالة لا تقف عند حد، وعلى كل وجه يصح لكل زائغ

وكافر أن يستدل على زيغه وكفره حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى الشريعة فقد رأينا وسمعنا عن بعض الكفار أنه يستدل على كفره بآيات القرآن كما استدل بعض النصارى على تشريك عيسى عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى وتقدس ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١] واستدل على (أن الكفار من) أهل الجنة بإطلاق قوله تعالى ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ الآية [البقرة : ٦٢] واستدل بعض اليهود على تفضيلهم علينا بقوله سبحانه : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ [البقرة : ٤٧] . وبعض الحلولية استدل على قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [ص : ٧٢] والتناسخي استدل بقوله : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] وكذلك يمكن من أتبع المتشابهات أو حرف المناطات ،أو حمل الآيات مالا تحمله عند السلف الصالح ، أو تمسك بالواهي من الأحاديث، أو أخذ الأدلة ببادي الرأي ؛ (له) أن يستدل على كل فعل أو قول أو إعتقاد وافق غرضه بأية أو حديث ولا يجوز ذلك أصلاً ،والدليل عليه استدلال كل فرقة شهرت بالبدعة على بدعتها بآية أو حديث من غير توقف فمن طلب خلاص نفسه ؛ تثبت حتى يتضح له الطريق، ومن تساهل رمته أيدي الهوى في مطاعن لا مخلص له منها إلا ما شاء الله »[1] .

الدليل الأول : استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ **[الكهف : ١٤]** .

وهذا الدليل الذي استدلوا به من أغرب ما قرأت ولولا أن يقع عليه أحد فيتخذه دليلًا ما ذكرته وقد أشار الإمام الشاطبي رحمه الله إلى بعض الصوفية الذين استدلوا بالآية على أن المراد بالقيام فيها الرقص في الذكر في الحضرات التي يعتقدونها[2] .

---

(١) الاعتصام (١/٣٦٣-٣٦٥) .

(٢) الاعتصام (١/٣٥٩) .

والرد على ما استدلوا به في هذه الآية ينتظم من وجوه :

الأول : أن الآية لا دليل فيها على ما ذكروه ولم يذكر واحد من المفسرين الذين تعرضوا لتفسير الآية من السلف أن الفتية فعلوا ما زعمه المتصوفة وإنما نشأ الغلط من الصوفية من جهة الفهم حيث فهموا من الآية غير ما فهمه السلف الصالح وأنهم أي الصوفية استدلوا بغير دليل ولذلك قال الإمام الشاطبي رحمه الله في الرد على الصوفية « وكذلك قوله تعالى ﴿ إذ قاموا فقالوا ربنا الله ﴾، أين فيه أنهم قاموا يرقصون أو يزفنون أو يدورون على أقدامهم؟ »[(١)] .

إلى أن قال : « فليس في شيء من ذلك صعق ولا صياح ولا شطح ولا تغاشى ولا شيء من ذلك كما هو شأن فقراء اليوم »[(٢)] .

الثاني : أن تفسير القيام المنسوب للفتية في هذه الآية إنما هو قيامهم في وجه الملك مصرحين له بالتوحيد معلنين له ذلك بالدليل والبرهان، منكرين على الملك نحلة الكفر[(٣)] ، وقد عبر عن القيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله تعالى ومنابذة الناس كما تقول : قام فلان إلى أمر كذا إذا عزم عليه بغاية الجد[(٤)] . وقيل المراد به انتصابهم لإظهار الدين كما نقله الألوسي رحمه الله . [(٥)]ونقل في القيام أقوال

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق (٣٥٢/١) .

(٣) الاعتصام (٣٥٢/١) وانظر تفسير ابن كثير (٧٨/٣-٧٩) ،الفتوحات الإلهية (٣٩٧/٤) غرائب القرآن للنيسابوري (٤٠٧/٤) ،فتح القدير للشوكاني (٦٤٢/٢)، زاد المسير (١١٥/٥)، الكشاف للزمخشري (٣م٥٦٩)، نظم الدرر (٤٥٠/٤) .

(٤) راجع هذا المعنى عن ابن عطية رحمه الله في المحرر الوجيز (٣٧٣/١٠) وأبو حيان في البحر المحيط (٦/ ١٠٥) وفتح القدير للشوكاني (٣٨٧/٣) ،روح المعاني (٢١٨/١٦) .

(٥) روح المعاني (٢١٨/٦) .

منها قول بعضهم أن المراد قيامهم لدعوة الناس سراً إلى الإيمان ونقل عن عطاء المراد قيامهم من النوم ثم قال الألوسي : « وليس بشيء » ونقل ابن الجوزي قول الحسن البصري رحمه الله : قاموا في نومهم فدعوهم إلى التوحيد »(١) .

الثالث : أن تفسير الصوفية للقيام الرقص في الحضرات قد أنكره غير واحد من أهل العلم وسأذكر هنا قول الإمام ابن عطية رحمه الله وكلام القرطبي بعده يقول الإمام ابن عطية رحمه الله : « تعلقت الصوفية في القيام بقوله ﴿إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض﴾ [الكهف : ١٤] .

قلت : القائل القرطبي رحمه الله : « وهذا تعلق غير صحيح هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم من فوقهم ، وهذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء والأولياء، أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام وخاصة في هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان؟ ، هيهات بينهما والله مابين الأرض والسماء ، ثم هذا حرام عند جماعة العلماء »(٢) .

الدليل الثاني : استدلالهم بقوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر : ١٧-١٨] .

استدل القشيري بالآية السابقة على السماع بالألحان معتمداً على أن اللام في قوله : « القول » تفيد التعميم والاستغراق .

وللجواب عن هذه الشبهة : أن يقال :

أولاً : يلزم من الاستدلال بالعموم جواز سماع كل قول مهما كان ماجناً وفاحشاً وهذا باطل بلا شك .

---

(١) زاد المسير (١١٥/٥) .

(٢) تفسير القرطبي (٦٩٠/٨) .

ثانياً : تفسير الآية بأن المراد بأحسن القول السماع الذي عليه الصوفية هو تفسير مخالف لتفسير السلف الصالح وها هي تفاسير السلف بين أيدينا ليس فيها تفسير واحد يدل على ما ذهب إلى الطرقية من إباحة السماع الصوفي ولذا فتفسيرهم للآية في واد وتفسير السلف في واد آخر .

ثالثاً : قال ابن القيم رحمه الله وهو يرد على من احتج بهذه الآية على جواز السماع الشيطاني « القول » هاهنا ما أمرهم الله باستماعه وهو وحيه الذي أنزله على رسوله وهو الذي قال فيه ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون : ٦٩] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ ﴾ [القصص : ٥١] فهذا هو القول الذي أمروا باتباع أحسنه كما قال : ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر : ٥٥] (١) .

وقد رد شيخ الإسلام رحمه الله على القشيري استدلاله بهذه الآية على إباحة السماع الصوفي **وذكر ذلك في وجوه انقلها مختصرة لأهميتها** :

الوجه الأول : أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر باستماع كل قول بإجماع المسلمين حتى يقال اللام للاستغراق والعموم ، بل من القول ما يحرم استماعه ومنه ما يكره قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٨-٦٩] فقد أمر سبحانه بالاعراض عن كلام الخائضين في آياتيه ونهى عن القعود معهم فكيف يكون استماع كل قول محموداً وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٠] فجعل الله المستمع لهذا الحديث مثل قائله ، فكيف يمدح كل مستمع على كل قول ؟

---

(١) روضة المحبين ص ١٢١ .

وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون : ١-٣]

وقال تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ إلى قوله : ﴿... وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣-٧٢] فإذا كان الله تعالى قد مدح وأثنى على من أعرض عن اللغو ومر به كريما لم يستمعه كيف يكون استماع كل قول ممدوحاً ؟ .

الوجه الثاني : أن المراد بالقول في هذا الموضع القرآن ، كما جاء ذلك في قوله ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص : ٥١] فإن القول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا باستماعه ، والتدبر بالنظر والاستدلال والاعتبار والاستماع .

الوجه الثالث : وهو أن الله في كتابه حمد استماع القرآن ، وذم المعرضين عن استماعه ، وجعلهم أهل الكفر والجهل الصم البكم فأما مدحه لاستماع كل قول فهذا شيء لم يذكره الله قط كما قال تعالى ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] وقال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال : ٢] وقال : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم : ٥٨] .

الوجه الرابع : أنهم لا يستحسنون استماع كل قول منظوم ومنثور بل هم من أعظم الناس كراهة ونفرة لما لا يحبونه من الأقوال منظومتها ومنثورها ونفورهم عن كثير من الأقوال أعظم من نفور المنازع لهم في إسماع المكاء والتصدية عن هذا السماع وإذا لم يكن العموم مراداً بالاتفاق كان حمل الآية عليه باطلاً .

الوجه الخامس : أنه قال : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ

أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [الزمر : ١٧-١٨] ، فمدحهم باستماع القول واتباع أحسنه ومعلوم أن كثيراً من القول ليس فيه حسن فضلاً عن أن يكون فيه أحسن بل فيه كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم : ٢٦] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ﴾ [العنكبوت : ٦٨] وقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٢] وقال ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات : ١٢] فقوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ كقوله في هذه السورة : ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ [الزمر : ٥٥] فهذه الكلمة سواء بسواء وهذا من معاني متشابه القرآن ... فاتباع أحسن ما أنزل إلينا هو اتباع أحسن القول »[1] .

الدليل الثالث : احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] .

والجواب : إن هذا الاستدلال في الحقيقة هو ثمرة جهلهم بدين الله تعالى وبتفسير كلام الله عز وجل فإنهم لو وفقوا لمجالسة فقية من فقهاء الشريعة لما ذهبوا هذا المذهب، ولكن البعد عن العلم والعلماء يقوي في نفوس الطرقية سلطان الجهل .

وقد أبطل استدلالهم ابن الجوزي رحمه الله فقال : « وهذا الاحتجاج بارد لأنه لو كان أمر بضرب الرجل فرحاً كان لهم فيه شبهة وإنما أمر يضرب الرجل لينبع الماء ثم نقل كلام شيخه ابن عقيل فقال : قال ابن عقيل رحمه لله : « أين الدلالة في مبتلى أمر عند كشف البلاء بأن يضرب برجله الأرض لينبع الماء إعجازاً من الرقص؟، ولئن جاز أن يكون تحريك رجل . . . دلالة على جواز الرقص في الإسلام جاز أن يجعل قوله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ﴾ [البقرة : ٦٠] دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب

(١) الاستقامة (١/٢١٦-٢٣٢) بتصرف يسير .

بالشرع »[١] .

ويقول ابن الجوزي رحمه الله « أين ضرب الأرض بالقدم مرة أو مرتين من رقصهم الذي يخرجون به عن سمت العقلاء؟، ثم دعونا من الاحتجاج تعالوا نتقاضى إلى العقول أي معنى في الرقص إلا اللعب الذي يليق بالأطفال؟، وما الذي فيه من تحريك القلوب إلى الآخرة ؟هذه والله مكابرة باردة »[٢] .

الدليل الرابع : احتجاجهم بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١]

والحافظ السيوطي رحمه الله يذكر عن جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر ثم إن شخصاً من الجماعة قام من المجلس ذاكراً ، واستمر على ذلك لواردٍ حصل له ، فهل له فعل ذلك سواء كان باختياره أم لا ؟ وهل لأحد منعه وزجره عن ذلك ؟ أجاب الحافظ السيوطي بقوله : « لا إنكار عليه في ذلك ثم نقل عن سراج الدين البلقيني أيضاً عدم الإنكار على من فعل ذلك ويلزم المتعدي بذلك التعزيز ثم قال السيوطي عفا الله عنا وعنه : وكيف ينكر الذكر قائماً والقيام ذاكراً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١] وقالت عائشة رضي الله عنها : كان النبي عليه الصلاة والسلام يذكر الله على كل أحيانه، وإن انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلاإنكار عليهم ، فذلك من لذات الشهود أو المواجيد وقد ورد في الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي ﷺ لما قال له : أشبهته خلقي وخلقي ، وذلك من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ ؛ فكان هذا أصلاً في رقص الصوفية لما يدركونه من لذات المواجيد ، وقد صح القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة

---

(١) تلبيس إبليس (ص٣١٦-٣١٧) .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٨ .

من كبار الأئمة منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام »[١] .

قلت : ما ذكره السيوطي رحمه الله هنا عليه رد من وجوه :

الوجه الأول : أن الاستدلال بالآية المذكورة على ذكر الصوفية المعروف من التحلق والقيام فيما يعرف بالحضرة الاستدلال بالآية على هذا النحو ليس بجيدولا ننكر ذكر الله عن قيام وقعود ولكن الإنكار على من يجعل لهذا الذكر هيئة معينة لم تأت في السنة فالاستدلال بالآية على ذكر الله في حال القيام والقعود لا شيء فيه بل النزاع فيما إذا استدل بالآية على الذكر بهذه الهيئة المنكرة التي يمارسها الصوفية .

الوجه الثاني : أن الآية الكريمة بينها الرسول ﷺ في سنته حيث ذكر بعضهم أن المراد بها الصلاة فالمصلى يجب عليه الصلاة في الفريضة من قيام فإن لم يستطع فعن قعود وإلا فعلى جنب كما بين النبي ﷺ لعمران بن حصين فقال له « صل قائما فإن لم تستطع فقاعداً فإن لم تستطع فعلى جنب »[٢] .

فإن قيل : ولماذا لا تكون الآية شاملة لحاله الصلاة وغيرها ؟

فالجواب : لا مانع من شمولها للصلاة وغير الصلاة ولكن لو سحبت الآية على الصلاة وغيرها فلا دليل فيها على الذكر على نحو أفعال الصوفية في الحضرة إذا لم يرد عن النبي ﷺ ولا الصحابة أنه فعل فعل الصوفية في حضرات الذكر التي يعقدونها .

الوجه الثالث : أن دعوى الإمام السيوطي عدم الإنكار على الصوفية في طريقة الحضرة التي يفعلونها هذه الدعوى تحتاج إلى الدليل وإلا فالإنكار قائم على كل من خالف هدي رسول الله ﷺ في طريقة ذكره لله عز وجل بل لقد ورد عن السلف الإنكار على من قيد ذكر الله تعالى بهيئة من الهيئات التي لم ترد عن رسول الله ﷺ كتحديد نوع

---

(١) الحاوي للفتاوى (٢/٤٠٦) .

(٢) رواه البخاري (٢/٤٨٤،٤٨٣) وأبو داود (٩٥٢) والترمذي (٣٧٢) .

الذكر أو هيئة التحلق للذكر أو ما شابه ذلك وقد سبق إنكار ابن مسعود رضي الله عنه على من وجدهم متحلقين في المسجد وأحدهم يقول « سبحوا كذا وكبروا كذا وهللوا كذا » ... فكيف يقول السيوطي بعدم الإنكار على الجماعة الصوفية المشار إليها وأما ما نقله عن البلقيني رحمه الله فهذا أيضاً لا يفيد شيئاً .

الوجه الرابع : أن من أغرب وأعجب ما ادعاه السيوطي رحمه الله قوله : « إذا انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلا إنكار » وهل هذا إلا هوس وهذيان وعدم تأدب مع رب العالمين في طريقة الذكر؟ هل بلغك أن الرسول ﷺ فعل هذا ؟ أو فعله أصحابه؟ أو التابعين لهم بإحسان ؟ومن العجب أن ينص السيوطي على بدعية الرقص والغناء في المساجد من الصوفية بينما هو يخالف ذلك في بعض كتبه كما في الحاوي . يقول السيوطي رحمه الله : « ومن ذلك (أي من البدع) الرقص والغناء في المساجد وضرب الدف أو الرباب أو غير ذلك من آلات الطرب فمن فعل ذلك في المسجد فهو مبتدع ضال مستحق للطرد والضرب لأنه استحق بما أمر الله بتعظمه قال الله تعالى و في بيوت أذن الله أن ترفع (أي تعظم) ويذكر فيها اسمه (أي يتلى فيها كتابه وبيوت الله هي المساجد قد أمر الله بتعظيمها وصيانتها عن الأقذار والأوساخ ... فمن غنى أو رقص فهو مبتدع ضال مستحق للعقوبة »(١) .

الوجه الخامس : أما الاستدلال بحديث جعفر بن أبي طالب أنه رقص بين يدي رسول الله فهذا الحديث يعرف بحديث الحجل وسوف يأتي الكلام عليه مفصلاً وأنه لا حجة فيه لأن الحديث لم يصح بلفظ « الحجل » الذي يسميه السيوطي وغيره الرقص ، والواقع أن الحديث حتى لو صح بلفظ أن جعفر حجل بين يدي رسول الله فإن العلماء ذكروا أن الحجل غير الرقص وسيأتي هذا بالتفصيل .

---

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص ٤٠ .

الوجه السادس : أن الاستدلال بفعل جعفر بن أبي طالب لو صح إنما هو من باب المباح لا غير أم الصوفية فإنهم يعتقدون أن الرقص في الحضرة نوع من أنواع القرب التي يتقربون به إلى الله عز وجل وهذا لاشك بدعة وكل بدعة ضلالة إذ القرب لا تكون إلا بالمشروع والرقص غير مشروع بل دلت الأدلة على تحريمه كما سيأتي ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٧] وقد احتج بها الإمام ابن عقيل شيخ الحنابلة في بغداد وسيأتي نص كلامه وهو استدلال بارع منه رحمه الله .

الوجه التاسع : أن العلماء أنكروا على الصوفية الذكر بهذه الصورة التي يمارسها والرقص يميناً وشمالاً وذكرت طرفاً من ذلك فكيف يغفل المرء أقوال العلماء في إنكارهم على الصوفية هذا المسلك ومن المنكرين ابن عقيل وابن الجوزي والقرطبي وابن حجر وغيرهم كثير وكثير وهم القوم لا يشقى جليسهم .

الوجه الثامن : أن دعوى السيوطي رحمه الله أن هذا الرقص إنما هو لما يدركونه من لذات المواجيد فهذا يخالف ما عليه الصحابة رضي الله عنهم فقد كانوا يستمعون القرآن والحديث ولا يزيدون على دمع العيون ووجل القلوب واقشعرار البدن وقد سبق بيان حال الصحابة رضي الله عنهم في مجلس رسول الله ﷺ، أويظن ظان أن حال هؤلاء الطرقية أكمل من حال الصحابة رضي الله عنهم ؟أو أن الله تعالى ادخر للمتأخرين فضلاً خبأه عن الصحابة رضي الله عنهم؟!، أم أن المتأخرين أكمل علماً وأهدى سبيلاً من الصحابة رضي الله عنهم؟!! . والحق يقال إن هذه الزلة من الحافظ السيوطي رحمه الله قد فتحت الباب لكثير من الطرفية لممارسة طقوس الرقص في الحضرات بل توسعوا في ذلك في الموالد واشترك فيها الرجال والنساء وحدث الاختلاط بينهم في الحضرات وهم مع كل هذا يزعمون أنهم يذكرون الله تعالى وهذا في الواقع من تزيين الشيطان لهم سوء أعمالهم ومن البدع بلا شك .

الوجه التاسع : وأما دعوى السيوطي أن من الأئمة من كان يقوم ويرقص في مجالس الذكر وذكر منهم العز بن عبدالسلام .

فهذا الكلام لا حجة فيه فإن الحجة إنما هي في الكتاب والسنة والقدوة إنما هي في رسول الله ﷺ الذين يقول فيه ربنا ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم ﷺ ، وأعمال وأقوال الناس علماء كانوا أو من دونهم إنما توزن بميزان الكتاب والسنة فليست أقوالهم وأعمالهم حجة على الكتاب والسنة بل الكتاب والسنة ميزان توزن عليه أعمال وأقوال الناس من كل الطبقات على أن ما نسبه السيوطي للعز بن عبدالسلام فيه نظر ظاهر حيث ورد عن الإمام العز بن عبدالسلام ذم الرقص والإنكار على الصوفية في رقصهم واتخاذهم السماع قربة وطريقة في ذكرهم لله عز وجل وقد استفاض في ذم ذلك والتحذير منه في كتابه قواعد الأنام وقد ذكرت طرفاً منه سابقاً فراجعه غير مأمور .

وقد ردَّ ابن حجر الهيتمي ما نسب إلى العز بن عبدالسلام من جوزاه الرقص في الحضرات الصوفية أو حضورها في كتابه كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع قال ابن جحر بعد نقله كلام العز بن عبدالسلام في ذم الرقص : « فبعد صدور هذه العبارة منه، وهو أخشى لله وأتقاه من أن يتكلم في كتابه[١] الذي هو خلاصة علومه ومعارفه بما يفعل خلافه على رؤوس الإشهار وكيف يتوهم صدوره منه، ويفرض صحته عنه »[٢] .

قلت : وهذا الرقص المنسوب إلى العز بن عبدالسلام رحمه الله لا يعدو كونه خبر مؤرخ يفتقر إلى السند الصحيح والدليل الصريح فأين السند الصحيح إلى العز بن

(١) أي كتاب قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام .

(٢) كف الرعاع للهيتمي .

عبدالسلام حتى تناقشه؟ ولو صح أيضاً فإن الحجة إنما هي في الكتاب والسنة وفعل الرسول ﷺ وشنع ابن حجر الهيتمي علي الصوفية نسبتهم القول بجواز الرقص للعلامة العز بن عبد السلام .

وقال الشيخ على محفوظ رحمه الله : « وقد ألف ابن حجر الهيتمي كتابه المسمى « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » قصد به الرد على هؤلاء الجهلة الكذابين ، وشنع عليهم فيه نسبتهم القول بجواز الرقص للعلامة العز بن عبدالسلام[١] .

ومن العجب أن يحتج اليافعي على جواز رقص الصوفية بما نقله عن العلامة العز بن عبدالسلام أن كان يجيزالرقص ورقص حيث يقول اليافعي : « وذلك من أقوي الحجج على من ينكر ذلك من الفقهاء على أهل السماع من الفقراء والمشايخ أهل المقامات الرفاع أعنى صدور ذلك من مثل الإمام الكبير ... »[٢] .

الوجه العاشر : أن احتجاج الحافظ السيوطي رحمه الله وعفا عنا وعنه بأن بعض العلماء كان يحضر هذه المجالس دون إنكار منه وهذا يدل على إباحة ذلك أقول : قد ذكر ذلك أيضاً القشيري في الرسالة وغيره حيث زعموا أن هؤلاء المشايخ أطبقوا على حضور مجلس السماع والغناء وتواجدوا وركضوا ورقصوا وقد نقله الشيخ على محفوظ في الإبداع[٣] .

وأجاب على ذلك رحمه الله حيث يقول : « نقول لهم إننا لا ننفي جوازه إلا عند وجود نحو تثن أو تكسر فمن أين أن أولئك المشايخ تثنوا أو تكسروا؟ (سلمنا) أنهم فعلوا ذلك أين أنهم لهم يحصل لهم وجد أخرجهم عن حالة الاختيار إلى حالة الاضطرار ؟على أنا لا نسلم تلك الحكايات عن أولئك فعلها مما أدخله أهل الزندقة

---

(١) الإبداع ص ٣١٩ .

(٢) مرآة الجنان (١٩٩/٢) .

(٣) الإبداع ص ٣٢١ ، ٣٢٣ .

على أهل الإسلام كما كذبوا على رسول الله ﷺ بما لا يحصى (سلمنا صحتها) وأنهم فعلوها اختياراً فالحجة فيما جاء عنه ﷺ وعن الأئمة بعده، وقد بينا أن ذلك لم يكن طريقهم ولا سبيلهم ، وأن ذلك[1] مما حدث بعدهم فقد تناوله قوله ﷺ : « وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » وأما قولهم وجدنا أشياخنا هكذا يذكرون بحضرة العلماء فهو لا يصدر إلا من جاهل لجواز أن هؤلاء الأشياخ جاهلون بأمر دينهم - أو استغرقوا في حب خالقهم حتى خرجوا بذلك عن حد التكليف - وعلى كلا الاحتمالين لا يصح الاقتداء بهم لأنهم حينئذ لا يصلحون للوراثة، ولا يورث عن الأشياخ إلا ما يكون منهم حالة الصحو موافقاً للشريعة والعارفون منهم لا يخرجون في أحوالهم عنها قيد شعرة ماداموا في صحوهم وقد تبرءوا ممن يخرج في حركاته وسكناته عن الكتاب والسنة وكيف لا يتبرءون وقد تبرأ من ذلك الأئمة المجتهدون الذين وقفوا على حقيقة الأمور ثم نقل الشيخ على محفوظ أقوال الأئمة الأربعة ... » .

إلى أن قال : « وقال أبو يزيد البسطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة وقال سيد الطائفة الجنيد : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال الإمام الكبير أبو الحسن النوري قرين الجنيد : من رأيته يدعي مع الله تعالى حالة تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه فإنه مبتدع لأن من لم تشهد الشريعة لأفعاله وأقواله فهو مبتدع وإن جرت عليه أحوال خارقة للعادة لأن ذلك من جملة المكر به .

وقال أبو القاسم النصر أباذي الصوفي الكبير : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء والبدع وسئل أبو على الحسن بن على الجوزجاني كيف الطريق إلى الله فقال الطرق إلى الله كثيرة وأوضح الطرق وأبعدها عن الشبه اتباع

(١) المصدر السابق ص ٣٢٣ .

السنة قولاً وفعلاً وعزماً وعقداً ونية لأن الله يقول : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [النور : ٥٤] فقيل له كيف الطريق إلى السنة فقال مجانبة البدع واتباع ما أجمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام ... فتبين بهذا أن قول المحرفين للذكر هكذا وجدنا أشياخنا يذكرون لا يصح أن يكون دليلاً على الشريعة بل ينادى عليهم بالجهل بالسنة وعدم الروية ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

وأما قولهم أن هذه الحضرات فعلت بحضور العلماء وهم ساكتون فهو باطل أيضاً لجواز أن يكون سكوت العلماء عن هؤلاء الجهلة لظنهم أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يفيد عندهم بل ذلك هو الظن في هداة الأمة الذين هم روثه الأنبياء ويجوز أن من حضرهم كان ممن تسموا باسم العلماء وليسوا منهم ، وجملة القول حجتهم داحضة »(١) .

ومن الجدير بالذكر التنبيه على ما نسب إلى العلامة ابن دقيق العيد من حضوره مجالس السماع الصوفي بالدف والشبابة فما نسب إليه من ذلك لا يصح بل هو محض افتراء عليه وقد رده العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله بعد دفاعه عن العز بن عبدالسلام ونفى ما نسب إليه من حضوره رقص الصوفية وإباحته للسماع قال : « ونظير ما مر عن ابن عبدالسلام من الكذب والتقول عليه ما نقل عن تلميذه الإمام المجتهد ابن دقيق العيد، وأنه حضر السماع بالدف والشبابة، وكذا جماعة من الفقهاء في حكايات كلها لا يعول عليها ولا يلتفت إليها »(٢) .

قال : « إذا تقرر لك ما في هذا التنبيه والذين قبله مع ما مر من مبحث الرقص علمت به بطلان ما نقله بعض من لا يوثق به ولا تعويل عليه ، عن الشيخ عز الدين

---

(١) الإبداع ص ٣١٣ ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٢) كف الرعاع ص ١٣٢ .

بن عبدالسلام أنه سئل عن الآلات كلها فقال : مباح وهذا كله كذب مصنوع وباطل موضوع ومعاذ الله أن سلطان العلماء يبيح ما أجمع العلماء على تحريمه ، ومن توهم ذلك فيه لم يثق بعد بكلام عالم قط إذ صرح فى كتبه بحرمة تلك الآلات كلها ، فتعين علينا أن نبالغ فى الرد على هؤلاء الذين لا خلاق لهم ، ولا دين يحجزهم عن قبيح الافتراء ، على العلماء العاملين والأئمة المحققين ، وليت هؤلاء الاشقياء كذبوا على من ليس لهم تصنيف بين أيدى الناس يرجعون إليه ، وأما هذا الإمام فتصانيفه مشهورة منشورة فهي تكذبهم وتسفه أحلامهم »[١] .

وقال أيضاً فيما نسب الى العز بن عبدالسلام من إباحة الملاهى : « هذه الحكاية كذب صراح ، كيف وهو مصرح فى كتبه بخلافه ؛ فهو نظير الكذب السابق على أبى اسحاق ولولا ابتلى الناس بهؤلاء الكذابين الذين لا مسكة لهم ولا دين ، لاتضح الحق وظهر الصدق ، فإن الحكمة الإلهية اقتضت ذلك ، ليظهر المحق من المبطل ، ويتحلى كل برداء صدقه أو كذبه يوم العرض الأكبر ، يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه ، عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه آمين »[٢] .

قال ابن حجر الهيتمي : « ونحن نجزم بأنه لم يقع عن أحد ممن يقتدى به أهل التصوف الجامعين بين العلم والمعرفة شى من ذلك السفساف الذى هو سماع الاوتار ونحوها من المجمع على تحريمها »[٣] .

قلت : وكذلك ما نسب إلى أبى إسحاق الشيرازي الإمام العلامة محقق المذهب الشافعي رحمه الله فقد نسب إليه إباحة الملاهي فهذا أيضاً لا يصح عنه بل محض تقول وافتراء . قال العلامة ابن حجر الهيتمي : « هذا النقل عن هذا العالم

---

(١) كف الرعاع ص ١٣٥،١٣٦ .

(٢) كف الرعاع ص ١٣٢ .

(٣) كف الرعاع ص ٧٣، ٧٤ .

الرباني كذب صريح، كيف والشيخ مصرح بتحريم سماع العود وأنه لا خلاف فيه في كتب الفقه ، وكيف يظن بهذا العبد القانت الذي قد اشتهر ورعه اشتهار الشمس ، أن يصرح في كتبه بحرمه شيء من غير خلاف فيه ثم يفعله؟ ما هذا إلا أمر قبيح »(١) .

ومن تلاعب الشيطان بالصوفية الطرقية المخرفين أن اجتمعوا على جواز السماع في الحضرات بالمنامات حيث يزعم أحدهم ويدعى ممشاد الدينوري قال « رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له يا رسول الله ﷺ تنكرون هذا السماع شيئاً؟فقال : ما أنكره، ولكن قل لهم يفتتحون قبله قراءة القرآن ويختتمون بعده قراءة القرآن » ولقد بلغ احتجاجهم بالمنامات خرج عن حد الوصف .

الدليل الخامس : استدلالهم بحديث : « أذيبوا طعامكم بذكر الله » :

ومما استدل به أصحاب الرقص في الموالد والحضرات الصوفية ما جاء في هذا الحديث ولفظة : « أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ،ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم » .

وهذا لا حجة لهم فيه لأن الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ فقد رواه محمد بن نصر في قيام الليل(٢) والعقيلي في الضعفاء(٣) وابن عدي في الكامل(٤) وأبو نعيم في أخبار أصبهان(٥) وابن السني في عمل اليوم والليلة(٦) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعاً .

---

(١) كف الرعاع ص ١٣٠ .
(٢) ص١٩-٢٠ .
(٣) ص ٥٧ .
(٤) (٤٠/٢) .
(٥) (٩٦/١) .
(٦) رقم ٤٨٢ .

وفي سنده بزيغ أبو الخليل يرويه عن هشام بن عروة عن أم المؤمنين عائشة .

قال ابن حبان : يأتي عن الثقات بأشياء موضوعات كأنه المتعمد لها .

وقال الدارقطني : متروك وقال الحاكم : يروى أحاديث موضوعه ، ويرويها عن الثقات[١] .

وقال العقيلي : لا يتابع عليه أي على الحديث السابق .

قلت : بل ذكروا له أحاديث كثيرة في الميزان والكامل لابن عدي وقال ابن عدي بعدها « وهذه الأحاديث مناكير كلها لا يتابعه عليها أحد والحديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات[٢] من طريق أصرم بن حوشب حدثنا عبد الله بن إبراهيم الشيباني عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا . وقال ابن الجوزي : موضوع ، بزيغ متروك ، وأصرم كذاب ، وقال ابن عدي : هو معروف ببزيع فلعل أصرم سرقة منه .

قلت : وتعقب السيوطي ابن الجوزي في حكمه على الحديث بالوضع مما لا ينبغي بعد ما رأيت ما في سنده من هذا المتهم بالوضع . لهذا قال المناوي على تعقيب السيوطي « وأنت خبير بأن هذا التعقب أوهى من بيت العنكبوت »[٣] .

والخلاصة : أن هذا الحديث باطل ، ومكذوب على رسول الله ﷺ لهذا أورده العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة وحكم عليه بالوضع[٤] . وقال رحمه الله : « وأعلم أن أسعد الناس بهذا الحديث المكذوب هم أولئك الأكلة الرقصة الذين يملؤون بطونهم بمختلف الطعام والشراب ، ثم يقومون آخذاً بعضهم بيد بعض يذكرون الله

---

(١) ملخص من السلسلة الضعيفة عن الحديث رقم (١١٥) .

(٢) الموضوعات (٣٧/٢) .

(٣) فيض القدير (٤٠٧/١) .

(٤) عند الحديث رقم ١١٥ .

تعالى - زعموا - يميلون يمنة ويسرة وأماماً وخلفاً وينشدون الأشعار الجميلة بالأصوات المطربة حتى يذوب ما في بطونهم ؟ ومع ذلك فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً »(١) .

وقد أباح أبو السعادات عبدالله بن أسعد اليافعي للصوفية جواز الذكر المبتدع والدروشة في كتابه « روض الرياحين في حكايات الصالحين »(٢) وقد ضمنه كثير من الحكايات المكذوبة ، والمزاعم الباطلة كزعمه أن الله عز وجل باهي موسى وعيسى عليها الصلاة والسلام بأبي حامد الغزالي وقد أفتى الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحرق هذا الكتاب وكان يسميه روض الشياطين(٣) .

الدليل السادس : احتجاجهم بحديث لسعت حيه الهوى كبدي .

ويرون في ذلك أن منشداً أنشد بين يدي رسول الله ﷺ بيتين من الشعر :

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

وزعموا أن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت بردته عن منكبيه قالوا : ففي هذا دليل على الرقص في الذكر والسماع الصوفي في الحضرات . والجواب : من وجهين :

الأول : أن هذا الحديث باطل وكذب لم يثبت عن رسول الله ﷺ حيث ساق هذه القصة السهروردي في عوارف المعارف(٤) وأنكر صحتها .

وقال الحافظ الذهبي : فيه عمار بن إسحاق عن سعد بن عامر كأنه واضع هذه

(١) السلسلة الضعيفة عند الحديث رقم ١١٥ .

(٢) مطبوع في بغداد سنة ١٩٨٩ في مجلة ٤٣١ صفحة .

(٣) انظر دعاوى المناوئين ص ٩٥ ، ٩٧ .

(٤) ص١٤٧ .

الخرافة التي فيها « وقد لسعت حية الهوى كبدي »[١] .

وقد فندها الفتني الهندي أيضاً[٢] وقد فندها أيضا شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقال « وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشد ثم ساق الخبر ... فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه فرق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه فعلقها بالعرش فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة بسنة رسول الله أنه من أظهر الأحاديث كذباً عليه »[٣] .

وقال أيضاً : « وأما النبي ﷺ وأصحابه ، فعبادتهم ، ما أمر الله به من الصلاة والقراءة والذكر والدعاء ، ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط، لا بكف ولا بدف ولا تواجد ولا سقطت بردته ، بل كل ذلك كذب باتفاق أهل العلم بحديثه »[٤] .

وقد ساق السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ .[٥] كلام شيخ الإسلام الذي سقته أولاً وأقره عليه العلماء العاملين والأئمة المحققين .

قال الشيخ الألباني : « وقد ساق اسناده السهروردي في العوارف[٦] فإذا هو من طريق أبي بكر عمار بن إسحاق قال : ثنا سعيد بن عامر عن شعبة عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس به . ثم قال السهروردي : فهذا الحديث أوردناه مسنداً كما سمعناه ووجدناه ، وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث ، وما وجدنا شيئاً نقل

(١) ميزان الاعتدال (١٦٤/٣) .

(٢) في تذكرة الموضوعات ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٢٩ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٥٠ .

(٥) المقاصد الحسنة ص ٣٣٣ .

(٦) ص ١٠٨-١٠٩ .

عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان في سماعهم واجتماعهم وهيئتهم ، إلا هذا ، وما أحسنه من حجة للصوفية وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها أن لو صح ، ويخالج سري أنه غير صحيح ولم أجد فيه ذوق اجتماع النبي ﷺ مع أصحابه ، وما كانوا يعتمدون على ما بلغنا في هذا الحديث ويأبى القلب قبوله .

ثم قال الشيخ الألباني وقد حكم على الحديث بالوضع »[١] والمتهم بهذه القصة عمار بن إسحاق هذا فقد قال الذهبي في ترجمته[٢] : « كأنه واضع هذه الخرافة التي فيها : « وقد لسعت حية الهوى كبدي فإن الباقين ثقات » .

وقال أبو العباس القرطبي : « والواقف على متن هذا الحديث ، يعلم على القطع أنه مصنوع موضوع ؛ لأن الشعر الذي فيه لايناسب شعر العرب ، ولايليق بجزالة شعرهم ولا ألفاظهم ، وإنما يليق بمخنثي شعر المولدين ، يدرك ماذكرناه ، بالذوق الضروري من له خبرة بشعر العرب والمولدين ولذلك ألفاظ من الحديث لايليق بكلام رسول الله ﷺ ولا بكلام أصحابه ولذلك معناه بهم للذي تواتر عندنا من أحوال رسول الله صلى اله عليه وسلم وأحوال أصحابه من الجد والاجتهاد والوقار والجلالة وحسن الهيئة »[٣] .

وقال ابن القيم رحمه الله : « وركاكة شعره وسماجته وما تجد عليه من الثقالة من أبين الشواهد على أنه من شعر المتأخرين البارد السمج فقبح الله الكاذبين على رسول الله ﷺ »[٤] .

---

(١) السلسلة الضعيفة والموضوعة برقم ٥٥٨ .

(٢) ميزان الاعتدال (١٩٨/٥) .

(٣) كشف القناع (ص١٦١)

(٤) الكلام على مسألة السماع ص٣٢٣

وقال الألوسي : « وما يحكى من وقوع التواجد فى محضره عليه الصلاة والسلام بل منه ﷺ في أنه سقطت جبته عن كتفه الشريف إلى آخر القصة كذب لا أصل له ، لعن الله تعالى من افتراه ليروج به بدعته ومدعاه »(١) .

الثاني : أن هذا الحديث مخالف لما جاء في وصف مجالس رسول الله ﷺ وهي مجالس السكينة والوقار فلا يليق نسبة الرقص إلى رسول الله ﷺ أولأحد من أصحابه وهم من هم في الأدب والاتباع لرسول الله ﷺ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ والباقون يستمعون ، وكان عمر الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري: ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون ومر النبي ﷺ بأبي موسى الأشعري ، وهو يقرأ ، فقال مررت بك البارحة وأنت تقرأ ، فجعلت استمع لقراءتك ، فقال : لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيراً(٢) ؛ أي : لحسنته لك تحسيناً كما قال النبي ﷺ : « زينوا القرآن بأصواتكم »(٣) . وقال ﷺ « لله أشد أذنا - أي استماعاً- إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »(٤) وقال ﷺ لابن مسعود : اقرأ على القرآن ، فقال : أأقرأ عليك وعليك أنزل فقال : إني أحب أن أسمعه من غيري قال : فقرأت عليه سورة النساء ، حتى انتهيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] قال :

---

(١) من كتاب غرائب الاغتراب للألوسى بواسطة جهود أبى الثناء الألوسى فى الرد على الراقصة ص ١١١ للدكتور عبدالله البخارى

(٢) رواه الحاكم (٤٦٦/٣) بهذا اللفظ ورداه مسلم باختلاف معاني اللفظ (٧٩٣) وأصله في البخاري (٨١/٩) من حديث أبي موسى الأشعري .

(٣) رواه أبو داود (١٤٦٨) والدارمي (٤٧٤/٢) والحاكم (٥٧١/١) من حديث البراء بن عازب .

(٤) رواه ابن ماجة (١٣٤٠) والحاكم (٥٧١/١) من حديث فضالة بن عبيد .

حسبك فإذا عيناه تذرفان[١] »[٢] .

قلت : وكذلك ما جاء في وصف مجلس رسول الله ﷺ بين أصحابة وفيه من الخشوع والأدب ما يربو على الوصف كما جاء في حديث البراء بن عازب وهو حديث طويل في وصف ما يحدث للميت في قبره وفيه : « خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله ﷺ مستقبل القبلة ، وجلسنا حوله ، وكأنه على رؤوسنا الطير ... » الحديث[٣] .

فتأمل قوله : « وكأنه على رؤوسنا الطير ». وقارن هذا بما يبتدعه الطرقية في حفلات الرقص الجماعي التي يدعون أنها جلسات ذكر والله المستعان. وكذلك قول العرباض بن سارية رضي الله عنه : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب الحديث » .

قال الإمام الآجري رحمه الله في رده على الصوفية : « ميزوا هذا الكلام ؛(فإنه) لم يقل ؛ صرخنا من موعظة ، ولا زعقنا ، ولا طرقنا على رؤوسنا ، ولا ضربنا على صدورنا ، ولا زفنا ، ولا رقصنا ، كما يفعل كثير من الجهال ، يصرخون عند المواعظ ويزعقون ويتغاشون . قال : وهذا كله من الشيطان يلعب بهم ، وهذا كله بدعة وضلالة ، ويقال لمن فعل هذا : اعلم أن النبي ﷺ أصدق الناس موعظة ، وأنصح الناس لأمته ، وأرق الناس قلباً ، وخير الناس من جاء بعده - ولا يشك في ذلك عاقل - ، ما صرخوا عند موعظته ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنوا ، ولو كان هذا صحيحاً ، لكانوا أحق الناس بهذا أن يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ ولكنه

(١) رواه البخاري (٤٧٦٢) ومسلم (٨٠٠) من حديث ابن مسعود .

(٢) الفرقان ص (٢٥١-٢٥٢) لابن تيمية رحمه الله .

(٣) رواه أبو داود (٢/٣٨١) والحاكم (١/٣٧-٤٠) والطيالي (٧٥٣) . وغيرهم راجع أحكام الجنائز للألباني فقد جمع زيادات الحديث بما لا تجده في غيره ص ١٩٨ - ٢٠٢ .

بدعة ،وباطل ومنكر ، فاعلم ذلك »[(١)] .

قال شيخ الإسلام : « فمن عارض كتب الله ، وجادل فيه بما سيسميه معقولات وبراهين وأقيسة أو ما يسميه : مكاشفات ، ومواجيد وأذواق ، من غير أن يأتي على ما يقوله بكتاب منزل : فقد جادل بغير سلطان »[(٢)] .

الدليل السابع : احتجاجهم بحديث « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع ... » .

ومن أغرب ما استدل به الطرقية على الرقص في الحضرة[(٣)] حديث كعب بن مالك أن النبي ﷺ قال : « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع ، تفيؤها الريح مرةً وتعدلها مرةً ، ومثل المنافق كمثل الأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة »[(٤)] .

قلت : ولا حجة لهم في هذا الحديث على ما ذهبوا إليه وذلك من وجوه :

الأول : أن هذا الحديث لا دخل له من قريب ولا بعيد برقص الصوفية في الحضرات ، ولا علاقة له بذلك ، بل هم يقحمون الحديث ويبحثون عن لفظة تؤيد رقصهم من هنا وهناك لإثبات باطلهم ولعبهم في الحضرات ويحاولون ذلك بأدنى شبهة أو كلمة يعتمدون عليها .

الثاني : أن تمثيل النبي ﷺ للمؤمن في هذا الحديث بخامة الزرع في حالة البلاء الذي يصيبه على اختلاف أنواعه وهو صابر محتسب لا يسخط ولا يضجر ، يصبه الله بالبلاء ثم يعافيه منه كخامة الزرع تميل بسبب الريح يميناً ويساراً وهي في مكانها لا تنكسر ويؤيد أن هذا الحديث جاء في تشبيه المؤمن في حالة البلاء أن في ألفاظ الحديث ورواياته جاء ذكر البلاء فأين في هذا دليل على رقص الصوفية في الحضرات ؟ .

---

(١) نقله الشاطبي رحمه الله عن الآجرى رحمه الله في الاعتصام (١/٣٥٦) .

(٢) الإستقامة (١/٢٢) .

(٣) رواه البخاري (١٠/١٠٧ فتح) ومسلم (٢٨١٠) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه .

(٤) ورواه البخاري (١٠/١٠٣) ومسلم (٢٨١٠) وأحمد (٣/٤٥٤) (٦/٣٨٦) والدرامي (٢/٣١٠) =

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن كمثل الزرع ، ولا تزال الريح تفيؤه ، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز ، ولا يهتز حتى يستحصد »(١) .

وأصرح من هذا اللفظ أيضاً ما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « مثل المؤمن كمثل خامة الزرع ، من حيث أتتها الريح كفأتها ، فإذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الفاجر كالأرزة صماء معتدلة ، حتى يقصمها الله تعالى إذا شاء »(٢) .

وقد ورد أيضاً تمثيل المؤمن بالسنبلة :

فعن جابر بن عبدالله رضي الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن مثل السنبلة ، تستقيم مرة ، وتخر مرةً ،ومثل الكافر مثل الأرزة ، لا تزال مستقيمة حتى تخر ، ولا تشعر »(٣) ، وفي لفظ عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « مثل المؤمن مثل السنبلة ، تميل أحياناً ،وتقوم أحياناً »(٤) .

وهذه الألفاظ التي وردت في الأحاديث تقطع ألسنة الطرقية بأن الحديث لا يفيد الرقص في الحضرات الصوفيةكما زعموا .

الثالث : أن العلماء الذين أخرجوا الحديث في كتبهم لم يذكروه في كتب

= من حديث جابر رضي الله عنه .

(١) رواه احمد (٧١٩٢) وابن أبي شيبة (٢/١١) وعنه مسلم (٢٨٠٩) .

(٢) رواه البخاري (٧٠٢٨) ومسلم (٢٨٠٩) وأحمد (١٠٧٨٥) واستدل به البخاري على إثبات المشيئة لله تعالى لذا رواه في كتاب التوحيد .

(٣) رواه أحمد (١٥١٩٣٩ وعبد بن حميد (١٠١٠) من حديث جابر وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٢٨٣ والأرزة واحدة الأرزة وهو شجر عظيم صلب دائم الخضرة يعلو كثيراً ، تصنع منه السفن وأشهر أنواعه أرز لبنان والمعجم الموسيط (١٣/١) .

(٤) رواه أبو يعلى (٣٠٨٠) البزار (٤٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع عن أنس برقم ٥٨٤٥.

الأذكار أو ما يتعلق بها أو آداب الذكر بل ذكروه في غير باب الأذكار مما يدل على أن الحديث لا علاقة له بالذكر أصلاً فضلاً عن الرقص الذي يزعمه الطرقية في حضراتهم وتبويب العلماء للحديث يدل على ما ذكرته فالبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى قد رواه في كتاب المرض في صحيحة وقد بوب عليه باب ما جاء في كفارة المرض وكذلك بوب النووي عليه باب مثل المؤمن وفي مشكاة المصابيح(١) بوب عليه باب عيادة المريض وثوابه .

الرابع : أن من شرح الحديث من العلماء لم يذكروا لفظة واحدة من ألفاظ الحديث تدل على ما ذهب إليه الطرقية من الصوفية بل أفرد بعض العلماء شرحاً لهذا الحديث في جزء سماه « غاية النفع بتمثيل المؤمن بخامة الزرع » وهو للعلامة ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ وإليك نتفاً من شروحهم للحديث تبين المراد منه .

قال المهلب رَحِمَهُ اللَّهُ : وأما قوله « مثل المؤمن كخامة الزرع ... يعنى من حيث جاء أمر الله أنطاع له ولان ورضيه وإن جاءه مكروه رجا منه الخير والأجر فإذا سكن البلاء منه اعتدل قائماً بالشكر له على البلاء والاختبار وعلى المعافاة من الأمر والاجتياز منتظراً لاختيار الله له ما شاء مما حكم له بخيره في ديناه وكريم مجازاته في أخراه ، أما الكافر كالأرزة صماء معتدلة لا يتفقده الله باختبار بل يعافيه في دنياه وييسرعليه في أموره ليعسر عليه في معاده حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمة قصم الأرزة الصماء فيكون موته أشد عذاباً عليه ، وأكثر ألماً في خروج نفسه من ألم النفس المليئة بالبلاء والمأجور عليه »(٢) .

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : « المؤمن كثير الآلام في بدنه أو أهله أو ماله، وذلك مكفر لسيئاته ، ورافع لدرجاته ، وأما الكافر فلقليلها وإن وقع به شيء لم يكفر شيئاً

---

(١) (٣٤٨/١) .

(٢) نقله ابن بطال في شرحه (٤٦٦/٧) عن المهلب . وهو في فتح الباري (١٠٧/١٠) .

من سيئاته بل يأتي بها يوم القيامة كاملة »[١] .

وقد نقل نحوه المناوي[٢] ، وقال : « وفي البحر : ظاهره أن المؤمن لا يخلو من بلاء يصيبه فهو يميله تارة كذا وتارة كذا ، لأنه لا يطيق البلاء ولا يفارقه فمن ثم يميل يمنة ويسرة ، والمنافق على حالةٍ واحدة من دوام الصحة في نفسه وأهله ويفعل الله ذلك بالمؤمن ليصرفه إليه في كل حال فكما سكنت نفسه إلى شيء أمالها عنه ليدعوه بلسانه وجلاله »[٣] .

الدليل الثامن : احتجاجهم بحديث « اذكروا الله حتى يقولوا مجنون ... » .

ومن أدلة الطرقية على رقصهم في الحضرات الصوفية ما جاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : « اذكروا الله حتى يقولوا مجنون » . وفي لفظ : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » .

والجواب عن استدلالهم بهذا الحديث : أن الحديث لم يصح مرفوعاً إلى النبي ﷺ فقد رواه الإمام أحمد[٤] وعبد بن حميد[٥] أبويعلى[٦] وابن حبان[٧] والطبراني في الدعاء[٨] والحاكم[٩] وابن السني[١٠] وابن شاهين في

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٨٦/٩) .

(٢) فيض القدير ٦٥٣/٠٥) .

(٣) المصدر لسابق .

(٤) (٦٨،٧١/٣) .

(٥) (رقم١٢٣) .

(٦) (رقم١٣٧٦) .

(٧) (١٨١٧) .

(٨) (رقم ١٨٥٩) .

(٩) (٤٩٩/١) .

(١٠) رقم (٤) .

الترغيب[١] والبيهقي في الشعب[٢] وفي الدعوات الكبير[٣] والرافعي في التدوين في أخبار قزوين[٤] .

وفي سنده دراج أبو السمح وهو متروك كما قال الدارقطني رحمه الله . وقال الإمام أحمد : حديثه منكر . وقال النسائي : ليس بالقوي وقال في موضع آخر : منكر الحديث والحديث من رواية أبي السمح عن أبى الهيثم . وقال الإمام أحمد : أحاديث دراج عن أي الهيثم عن أبى سعيد فيها ضعف . وقال أبو داود أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبى الهيثم عن أبى سعيد[٥] .

وقال الهيثمي : رواه أحمد وأبو يعلى وفيه دراج وقد ضعفه جماعة وبقية أحد اسنادي أحمد ثقات[٦] . وقد ساق الذهبي رحمه الله مناكير لأبي السمح ومنها هذا الحديث[٧] والحديث ضعفه الألباني رحمه الله ورد على من حسنة[٨] .

ومن العجائب والعجائب جمة أن يزعم بعض الصوفية حجة الحديث لسؤاله النبي ﷺ في المنام عنه .

فيقول أبو المواهب الشاذلي « رأيت رسول الله ﷺ فسألته عن الحديث المشهور : اذكروا الله حتى يقولوا مجنون » وفي صحيح ابن حبان أكثروا ذكر الله

---

(١) (رقم١٥٥) .

(٢) (٣٩٧/١) .

(٣) رقم ٢١ .

(٤) (١٩٧/٢،١٩٦) .

(٥) ميزان الاعتدال (٤٠/٣) ، الضعفاء للنسائي (١٨٧) ، تقريب التهذيب (١٨٢٤) .

(٦) مجمع الزوائد (رقم ١٥٦٧٥) .

(٧) ميزان الاعتدال (٤٠/٣) .

(٨) السلسلة الضعيفة رقم (٥١٧) .

حتى يقولوا مجنون فقال ﷺ صدق ابن حبان في روايته وصدق راوي : اذكرو الله « فإني قلتهما معا ، مرة قلت هذا ومرة قلت هذا »[١] .

وهكذا يعتمد الصوفية في تصحيح الحديث على المنامات والمكاشفات التي تعد مصدراً من مصادر التلقي عندهم وقد قال ابن الجوزي رحمه الله : « وقد احتج لهم (أي الصوفية) أبو طالب المكي على جواز السماع بمنامات وقسم السماع إلى أنواع وهو تقسيم صوفي لأصل له »[٢] .

الدليل التاسع : احتجاجهم بالرقص في الحضرات بلعب الحبشة بالحراب في المسجد .

ولفظ الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي أسأم فاقدروا قدر الجارية الحديث السن الحريصة على اللهو »[٣] .

وهذا أيضاً لا حجة لهم فيه بل هذا اللعب من الحبشة بالحراب من باب التدريب على الحرب والتقوي على القتال والجهاد في سبيل الله فأين هذا من الرقص الذي يمارسه الطرقية باسم الدين والعبادة ، بل أي معنى للرقص الطرقية وهو يخالف الشرع والعقل ، بل يسقط المروءه وترد والشهادة .

قال ابن الجوزي رحمه الله « وقد نص الشافعي في كتابه أدب القضاء على أن الرجل إذا دام على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته . وقال : وقال الفقهاء من أصحابنا (يقصد الحنابلة) : لا تقبل شهادة المغني ولا الرقاص والله الموفق »[٤] .

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني .

(٢) تلبيس إبليس ص ٢٢٩ .

(٣) رواه البخاري (٢٦/٧) ومسلم (٦٠٩/٢) وغيرهما .

(٤) تلبيس إبليس ص ٢٨٤ .

وهذا وقد رد ابن الجوزي على الطرقية في احتجاجهم جواز الرقص في الحضرات بحديث لعب الحبشة بالحراب في المسجد فقال : « وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي بتشبيب يفعل عند اللقاء بالحرب »(١) .

وأيضاً : فإن هذا الحديث بوب عليه البخاري « باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد » . قال أبو العباس القرطبي : « هذا الحديث ، لايتناول محل النزاع، فإن ذلك لم يكن من الحبشة رقصاً على غناء ، ولا تحركاً عن هواء ، ولا ضرباً بالأقدام ، ولا إشارة بالأكمام ، بل كان لعباً بالسلاح وتأهباً للكفاح ، وتدريباً على استعمال السلاح في الحرب ، وتمريناً على الكر والفر ، والطعن والضرب ، وإن كان هذا هو الشأن ، فأين أفعال المخانيث والمجانين من أفعال الأبطال والشجعان »(٢) .

وقال الشيخ على محفوظ رحمه الله في استدلالهم بحديث لعب الحبشة : « فنقول لهم : هذا قول باطل مناقض لقواعد الشرع الشريف بقوله ﷺ شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقائله كأنه ممن يحرفون الكلم عن مواضعه والاستدلال بفعل الحبشة في المسجد بحضرته ﷺ استدلال باطل لأن ذلك كان تمايلاً بالحراب للتدريب على استعمال السلاح كما شرعت المسايفة وكما أبيح التبختر في الحرب وإن كان ممنوعاً في غيره ، كما قال عليه الصلاة والسلام « إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن » وأين هذا من الرقص الذي هو هز المعاطف والأكمام الذي لا يفعله إلا الفساق من العوام »(٣) .

وقال صاحب كتاب الريح القاصف على أهل الغناء والمعازف : « إن العلماء قد حملوا هذا الحديث على التوثب بالسلاح واللعب بالحراب على قريب من هيته

---

(١) تلبيس إبليس ص ٣١٧ .

(٢) كشف القناع (ص١٤٥-١٤٦)

(٣) الإبداع ص ٣٢١ ، ٣٢٢ .

الرقص ، لأن معظم الروايات إنما فيها لعبهم بحرابهم فتتأول هذه اللفظة على موافقة سائر الروايات وأيضاً ما فعله الحبشة لم يكن رقصاً ، وإنما كان لعباً وتمريناً على الكر والفر ،والطعن والضرب فهو يرجع إلى أمر ديني ، وقد أشار إلى ذلك ابن الجوزي[(١)] ، والقرطبي[(٢)] والنووي في شرحه على مسلم[(٣)] وابن حجر الهيتمي[(٤)] و الصنعاني[(٥)] وغيرهم »[(٦)] .

قلت : ولا بأس بنقل بعض كلامهم هنا « قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : استدل قوم من الصوفية بحديث الباب على جواز الرقص وسماع آلات الملاهي وطعن فيه الجمهور باختلاف المقصدين ، فإن لعب الحبشة بحرابهم كان للتمرين على الحرب فلا يحتج به للرقص في اللهو والله أعلم »[(٧)] .

قال العلامة الأذرعي : « اعلم أن طوائف من المغرمين بالرقص من المتفقرة (أي الصوفية) ، ومن حذا حذوهم من المتفقهة توهموا أن حديث زفن الحبشة بالمسجد وهو بالزاي والفاء والنون الرقص دليل واضح على جواز الرقص في المساجد مع ضميمة الغناء والطارات إليه ، وذلك خطأ صريح وجهل قبيح يعرف ببيان الحديث ثم أشار إلى كلام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ »[(٨)] .

---

(١) تقدم قوله في تلبيس إبليس ص ٣١٧ .

(٢) نقله في فتح الباري (٦/٦٣٩) .

(٣) شرح مسلم للنووي (٢/٦١٠) .

(٤) كف الرعاع ص ٧٥ .

(٥) سبيل السلام (١/٢٦٢) .

(٦) الريح القاصف ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٧) فتح الباري (٦/٦٣٩) .

(٨) نقله ابن حجر عنه في كف الرعاع ص ٧٤ ، ٧٥ .

الدليل العاشر : احتجاجهم في الغناء الصوفي بحديث الجارتين اللتين كانتا تغنيان عند أم المؤمنين عائشة يوم العيد .

وهذا استدلال لا يصح من وجوه :

الأول : أن هذا الغناء لا يعدو كونه من الأشعار التي لا محذور فيها ، ولا هي من باب القربة إلى الله تعالى بل هي من قبيل المباح ولهذا لما أراد أن يمنعهما أبو بكر قال له النبي ﷺ دعها يا أبا بكر فإنهما في يوم عيد يعني أن من مظاهر هذا العيد السرور وإعلان الأفراح وغير ذلك .

الثاني : شتان بين ما يزعمه الصوفية من الإنشاد والسماع في الحضرات التي يعقدونها وبين ما في حديث الجاريتين وأين ما في غناء الجاريتين الصغيرتين من السماع الشيطاني الذي يزعم الصوفية التقرب به إلى الله عز وجل ويقيمونه في المساجد والزوايا وغيرها؟ .

الثالث : أن الجاريتين اللتين كانتا تغنيان لم تكن هذه مهنة لهما أعنى ليتسا ممن يمتهن الغناء قال الحافظ ابن جحر رحمه الله « واستدل جماعة من الصوفية بحديث الباب على إباحة الغناء وسماعة بآله وبغير آله ، ويكفي في رد ذلك تصريح عائشة رضي الله عنها في الحديث الذي في الباب بعده بقولها « وليستا بمغنيتن » فنفت عنهما من طريق المعنى ما أثبته لهما باللفظ ، لأن الغناء يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم الذي تسميه العرب النصب الفتح النون وسكون المهملة – وعلى الحداء ولا يسمى فاعله مغنياً ، وإنما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق لمافيه تعريض بالفواحش أو تصريح ثم نقل عن القرطبي قوله : قولها -أي أم المؤمنين عائشة – وليستا بمغنيتين) أي الجارتين ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرف المغنيات المعروفات بذلك ، وهذا منها تحرز عن الغناء والمعتاد عند المشتهرين به ، وهو الذي يحرك الساكن ، ويبعث الكامن ، وهذا النوع إذا كان فيه

شعر فيه وصف محاسن النساء والخمر وغيرهما من الأمور المحرمة لا يختلف في تحريمه قال : وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل ما لا يختلف فيه تحريمه ، لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير ، حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان ، حتى رقصوا بحركات متطابقة ، وتقطيعات متلاحقة ، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال ،وأن ذلك يثمر سني الأحوال وهذا على التحقيق - من آثار الزندقة ، و قول أهل المخرفة والله المستعان »(١) .

وقال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ بأن هذا الغناء إنما كان في الشجاعة ، والقتال والحذق في القتل ، ونحو ذلك مما لا مفسدة فيه ، وليس انشادهما في الغناء المختلف فيه ، لذا قالت : وليستا بمغنيتن أي ليستا من يتقن الغناء ، واتخاذه عادة وصناعة ، فنفت عنها من طريق المعنى ما أثبت لهما باللفظ(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : « وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم، وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته، واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة، لا في باطن الأمر، ولا في ظاهرة، ولا لعامي ولا لخاصي، ولكن رخص النبي ﷺ في أنواع من اللهو في العرس وأما الرجال على عهدة فلم يكن أحد منهم يضرب بدف، ولا يصفق بكف، بل قد ثبت في الصحيح أنه قال التصفيق للنساء والتسبيح للرجال ولعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء ولما كان الغناء، والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف يسمون من يفعل ذلك من

(١) فتح الباري (٢/٤٤٢) .

(٢) شرح مسلم للنووي (٦/٢٦٠) .

الرجال مخنثًا ، ويسمون الرجال المغنين مخانيث، وهذا مشهور في كلامهم ...

وقال : « ليس في حديث الجاريتين أن النبي ﷺ استمع إلى ذلك والأمر والنهي إنما يتعلق بالاستماع؛ لا بمجرد السماع ، كما في الرؤية فإنه إنما يتعلق الرؤية ، لا بما يحصل منها بغير اختيار وكذلك في اشتمام الطيب إنما ينهى المحرم عن قصد الشم ، فأما إذا شم ما لم يقصده فإنه لا شيء عليه، وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواس الخمس، من السمع والبصر، والذوق واللمس، إنما يتعلق الأمر والنهي من ذلك بما للعبد فيه قصد وعمل، وأما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر ولا نهي »[1] .

وقال ابن القيم رحمه الله وهو يدافع عن النبي ﷺ وصحابته : « هل سمعتم معاشر أصحاب الغناء أن رسول الله ﷺ أو أحداً من أصحابه استحضر مغنياً أو مغنية وجلس إليها قصداً أو كان جالسا في ناحية أوماراً في طريق سمع صوت جويريات أو زمارة ولم يقصد استماعه، فقفزتم القنطرة، وجعلتم هذا حجة في استحضار الفتيات ، والمغنين، والرقاصين ، والشابات والمواصيل ، جعلتم لهم الأجرة، والحياء، والكرامة والخلع، ومزقتم عليهم القلوب قبل الثياب، وجدتم لهم بما بخلتم على الأرملة والمسكين واليتيم بالحبة منه، وزعمتم أن ذلك قربة وطاعة ، وصدقتم هو قربة إلى الجحيم، وطاعة للشيطان الرجيم، ثم جلستم منه منصتين ، وقمتم له على الأقدام متواضعين معظمين، والمصيبة العظمى، والداهية الكبرى نسبتكم ذلك إلى شريعة خاتم الرسل التي هي أكمل شريعة طرقت العالم إباحة واستحباباً ومعاذ الله وحاشى شريعته من نسبة ذلك إليها ، وليس العجب من جاهل قلبه في غطاء عن العلم لا يفرق بين ما فعل الرسول ﷺ وما يفعله هؤلاء، ولكن العجب ممن نصب نفسه للعلم ولتأليف ويعد نفسه من الأئمة الهداة المرشدين، لا يفرق بين هذا وهذا ويحتج على جواز الاستماع على الوجه

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥٦٥-٥٦٦-٥٦٧) .

المذكور بسماع الزمارة وسماع غناء الجويريتين فهلا فعلتم مثل فعل الجويريات ، وأخذتم الدفوف ، وضربتم بها في الطرقات، وغنيم بغنائهن، واقتصرتم على ذلك ولم تضموا إليه سائر المحرمات والقبائح ؟ فلو فعلتم ذلك مع قبحه لكان أسهل وأقل إثما ، وأدى إلى الخلاص »(١) .

وقال أيضاً : « وأعجب من هذا استدلالكم على إباحة السماع المركب مما ذكرنا من الهيئة الإجتماعية بغناء بنتين صغيرتين دون البلوغ عند امرأة صبية في يوم عيد وفرح بأبيات العرب في وصف الشجاعة والحروب ومكارم الأخلاق والشيم فأين هذا من هذا والعجب أن هذا الحديث من أكبر الحجج عليهم فإن الصديق الأكبر رضي الله عنه سمى ذلك مزموراً من مزامير الشيطان وأقره رسول الله ﷺ على هذه التسمية ورخص فيه لجويريتين غير مكلفتين ولا مفسدة في انشادهما ولا استماعهما أفيدل هذا على إباحة ماتعملونه من السماع المشتمل على ما لا يخفى فيا سبحان الله كيف ضلت العقول والأفهام »(٢) .

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله : « ويدل عليه قول رسول الله ﷺ في حديث عائشة المتفق عليه في الصحيحة لما دخل عليها وعندها جاريتان يغنيان ، وتدففان فانتهرها أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال : مزمور الشيطان عند رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « دعها فإنها أيام عيد » فلم ينكر قول أبي بكر وإنما علل بكونه يوم عيد فدل على أنه يباح في أيام السرور كأيام العيد ، وأيام الأفراح كالأعراس وقدوم الغياب مالا يباح في غيرها من اللهو وإنما كانت وقوفهم (لعلها دفوفهم) نحو الغرابيل وغناؤهم إنشاد الجاهلية في أيام حروبهم وما أشبه ذلك فمن قاس على ذلك سماع أشعار الغزل مع الدفوف المصلصلة فقد أخطأ غاية الخطأ

(١) الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٤١٥-٤١٦ .

(٢) مدارج السالكين (١/٤٩٣)

وقاس مع ظهور الفرق بين الفرع والأصل »[١] .

وقال ابن القيم رحمه الله في رده على من استدل بالحديث على إباحة السماع الصوفي : « إن هذا الحديث من أكبر الحجج عليك ، فإن الصديق سمى الغناء مزمور الشيطان ، ولم ينكر عليه النبي ﷺ هذه التسمية وأقر الجويريتين على فعله ، إذ هما جويريتيان صغيرتان دون البلوغ غير مكلفتين ، قد أظهرتا الفرح والسرور يوم العيد بنوع من أنواع غناء العرب ولا سيما الصغار منهن في بيت جارية حديثه السن ، بشعر من شعر العرب في الشجاعة ومكارم الأخلاق ومدحها ، وذم الجبن ومساوئ الأخلاق ، ومع هذا فقد سماه صديق الأمة مزمور الشيطان فيالله العجب كيف صار هذا مزمور الشيطان قربة وطاعة تقرب إلى الله ، وتنال بها كرامته وأصحابه جلت رتبتهم أن يسمعوه بنفوسهم ، أو لأجل حظوظهم ، هذا وكم بين المزمورين فبينهما أبعد ما بين المشرقين ، ثم نحن نرخص في كثير من أنواع الغناء مثل هذا ، مثل الغناء في النكاح للنساء والصبيان ، إذا خلا من الآلات المحرمة ، كما نرخص لهم في كثير من اللهو واللعب ، وهذا نوع من أنواع اللعب المباح لبعض الناس في بعض الأوقات ، فما له وللتقرب والتعبد به ؟ واستنزال الأحوال الإيمانية في الأذواق العرفانية والمواجيد القلبية به »[٢] .

وقال العيني رحمه الله « قوله : وليستا بمغنيين أي : ليس الغناء عادة لهما ولا هما معروفتان به ، وقال القاضي عياض : أي ليستا تغني بعادة المغنيات من التشويق والهوى والتعريض بالفواحش والتشبب بأهل الجمال وما يحرك النفوس كما قيل ، الغناء فيه الزنا ، وليستا أيضاً ممن اشتهر بإحسان الغناء الذي فيه غطيط وتكسير ، وعمل يحرك الساكن ويبعث الكامن ولا ممن اتخذه صنعه وكسباً »[٣] .

---

(١) نزهة الأسماع في مسألة لابن رجب الحنبلي (٤٠-٤١) .

(٢) الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٣١٠ وما بعدها .

(٣) عمدة القارئ (٥/١٦٢) .

الدليل الحادي عشر : احتجاجهم بسماع عبدالله بن جعفر الغناء من جارية له

وقد استدل الصوفية على إباحة السماع في حضراتهم بأن عبد الله بن جعفر كان يستمع إلى الغناء من جارية له في بيته .

والجواب : من وجهين :

الأول : أن هذا لم يثبت عن عبدالله بن جعفر فقد جاءت روايات كلها ضعيفة لم ثبت عن ابن جعفر :

(أ) فمن ذلك رواية ابن عساكر في تاريخ دمشق[١] . وسندها ضعيف مظلم جداً وهي ظلمات بعضها فوق بعض[٢] ففيها على الترتيب :

أبو الحسن أحمد الحسين . قال عنه ابن أبى الفوارس خلط في أشياء

خلف بن محمد بن إسماعيل الخيام قال الحاكم سقط حديثه برواية حديث نهى عن الوقائع في الملاعبة ،وقال الخليلي : خلط وهو ضعيف جداً روى متوناً لا تعرف وقال الحاكم وابن أبى زرعة كتبنا عنه الكثير ونبرأ من عهدته[٣]

على بن زيد بن جدعان ضعفه الجمهور[٤] .

يوسف بن مهران لين الحديث[٥] .

(ب) من ذلك قصة حكاها ابن عبد الله ربه في العقد الفريد عن عبد الله بن جعفر وفي إسنادها مجهول وانقطاع[٦] .

---

(١) (٣١|١٧٧-١٧٨)

(٢) الرد على القرضاوى والجديع ص ٥٠٤ للشيخ عبدالله رمضان بن موسى .

(٣) لسان لميزان (٢/٤٠٤) .

(٤) راجع تهذيب الكمال(٢٣|١٢٤)

(٥) تقريب التهذيب ص ٦١٢ .

(٦) الرد على القرضاوي والجديع (ص٥١٢-٥١٧) .

(جـ) ومن ذلك حكاية عنه أيضاً بدون إسناد أوردها عبد الغني النابلسي[١] فهي حكاية باطلة[٢] .

(د) ومن ذلك حكاية أوردها ابن عبد ربه بسند فيه انقطاع ومجاهيل[٣] وقد أجاد الشيخ عبد الله رمضان حفظه الله في إبطال هذه الآثار في كتابه القيم الرد على القرضاوي والجديع ط دار المؤيد للنشر والتوزيع .

الثاني : هب أن الأثر عن عبد الله بن جعفر قد صح . فقد قال ابن القيم رحمه الله :

« ليس ابن جعفر ممن يعارض به أركان الأمة كابن مسعود وابن عباس وجابر وابن عمر ، ومن احتج بفعل عبد الله بن جعفر ، فليحتج بفعل معاوية في قتاله لعلي ، وبفعل عبد الله بن الزبير في قتاله في الفرقة وبمثل مروان بن الحكم في خطبته يوم العيد قبل الصلاة ،وأمثال ذلك مما لا يصح لأهل العلم والدين أن يدخلوه في أدلة الشرع ، لا سيما النساك والزهاد ، وأهل الحقائق ، فإنهم لا يصلح لهم أن يتركوا سبيل مثل أبي ذر ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعمار بن ياسر ، وأبي الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وأبي عبيدة بن الجراح ، والمشهورين بالنسك ، والعبادة ، ويتبعون سبيل من اتخذ جارية تغنية في بيته للهو واللذة ، ويجعلونه حجة لهم فيما بينهم وبين الله في الرقص وسماع الأغاني المطربة من الشاهد المليح ، بمساعدة الدفوف ، والشبابات ، والمواصيل هذا مع أن الذي فعله عبدالله بن جعفر ، كان في دراه لم يكن يجمع الناس على ذلك ، ولا يدعو إليه ولا يعده ديناً وقربة يقربه إلى الله بل هو من الباطل واللهو »[٤] .

---

(١) في ايضاح الدلالات ص٨٤

(٢) المصدر لسابق ص ٥١٨-٥١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٥١٩ .

(٤) الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص ٣٠٦ - ٣٠٧ .

قلت : هذا على فرض صحة المنسوب إلى عبدالله بن جعفر وإلا فقد علمت أن ذلك لم يصح والله الموفق لا رب سواه .

الدليل الثاني عشر : ورود الدليل على الاجتماع على الذكر

قالوا : قد ورد الحض على ذكر الله تعالى في الملأ وهو يدل على إقامة الحضرة الصوفية فقد جاء في الحديث القدسي « أنا عند حسن ظن عبدي بى وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملا خير منه »[١] . وكذلك حديث : « هم القوم لا يشقي بهم جليسهم »[٢] ففيه الاجتماع على ذكر الله . وكذلك حديث : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله بتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينه وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »[٣] .

قالوا : فهذه الأحاديث تدل على مشروعية الاجتماع على ذكر الله تعالى فلا ضير من إقامة الحضرة الصوفية إذن .

والجواب على هذا من وجوه :

الأول : أن كل اجتماع في هذه الأحاديث وغيرها إنما هو مجرد اجتماع على ذكر الله تعالى وليس فيه دليل على الرقص والقفز والحركات يميناً ويساراً كما يفعله الصوفية فليس في الأحاديث بيان لهيئة الذكر الذي عليه الصوفية اليوم بل فيه مطلق الاجتماع فقط ولا يمكن أن يؤخذ من مطلق الاجتماع صحة الرقص والوجد والسماع الذي عليه الطرقية اليوم ؛ لأن الأحاديث لم تتعرض لهذا شكلا ولا مضمونا لا تصريحاً ولا تلميحاً فكيف يستدل بمطلق الاجتماع على الهيئة التي

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) تقدم تخريجه .

يمارسها الطرقية في حضرتهم المزعومة .

الثاني : أن المراد بالاجتماع على الذكر في الأحاديث السالفة وغيرها إما درس علم يَذْكرُ فيه العالم نعم رب العالمين وما يجب لله وما يجوز في حقه ، وما يستحيل عليه ، ويذكر فيه أسمائه الحسني وصفاته العلى والتعرف عليها ويشرح للناس فيه أمور دينهم . وإما مجلس تلاوة قرآن يستمع فيه العبد لآيات الله عز وجل يزداد إيمانه كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا اجتمعوا فيقرأ أحدهم القرآن ويستمع الباقي كما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول لأبى موسى الأشعري ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون[١] وكما ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أمر ابن مسعود أن يقرأ عليه القرآن فقرأ عليه من سورة النساء الحديث[٢] . وكما جاء عن معاذ رضي الله عنه أنه كان يقول للرجل من أخوانه : اجلس بنا نؤمن ساعة ، فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه[٣] .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : « فمن يهيج عند سماع البيات ، ولا يتأثر بسماع الايلت ، ينوح ويبكي عند سماع الصوت الرغيد ولا يبالي عند سماع الوعد والوعيد فمن كانت هذه صفته فليس على الطريقة الصحيحة ، بل هو من الذين إن لم يتوبوا ويقلعوا : نودي عليهم يوم القيامة بالخزي والفضيحة »[٤] .

الثالث : أنه يبعد كل البعد أن يحمل الاجتماع على ذكر الله في الأحاديث السابقة على هيئة الحضرة الصوفية التي يقيمها الطرقية فهذا لون ومجالس الذكر في

---

(١) راجع الفرقان لابن تيمية ص ٢٥٠ .

(٢) رواه البخاري (٤٧٦٢) ومسلم (٨٠٠) من حديث ابن مسعود .

(٣) ذكره البخاري تعليقاً (٦٣/١) فتح ووصله أحمد وأبو بكر بن أبى شيه كما أفاده الحافظ في الفتح . (٦٣٧١) .

(٤) جواب الحافظ ابن كثير على مسألة السماع في أخر الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص٤٧٦

الأحاديث السالفة لون آخر ومن زعم أن الصحابة كانوا في مجالس الذكر يفعلون كما يفعل الطرقية اليوم فقد حاد عن الطريق القويم وافترى على سلف الأمة وهو محجوج بما ذكرته سابقاً من إنكار العلماء لهذه الهيئات المخالفة لما ورد في وصف مجالس أصحاب الرسول الأكرم ﷺ .

والعجب من أبي الفضل بن طاهر الصوفي المتوفى سنة ٥٠٧هـ بعدما أورد للصوفية ما ظنه أدلة لهم على الرقص والسماع الذي يمارسونه في الحضرة يقول « فهذا رسول الله ﷺ وأصحابه والأولياء قد اجتمعوا للسماع وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم ، فيكف ينكره أحد اليوم وما كان كذلك فهو دين معروف »(١) .

فانظر وتأمل قوله : « **فهو دين معروف** » أي دين هداك الله ؟! هل الرقص والتمايل دين الرسول وأصحابه كما تزعم ؟! وإني لأعجب كيف يتفوه بقوله : « اجتمعوا للسماع وتواجدوا ورقصوا في اليقظة والنوم » !!

فهذا مما لا ينبغي نسبته إلى الرسول ﷺ وأصحابه حيث لم يرد بذلك دليل صحيح صريح لذا لابد من إنكار أمثال هذه الأقوال الباطلة .

قال أبو العباس القرطبي رحمه الله متهكماً على وجد الصوفية : « التواجد : استدعاء الوجد لضرب من الاختيار وذلك أنهم إذا اجتمعوا للسماع فمنهم المتكلف حركة ظاهرة مستجلباً بذلك ن حضور باطننه فيميل يميناً ويترنح يميناً وشمالاً ويحرك رأسه ومنكبيه ويضرب صدره ويصفق بيديه إلى أن يستغرقه بزعمه الوجد فيغيب عن الوجد بما يلوح له من المشاهدة والشهود حتى إذا أفاق من غشيته أخذ يحبر بما لاح له في مشاهداته فمنهم من ينطق بمثل ما منعه الكليم ومنهم من يصرح بنفس المكالمة والتكليم ومنهم من يشير إلى ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ فَكَيَّفَ﴾ ، ويرمز إلى :

---

(١) كشف القناع ص ١٥٩ للقرطبي حيث نقله عن أبي الفضل بن ظاهر ورده .

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ١٠] ، وربما صرح بعضهم بالتعداد وقضي بالاتحاد ... وهذه أفعال مليمة واجتماعات ذميمة وأحوال صادرة عن اعتقادات سقيمة فما هي إلا أحوال دحيضة وعقول مريضة ودعوي عريضة يدلك على ما ذكرنا أن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان لم يكونوا على شيء من تلك الأساليب والطرائق ولا نطقوا بتلك العبارات ولا ارتضوا تلك الإشارات ولا اجتمعوا على ذلك ولا حوموا على شيء مما هنالك مع أنهم قدوة العارفين وخيرة الله من العالمين الفاهمون عن الله الآخذون عن رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله له لحمل أمانته وبيان شريعته فلو كان الأمر على ما اختاره أصحاب التواجد لكان أولئك الملاء أول سابق إليهوأول واجد وتناطقوا بتلك العبارات وأشاروا بتلك الإشارات ولفشا ذلك في السابقين المتشرعين كما فشا في المتأخرين المبتدعين فلما لم يكم شيء من ذلك علمنا أنه من المحدثات التي هي بدع وضلالات »[1] .

ومن الخطأ الجسيم ما سطره الشيخ عبدالغني النابلسي الصوفي في رسالته « إيضاح الدلالات في سماع الآلات » حيث صنفها في إباحة استخدام آلات الطرب على اختلاف أنواعها وأشكالها وأسمائها[2] مما جعل بعض طوائف الصوفية يستعملون تلك الآلات في رقصهم في الحضرات التي يعقدونها .

وقد أحسن العلامة الألوسي صاحب روح المعاني حيث رد على ما توهمه عبدالغني النابلسي في رسالته من أدلة على إباحة استعمال الآلات الموسيقية حيث قال الألوسي رحمه الله واصفاً الأدلة التي استدل بها النابلسي « ... دائرة على أدلة أضعف من خصر شادن ، تدور على محور الغنج في مقابلتهم ، ومنها أكاذيب لا

---

(١) كشف القناع عن ص١٥٣ -١٥٤

(٢) وقد ألف لهم أيضاً رسالة بعنوان « تحفة أولى الألباب في العلوم المستفادة من الناي والشباب » !!فإنا لله وإنا إليه راجعون

أصل لهالن يرتضيها عاقل ، ولن يقبلها ، ولا أظن ما يفعلونه - أي الصوفية من السماع والرقص ، إلا شبكة لاصطياد طائر الرزق ، والجهلة يظنونه مخلصاً من ربقة الرق فإياك أن تميل إلى ذلك ، وتوكل على الله تعالى المالك »(١) .

الدليل الثالث عشر : احتجاجهم بحديث : « إنما بعثت معلما »

ونص الحديث الذي احتجوا به عن عبدالله بن عمرو : « أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده فقال كلاهما على خير وأحدهما أفضل من صاحبه ، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه ، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ، ويعلمون الجاهل فهم أفضل وإنما بعثت معلماً » .

قالوا : ففي هذا الحديث دليل على إقامة الحضرة التي يفعلها الصوفية

والجواب عن هذا من وجوه :

الأول : أن الحديث ليس صريحاً فيما ذهبوا إليه غاية ما فيه أن فيه جواز الاجتماع على الذكر والحديث لا يفيد إلا مطلق الاجتماع . أما الرقص والصياح والتمايل يميناً ويساراً فلا يدل عليه الحديث من قريب أو بعيد بل لا توجد إشارة إلى قوله هذا في الحديث .

وقال أبو العباس القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : « لايخفى على من له أدنى مسكة ، إذا تأمل بأدنى فكره : أن الرقص بالحركات الموزونات على ألحان الغناء والقينات (جمع قينة وهي الأمة المغنية وقيل الأمة مغنية كانت أو غير مغنية(٢) وتقطيع المزامير والطارات من أفعال أهل المجون والنطالات وأن ذلك لايليق بالعقلاء ، ولا يناسب أحوال الفضلاء ... وذلك أن العقلاء بما هم كذلك ينزهون أنفسهم عن مشابهة السفلة الطغام ، ومشاكلة الصبيان والنسوان ، وعن الاتسام بسمة المخانيث ، أهل

---

(١) روح المعاني (١٠٦/٢٨) .

(٢) لسان العرب (٣٥١/١٣) .

الفسوق والعصيان ومن الذي يرضى لنفسه بذلك أو يدخل في شيء مما هنالك ؟ كلا والله ، لايرضى بذلك عاقل ولا يتعاطاه فاضل ، ثمأي فائدة تحصل منه في الدنيا ، أو أي ثواب يترتب عليه في الأخرى وإذا عري عن ذلك تحقق أنه عبث وهوى وإذا لم يلق ذلك بالعقلاء فكيف يليق بالمتدينين والأولياء الذين اختصهم الله بمعرفته ؟ فمنهم المتقرب إليه ، بسلوك السبيل الذي : دلهم رسول الله ﷺ فبهديه يهتدون وبسنته يقتدون وعنها لايعرضون إذ قدانكشف لهم على القطع والبتات أنما سبيله أباطيل وترهات ولذلك لم ينقل عن نبي من الأنبياء ولا ولي من الأولياء ولا عالم من متقدمي العلماء القول بإباحة الرقص على المزلمير والأوتار وهز المناكب والأرداف ومن ادعي نقل شيئ من ذلك عمن يوثق بعلمه ويرجع إلى فتواه وفهمه طالبناه بتصحيح نقله وإثبات نعم قد ينقل من ذلك عن بعض المتأخرين ممن لايوثق بنظره ولا يعتمد على قوله ولاخبره يل هو ممن أخذت منه الأهواء مأخذها وحذي في ذلك مع الزيادة حذوهاابتدع في الدين واتبع غير سبيل المؤمنين »[١] .

الثاني : أن هذا الحديث ضعيف السند فقد رواه الدارمى[٢] وعبدالله بن المبارك[٣] والطيالسي[٤] كلهم عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عبد الرحمن ابن رافع عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ مر ... الحديث .

قال الألباني رحمه الله : « وهذا سند ضعيف فإن عبد الرحمن بن زياد وابن رافع ضعيفان كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب ورواه ابن ماجة من طريق داود بن الزبرقان عن بكر ابن خنيس عن عبدالرحمن بن زياد عن عبدالله بن يزيد عن

---

(١) كشف القناع ص١٤٣-١٤٥

(٢) في السنن (١/٩٩) .

(٣) في الزهد (٢/٢٢٠) .

(٤) السلسلة الضعيفة (١/٢٣،٢٢) .

عبدالله بن عمرو به وهذا سند أشد ضعفاً من الأول فإن كل من دون عبدالله بن يزيد ضعفاء « ثم نقل تضعيف سنده عن العراقي في تخريج الإحياء »(١) .

الثالث : أن الحديث ليس صريحاً فيما ذهب إليه الطرقية على فرض ثبوته قال الشيخ الألباني رحمه الله : وقد اشتهر الاحتجاج بهذا الحديث على مشروعية الذكر على الصورة التي يفعلها بعض أهل الطرق من التحلق والصياح في الذكر والتمايل يمنه ويسرة وأماماً وخلفاً مماهو غير مشروع باتفاق الفقهاء المتقدمين ، ومع أن الحديث لا يصح كما علمت ، فليس فيه هذا الذي زعموه ، بل غاية ما فيه جواز الاجتماع على ذكر الله تعالى ، وهذا فيه أحاديث صحيحة في مسلم وغيره تغني عن هذا الحديث ، وهي لا تفيد أيضاً إلا مطلق الاجتماع ، أماما يضاف إليه من التحلق وما قرن معه من الرقص فكله بدع وضلالات يتنزه الشرع عنها(٢) .

الدليل الرابع عشر : حديث شداد بن أوس قال قال رسول الله ﷺ : « ارفعوا أيديكم فقولوا لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : الحمد لله اللهم إنك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة ... ، ثم قال : أبشروا فإن الله قد غفر لكم »(٣) .

وقد احتج بهذا الحديث شيخ الطريقة النقشبندية الدكتورعمرعبد الله كامل وقد سمعته في لقاء على قناه المستقلة وهو ينافح ويدافع عن الصوفية في عقد مجلس الذكر والرقص الصوفي واستدل بالحديث أيضاً الخساف حسن السقاف الذي جمع عدة بلايا منها التخريف الصوفي استدل بالحديث في كتابه صحيح

---

(١) السلسلة الضعيفة

(٢) المصدر السابق (٢٣/١)

(٣) رواه أحمد (١٢٤/٤) والطبراني في الكبير (٧١٦٣) والبزار (١٣/١ كشف الأستار) والحاكم (١/ ٥٠١) .

صفة صلاة النبي ﷺ [(١)] .

ولا حجة لهم في هذا الحديث على ما ذهب إليه من عقد حضرات الصوفية التي يزعمون وبيان ذلك من وجوه :

الوجه الأول : أن الحديث الذي استدل به في تحسين من حسنة نظر فإن الحافظ المنذري حسَّنه في الترغيب والترهيب[(٢)] لكن قال الهيثمي عنه « رجاله موثقون[(٣)] ولا شك أن قول الهيثمي لا يعني صحة الحديث ولا تحسينه كما هو معلوم وقول المنذري رحمه الله فيه نظر فإن في سنده راشد بن داود وهو وإن قال فيه ابن معين : ليس به بأس ثقة ، وقال دحيم : هو ثقة عندي[(٤)] إلا أن البخاري قال فيه : فيه نظر وهذا القول يطلقه البخاري رحمه الله على من هو متهم . قال الحافظ الذهبي : كذا عادته أي البخاري - إذا قال : فيه نظر بمعنى أنه متهم ، أو ليس بثقة فهو عنده أسوأ حالاً من الضعيف »[(٥)] . وقال الدارقطني : ضعيف لا يعتبر به .

فهذا قول البخاري أمير المؤمنين وكذا قول الدارقطني وهو أمير المؤمنين أيضاً ، ومعهما زيادة علم وجرحهما مفسر وهو مقدم على التعديل هذا من ناحية سند الحديث فإذا كان الأمر كذلك فلا حجة فيه .

الوجه الثاني : على سبيل التنزل وأن الحديث صحيح فإن الحديث لا علاقة له بالحضرة الصوفية من قريب ولا بعيد فإن الحديث وارد في البيعة ولفظة عن البزار « بايعنا رسول الله ﷺ فقال فيكم غريب ... الحديث » وعلى هذا فإن رفع الصحابة

---

(١) ص ٢٤٦ .

(٢) (٤١٥/٢) .

(٣) (١٩/١) .

(٤) ميزان الاعتدال (٢٧/٣) .

(٥) الموقظة ص ٨٣ للذهبي .

أيديهم وقولهم لا إله إلا الله إنما هو للبيعة وليس المقصود فيه الذكر الجماعي على طريقة الصوفية .

الوجه الثالث : أن الذكر الجماعي بصوت واحد لم يكن من هدي السلف الصالح بل ورد ما يدل على أنه بدعة منكرة لم تكن معروفة أو مستحبة في عصر النبي ﷺ فعن عبده بن أبي لبابة : أن رجلاً كان يجمع الناس ، فيقول : رحم الله من قال كذا وكذا مرة سبحان الله ، قال : فيقول القوم ، قال فمر بهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقال : لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم أو إنكم لمتمسكون بذنب ضلالة[١] .

الدليل الخامس عشر : ذكر بعضهم[٢] أن الحركة أثناء الذكر سواء برقص أو غيره لم يرد فيها نهي من الكتاب أو السنة وعلى هذا فإن الرقص في مجالس الذكر لا شيء فيه . وقد أجيب على هذا من وجوه ثلاثة .

الأول : أن الصوفية يعتقدون أن الرقص عبادة في مجالس الذكر وإلا لما نافحوا ودافعوا وبحثوا عن أدلة لمشروعيته فإذا كان كذلك فإن الرقص في الذكر لم يرد به دليل والأصل في العبادة المنع إلا لدليل إذ العبادة توقيفية فكل عبادة لم يتعبدها رسول الله ﷺ وأصحابه فلا يجوز لنا بحال أن نفعلها .

الثاني : أن مجالس الذكر التي كانت على عهد رسول الله ﷺ كانت مجالس سكينة ووقار وطمأنينة وكان الصحابة في مجلس رسول الله كأنما على رؤوسهم الطير بخلاف مجلس الطرقية ولا أقبح من ذي لحية يرقص .

الثالث : أن قول هذا البعض مخالف لقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر : ٧] فهل الرقص والتمايل جاء به

---

(١) أخرجه ابن وضاح في البدع والنهي عنها ص ١٢ .

(٢) زعم ذلك الشيخ حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية الأسبق ورئيس المجلس الأعلى الصوفي زعم ذلك على موقع روض الرياحين على الشبكة العنكبونية . وهو موقع صوفي كما هو معروف .

الرسول ﷺ ؟ الجواب بالطبع : لا .

الدليل السادس عشر : استدلوا أيضاً بقوله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم »[١]

قال المناوي قال القشيري : هذا دليل على فضيلة الصوت الحسن فالسماع لا بأس به وتعقبه ابن تيمية بأنه إنما يدل على فضل الصوت الحسن بكتاب الله .

الدليل السابع عشر : واستدلوا أيضاً بحديث « لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » .

وأجيب : بأن هذا الحديث ضعيف جداً : فقد رواه البيهقي في الشعب والضياء في المختارة من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً . وفي إسناده عبدالله بن محرز الجزري . قال الحافظ الذهبي : تركوا حديثه . وقال الجوزجاني : هالك . وقال ابن حبان : من خيار العباد لكنه يكذب ولا يعلم ويقلب الأخبار ولا يفهم . وقال الهيثمي : فيه عبدالله بن محرز هذا وهو متروك[٢] .

والحديث له طريق آخر من حديث أبي هريرة وإسناده ضعيف أيضاً رواه الطبراني وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي وهو ضعيف[٣] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في احتجاجهم بهذا الخبر « وقضية الخبر أن تحسين الصوت بغير القرآن مذموم لجعله ذلك حلية له بخصوصه فلا حجة فيه لمن استشهد به من الصوفية على مشروعية السماع الحسن بل هو شاهد عليهم »[٤] .

---

(١) رواه النسائي (١٧٩/٢) وأبو داود (١٤٦٨) وأحمد (٨٧/٤) من حديث البراء بن عازب وصححه الألباني برقم ٣٥٨١ ، ٥٨٩٤

(٢) مجمع الزوائد(٣٦٣/٤) .

(٣) فيض القدير (٣٦٣/٤) .

(٤) الاستقامة(٣٦٢/١) .

الدليل الثامن عشر : احتجاجهم بنشيد « طلع البدر علينا »

أن كل ما جاز السرور به جاز إثارة السرور فيه وعليه فاللحن يجوز السرور به هذه الشبهة أثارها الغزالي عفا الله وعنه ويقول أيضاً « ويدل على هذا من النقل إنشاد النساء على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله ﷺ :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

قال « فهذا إظهار السرور لقدومه ﷺ وهو سرور محمود فإظهاره بالشعر والنغمات والرقص والحركات أيضاً محمود »[١] .

والجواب على هذا من وجهين :

الأول : أن هذا الخبر الذي استند إليه الغزالي معضل ضعيف . فقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة[٢] من حديث ابن عائشة وابن عائشة هو عبيدالله بن محمد بن حفص وبينه وبين رسول الله ﷺ مفاوز تنقطع دونها أعناق الإبل فالحديث ضعيف السند بل أشار القرطبي إلى كونه كذباً[٣] على أن رواية البيهقي ليس فيها ذكر الدف والألحان الذي ادعاه الغزالي عفا الله عنه وهكذا يحتج الغزالي للصوفية في مسالة السماع بما لا حجة فيه حتى انتقده ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىَ هذا المسلك قائلاً « وقد احتج لهم أبو حامد الطوسي (هو الغزالي) بأشياء نزل فيها عن رتبته في الفهم »[٤] .

الثاني : ولو فرض ثبوت الحديث لم يكن فيه دليل على السماع الصوفي ، لأن

---

(١) إحياء علوم الدين (٢ / ٣٠٢) .
(٢) (٥ / ٢٦٦) .
(٣) كشف القناع ص ١٠١ للقرطبي .
(٤) تلبيس إبليس ص ٢٣٧ .

الغناء لم يقع على وجه الذكر والعبادة[(١)] كما يعتقد الطرقية في السماع الذي يمارسونه في الحضرة .

الدليل التاسع عشر : احتجاجهم بحديث الحجل

حيث تمسكوا بحديث : أن النبي ﷺ قال لعلي : أنت مني وأنا منك فحجل علي ، وقال لجعفر : أشبهت خلقي وخلقي فحجل وراء علي ، وقال لزبير : أنت أخونا ومولانا فحجل زيد وراء جعفر

قال الغزالي « وقد روى عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أنهم حجلوا لما ورد عليهم سرور أوجب ذلك في قصة ابنة حمزة لما اختصم فيها علي بن أبي طالب وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضي الله عنهم . . . ثم ذكر القصة وقال معلقاً : « والحجل هو الرقص »[(٢)] .

وبمثل ما استدل به الغزالي استدل ابن طاهر[(٣)] لهم فقال : « ومما يدل على صحة الرقص ما روى أن رسول الله ﷺ قال لعلي ... ثم ذكر الحديث السابق »[(٤)] .

وقال الشيخ عمر الفوتي التيجاني : « فإذا انضم إلى هذا القيام رقص أو وجد ونحوه فلا إنكار عليهم (أي على الصوفية) ؛ فإن ذلك من لذات الشهوات والمواجيد ، وقد ورد في بعض طرق الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله ﷺ حين قال له : أشبهت خلقي وخلقي من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر عليه النبي ﷺ فكان هذا أصلاً في الجملة في رقص الصوفية ووجدهم مما

---

(١) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١ / ٣٢٢) .

(٢) إحياء علوم الدين (٢ / ٣٣١) .

(٣) في كتابه صفه أهل التصوف ص ١٥٧ وكذا استدل لهم أبو عبدا لرحمن السلمي على جواز الرقص بحديث « الحجل » كما في الأربعين السلمية تخريج السخاوي ص ١٤٧ باب في إباحة الرقص !! .

(٤) كشف القناع ص ١٥٧ للقرطبي .

يدركونه من لذات المواجيد »[١] .

والرد على هذا الاستدلال الذين ذهبوا إليه من وجوه :

الأول : أن العهد بالطرقية الصوفية أنهم يتصيدون كلمة من هنا وهناك ويحاولون الاستدلال بها والاتكاء عليها فيما ذهبوا إليه ويعدونها أصلاً في الرقص الذي يمارسونه وهيهات وهيهات أن يظفروا بحديث صحيح يدل على زعمهم . وكما سبق بيانه أنهم يستدلون بعمومات ويجعلونها أصلاً يفزعون إليه وهذا ما لا ينبغي فعله وهذا يدل على منهجهم في الاستدلال بأنهم يعتقدون أولا ثم يبحثون عن دليل أو شبه دليل لما يعتقدون وهذه طريقة أهل البدع فاحذرها والله الموفق .

الثاني : أن ما استدلوا به لا يدل من قريب ولا بعيد على ما زعموه ولولا أن هذا موجود في كتبهم لما سودنا به الصحف ولكن مازالوا يستدلون به على رقصهم في الحضرات كما فعلت غير طريقة من طرق الصوفية ومنها التيجانية كم سبق نقله عن شيخهم عمر الفوتي ولهذا فما استدل به ابن طاهر والفوتي والسيوطي وغيرهم على ما يمارسه الطرقية من رقص وقفز في الحضرات لا حجة فيه بل قال ابن الجوزي رحمه الله عما استدل به ابن طاهر : « وقد استدل لهم محمد بن طاهر بأشياء لولا أن يعثر على مثلها جاهل فيغتر لم يصلح ذكرها لأنها ليست بشيء »[٢] .

الثالث : أن الحديث الذي استدلوا به لا حجة لهم فيه ولابد من تخريجه قبل الكلام عليه فقد ورد الحديث موصولاً ومقطوعاً وجاء بزيادة الحجل وبدونها .

أما الموصول فقد جاء من حديث البراء ، وعلي ، وابن عباس ، وجابر بن عبدالله ، وعبيدالله بن أسلم مولى رسول الله ﷺ ، وأما المقطوع فقد جاء من حديث جعفربن محمد بن على بن الحسين بن على ، ومن حديث قتادة بن دعامة .

---

(١) الرماح (١ / ١٦٨) ونسبه للسيوطي .

(٢) تلبيس إبليس

* أما حديث البراء بن عازب رضي الله عنه : فقد رواه البخاري[(١)] والترمذي[(٢)] والبيهقي[(٣)] وليس فيه ذكر الحجل .

* وأما حديث علي رضي الله عنه : فقد رواه الإمام أحمد في مواضع من مسنده[(٤)] والطحاوي[(٥)] في مشكل الآثار ، والحاكم في المستدرك[(٦)] والبيهقي في موضعين من السنن[(٧)] وأبو يعلى ، والحافظ ابن أبي شيبة[(٨)] ، وإسحاق بن راهوية في مسنده[(٩)] والنسائي في خصائص علي[(١٠)] وابن سعد[(١١)] كلهم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ ومعه هبيرة بن يريم في إحدي روايتي أحمد والبيهقي وعند النسائي في الخصائص أيضاً وليس فيه ذكر الحجل إلا من إحدي روايتي الإمام أحمد . وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

قلت : كيف يصح سنده وفيه هانئ بن هانئ

وقد قال ابن سعد : منكر الحديث وأما البيهقي رحمه الله فقال : ليس بالمعروف

---

(١) رقم (٢٦٩٩) .

(٢) رقم (٣٧٦٥) .

(٣) (٨ / ٥) .

(٤) (١ / ١٠٨) (١ / ٩٨) (١ / ١١٥) .

(٥) (٤ / ١٧٣) .

(٦) (٣ / ١٢) .

(٧) (٨ / ٦) (١٠ / ٢٢٦)

(٨) (٦ / ١٥٦) .

(٩) كما في نصب الراية (٣ / ٢٦٧) .

(١٠) رقم ٦٨ .

(١١) (٤ / ٣٦) .

جداً وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ : لا يعرف . وقال ابن المديني : مجهول وأما الحافظ ابن حجر فقال مستور[(١)] .

قلت : بل هو معروف وليس مجهول ولذلك قال النسائي : « ليس به بأس ولم يرو عنه غير أبي إسحاق » وفي سنده أيضاً أبو إسحاق السبيعي وهو مدلس وقد عنعنه وهذه الرواية لم يصرح فيها بالتحديث .

* وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما : فقد رواه الإمام أحمد[(٢)] وسنده ضعيف أيضاً وليس في ذكر الحجل من هذا الطريق ومع ذلك ففي سنده الحجاج بن أرطأه وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس[(٣)] ، وفيه أيضاً مقسم بن بحرة وهو صدوق كان يرسل[(٤)] .

* وأما حديث جابر بن عبدالله : فرواه الطبراني في الأوسط[(٥)] بإسناد فيه مكي بن عبيدالله الرعيني وليس فيه ذكر الحجل ضعفه الهيثمي[(٦)] في المجمع بمكي عبيدالله وأورد الحافظ ابن حجر هذا الحديث وعده من مناكير مكي وضعفه به[(٧)] والحديث فيه أيضاً أبو الزبير المكي وقد عنعنه وهو مدلس لم يصرح بالتحديث

* وأما حديث عبيد الله بن أسلم مولى رسول الله ﷺ : فقد رواه أحمد[(٨)]

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد (٦ / ٢٢٣) ميزان الاعتدال (٤ / ٢٩١) ، تقريب التهذيب ص ٣٦٣ .

(٢) في المسند ( ) .

(٣) تقريب التهذيب (١١١٩) .

(٤) تقريب التهذيب (٦٨٧٣) . -

(٥) (٦ / ٣٣٥) .

(٦) مجمع الزوائد (٥ / ٢٠٩) .

(٧) لسان الميزان (٦ / ٨٧) .

(٨) (٤ / ٣٤٢) .

بإسناد فيه ابن لهيعة وهو ممن احترقت كتبه فساء حفظه وخلط واتهمه بعضهم بالتدليس وليس روايته هذا الحديث من رواية العبادلة عنه وعليه فسندها ضعيف وليس فيها ذكر الحجل .

وأما المقطوع : فقد جاء من حديث أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وقد رواه ابن سعد في الطبقات[١] وفيها ذكر الحجل وهي رواية ضعيفة منقطعة ومعضلة لأن محمد بن علي لم يسمع من الحسين[٢] .

ثم أورد ابن سعد الرواية من كلام شيخه الواقدي[٣] « محمد بن عمر » والواقدي متروك كما هو معلوم .

ومن المقطوع : ما جاء في حديث قتادة فقد رواه عن الرزاق[٤] بسنده إليه وهي رواية معضلة لم يذكر فيها قضية الحجل أيضاً .

فتبين من سائر الروايات السابقة أن ذكر الحجل لا يصح فهو منكر حتى قال ابن حجر الهيتمي عن روايات الحديث بذكر الحجل « إن هذا الحديث منكر وألفاظه موضوعة مزورة »[٥] .

وأما الروايات التي وردت بدون ذكر الحجل فبعضها صحيح وبعضها ضعيف .

الثالث : أن الحديث بدون ذكر الحجل صحيح وعلى فرض صحة لفظ الحجل فيه فلا نسلم أن الحجل هو الرقص كما زعم ابن طاهر والفوتي وغيرهم لأن مصادر اللغة تؤكد أن الحجل نوع من المشي ربما قصد به التعبير عن الفرح .

---

(١) (٤ / ٣٥) .

(٢) تهذيب التهذيب (٩ / ٣٥٠ - ٣٥٢) .

(٣) الطبقات الكبرى (٤ / ٣٥) .

(٤) المصنف برقم (٢٠٣٩٤) .

(٥) كف الرعاع ص ٧٥ .

ففي القاموس : « حجل ... رفع رجلاً وتريث في مشيته على رجله »[١] .

وفي اللسان : والحجل مشي المقيد ، وحجل يحجل حجلاً إذا مشى في القيد ثم نقل خبر جعفر مستدلاً به على أنه قفز من الفرح .

وفي مختار الصحاح « حجل يحجل ... إذا نزا في مشيته »[٢] .

والفرق واضح بين رقص الراقص الذي يتخذ ما يلزمه من آلات اللهو والمعازف ، ويرقص على تلك الأنغام وبين مشي من يمشي مشيته معينه ويدور معبراً عن فرحته ، ويؤيد هذا ما جاء في رواية ابن سعد حيث قال : « فقام جعفر فحجل حول النبي ﷺ دار عليه ، فقال النبي ﷺ ما هذا؟ قال : شيء رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهم »[٣] .

ولهذا قال ابن الجوزي رداً عليهم في استدلالهم بأن الحجل هو الرقص « أما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فأين هو من الرقص »[٤] .

الرابع : لو سلمنا أن الحجل رقص فعلاً ، فإنه لا يعدوكونه تعبيراً عن الفرح والسرور ، وليس المقصود منه العبادة على غرار ما يقصد هؤلاء الصوفية من رقصاتهم عند الذكر[٥] فإنهم يعتقدونه عبادة .

الخامس : هب أن الحجل هو الرقص في اللغة فهل ورد أن الصحابة رضي الله عنهم مارسوه في ذكرهم لله عز وجل؟ وقبل ذلك هل ورد أن النبي ﷺ أمرهم به

---

(١) مادة حجل .

(٢) مادة حجل .

(٣) الطبقات (٤ / ٣٥) مع أنها رواية ضعيفة .

(٤) تلبيس إبليس ٣١٧ .

(٥) هذا الوجه وما قبله مستفاد من كتاب الاستاذ محمد أحمد لوح تقديس الأشخاص (١ / ٣٢٢ - ٣٢٦) .

عند الذكر أو حضهم عليه ؟ وهذا يكفي في أن ما يفعله الطرقية في الحضرة من الرقص إنما هو من اتباع الهوى والاستدلال بما لم يصح عن رسول الله ﷺ ، لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : « وهكذا عامة أهل البدع لا يميزون بين الحديث الصحيح وغير الصحيح ، ولكن ما وافق آراءهم وأهواءهم كان هو الحق عندهم ، وإن كان راويه قد اختلقه على الرسول ﷺ وما خالف ذلك دفعوه ، بخلاف أهل السنة وعلماء الأمة الذين يقصدون متابعة الرسول ﷺ والاستنان بسنته والعمل بشريعته . . فإن هؤلاء يميزون بين ما قاله الرسول ﷺ وما قاله غيره وما نقل عن الرسول ﷺ ، فيميزون بين الصدق والكذب والصحيح والضعيف »[(١)] .

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ في رده على من احتج بالحديث على جواز الرقص الصوفي : « إن الحديث على فرض صحته لا يصلح حجة لمن جعله أصلاً في إباحة الرقص فقد كان هذا الحجل من عادة الحبشة لكبرائها فجرى جعفر رضي الله عنه على تلك الحال ، وقد فعلها مرة وتركها بسنة الإسلام »[(٢)] .

تنبيه

ومن الجدير بالذكر أن حديثا وقع فيه تحريف ربما يتخذه أهل الرقص الصوفي دليلاً لهم على الرقص ... فأحببت أن أنبه عليه والفضل في هذا لله وحده أولاً ثم للشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ، فقد جاء في الحديث : « سبق المفردون قالوا يا رسول الله : ومن المفردون ؟ قال : الذين يهترون في ذكر الله »[(٣)] ، فتحرفت لفظة « يهترون » إلى يهتزون من الاهتزاز ومعنى « يهترون » أي يولعون .

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك ص ١٦٠ لابن تيمية .

(٢) الفروع لابن مفلح الحنبلي (٤ / ٤٥٩ ، ٤٦٠) بتصرف .

(٣) رواه أحمد (٢ / ٣٢٣) والحاكم (١ / ٤٩٥-٤٩٦) وصححه في السلسلة الصحيحة برقم ٣١٧ . -

قال ابن الأثير : ويقال اهتر فلان بكذا واستهتر فهو مهتر به ومستهتر أي مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره .

وقد أشار الشيخ الألباني رحمه الله إلى مثل هذا الأمر فقال رحمه الله : « كان من دواعي تخريج هذا الحديث أنه وقعت هذه اللفظة في الشعب هكذا يهتزون بالزاي ، بحيث تقرأ يهتزون فبادرت إلى تخريجه وضبط هذه اللفظة منه ، خشية أن يبادر بعض الصوفية الرقصة إلى الاستدلال به على جواز ما يفعلونه في ذكرهم الرقص والاهتزاز يميناً ويساراً جاهلين أو متجاهلين أنه لفظ محرف »[١] .

وقد فسر العلامة أبو بكر بن العربي معنى الاهتار في الحديث حيث قال : « وقد ثبت عن النبي ﷺ أن مشى يوماً مع أصحابه حتى وقف على جبل يقال له جمدان فقال : سيروا ، سبق المفردون قيل يا رسول الله ومن هم ؟قال : « الذين اهتروا بذكر الله ، يضع الذكر عنهم أوزارهم »[٢] ...

وقوله : « الذين اهتروا بذكر الله » يعنى الذين غلب عليهم الذكر في الأقوال والأعمال والطاعة حتى يكونوا كما روى الحسن البصري ؟ « أنه قال : أدركت قوماً لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا فساق »[٣] وغلطت الصوفية فقالوا : إن المراد بحديث أبي ذر[٤] الذكر الدائم باللسان من غير فتور ، حتى إذا رآه الرجل قال : هذا مجنون وليس كذلك إنما المراد به الذي ليس له عمل إلا الله ، إذا صلى وصام فله ، وإن جلس فيقول : أجم نفسي لطاعة الله ، فهذه طاعة ، وإن كان على أي حال كان ، إن أكل قال آكل للتقوي ، ويذكر الله في جميع أحواله وأفعاله فهذه

---

(١) السلسلة الصحيحة (٣ / ٣٠٧) .

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٥) مع اختلاف يسير .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢ / ١٣٤) .

(٤) السابق ذكره في « سيروا سبق المفردون » .

عبادة ، وإن وطئ وطئ ليعصم نفسه وأهله فهذه طاعة ، وإن تطيب يقول أتطيب اقتداء برسول الله ﷺ ومنفعة للجليس وترفيعاً للملائكة ، فلا يكون له عمل حتى في النوم إلا وهو لله فهذا هو الذاكر الشاكر لله ، المقتدى بسنة رسول الله ﷺ »(١) .

الدليل العشرون : قالوا وقد ورد أن الصحابة كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة أي مالوا ففيه دليل على الرقص في حضرة الذكر .

والأثر رواه ابن أبي الدنيا في كتابه التهجد(٢) قال : حدثنا علي بن الجعد، أخبرني عمرو بن شمر، عن إسماعيل السدي، عن أبي أراكه قال صليت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر، فلما سلم أنفتل عن يمينه ثم قلت كأن عليه كآبة حتي إذا كانت الشمس علي حائط المسجد قيد رمح قال وحائط المسجد أقصر مما هو الآن قال : ثم قلب يده، وقال : والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أري اليوم شيئاً يشبههم لقد كانوا يصحون وأقدامهم صفراً غيراً بين أعينهم أمثال ركب المعزي قد باتوا سجداً وقياماً يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتي تبل ثيابهم، والله فكأن القوم باتوا غافلين ثم نهض فما رئي يضحك حتي ضربه ابن ملجم عدو الله الفاسق .

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق(٣) من طريق ابن أبي لدنيا قال حدثنا علي بن الجعد، قال حدثنا عمرو بن شمر ورواه الخطيب البغدادي في الموضح(٤) قال : أخبرنا عبيد الله بن عمر الواعظ، أخبرنا أبو محمد بن ماسي، حدثنا : محمد بن

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك (٣ / ٤٣٣) .

(٢) رقم ٢١١ .

(٣) (٤٢/٤٩١)

(٤) (٢/٣٣٠)

عبدوس، حدثنا علي بن الجعد به ...

ورواه ابن الجوزي في التبصرة[١] عن طريق علي بن الجعد ...

ورواه أبو نعيم في الحلية[٢] من طريق محمد بن يزيد أبي هشام، حدثنا المحاربي عن مالك بن مغول، عن رجل من جعفر عن السدي عن أبي أراكة عن علي بن ابن طالب رضي الله عنه .

ورواه الدنيوري في كتابيه عيون الأخيار[٣] والمجالسة[٤] عن مالك بن مغول عن رجل من جعفر عن السدي عن أبي أراكه ... به

ورواه أبو أحمد الحاكم في الأسامي والكني[٥] قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسين بن جعفر الخثعمي إسماعيل نا : عمر النصري، عن السدي، عن أبي أراكة قال : صليت مع علي الفجر يوم الجمعة فلماقضى صلاته وضع يده علي خده كئيباً حزيناً حتي إذا صارت الشمس علي حائط المسجد قيد رمح أو رمحين قلب يده، ثم قال، لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ وما رأيت أحدا يشبههم ولقد رأيتهم يصبحون شعثاً غبرا صفراً قد باتوا لله ركعاً سجداً .

مما تقدم يتضح أن مدار الحديث على :

عمر بن سعد النصري - إسماعيل السدي - أبو أراكة - عن علي رضي الله عنه .

وعمرو بن شمر الجعفي - إسماعيل السدي - أبو أراكه - علي رضي الله عنه وهذا الاسناد لا يصح وإليك ما قيل في رجاله .

---

(١) المجلس ٣٤ .

(٢) (١/٧٦)

(٣) (١/٢٤٨)

(٤) (١٤٦٦)

(٥) (٢ /٨٧)

١- أما أبو أراكه فهو مجهول . فقد ذكره كل من الدولابي[١] والبخاري[٢] وابن أبي حاتم[٣] ولم يذكروا فيه جرحاً ولا تعديلاً . أما ابن حبان فقد ذكره في كتابه الثقات[٤] ومعروف أنه يوثق المجاهيل فلا يعول علي ما ذكره .

٢- وأما إسماعيل بن عبد الرحمن السدي هو ضعيف عند أهل العلم متهم بالرفض قال الجوزجاني : كذاب شتام . وقال ابن حبان : كان رافضياً يشتم أصحاب رسول الله ﷺ وكان ممن يروي الموضوعات عن الثقات في فضائل أهل البيت وغيرها، لا يحل كتابه حديثه إلا علي جهة التعجيب، وقال الجوزجاني : زائغ كذاب . وقال البخاري : منكر الحديث . وقال يحيي : لا يكتب حديث .

وقال النسائي والدارقطني وغيرهما : متروك الحديث . وقال السليماني : كان عمر يضع للروافض .

وقال النسائي أيضاً : ليس بثقة ولا يكتب حديثه . وقال الحاكم أبو عبد الله : كان كثير الموضوعات عن جابر الجعفي وليس يروي تلك الموضوعات الفاحشة عن جابر غيره . وقال أبو نعيم : يروي عن جابر الجعفي الموضوعات المناكير .

٣- وأما عمر بن سعد النصري : فهو مجهول ذكره عبد الغني الأسدي وقال : كوفي حدث عنه إسماعيل بن موسي ابن بنت السدي وغيره[٥] . وذكره أبي ماكولا ولم ينقل فيه جرحاً ولا تعديلا[٦] . وقال أبو زرعة : لين الحديث . وقال ابن

---

(١) في الكنى .

(٢) في التاريخ الكبير .

(٣) في الجرح والتعديل (٩/٣٣٦)

(٤) (٥/٥٨٤)

(٥) مشتبه النسبة (٥) .

(٦) الإكمال (١/٣٩٠)

معين : حديثه ضعيف . وقال أبو حاتم الرازي : يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال حسين بن واقد : سمعت السدي فما قمت حتى سمعته يتناول أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فلم أعد إليه . وقال الطبري : لا يحتج بحديثه(١) .

٤- وأما عمرو بن شمر الجعفي فهو آفة كبري في هذا الأثر بل لعلة آفة الخبر فهو رافضي كذاب يضع الحديث . وقال عمرو بن علي الفلاس : منكر الحديث، حدث بأحاديث منكرة وقال أبو حاتم الرازي : منكر الحديث جداً، ضعيف الحديث، لا يشتغل به تركوه . وقال يحيي في معين : عمرو بن شمر، ليس بثقة . وقال ابن سعد : كان ضعيفاً قال أبو زرعة عنه : ضعيف الحديث جداً متروك الحديث(٢) .

الدليل الحادي والعشرون : الاحتجاج بأثر لسلمان رضي الله عنه

ومما احتج به الصوفية على الوجد والرقص بأنه لما نزلت آية : ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر : ٤٣] صاح سلمان الفارسي صيحة ووقع على رأسه ثم خرج هارباً ثلاثة أيام(٣) .

والرد عليهم من وجوه :

الأول : وقد أجاب العلامة ابن الجوزي على هذا الدليل الذي استدلوا به فقال :

(أ) أن هذا محال وكذب (ب) ليس له إسناد (جـ) والآية نزلت بمكة وسلمان أسلم بالمدينة (د) ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً(٤) .

---

(١) راجع تلك الأقوال في تهذيب التهذيب (١/١٨٥) وميزان الاعتدال .

(٢) انظر: أقوال أهل العلم فيه في ميزان الاعتدال (٥/٣٢٤) والمغني في الضعفاء (٢/٤٨٥) والضعفاء الكبير (٣/٢٥٠٤) ، والجرح والتعديل (٦/٢٣٩)، والمجروحين لابن حبان (٢/٧٥) والطبقات الكبري لابن سعد (٦/٣٥٦)، ولسان الميزان (٤/٣٦٦) .

(٣) نقله ابن الجوزي عنهم في تلبيس إبليس ص ٢٤٣ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٣ .

الثاني : والمتتبع لحال الصحابة حال سماعهم ذكر الله تعالى يجد غير ما جاء في هذا الأثر المكذوب فقد كانت عيونهم تدمع ويحصل لهم زيادة إيمان واقشعرار الجلد أما الهيام على الوجوه ، والهروب في الغيران والبراري وغير ذلك فهو حال أصحاب الأحوال الشيطانية لا أصحاب الأحوال الرحمانية وهذا لايخفي على من نظر في سيره أصحاب رسول الله ﷺ .

الثالث : وتأمل أيضا حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه حيث يقول « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة زرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ... الحديث »(١) .

قال أبو بكر الآجري رحمه الله تعليقا على قول العرباض : « ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان »(٢) .

قال ابن الجوزي رحمه الله « أعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب وما كان يزيدون (أى حال سماع القرآن)على البكاء والخشوع »(٣) .

ثم سرد ابن الجوزي آثارا عن الصحابة رضي الله عنهم :

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ذكرعنده هؤلاء الذين يصعقون عندالقراءة فقال أنس رضي الله عنه : « وعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمع للقوم خنينا أخذ تهم الموعظة وما سقط منهم أحدا »(٤) .

وعن عامر بن عبد الله بن الزبير « قال : جئت إلى أبي فقال لي : أين كنت .

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٧) وابن ماجه (٤٢) والترمذي(٢٩٧٦)وقال حسن صحيح وصححه الألباني في ظلال الجنة في تحريم السنة برقم ٢٧

(٢) نقله ابن الجوزي في تلبيس إبليس ص ٣٠٨

(٣) تلبيس إبليس ص ٣٠٩

(٤) تلبيس إبليس ص ٣١٠ .

فقلت : وجدت قوما ما رأيت خيرا منهم يذكرون الله عز وجل فيرعد أحدهم حتى يغشى عليه من خشيه الله عز وجل فقعدت معهم قال : لا تقعد معهم بعدها فرآني كأني لم يأخذ ذلك في فقال : رأيت رسول الله صلى الله يتلو القرآن ورأيت أبا بكر وعمر يتلون القرآن ولا يصبهم هذا أفتراهم أخشع لله من أبي بكر وعمر؟ فرأيت أن ذلك كذلك فتركتهم »(١) .

وعن عمرو بن مالك قال : بينا نحن عند أبي الجوزاء يحدثنا إذ خر رجل فاضطرب فوثب أبو الجوزاء يسعى قبله قيل له : يا أبا الجوزاء ، منهم رجل به الموتة فقال : إنما كنت أراه من هؤلاء القفازين ولو كان منهم لأمرت به فأخرج من المسجد إنما ذكرهم الله تعالى فقال « تفيض أعينهم من الدمع » أو قال « تقشعر جلودهم »(٢) .

قلت : فكيف لو رأى أبو الجوزاء الطرقية اليوم وما يصنعون في مساجدنا من حفلات الرقص التي يقيمونها ، فما عساه أن يقول ممن مكنهم من المساجد وباحاتها ليقيموا فيها رقصهم المزعوم ؟!!

وعن أبي حازم قال : مر ابن عمر رضي الله عنه برجل ساقط من العراق فقال : ما شانه؟ فقالوا : إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا قال إنا لنخشى الله عز وجل وما نسقط(٣).

وقال ابن نجيم رحمه الله : « وفي الفتاوى العلامية : وتمنع الصوفية من رفع الصوت والصفق وصرح بحرمتها العيني في شرح التحفة وشنع على من يفعله مدعياً أنه من الصوفية »(٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ٣١١ - ٣١٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٢ .

(٣) تلبيس إبليس ص ٣١٠ .

(٤) البحر الرائق (٤ / ٤٠٩) .

وقال صاحب تحفة الملوك : « ويحب منع الصوفية الذين يدعون الوجد والمحبة عن رفع الصوت وتمزيق الثياب عند سماع الغناء لأن ذلك حرام عند سماع القرآن فكيف عن سماع الغناء الذي هو حرام خصوصاً في هذا الزمان »[١] .

الدليل الثاني والعشرون : احتجاجهم على جواز السماع الصوفي بإنشاد الشعر بين يدي رسول الله ﷺ .

وقد جاء في شبههم التي استدلوا بها على جواز السماع الصوفي أن النبي ﷺ كان يستمع إلى الأشعارمن الصحابة حيث كانوا يلقون الأشعار بين يديه قالوا فهذا دليل على السماع الصوفي إذ لا فرق بين هذا الشعر والسماع الصوفي .

والجواب عن هذه الشبهة من وجهين :

الأول : أن الأشعار التي كانت في عهد رسول الله ﷺ لم يصاحبها دف ولا مزمار ولا شبابة كما يلتزمه الطرقية من الصوفية ويتخذونه ديناً فإن النبي ﷺ حرم آلات اللهو كلها خلا الدف للنساء في الأفراح كما ورد فأين هذا الشعر من السماع الصوفي القائم على الربابة والمزمار بل اتخاذه دينا؟ وإن شئت التأكد من كلامي فانظر إلى الطريقة المولوية الصوفية في تركيا وما تمارسه من الرقص والموسيقي واعتقاد أن ذلك من الدين ويتقربون بذلك إلى الله عز وجل وكذلك انظر إلى غيرها من الطرق الصوفية المنتشرة بتركيا وغيرها تجد أن الأمر أكبر مما تتصور .

الثاني : أن الفرق واضح بين الشعر الذي كان ينشد بين يدي رسول الله ﷺ فالأول لا يمكن أن يشتمل على مخالفات وإن وقع لايقره النبي ﷺ بل ينكره وأما ما يقع من الصوفية فالغالب عليه الغلو والتوسلات البدعية والشركية والاستغاثة بالمقبور وطلب الدعاء منه وغير ذلك مما لا يجوز طلبه إلا من الله ، وقد حرص النبي ﷺ أن يكون التوحيد خالصاً لوجه الله عز وجل فقد ورد أن جارية كانت

---

(١) تحفة الملوك (١ / ٢٨٤) .

تمدح النبي ﷺ فقالت في مدحها : « وفينا نبي يعلم ما في غد »(١) فأنكر عليها النبي ﷺ وقال : « لا يعلم ما في الغد إلا الله عز وجل » .

فقارن هذا بما ينشده الطرقية في الموالد من الغلو في النبي ﷺ وغيره من الأولياء الصالحين وقد ذكرت طرفاً من غلوهم هذا في بعض الرسائل التي حذرت فيها من بدع القبور والله الموفق لا رب سواه .

قال العلامة الألوسي : « ومن السماع المحرم سماع المتصوفة في زماننا وإن خلا من الرقص ، فإن مفاسده أكثر من أن تحصى ، وكثيرا ما ينشدون من الأشعار من أشنع ما يتلى ومع هذا يعتقدونه قربة ، ويزعمون أن أكثرهم رغبة فيه أشدهم رغبة أو رهبة قاتلهم الله أنى يؤفكون »(٢) .

وقال أيضاً في تفسير قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [لقمان : ٦] وأشنع من ذلك ما يفعله أبالسة المتصوفة ومردتهم ثم إنهم -قبحهم الله تعالى - إذا اعترض عليهم بما اشتمل عليه نشيدهم من الباطل يقولون : نعني بالخمر : المحبة الإلهية ، أو السكر غلبتها ، أو بمية وليلي وسعدي مثلاً المحبوب الأعظم وهو الله عز وجل وفي ذلك من سوء الأدب ما فيه » : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] (٣) .

وقد حكي بعض أهل العلم كفر مستحل الرقص وآلات الزمر والطرب فقال عبد الوهاب بن وهبان الدمشقي الحنفي المتوفى ٧٦٨هـ في منظومته الوهبانية :

ومن يستحل الرقص قالوا بكفره ولا سيما بالدف يلهو ويزمر

---

(١) رواه البخاري (٤٠٠١) (٥١٤٧) وأحمد (٦ / ٣٥٩ ، ٣٦٠) والبيهقي (٧ / ٢٨٨) وغيرهم .

(٢) روح المعاني (١١/٧٥) .

(٣) المصدر السابق (١١/٧٢-٧٣) .

قال صاحب الدر المختار في شرحه للبيت السابق « المراد به التمايل بالخفض والرفع بحركات موزونة ، كما يفعله بعض من ينتسب إلى الصوفية »[١] .

قلت : وما أحسن ما أنشد العلامة أبو محمد عبدالله المقرئ النحوي في إنكاره على الطرقية وأنهم :

أضافوا إلى شرع النبي وصحبه أراذل قالوا : إنها لتباح
هي الدف والتشييب والشير تابع وتلك ملاهي كلهن قباح
نهي الشرع عنها ثم حرم جمعها أحاديث تروي كلهن صحاح
فمن حلل التحريم أو حرم الذي أبيح فذاك الكفر منه صراح[٢]

وصدق من قال :

ليس التصوف بالتصفيق والطرب ولا بكثرة أكل القات والحطب
ولا بقهوة قشر البن إذ شُربت ولا بلبس عباء القمل والقشب
ولا بنكس رؤوس عند مطلبها ولا ببوس أكف الشخص والركب
ولا بضرب دفوف أو معازفها ولا العُكاف على المزمار والقصب
ولا برقص عنيف عند مسمَعِها ولا بتقليب كُمٍّ عند مُنْتَحب
بل التصوف موت النفس فاسع لها واسلك سبيلًا لخير الأنبيا تُصِبِ

الدليل الثالث والعشرون : إن هذه الحضرات هي استحسان لا يخالف الشرع

قالوا : إن إقامة مثل هذه الحضرات هي من إقامة ذكر الله تعالى وما دام قد ورد في النصوص الحض على ذكر الله فإن إقامة الحضرة الصوفية هو استحسان لا مخالفة فيه للشرع .

---

(١) الدر المختار (٤/٤٤٦) .

(٢) اتباع السنن للضياء المقدسي (٩٣) .

والجواب على هذا من وجوه :

الأول : أن القول بالاستحسان الذي مستنده الهوى في الشرع أصلاً ممنوع ومخالف لكمال الشرع المطهر الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

الثاني : أن الشرع المطهر ليس بحاجة إلى زيادة فيه فقد بينه النبي ﷺ وما ترك من شيء يقربنا إلا الله والجنة إلا وأمرنا به وما ترك من شيء يقربنا من النارويباعدناعن ربنا إلا ونهانا عنه فالاستحسان استدراك على الشرع

الثالث : أن المستحسن في الشرع لا يخرج عن رجلين : فإما أن يرى أن الزيادة من المطالب الشرعية ولكن لم يبلغها الرسول ﷺ فكأنه يتهم الرسول ﷺ بأنه خان الأمانة ولم يبلغ الرسالة فكان بذلك عاصيا وغير ممتثل لأمر الله . قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة : ٦٧] وذلك لا يتصور صدوره من مسلم يؤمن بالله ورسوله وإما أنه يرى أن هذه الزيادة ليست من الدين لكنه يستحسنها فكأنه نصب نفسه مشرعا يشرع لنفسه ما شاء(١) .

قال الإمام مالك : « من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] فما لم يكن يومئذ دنيا فلا يكون اليوم دينا »(٢) .

الرابع : أن العلماء قد نهواعن الاستحسان لأنه بمثابة تشريع شرع من دون الله

قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنه : « كل بدعة ضلالة وإن رأها الناس حسنة »(٣) .

---

(١) تقديس الأشخاص (٢٤٦/١) .

(٢) رواه اللالكائي (٩٢/١) وصححه الألباني في تخريج إصلاح المساجد ص١٣ .

(٣) الاعتصام للشاطبي (٣٧/١) .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : « من استحسن فقد شرع »[١] .

وقال : « إنما الاستحسان تلذذ » يعني اتباع للهوى[٢] .

الخامس : أنه ليس من حق بشر كائنامن كان أن يبتدع بدعة أو يضيف شيئاً إلى الشرع المطهر ويدعى أن هذا من الشرع إذ التشريع هو حق الرب عز وجل وليس من حق البشر، والناقص في الدين كالزائد فيه كلاهما مبتدع مشرع لذلك يقول النبى ﷺ : « إذا حدثتكم بحديث فلا تزيدن عليه »[٣] وإن إقامة حضرات الذكر بالصورة التى يمارسها الطرقية الصوفية قد اشمتت فينا الأعداء .

يقول القاسمي رحمه الله عن هذه الحضرات الصوفية : « وقد اتفق أن أحد الأجانب دخل بعض الأماكن وقد اجتمع مع جماعة من أهل الأهواء فرأهم يرقصون و يصيحون صياح جنون فقال لترجمانه : ماهذه الضوضاء ونحن نعلم أن صلاة المسلمين في غاية الخشوع والآداب وهذه الأمور ليست إلا هذيانا فقال له ترجمانه إن هذه أكبر صلاة عندهم، يريد تنفيرهم من الدين الإسلامي، ولا حول ولا قوة إلا بالله فالدين برئ من نسبة هذه البدع إليه فإن سيرة النبى ﷺ معلومة محفوظة إذ لم يترك الحفاظ وكتاب السير شيئا من أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته إلا دونوه وجاء الخلفاء الراشدون ومن عاصرهم على أثره ﷺ ومن المصائب الفظيعة تركهم الذكر الشرعي أو قولهم « لا إله إلا الله وإله بلام مغلظة » و « أه » و « هو » ثم الرقص وأكل النار وضرب الدف أو الناي والتارات ... ووضع الدبوس في الذراع والسيخ الحديد في الحنك والشيش وغيرها من المفتريات القبيحة »[٤] .

---

(١) الإحكام للآمدي (١٥٦/٤) .

(٢) الرسالة للشافعي فقرة (١٤٦٤) .

(٣) رواه أحمد (١١/٥) من حديث سمرة بن جندب وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣٤٦) .

(٤) إصلاح المساجد ص ٢٥٠ للقاسمي .

الدليل الرابع والعشرون : الاستدلال بالقياس

قالوا : الجَمَل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة فيهون عليه بالحداء[١] وقد قال الله تعالى ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] .

فإذا كان هذا في الجمل فالأولى والأحرى أن يهون السماع على السالك إلى طريق الله وعليه فلا بأس بالسماع الصوفي في الحضرات قاله القشيري عفا الله عنا وعنه . وهذا القياس الذى استدل به لهم[٢] القشيري لا يصح من وجوه :

الأول : قال ابن الحاج ردا على هذا القياس : « انظروا يا ذوي الألباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة إلى هذه السخافة، أو حسبك من مذهب إمامهم فيه الأنعام ... وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدي بأخبار المسلمين وعلمائهم ، وتقتدي بالإبل ، فلئن كان كل ماطربت به البهائم مندوباً أو مباحاً فإننا نرى البهيمة تدور على أمها وأختها وتركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا »[٣] .

وهذه الآية لا دليل فيها على الغناء ولا الرقص الذى يزعمه الطرقية .

قال الاستاذ محمد أحمد لوح رداً على القشيري : « وأما القياس الذي جاء به فغريب بل فاسد ، لأن هذه الآية إنما تتحدث عن آيات الله الكونية التى خلق منها الإبل، وليس هناك من يشير إلى مشاركة الإنسان لها في الخصائص حتى يقيس نفسه بها وفي الجملة هذه الآية لا تدل على الغناء ولا على الرقص ولا على السماع الصوفي لكن هؤلاء إذا أرادوا الاحتجاج على شيء مقرر عندهم توسعوا في القرآن والسنةو

(١) الحداء : سوق الإبل والغناء لها مختار الصحاح مادة (ح د و) .

(٢) الرسالة للقشيري (ص ٦٤٢) .

(٣) المدخل (١١٠/٣) .

وضعوهما في غير مواضعها وحادوا على سواء السبيل وما أدق عبارة الإمام بن الجوزي حين قال : « والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن[١] »[٢] .

الثاني : وما يبطل احتجاجهم بالقياس المذكور ماقاله القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية لما ذكر الله عز وجل أهل الدارين تعجب الكفار من ذلك فكذبوا وأنكروا فذكرهم الله صنعته وقدرته وأنه قادر على كل شيء ، كما خلق الحيوانات والسماء والأرض ، ثم ذكر الإبل أولاً لأنها كثيرة في العرب ولم يروا الفيلة فنبههم جل ثناؤه على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل ... بذلك على توحيده وعظيم قدرته[٣] .

الثالث : أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد تولى الرد على ما أثاره القشيري عفا الله عنه وسوف انقل رد شيخ الإسلام باختصار وتصرف يسير .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : « كون الصوت الحسن فيه لذة أمر حسي ، لكن أي شيء بني هذا مما يدل على الأحكام الشرعية ، من كونه مباحاً ، أو مكروهاً أو محرماً ، ومن كون الغناء قربة أو طاعة! بل مثل هذا أن يقول القائل : استلذاذ النفوس بالوطء مما لايمكن حجوده ، واستلذاذها بالمباشرة للجميل من النساء والصبيان مما لا يمكن حجوده ، واستلذاذها بالنظر إلى الصور الجميلة مما لم يمكن حجوده واستلذاذها بأنواع المطاعم والمشارب مما لايمكن حجوده فأي دليل في هذه لمن هداه الله على ما يحبه ويرضاه أو يبيحه ويجزه؟ ومن المعلوم أن هذه الأجناس فيها الحلال والحرام ، والمعروف والمنكر ، بل كان المناسب لطريق الزهد في الشهوات واللذات ومخالفة الهوى أن يستدل بكون الشيء لذيذاً أو مشتهي مع كونه مباينا

---

(١) تلبيس إبليس ص ١٥٩ .

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (٢١٠/١-٣٢١) .

(٣) الجامع الأحكام القرآن للقرطبي (٣٤/٢٠-٣٥) .

لطريق الزهد والتصوف كما قد يفعل كثير من المشايخ ويزهدون بذلك في جنس الشهوات واللذات وهذا وإن لم يكن في نفسه دليلاً صحيحاً فهو أقرب إلى طريقة الزهد والتصوف في الاستدلال بكون الشيء لذيذاً على كونه طريقاً إلى الله وكل من الاستدلالين باطل فلا يستدل على كونه محموداً أو مذموماً أو حلالاً أو حراماً إلا بأدلة شرعية لا بكونه لذيذاً في الطبع أو غير لذيذ ، ولهذا ينكر على من يتقرب إلى الله بترك جنس اللذات كما قال النبى ﷺ للذين قال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنام وقال الآخر : أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر : فأما أنا فلا آكل اللحم فقال النبى ﷺ : لكن أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، وآكل اللحم ، فمن رغب عن سنتي فليس منى »[1] وقد أنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة : ٨٧] . ثم أن أبا القاسم وطائفة معه تارة ، يمدحون التقرب إلى الله بترك جنس الشهوات وتارة يجعلون ذلك دليلاً على حسنه وكونه من القربات، وهذا بحسب وجد أحدهم وهواه لا بحسب ما أنزل الله وأوحاه ، وما هو الحق والعدل ، وما هو الصلاح والنافع في نفس الأمر والتحقيق أن العمل لايمدح ولا يذم لمجرد كونه لذة ،بل إنما يمدح ماكان الله أطوع وللعبد أنفع، سواء كان فيه لذه أو مشقة فرب لذيذ هو طاعة ومنفعة ، ورب مشق هو طاعة ومنفعة ، ورب لذيذ أو مشق جاء منهياً عنه . ثم لو استدل بهذا على تحسين القرآن به لكان مناسبا، فإن الاستعانة بجنس اللذات على جنس الطاعات مما جاءت به الشريعة ، كما يستعان بالأكل والشرب على العبادات ... فلو قال إن الله خلق فينا الشهوات واللذات لنستعين بهما على كمال مصالحنا فخلق فينا شهوة الأكل واللذة

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٠٢٠/٢) والنسائي (٤٩/٦-٥٠) وأحمد (٣/ ٢٤١،٢٥٩،٢٨٥) .

به ، فإن ذلك في نفسه نعمة وبه يحصل بقاء جسومنا في الدنيا وكذلك شهوة النكاح واللذة به ، هو في نفسه نعمة ، وبه يحصل بقاء النسل ، فإذا استعين بهذه القوى على ما أمرنا به كان ذلك سعاده لنا في الدنيا والأخره وكنا من الذين أنعم الله عليهم نعمة مطلقاًوإن استعملنا الشهوات فيما حظره الله علينا بأكل الخبائث في نفسها، أو كسبها كالمظالم أو بالإسراف فيها أو تعدينا أزواجنا أو ماملكت أيماننا كنا ظالمين معتدين غير شاكرين لنعمته لكان هذا كلاماً حسنا والله قد خلق الصوت الحسن وجعل النفوس تلتذ به ، فإذا استعنا بذلك في استمتاع ما أمرنا بإستماعه وهو كتابه ، وفي تحسين الصوت به ... كنا قد استعملنا النعمة في الطاعة وكان هذا حسناً مأموراً به ... فأما أن يستدل بمجرد استلذاذ الإنسان للصوت أو ميل الطفل إليه أو استراحة البهائم به على جوازه أو استحبابة في الدين فهو من أعظم الضلال وهو كثير في من يعبد الله بغير العلم المشروع ومن المعلوم أن الأطفال والبهائم تستروح بالآكل والشرب فهل يستدل بذلك على أن كل أكل وشرب فهو حسن مأمور به !! وأصل الغلط في هذه الحجج الضعيفة أنهم يجعلون الخاص عاماً في الأدلة المنصوصة، وفي عموم الألفاظ المستنبطة فيجنحون إلى أن ألفاظ في الكتاب والسنة أباحت أو حمدت نوعاً من السماع يدرجون فيها المكاء والتصدية ، أو يجنحون إلى المعانى التى دلت على الإباحة أو الاستحباب في نوع من الأصوات والسماع، ويجعلون ذلك متناولاً لسماع المكاء والتصدية وهذا جمع بين ما فرق الله بينه بمنزلة قياس الذين قالوا إنما البيع مثل الربا »[١] .

الدليل الخامس والعشرون: حسن الصوت نعمه ينبغي استخدمها في السماع الصوفي

قال أبو القاسم القشيري : إن حسن الصوت مما أنعم الله تعالى به على صاحبه

---

(١) الاستقامة (٣٣٨/١-٣٣٤) بتصرف .

من الناس قال الله تعالى ﴿ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ [فاطر : ١] قيل في التفسير من ذلك الصوت الحسن »[١] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « قلت : كون الشيء نعمة لا يقتضي استباحه استعماله فيما يشاء [الإنسان في المعاصي] ولا [يقتضى إلا] حسن استعماله بل النعم المستعملة في طاعة الله يحمد صاحبها عليها ويكون ذلك شكراً لله يوجب المزيد من فضله ، فهذا يقتضى حسن استعمال الصوت الحسن في قراءة القرآن فأما استعمال النعم في المباح المحض فلا يكون طاعة، فكيف في المكروه أو المحرم ؟ ولو كان ذلك جائز لم يكن قربة ولا طاعة إلا بإذن الله ومن جعله طاعة لله بدون ذلك فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله ومعلوم أن القوة نعمة ،والجمال نعمة وغير ذلك من نعم الله التي لا يحصيها إلا هو، فهو يجعل أحد مجرد كون الشيء نعمة دليلاً على استحباب إعماله فيما شاء الإنسان ، أم يؤمر المنعم عليه بألا يستعملها في معصية، ويندب ألا يستعملها إلا في طاعة الله تعالى فالاستدلال بهذا بمنزلة من استدل بإنعام الله بالسلطان والمال على ما جرت عاده النفوس باستعمال ذلك فيه من الظلم والفواحش ونحو ذلك فاستعمال الصوت الحسن في الأغاني والآلات وآلات الملاهي مثل استعمال الصوت الحسن في الفواحش واستعمال السلطان بالكبرياء والظلم بالعدوان واستعمال المال في نحو ذلك »[٢] .

الدليل السادس والعشرون : استدلالهم بقول الله تعالي ﴿فهم في روضة يحبرون ﴾ [الروم : ١٥] .

حيث جاء في تفسير ذلك أنه السماع[٣] قالوا قد ورد عن سلف الأمة أن المراد

---

(١) الرسالة للقشيري (٢ / ٦٤١) .

(٢) الاستقامة (١/٣٣٢-٣٣٣٩ .

(٣) الرسالة للقشيري (٢/٦٣٧) .

السماع في الجنة فهو يدل علي جواز السماع في الدنيا فقد قال يحيى بن أبي كثير : ﴿ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم : ١٥] قال : لذة السماع في الجنة .

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ : « وفي معني يحبرون أربعة أقوال : الأول : يكرمون . الثاني : ينعمون قال الزجاج : والحبرة في اللغة كل نعمة حسنة . الثالث : يفرحون . الرابع : أي الحبر : السماع في الجنة »[١] .

والجواب عن هذا الذي أوردوه عن وجوه :

الأول : أن التنعم بالسماع في الجنة لا يعني جوازه في الدنيا لذلك رد شيخ الإسلام ابن تيمية علي القشيري هذا الاستدلال .

يقول : فهنا (أي تفسير الحبور في الآية) ورد عن طائفة من السلف : أنه السماع في الجنة، وأن الحور يغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بأحسن منها، لكن تنعيم الله تعالي لعبادة بالأصوات الحسنة في الجنة واستماعها لا يقتضي أنه يشرع أو يبيح سماع كل صوت في الدنيا، فقد وعد في الآخرة بأشياء حرمها في الدنيا، كالخمر والحرير وأواني الذهب والفضة، بل قال ﷺ : « من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة »[٢] وقال : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة »[٣] . وقال : « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولكم في الأخرة »[٤] وهذه الأحاديث من الصحاح والمشاهير المجمع علي صحتها، فقد أخبر

---

(١) زاد المسير (٦/٢٩٢، ٢٩٣) .

(٢) رواه النسائي (٨/٢٨٥) وابن ماجه (٢/١١١٩) وأحمد (٦/٣١٥) .

(٣) رواه البخاري (٥/١٥٠) ومسلم (٣/١٦٤١- ١٦٤٢) وابن ماجه (٢/١١٨٧) وأحمد (١/ ١٢٣-١٢٤)

(٤) رواه البخاري (٧/١١٣) ومسلم (٣/١٦٣٧-١٦٣٨) وأحمد (٥/٣٩٠) من حديث خديجة رضي عنهم .

أنه من استعمل هذه الأمور في الدنيا : من المطعوم والملبوس وغيرها لم يستعمله في الآخرة، فلو قيل له : هذا السماع الحسن الموعود في الجنة هو لمن نزه مسامعه في الدنيا عن سماع الملاهي، لكان هذا أشبه بالحق والسنة »(١) .

الوجه الثاني : أنه يكفي في رد استدلال القشيري ومن تبعه بأن هذا الاستدلال لم يقل به أحد من العلماء قديماً وحديثاً لذا فهو استدلال باطل لا يلتفت إليه .

الوجه الثالث : أن الصوفية في مسلكهم هذا يحاولون البحث عن أي دليل أو شبه دليل ولو كان لا يمت بصلة إلي ما يفعلونه من السماع والرقص في حضراتهم وهذا شأنهم في كل بدعة يبتدعونها إما استحسان عقلي، أو اتكاء علي ما ليس بدليل أو ادعاء لا أساس له ولا برهان

الدليل السابع والعشرون : ما نسبوه إلي الإمام أحمد رحمه الله من مدح الصوفية وما هم عليه من الوجد والذكر .

وذكروه عن السفاريني عن إبراهيم بن عبد الله القلانسي رحمه الله أن الإمام أحمد قال عن الصوفية : لا أعلم أقواماً أفضل منهم . قيل : إنهم يستمعون ويتواجدون ؟ قال : دعهم يفرحون مع الله ساعة(٢) .

وقال ابن مفلح : « ذكر إلي الحافظ ابن الأخضر فيمن روي عن أحمد في ترجمة إبراهيم بن عبد الله القلانسي قال : قيل لأحمد بن حنبل إليه الصوفية يجلسون في المساجد بلا علم علي سبيل التوكل قال العلم أجلسهم، فقال : ليس مرادهم من الدنيا إلا كسرة خبز وخرقة . فقال لا أعلم علي وجه الأرض أقواماً أفضل منهم قيل : إنهم يستمعون ويتواجدون، قال دعوهم يفرحون عن الله تعالي ساعة قبل

---

(١) الاستقامة (١/٢٣٢- ٢٣٣) .

(٢) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١/٣٨٢)

: فمنهم من يغشي عليه ومنهم من يموت؟ فقال : وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون كذا روي في هذه الرواية والمعروف عنه خلاف هذا؟ ولعل مرادهم أنهم يستمعون ويتواجدون عند القرآن فيحصل لبعضهم ما يحصل من الغشي والموت كما كان يحصل ليحي بن سعيد القطان وعذره الإمام أحمد والله أعلم »[١] .

والجواب عما ذكروه هنا من وجوه : .

الوجه الأول : أن ما نسب إلي الإمام أحمد هنا من مدحه للصوفية في هذا الأثر لم يصح سنده إليه إذ إن هذه الحكاية موضوعة علي الإمام أحمد ومنسوبة إليه زورا و بهتاناً والمتهم بوضعها هو علي بن الحسن الطرسوسي .

قال الحافظ الذهبي رحمه الله في ترجمة « علي بن الحسن الطرسوسي الصوفي » وضع حكاية عن الإمام أحمد في تحسين أصول الصوفية رواه العتيقي[٢] وكذا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله. [٣] والحكاية مروية في الطيوريات والقصة مذكورة في سير أعلام النبلاء[٤] .

الوجه الثاني : وعلي فرض صحة الأثر عن الإمام أحمد فقد أفصح ابن مفلح عن معني تواجد الصوفية فليس معناه الرقص الذي يزعمون إنما معناه ما يعتري الشخص عن سماع القرآن من قشعريرة في بدنة أو غشيان أما الرقص وهز البطون والأرداف والأكتاف وغير ذلك مما يفعله صوفية زماننا فهذا مما لا شك في بدعيته وإثم صاحبه ومن المحال أن يمدح الإمام أحمد من يفعل .

الوجه الثالث : أن الإمام أحمد رحمه الله له كلام في التوكل علي الله والسعي في

---

(١) الآداب الشرعية (٣٢٢/٢، ٣٢٣)

(٢) ميزان الاعتدال (١٢٢/٣ رقم ٨٨١٩)

(٣) لسان الميزان (٢٢٠/٤)

(٤) سير أعلام النبلاء (٣١/٢٢)

طلب الرزق والإنكار علي من يجلسون في المساجد بدعوى التوكل وهم في الوقت نفسه يتكففون الناس .

وقد ذكرت طرفا من ذلك في رسالتي عن الموالد وما يحصل فيها .

فإذا كان قد ثبت عن الإمام أحمد الإنكار علي من فهم التوكل فهماً خاطئاً وصارا متواكلاً لا متوكلاً فكيف يزعم صاحب القصة أن الإمام أحمد مدح الصوفية؟ وبذلك يسقط الأثر سنداً ومتناً .



فصل

في التعقيب على كلام للإمام السيوطي

جمع السيوطي رحمه الله رسالة بعنوان « نتيجة الفكر في الجهر بالذكر »[١] ، وهى ضمن الحاوي للفتاوى وسبب جمعها ما ورد عليه من بعض الناس حيث سأل عما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به في المساجد ،ورفع الصوت بالتهليل وهل ذلك مكروه أم لا ؟

فأجاب السيوطي بقوله : « **إنه لا كراهة في شي من ذلك ، وقد وردت أحاديث تقتضى استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضى استحباب الأسرار بها ، والجمع بينها أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي بمثل ذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القران والأحاديث الواردة باستحباب الإسرار بها** » .

ثم شرع السيوطي في ذكر أحاديث الاجتماع على الذكر وقد ذكرت بعضها فيما تقدم لكن الغريب أن يفتي السيوطي رحمه الله بنفي الكراهة عما يفعله الصوفية في المساجد من عقد الحضرات وكلامه لا شك محجوج بكلام من سبقه من العلماء كابن قدامة والعز بن عبد السلام وأبو بكر الطرطوشي والقرطبي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ممن أنكروا على الطرقية إقامة هذه الحضرات بل ساق بعضهم كالقرطبي رحمه الله أن على السلطان ونوابه أن يمنع الطرقية من الحضور في المساجد وغيرها من إقامة الحضرات ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم، ولا يعينهم على باطلهم ، ثم قال وهذا مذهب مالك وأبي حنيفة والشافعي ، وأحمد بن

---

(١) ضمن الحاوي للفتاوى (٢ / ٢٣ - ٣١) .

حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين[(١)] . وقد ذكر سابقا أن الاحتجاج بالأحاديث الواردة في الاجتماع على الذكر على ما يصنعه الطرقية في الحضرة هو احتجاج في غير محله ، وإذا كان الإمام السيوطي رَحِمَهُ اللهُ يحتج لهم أيضاً بالأحاديث على إقامة هذه الحضرة كما نراها فهذا أيضاً مما لا يلتفت إليه لأن الأحاديث في واد وما يفعله الطرقية في واد آخر .

ثم إن الأحاديث التي فيها أن النبي ﷺ جهر بالذكر حملها بعض العلماء على سبيل التعليم وعلى فرض أنها ليست على سبيل التعليم فإن الجهر بالذكر حيث لا تشويش به على أحد أو أذية له وحسبك ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « ألا كلكم مناجٍ ربه فلا يجهر بعضكم على بعض » وإذا كان هذا في قراءة القرآن الذي هو أشرف الذكر فما بالك بما دونه فيجهر بالذكر حيث جهر النبي ﷺ كأدبار الصلوات وكذا في الحج بالتلبية ويسر به حيث أسر به ﷺ فنحن متبعون له قولاً وعملاً وبذلك تلتئم الأدلة وعلى هذا لا حجة لما ذهب إليه السيوطي رَحِمَهُ اللهُ من تصحيحه لما اعتاده الطرقية من إقامة الحضرات في المساجد وقد وقفت على كلام للسيوطي رَحِمَهُ اللهُ يناقض كلامه في جواز الرقص في حلق الذكر حيث طرح عليه سؤال عن إحداث الألحان في الذكر فكان جوابه « إن إحداث الألحان في الذكر بدعة لم تكن في عهد رسول الله ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا فعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا السلف الصالحين » .

قلت : كم كنت أتمنى أن يقول السيوطي هذا في إقامة الحضرات الصوفية على أنغام الآلات والرقص . ثم يقول رَحِمَهُ اللهُ : « **فإذا انضم إلى ذلك تمطيط الأحرف والإشباع في غير موضعه والاختلاس في غير موضعه والترقيص والتطريب وتعويج الحنك والرأس فهذا مغنٍ لا ذاكر** » .

---

(١) تفسير القرطبي (١١ / ٢٣٧ - ٢٣٨) وقد تقدم نص الكلام بالكامل .

قلت : أفيقال هذا فيمن ذكر بالألحان ولا يقال فيمن ذكر بالرقص وما زعموه بالاسم المضمر أو المفرد فأنظر كيف حكم عليه بأنه مغنٍ لا ذاكر فكيف لا يحكم على من يرقص في حلق الذكر المحرف بأنه رقاص لا ذاكر لله عز وجل؟ .

ثم يقول السيوطي بعد ذلك : « **وأخشى عليه أن يجاب من قبل الله باللعنة** » .

قلت : إذن فماذا يقال فيمن ذكر الله تعالى بأسماء ليست لله عز وجل؟ فمن باب أولى تشمله اللعنة ؟ ثم يقول : « **فإن سر الذاكر إحضار عظمة الله وهيبته في القلب بحضور وخضوع وإعراض عما سواه ، والملحن في شغل شاغل عن ذلك** » .

قلت : وكذلك الرقاص في حلق الذكر الصوفية في شغل شاغل عن ذلك وأني له استحضار عظمة الله وهو مخالف لهدي رسول الله ﷺ في طريقة الذكر ؟وأنى له استحضار الخضوع والخشوع وهو يقوم بحركات أهل السفه والهوس وأفعال أهل الجنون ؟

ثم يقول : « **وليعرض الإنسان على نفسه أن لو وقف شخص تحت بيته ونادي « آه يا سيدي فلان » وكرر ذلك بهذا التلحين والترقيص أكان يرضيه ذلك أو يعده قليل الأدب ؟ فالتأدب مع الله أولى وأحق**[1] » .

قلت : سبحان الله لماذا لا يقال هذا الكلام في حق الذين لا يذكرون الله تعالى على هدي رسول الله ﷺ ؟ لماذا لا يوجه الإنكار إلى الصوفية الطرقية وهم لا يقلون في قلة الأدب عمن ذكرهم السيوطي هنا في ذكرهم بالألحان والتمطيط إنني أدعو القارئ إلى التأمل في كلام السيوطي السابق ويقارن بين كلامه هنا في إنكاره على من يذكر الله بالألحان وكلامه في إباحته للصوفية الذكر في حلقات بالرقص والآلات الموسيقية ليشعر بالتناقض البين والله المستعان .



(١) الحاوي للفتاوى (٢ / ٥٣٠ - ٥٣١) .

فصل

في تلاعب الصوفية الطرقية بلفظ الجلالة « الله »

إن الناظر في أحوال الطرقية الصوفية ليكاد يتملكه العجب من كثرة ما يفعلونه ويقولونه في حضراتهم من المخالفات الشرعية فمنها وعلي رأسها فيما يزعمون الذكر بلفظ الجلالة فإن لهم فيه تلاعباً خطيراً حيث أنهم يزعمون أولاً أنه الذكر بالاسم المفرد ويعنون به لفظ الجلالة ويكررونه في الحضرة علي فترة من الفترات ثم بعد ذلك يزعمون أن هناك ما يعرف بالاسم المضمر « هو » ويظلون يذكرون به أيضاً وقتاً في حضرتهم المزعومة، ثم بعد ذلك يقولون إن هناك ما يعرف باسم الصدر وهو « أه أه أه » ويزعمون أنه من أسماء الله تعالي وأنه يخرج من الصدر وكثيراً ما نسمعهم في حضرتهم يردونه، ولا شك أن هذا كله من التلاعب بلفظ الجلالة ومن الإلحاد في أسماء الله تعالي حيث إن أسماء الله تعالي توقيفية، وطريق معرفتها الكتاب والسنة الصحيحة، وقد تتبعها العلماء الأجلاء وذكروا أنه لا يجوز لشخص كائنا من كان أن يخترع اسماً لله عز وجل ويسمي الله تعالي به لأن الله تعالي قال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

ومع هذا التهديد الوارد في الآية إلا أن بعض من طمس الله بصيرته، يصف الله تعالي بأوصاف لا تليق، بل وينسب إلي الله أسماء يسميها له ما أنزل الله بها من سلطان، فما أحوج هؤلاء إلي سلطان الشرع المطهر لتأديبهم قال ابن القيم رحمة الله في القاعدة السابعة من قواعد الأسماء والصفات لله عز وجل « أن ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي »(١) .

---

(١) بدائع الفوائد (١٦٧/١) .

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : « أسماء الله توقيفيه لا مجال للعقل فيها وعلي هذا فيجب الوقوف فيها علي ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد منها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالي من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك علي النص لقوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] ، وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] / ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه تعالي فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار علي ما جاء به النص »(١) .

قلت : ولا شك أن زعم الصوفية الطرقية أن أه أه هو اسم من أسماء الله هو بلا أدني ريب من الإلحاد في أسماء الله عز وجل .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : « وحقيقة الإلحاد فيها ميلها عن الصواب فيها وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وإخراج حقائق معانيها عنها، هذا حقيقة الإلحاد، ومن فعل ذلك فقد كذب علي الله، ففسر ابن عباس الإلحاد بالكذب أو هو غاية الملحد في أسمائه تعالي، فإنه إذا أدخل في معانيها ما ليس منها، وخرج بها عن حقائقها أو بعضها فقد عدل عن الصواب والحق، وهو حقيقة الإلحاد »(٢) .

وأيضاً فإن الزعم بأن اسم الصدر أه أه هو اسم من الأسماء الله هو تشريع في الدين ما لم بأذن به الله عز وجل فمن استحب الذكر بهذا فقد ضل وأضل

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله : « فمن ندب إلي شيء يتقرب به إلي الله،أو أوجبه بقوله أو فعله، من غير أن يشرعه الله، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به

---

(١) القواعد المثلي ص ١٣ .

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٠) .

الله، ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكاً لله شرع في الدين ما لم يأذن به الله ، قال الله تعالي : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشوري : ٢١] »(١) .

ومن التلاعب أيضاً ما زعمه بعض الطرقيين أنه يجوز الذكر بـ (إيل ولاها) وأنهما من أسماء الله تعالي ونسبوا ذلك لابن حجر الهيتمي .

قال الشيخ علي محفوظ رَحِمَهُ اللَّهُ : « والجواب أن هذه النسبة لابن حجر فرية ما فيها مرية، وكيف يقول مؤمن بصحة هذه النسبة له رحمة الله، وهو قد ألف كتابة المسمي : ب « كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع » تصدى به للرد علي هؤلاء الجهلة الكذابين » .

ثم قال : « لم يثبت في الشرع إطلاق(إيل ولاها)عليه تعالي لا بطريق صحيح ولا غيره، فقولهم إن إيل اسم الرحمن ولاها اسم المحبوب ممنوع، ومن أين لهم ذلك ؟ ﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل : ٦٤] علي أن كون لاها اسم لا يسوغ إطلاقه علي الله سبحانه وتعالي، إلا علي قول ضعيف، وهو جواز إطلاق ما دل علي كمال ولا يوهم نقصا وقيل : إن إيل في نحو جبرائيل بمعني عبد، وهو غير صحيح كما قال أبو علي السويسي وهذا لا يصح بوجهين : أحدهما : أنه لا يعرف من أسماء الله إيل : الثاني : أنه لو كان كذلك لكان آخر الاسم مجرواً » .

ثم نقل الشيخ علي محفوظ رحمة الله عن العلامة الأخضري والأمير والدرديري وغيرهم من المحققين قولهم : يحرم تقطيع أسماء الله تعالي بل ربما يخشى علي من حرفها وقطعها الكفر والعياذ بالله(٢) .



(١) مجموع الفتاوي (١٩٥/٤) .

(٢) الإبداع ص ٣١٩، ٣٢٠ .

فصل

في بدعة الذكر بالاسم الفرد أو المضمر أو اسم الصدر

هذا ومما أفرزته تلك الحضرات الصوفية ما يزعمه أربابها من الذكر بالاسم المفرد حيث شرعوا لأتباعهم أذكاراً غريبة لم يعرفها الجيل الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان بل ولم تؤثر عن نبي الرحمة ﷺ حيث زعموا الذكر بتكرار اسم الجلالة الله، الله أو هو، هو أو أه، أه أو ها، ها، أو هي، هي، وكل ذلك لم يرد عن رسولنا ﷺ أنه أمر به أو حض عليه في الذكر .

يقول عمر الفوتي وهو من دعاه التجانية : لا حرج علي الذاكر ما دام مغلوب الاختيار، يستعمله كيف شاء من أنواع مختلفة كلها محمودة وصاحبها مشكور عليها، فلها كلها أسرار فربما يجري علي لسانه : الله الله الله، أو هو هو هو، أو لا لا لا لا لا، أو آ آ (بالمد) أو أ أ أ أ أ (بالنقر) أو آه آه آه آه آه آه، أو ها ها ها ها ها ها ها، أو هـ هـ هـ[١] .

والعجيب أنهم يسمون هذا الذكر بـ «ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق » ، وأوله عندهم الله الله الله، وآخره : لله لله لله آه آه أه آمين هو هو هو »[٢] .

والناظر في الحضرات التي يقيمها الدسوقية والخلوتية والشاذلية، والبرهانية والخليلية والقادرية والتجانية والحلوانية، وغيرها من الطرقية يجد أنه قلما تخلو حضرة من الحضرات عندهم من الذكر بالاسم المفرد حتى أن بعض أقطابهم كان يحرص عليه أكثر من قول لا إله إلا الله زعماً منه أنه لا إله إلا الله فيها نفي واثبات فربما فاجاءه الموت وخاف و ذكرالنفي ولم يتمكن من ذكر الإثبات ولا شك أن

---

(١) الرماح (١/١٦٨- ١٦٩) .

(٢) المصدر السابق (١/٢٣٥- ٢٣٦) .

هذا باطل وهراء .

قال ابن عربي : دخلت علي شيخنا أبي العباس العربي من أهل العليا، وكان مستهترا[(١)] بذكر الاسم المفرد « الله » لا يزيد عليه شيئاً، قلت له : يا سيدي لم لا تقول : لا إله إلا الله؟ فقال لي : يا ولدي الأنفاس بيد الله، ما هي بيدي فأخاف أن يقبض الله روحي عندما أقول : لا أو لا إله فاقبض في وحشة النفي[(٢)] . وقد رد هذا الكلام الأستاذ محمد أحمد لوح قال « وأما التعليل الذي ذكره أبو العباس العربي لابن عربي حيث ذكر له أنه يذكر باللفظ المفرد لأنه يخاف إذا قال : لا إله إلا الله أن يموت بين النفي والإثبات فلا يخرج عن كونة تلبيساً أخر غير مسوغ للخروج عما ثبت بالسنة ، ويظهر بطلانه من أوجه .

أ- أن النبي ﷺ الذي أمر المسلمين بذلك كان يعلم أن الأعمار بيد الله، ولم ينقلهم من الذكر بالتهليل إلي اللفظ المفرد، وبذلك يكون الامتناع عن قوله لا إله إلا الله استدراكاً علي المعصوم، وفي ذلك من الخطورة ما لا يخفي .

ب- أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال : « أن العبد لو أراد أن يقول لا إله إلا الله ، ومات قبل إكمالها لم يضره ذلك شيئاً، إذ الأعمال بالنيات، بل يكتب له ما نواه »[(٣)] .

ج- أن النبي ﷺ : « قال لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » « وقال لأبي طالب وهو علي فراش الموت : يا عم قل لا إله إلا الله »[(٤)] .

فلو كان الخوف من الموت بين النفي والإثبات موجباً غير لا إله إلا الله لم

(١) أي كثير الذكر بها .

(٢) الفتوحات المكية (١٢٤/٥-١٢٥) .

(٣) مجموع التفاوي (٥٥٧/١٠) .

(٤) رواه مسلم (٦٣١/٤) وغيره .

يأمر ﷺ بتلقينه لمن هو مشرف علي الموت لأن موته قائم في أي لحظة[١] .

قلت : وهذا التعليل الذي ذكره أبو العباس شيخ ابن عربي إنما أوتيه من جهل بالسنة وإلا فلو كان على علم بها لم يتفوه بمثل هذا وقد ذكر النبي ﷺ فضل لا إله إلا الله فقال في الحديث : « أفضل الذكر لا إله إلا الله »[٢] .



(١) تقديس الأشخاص (١/٢٨٠-٢٨١) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣٨٣) وأبي ماجة (٣٨٠٠) وابن حبان (٨٤٣) والحاكم (١/٣٠٥) وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٠٤) .

فصل

في ذكر كلام أهل العلم في بطلان ما يعرف بالذكر المفرد أو المضمر

وأما تمسكهم بالذكر بالاسم المفرد فلم يرد فيه أثر ولا شبه أثر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وأما الاقتصار علي الاسم المفردمظهراً أو مضمراً[١] ، فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين، بل هو وسيلة إلي أنواع من البدع والضلالات، وذريعة إلي تصورات أصول فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد » .

قلت : يقصد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الذي يقول « هو هو هو ... الخ » لابد أن يتصور في مخيلته تصورات قد تصل به إلي قول أهل الاتحاد والإلحاد

وقال أيضاً : « والذكر بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً بدعة في الشرع، وخطأ في القول واللغة، فإن الاسم المجرد ليس هو كلاماً لا إيماناً ولا كفراً »[٢] . وسيأتي مخالفة هذا القول أعني الذكر بالاسم المفرد للغة .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فأما الاسم المفرد مظهراً مثل : الله الله ، أو مضمراً مثل هو هو، فهذا ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدي بهم، وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين »[٣] .

قلت : وكفى بقول يخالف قول الأعيان المقتدي بهم كفي به سقوطاً .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وكذلك ظهر بالأدلة العقلية الذوقية أن الاسم وحده لا يعطي

---

(١) المظهر يعني « الله » والمضمر « هو » .

(٢) مجموع الفتاوي (٣٩٦/١٠) .

(٣) العبودية (ص ٤٨) .

إيماناً ولا كفراً، ولا هدي ولا ضلالاً، ولا علماً ولا جهلاً، وقد يذكر الذاكر اسم نبي من الأنبياء أو فرعون من الفراعنة، أوصنم من الأصنام، ولا يتعلق بمجرد ذكر اسمه حكم إلا أن يقترن به ما يدل علي نفي أو إثبات، أو حب أو بغض، وقد يذكر الموجود والمعدوم »(١) .

ومن عجيب شأن القشيري الصوفي عفا الله عنا وعنه أنه كان يروج لهذه الأذكار في كتبه فيقول : « كان من بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول الله الله ، فوقع يوماً علي رأسه جذع فشدخ رأسه وسقط الدم فأكتتب علي الأرض الله الله »(٢) .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : « والذكر بالاسم المضمر أو المفرد أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلي إضلال الشيطان فإن من قال : يا هو يا هو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائداً إلا ما يصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل »(٣) .

وقال أيضاً : « والاسم المفرد لا يكون كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض بل ولا أهل السماء، وإن كان وحده كان معه غيره مضمراً، أو كان المقصود به تنبهاً، وإشارة كما يقصد بالأصوات التي لم توضع لمعني لا أنه تقصد به المعاني التي تقصد بالكلام، ولهذا أعد الناس من البدع ما يفعله بعض النساك من ذكر الله وحده بدون تأليف كلام فإن النبي ﷺ قال : « أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد الله والله أكبر »(٤) .

وقال : « أفضل الدعاء ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا

---

(١) مجموع الفتاوي (٥٦١/١٠) .

(٢) الرسالة القشيرية (٤٧١/٢)

(٣) العبودية ص ٨١-٨٢ .

(٤) رواه الترمذي (٣٣٨٣) وابن ماجه (٣٨٠٠) وابن حبان (٨٤٣) والحاكم في المستدرك (٥٠٣/١) وصححه الألباني وصحيح الجامع (١١٠٤) .

شريك له له الملك وله الحمد وهو علي كل شئ قدير »[١] . وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أمته ذكر الله تعالي بالجمل التامة مثل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهي من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر »[٢] وفي صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وغربت »[٣] . وقال : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة »[٤] ، وأمثال ذلك فظن طائفة من الناس أن ذكر الاسم المفرد مشروع بل ظنه بعضهم أفضل في حق الخاصة من قول لا إله إلا الله »[٥] .

ويقول : « ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر فهم غالطون »[٦] .

قلت : وما ذكره شيخ الاسلام هنا من أن الصوفية الطرقية يقسمون الذكر إلي ذكر عوام وذكر خواص هو بالفعل موجود في كتبهم

يقول أبو الفيض المنوفي : « للنفس الأمارة : الاستغفار، واللوامة : لا إله إلا الله وللملهمة : الله، والراضية : هو، والمرضية : هي ،والكاملة : قيوم ثم : ودود ثم : حكيم . ووراء ذلك كله اسم السر، وهذا لا يعطيه الشيخ إلا من ساوره، وهو سر

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٩) وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة (٤/٦) ولفظه خير الدعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون . . .

(٢) رواه مسلم (٢١٣٧) .

(٣) رواه مسلم (٢٦٩٦)

(٤) رواه أبو داود (٣١١٦) وأحمد في المسند (٥/٢٣٣) والحاكم في المستدرك (١/٣٥١) وصححه .

(٥) الرد علي المنطقيين ص ٣٥ لابن تيمية .

(٦) العبودية ص ٨٣ لابن تيمية .

عنده يدخره لمن يري فيه شأناً لله يقتضي أن يكون مرشداً أو عارفاً متصلاً »[١] .

فبالله عليك أيها القارئ لهذا الكلام أكان رسول الله ﷺ يقسم الذكر إلي ذكر للعوام وآخر للخواص كما يفعل هؤلاء الطرقية؟ وهل كانت كلمة التوحيد لقوم ولفظ الجلالة لغيرهم؟ ففي أي كتاب أم بأي دليل قسم الطرقية الذكر هكذا؟ . اللهم إلا الهوي البحت والله المستعان .

ويقول أيضا : « وقد وقع بعض من واظب علي هذا الذكر بالاسم المفرد وبـ « هو » في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد »[٢] .

قلت : وهذه عاقبة من يخالف السنة الضلال والانحراف مصيره، والخروج عن الشرع طريقه .

ويقول الشيخ أيضاً : « والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمي بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر، ويجذب القلوب إلي الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية »[٣] .

فإن قيل : إن هذا الضمير إنما يعود إلي الذات العلية فهو اسم من هذا الوجه، قيل، لو جاز ذلك لكان الضمير « أنت » في قول عيسي عليه الصلاة والسلام في الرب ﴿ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦] اسماً من أسمائه أيضاً ولكان كل ضمير يتحدث به المولى عن نفسه أو يرد في كلام عباده عائداً إليه هو من أسمائه، وهذا لم يقل به أحد، وحيث يظل ذلك فيبطل بالأولي اختصاص لفظه (هو) بذلك »[٤] .

---

(١) معالم الطريق ص ٣٥١ .

(٢) مجموع الفتاوي (١٠/٢٣٣) .

(٣) العبودية ص ٨٢ .

(٤) خلاصة الموقف السليفي من التصوف ص ٣١ هامش (١) لعبد السلام بن عبد الكريم .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : « ونظير هذا استشهادهم بقوله تعالي : « ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ [الأنعام : ٩١]، حتي رتب علي ذلك بعضهم أن الذكر بالاسم المفرد وهو « الله ، الله » أفضل من الذكر بالجملة المركبة كقوله « سبحان الله ، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، وهنا فاسد مبني علي فاسد فإن الذكر بالاسم المفرد غير مشروع أصلاً، ولا مفيد شيئاً، ولا هو كلام أصلاً، ولا يدل علي مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ، ولا ثواب، ولايدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر : « الله، الله » من أول عمره إلي آخره لم يصر بذلك مسلماً فضلاً عن أن يكون جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار »(١) .

وممن أنكر علي الطرق الصوفية الذكر بالاسم المفرد وما يأتون به في حضراتهم الأمير الصنعاني حيث نقل عنه الشيخ صديق حسن خان قوله : « أما المسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ويقولونها بألسنتهم، ويخرجونهاعن لفظها العربي، فهم من أجناد إبليس اللعين، ومن أعظم حمر الكون، الذين ألسنتهم حلل التلبيس والتزيين، لما أن إطلاق لفظ الجلالة مفرداً عن إخبار عنها بقولهم : « الله الله » ليس بكلام ولا توحيد، وإنما يلعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن لفظه العربي، ثم إخلاؤها عن المعني . ولو أن رجلاً عظيماً صار مسمي وفريد، وصار جماعة يقولونه « زيد زيد » لعد ذلك استهانة وسخرية لاسيما إذا زادوا إلي ذلك تحريف اللفظ ثم انظر هل أتي في لفظه في الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها؟ ؛ إذ الذي فيها هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل، وهذه أذكار رسول الله ﷺ وأصحابه، خالية من هذا الشهيق والنهيق والنعيق، التي عتادها من هو عن هدي رسول الله ﷺ وسمته ودله، في مكان سحيق »(٢) .

---

(١) طريق الهجرتين ص ٣٤٦ .

(٢) الدين الخالص (٣/٥٧٧، ٥٧٨) لصديق حسن خان .

ثم قال : فإن قلت : إنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ويضيفون إليها أهل الخلاعة والبطالة خوارق عادات وأمور تظن كرامات كطعن أنفسهم وجملهم لمثل الحنش، والحية والعقرب، وأكلهم النار ومسهم إياها بالأيدي، وتقلبهم فيها بالأجسام .

قلت : هذه أحوال شيطانية، وإنك لملبوس عليك إن ظننتها كرامات للأموات، أو حسنات للأحياء لما هتف هذا الضال بأسمائهم جعلهم أنداداً لله، وشركاء له في الخلق والأمر[١] .

ومن ذم وأنكر ذكر الصوفية ، بالاسم المفرد العلامة العز بن عبد السلام حيث صرح بأن ذلك بدعة .

فقد نقل الحطاب المالكي في آخر باب الردة من شرحه لمختصر خليل أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام سئل عمن يذكر بصفة (الله الله) مقتصراً علي ذلك هل هو مثل سبحان الله والحمد لله ؟ فأجاب بقوله : هذه بدعة لم تنقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من السلف .

تنبيه

أما تعقب الزمرمي الغماري[٢] للعز بن عبد السلام فممالا يلتفت إليه حيث لم يأت علي ما ذكره بدليل سوي إجماعات الصوفية علي الذكر بالاسم المفرد وأنه مما درج عليه سلفهم وخلفهم وذكر ترهات أخرى لا يشتغل بها .

ومن أنكر الذكر بالاسم المفرد : الشيخ محمد عليش مفتي المالكية حيث نقل عن العز بن عبد السلام فتوي في بدعية ذلك وأقرها وارتضاها وهاك نصها : سئل

(١) المصدر السابق (٥٧٨/٣) .

(٢) الانتصار لطريق الصوفية الأخيار .

العز بن عبد السلام عمن يذكر بصيغة الله الله مقتصراً علي ذلك هل هو مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر وما أشبه ذلك أم لا ؟ وإذا لم يكن مثل فهل هو بدعة لم تنقل عن السلف أم لا؟

فأجاب : بقوله : « هذه بدعة لم تنقل عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من السلف وإنما يفعله الجهلة والذكر المشروع كله لابد أن يكون جملة فعلية أو أسمية وهو مأخوذ من الكتاب والسنة وأذكار الأنبياء والخير كله في اتباع الرسول ﷺ واتباع السلف الصالح دون الأغبياء الجاهلين نقله الحطاب رحمه الله »[1] .


تنبيه

سمعت مفتي مصر الدكتور علي جمعة يزعم أن الشيخ عليش تراجع عن فتواه في بدعية الذكر بالاسم المفرد عندما تقابل مع الشيخ محمد ظاهر المدني . وما قاله المفتي يحتاج إلي توثيق وإلا فالحكايات كثيرة عن الصوفية ولا خطم لها ولا زمام والثابت عندنا ما ذكرته عن الشيخ عليش رحمه الله وهو مسطور في كتابه الذي نقلت منه .

كما زعم المفتي أن الإمام العز بن عبد السلام تراجع عن فتواه أيضاً لما تقابل مع أبي الحسن الشاذلي ولست أدري من أي مصدر أخذ هذا . هذا وإن مما يبطل القول بأن « هو هو » من أسماء الله تعالي كما يزعم الطرقية أن العلماء الذين ألفوا في جمع أسماء الله الحسني كالقرطبي وابن العربي وابن القيم وابن حجر والطيبي وغيرهم لم يرد عن واحد منهم أنه ذكر أن : « هو ، هو » من أسماء الله تعالي، فضلاً عن كونه الاسم الأعظم كما يدعي الطرقية[2] ، فأخبرونا في أي كتاب من كتب العلماء المحققين نص علي أن الاسم المفرد هو اسم من أسماء الله تعالي كما

(١) فتح العلي المالك (١/٢٩) .

(٢) نقل الفخر الرازي عمن سماهم أهل الكشف أن « هو هو » الاسم الأعظم ونقل ذلك السيوطي في الدر المنظم في الاسم الأعظم ص ٣٢ ضمن الحاوي للفتاوي (٣٢/٣) .

تزعمون؟ بل إن « هو » لا يستعمل إلا ضميراً منفصلاً فكيف يزعمون أنه اسم من أسماء الله تعالي ؟ .

والحق أن ادعاء أن « أه أه » أو غيرها مما يزعم الطرقية أنه من أسماء الله هو في الحقيقة الحاد في أسماء الله الحسني وقد نهي الله عن ذلك فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ومن وصف الله تعالي بغير ما وصف به نفسه وسماه باسم لم يسم به نفسه أو اختراع اسم له لم يرد في كتابه ولا علي لسان رسول الله ﷺ فقد ألحد أكبر الإ لحاد في أسمائه الحسني .

قال العلامة أبو بكر بن العربي : « ويقال : الحد ولحد إذا مال والإلحاد يكون بوجهين : بالزيادة فيها، والنقصان منها، كما يفعله الجهال الذي يخترعون أدعية يسمون فيها البارئ بغير أسمائه، ويذكرونه بما لم يذكروه من أفعاله، إلي غير ذلك مما لا يليق به، فحذار منها، ولا يدعون أحد منكم إلا بما في الكتب الخمسة وهي كتاب البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود والنسائي فهذه الكتب هي بدء الإسلام، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف، وذروا سواها، ولا يقولن أحد أختار دعاء كذا، فإن الله اختاره وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله »(١) .

قلت : كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ جيد ولكن لا ينبغي قصر الدعاء علي ما في الكتب الستة التي ذكرها فقد ورد في سنن البيهقي والطبراني في معاجمه الثلاثة والدارمي وغيرها ومسند الإمام أحمد الأدعيه : التي صحت عن رسول الله ﷺ لكن أعجبني قوله : « كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون بها الباري بغير أسمائه وهو بالفعل ما ينطبق علي هؤلاء الطرقية في زعمهم الذكر بالاسم المضمر أو الذكر بـ أه أه أه » .

---

(١) أحكام القرآن لابي بكر بن العربي (٢/٨٠٥) .

وعلم بهذا أن الذكر بهذا الاسم بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال الشيخ علي محفوظ رَحِمَهُ اللَّهُ وهو يعدد بدع الصوفية : « ومن بدعهم أنهم خرجوا عن الذكر الشرعي إلي ذكر محرف يخالف الكتاب والسنة والإجماع ... وهؤلاء قد أحدثوا في الدين ما ليس منه وتعبدوا بما لم يرد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه ولا عن صالح المؤمنين ولا ريب أن تحريف أسماء الله تعالي من أقبح البدع المحرمة إذ فيه إخراجها عن حقيقتها الواردة عن رسول الله ﷺ فهو من الإلحاد المحرم بالإجماع »[١] .

ثم نقل عن الفخر الرازي قوله : « إن من جملة الإ لحاد أن تسميه تعالي بما لم يسم به نفسه كالسخي وأبي المكارم لعدم وروده[٢] وإن دل علي كمال في ذالك بالألفاظ التي شاع سماعها من غالب أرباب الطرق اليوم المشتملة علي الفظاظة والكيفيات المنكرة فهم يتقربون إلي الله تعالي بالسيئات فهي أحرى باسم الإلحاد والضلال ثم نقل عن الصاوي في حاشيته علي الجلالين قوله « ويطلق الإلحاد علي التسمية بما لم يرد وهو بهذا المعني حرام لأن أسماءه توفيقية ... فمن خرج في ذكره عن الكتاب والسنة فقد أهلك نفسه ومن تبعه »[٣] .

ثم قال الشيخ علي محفوظ رَحِمَهُ اللَّهُ : « ومن بدعهم أنهم يذكرون بالحلق، ومعلوم أن مورد الذكر اللسان والحلق والشفتان، وبالحلق فقط صوت ساذج، وبالقلب فقط ليس أيضاً بذكر بالكسر بل ذكر بالضم وليس الكلام فيه وقد اختلف في جواز الذكر بالاسم المفرد، فذهب كثير منهم إلي أنه لابد في الذكر من الجملة لأنها مفيدة، ولا يصح بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً لأنه ليس بكلام تام ولا جملة

(١) الإبداع ص ٣١٢، ص ٣١٣ .

(٢) الإبداع ص ٣١٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٣١٣ .

مفيدة، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر، ولا أمر ولا نهي، ولم يذكر أحد من السلف، ولا شرع ذلك رسول الله ﷺ، والشريعة إنما ورد بها من الأذكار ما يفيد بنفسه ... ثم قال رحمه الله وقالوا أيضاً يجوز الذكر بهو وها وهي، والجواب إنها دعوي لا دليل عليها بأن ها وهي من الضمائر المؤنثة فلا يجوز الذكر بها إذ لم ترد لا في كتاب ولا سنة وما وقع في كتب المخذولين لا يلتفت إليه[١] .

وقالوا[٢] : يجوز الذكر بلفظ (أه) لما ورد أنه الاسم الأعظم ونقول لهم لم يثبت من طريق صحيح أنه اسم من أسمائه تعالي، وقد علمت أن أسماءه تعالي توقيفية[٣] .

وكذلك أنكر الذكر بـ (أه) بعض شيوخ الأزهر السابقين فقد نقل الشيخ علي محفوظ رحمه الله عن الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي فتوي في ذلك .

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله : « وقد أفتي المرحوم[٤] الشيخ محمد أبو الفضل شيخ الجامع الأزهر في هذه المسالة فقال رحمه الله عليه ما نصه « إن هذا اللفظ المسئول عنه (أه) بفتح الهمزة وسكون الهاء ليس من الكلمات العربية في شئ بل هو لفظ مهمل لا معني له مطلقاً، وإن كان بالمفهوم إنما يدل في اللغة العربية علي التوجع، وليس من أسماء الذوات فضلاً عن أن يكون اسماً من أسماء الله الحسني

---

(١) الإبداع ص ٣١٧ .

(٢) هم أرباب الطرق الصوفية والشيخ يرد عليهم .

(٣) ا لإبداع ص ٣٢٠ .

(٤) هذا اللفظ بصيغة المفعول والحكم القطعي مخالف للسنة، وما أجمع عليه السلف، من أن لا يجزم لأحد بعينه بأنه مغفور أو مرحوم . . . راجع تنبيه النبلاء ص٥٥ للمعصومي وتعليق الشيخ الألباني علي الطحاوية وفي الدرر السنية (٦/٣٥٨) عن الشيخ عبدالله أبابطين أنه قال « (بل يقول الله يرحمه » . راجع معجم المناهي للشيخ بكر أبو زيد ص ٤٤٩ .

التي أمرنا أن ندعوه بها ... إلي أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ ولا يجوز التعبد بشيئ لم يرد الشرع بجواز التعبد به وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(١) .

وعن ذكر الصوفية والرقص في الحضرات ، يقول الشيخ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللَّهُ « هذه هي صورة الذكر الصوفي وما هكذا ذكر الرسول ربه، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم، ما ذكروه باسمه المفرد، ولا ذكروه في ميل وتأوه، وما ذكروه بقيادة واحد منهم ينطق بالاسم مصفقاً، وينطقون به وراءه، وما ذكروه ولهم منشد، وما ذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل، وتصك جنباته ، ما ذكروه بالنايات والطبول والدفوف، ولكنهم ذكروه كما علمهم رسول الله ﷺ أما من ذكر الله ذكر الصوفية، فهم مشركوا الجاهلية . قال تعالي : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال : ٣٥]أو عبده العجل في اليهودية »(٢) .

وقال الشيخ بكر أبو زيد في الدعاء بـ « ياهو » : « هذا من جهله الصوفية، وهو خطأ؛ لأنه لا ينادي لفظ ضمير الغائب لغة، ويمتنع دعاء الله تعالى بذلك كما يمتنع شرعاً فهو ممتنع لغة قال أبو حيان « وقول جهله الصوفية في نداء الله يا هو ليس جارياً علي كلام العرب »(٣) .

وقال أيضاً عن ذكر الصوفية « هو هو » : « هذا من أذكار الطرقية المبتدعة وأسماء الله تعالي وصفاته توفيقية ولا أصل لهذا الذكر في الكتاب ولا السنة ولا عمل الصحابة رضي الله عنهم وإنكار هذا منتشر في كتب أهل السنة والله أعلم »(٤) .

---

(١) نقلها في الإبداع ص ٣٢٠ .

(٢) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل .

(٣) معجم المناهي اللفظية ص ١٨٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٤٨ .

ومن الجدير بالذكر أن ابن عربي الصوفي له مؤلف باسم « الهو » وللحلاج الذي قتل بسيف الشرع علي الزندقة له أيضاً كتاب باسم « هو هو »[(١)] .

قال الشيخ بكر أبو زيد علي قول الصوفية : « يا من لا هو إلا هو » هذا من الأدعية بالباطلة المخترعة في دلائل الخيرات للجزولي فإن الهو ليس من أسماء الله تعالي، ولذا فلا يجوز الدعاء به[(٢)] .

وممن أنكر رقص الصوفية في الحضرات وإنشادهم المسمي بالسماع الصوفي الشيخ محمد حسنين مخلوف رحمه وله رسالة بعنوان : « القول الوثيق في الرد علي أدعاء الطريق » بين فيها حكم الشريعة الغراء في حفلات الرقص الصوفي وكانت هذه الرسالة إجابة علي سؤال طويل وجه إلي الشيخ محمد حسنين مخلوف رحمه الله يتضمن السؤال الاستفتاء عن حلق الأذكار وحكمها وحكم التحريف في الأسماء الشريفة والرقص حال الذكر والإنشاد والطبل والزمر والتصفيق بالأيدي، وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن ذلك كله وأقر ما قبلته قواعد الشريعة ونصوصها، ورفض ما عدا ذلك، وبدع فاعلية، وشنع عليهم وسوف أنقل هنا بعض فقرات من الرسالة التي عرضت منها مجلة الإسلام[(٣)] فقرات يقول الشيخ محمد حسنين مخلوف رحمه الله : « أعلم أن ذكر الله علي الطريقة الشرعية من أفضل الأعمال وأعظم القربات، التي حث عليها الشرع لما له من جميل الأثر في تهذيب النفوس، واطمئنان القلوب، واستنزال الرحمات، وقمع الشهوات ... وقال : « وأجمع المسلمون علي حرمة الإلحاد في أسمائه والتحريف في آياته وعلى حرمة ذكره علي وجه ينافي الإعظام

---

(١) راجع الإعلام للزركلي (٢/٢٦٠)

(٢) معجم المناهي اللفظية ص ٥٤٨ وقد أحال علي الألفاظ الموضحات للدويش (٢/ ٥١) .

(٣) ومنها نقلت وهي مجلة قديمة جداً كانت تصدر في مصر ويرأس تحريرها الشيخ عبد الرحمن خليفة وهو أبوالدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ .

والإجلال قال تعالي : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ولا ريب أن اللحن في الكلمة المشرفة إلحاد وتحريف في الاسم الشريف ، وذكر له تعالي علي وجه لا تسبيح فيه ولا تقديس، ولم يسمع عن أحد من الصحابة والتابعين ومن يعول عليه من أئمة الدين وأهل الطريق أنه ذكر الله تعالي أو قال بجواز الذكر علي غير الوجه المشروع الوارد كتاباً أو سنة المتلقي من أفواه الرواه والشيخ بالكيفية المعروفة بين أهل الأداء المضبوطة في الكتب وقد نصوا علي أن أسماء الله تعالي توفيقية لا تثبت وصفاً أو كيفية إلا بكتاب أو سنة صحيحة، وأن الكلمة المشرفة من القرآن والزيادة كالنقص حرام »(١) .

قال العلامة الأخضري :

ومن شروط الذكر ألا يسقطا بعض حروف الاسم أو يفرطا
في البعض من مناسك الشريعة فتلك حقاً بدعة شنيعة

وقال الشيخ : « وما يتعلل به بعض القاصرين لتجويز الذكر بالاسم الشريف مقصوراً ، وبغيره علي أي كيفية وقع من قوله عليه الصلاة والسلام « إنما الأعمال بالنيات » وما ينقله مشايخهم من أن هذا الذكر بهذه الهيئة كان في عصر فلان وفلان من آبائهم وأسلافهم الغابرين فمردود بهذه النصوص الواضحة، وبأن النية لا تقرن بالعمل علي الوجه المشار إليه في الحديث إلا إذا أتمت صورة العمل وهيئته المبينة في الشرع، وإن تشبثهم بما أقره أسلافهم وتركهم أوامر الدين في ذلك

---

(١) قال الشيخ محمد محمد سليمان تعليقاً : وقد رأي كاتب هذه السطور من ذاكري هذه الأيام العجب العجاب ما بين قصر للفظ الجلالة، إلي إضاعة للهاء الأخير منه، إلي إضافة للأحرف كلها، وما ثم إلا صوت ساذج، وما إلي ذلك مما لا يمت إلي الأسماء الشريفة بصلة، وكل هذا قطعاً حرام قوله وسماعة ومن لم يزل المنكر فليزل عنه « ولا تركنوا إلي الذين ظلموا فتمسكم النار » [هود: ١١٣] مجلة الإسلام .

كتشبث اليهود والنصارى بقولهم : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

وقال : « لا خلاف في أنه تجب مراعاة الحدود والآداب الشرعية التي ذكرها الفقهاء والسادة الصوفية في الذكر فلا يجوز تخطيها والإتيان بما ينافيها كما تقضيه العقول الصحيحة والنصوص الشرعية فالهزة والتمايل أثناء الذكر إذا كانا بما له لا تنافي الآداب وجلالة المشهد ووقار الذكر فلا بأس بهما، . . . وإن كانا بحالة تنافي الآداب، وتخرج بالذكر عن السمت اللائق والوقار الواجب كما يفعل الجهلة الآن عن التولي بالوجوه إلي الظهور والنزول بالرؤوس علي الإقدام والتثني والتكسر والرقص والاضطراب، فلا شك في حرمتها »(١) .

قال الشيخ محمد عبد السلام الشقيرى رَحِمَهُ اللهُ : « واجتماع الصوفية للذكر (الرقص) بعد الجمعة بالشخير والنخير والإلحاد في أسماء الله الكبير منكر وضلال فظيع وشنيع »(٢) .

وقال أيضا : « واجتماع الفقراء ليالي الجمعات في بعض المساجد والبيوت للرقص بآه آه ،الله الله ،آه آه ،إل اللوع اللوع أح اح الخ فهو بدع وضلال بل كفر كبير ،وهدم لشعائر دين البشير النذير ،وقد أضحك هذا الفعل الذميم علينا من الإفرنج الجم الغفير »(٣) .

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ : « الاجتماع على الذكر بصوت جماعي لا أصل له في الشرع وكذا الاجتماع بقول الله الله ،أو هو هو إنما الذكر الشرعي أن يقول لا

---

(١) مجلة الإسلام نقلاً عن « القول الوثيق في الرد علي أدعياء الطريق » للشيخ محمد حسنين مخلوف رَحِمَهُ اللهُ .

(٢) السنن والمبتدعات ص ٨٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٨٣ .

إله إلا الله ،سبحان الله ، الحمد لله ، الله أكبر ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، أستغفر الله ، اللهم أغفر لي أما الاجتماع بصوت واحد لا إله إلا الله ، والله الله أو هو هو فهذا لا أصل له بل من البدع المحدثة »[١] .

ثم اعلم أن الذي ورد عن نبينا محمد ﷺ أنه لم يذكر ربه إلا بجملة تامة فيها ثناء كالتسبيح والتكبير والتهليل وغير ذلك كقوله « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث »[٢] لم يقل : يا حي يا حي يا حي كما يقوله المخرفون الطرقية .

وورد عنه أنه قال : « اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني »[٣] .

وورد عنه أنه قال في صلاته : « اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك علي الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي »[٤] .

وورد عنه غير ذلك مما فيه تمجيد الرب عز وجل وتعظيمه وهذا كاف في نسف دعوى الذكر بالاسم المفرد وهاهي كتب الأذكار كالأذكار للنووي والحصن الحصين لابن الجزري وشرحه تحفة الذاكرين للشوكاني ونزل الأبرار لصديق حسن خان والدعاء للطبراني وكتاب البيهقي أيضا في الأذكار والوابل الصيب شرح الكلم الطيب وأصله وغيرها من الكتب المؤلفة في الأذكار لم يأت فيها حرف واحد يدل على أن النبي ﷺ ذكر ربه بالاسم المفرد كما يزعم الطرقية .

وخلاصة ما تقدم في الكلام عن الذكر بالاسم المفرد والمضمر :

(١) أنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه ذكر الله تعالى باسم مفردأو مضمر .

---

(١) فتاوى نور على الدرب (١ / ٣٥٨)

(٢) رواه الترمذي (١ / ٢٦٧) والحاكم (١ / ٥٠٩) وحسنة الألباني في التوسل ص ٣٢ .

(٣) رواه البخاري (٧٣٨٣) ومسلم (٤ / ٢٠٨٦) .

(٤) رواه النسائي (٣ / ٥٤-٥٥) والحاكم (١ / ٥٠٩) وصححه الألباني أيضاً في التوسل ص ٣١ .

(٢) أنه لم يثبت عن صحابته الكرام ومن تبعهم بإحسان ذكر الله تعالى بالإسم المفرد .

(٣) الذكر بالاسم المفرد أبعد عن السنة وأدخل في البدعة وأقرب إلى ضلال الشيطان .

(٤) الذكر بالاسم المفرد أوقع البعض في فنون الإلحاد والاتحاد .

(٥) المشروع في الذكر الجملة التامة وليس اللفظة فالجملة التامة تنفع القلوب ويحصل بها الثواب .

(٦)النبي ﷺ شرع لامته ذكر الله تعالى بالجمل المفيدة التامة التي ينجذب لها القلب وتورث الخشية من الله تعالى .

(٧) الذكر بالاسم المفرد ليس كلاماً تاما ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان أو كفر أو أمر أو نهي .

(٨) لم يشرع رسول الله ﷺ لامته ذكر الله تعالى بالاسم المفرد أو المضمر .

(٩) الاسم المفرد ليس كلاماً مفيداً عند أحد من أهل الأرض بل ولا أهل السماء

(١٠) من البدع ذكر الله تعالى بالاسم المفرد .

(١١) من الضلال والغلط البين تقسيم الذكر إلى ذكر العوام وهو بلا إله إلا الله وذكر الخواص وهو بالاسم المفرد وذكر خواص الخواص بالاسم المضمر .



فصل

المبتدع يتخذ زلات العلماء حجة علي بدعته

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « إن الإسلام يُوجب اتباع الحق مطلقاً،رواية وفقهاً من غير تعيين شخص أو طائفة غير الرسول ﷺ »[١] .

وقال أيضاً : « فمن الممتنع أن تتفق الأمة علي استحسان فعل لو كان حسناً لفعله المتقدمون ولم يفعلوه، وإذا اختلف فيه المتأخرون فالفاصل بينهم هو الكتاب والسنة وإجماع المتقدمين نصاً واستنباطاً »[٢] .

وقال : « وعادة بعض البلاد أو أكثرها وقول كثير من العلماء ، أو العباد، أو أكثرهم ونحو ذلك ليس مما يصلح أن يكون معارضاً لكلام رسول الله ﷺ حتي يعارض به »[٣] .

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله : « الإنسان لا ينبغي له أن يعتمد علي عمل أحد البته، حتى يثبت ويسأل عن حكمه، إذ لعل المعتمد على عمله يعمل على خلاف السنة ولذلك قيل : لا تنظر إلى عمل العالم، ولكن سله يصدقك »[٤] .



(١) اقتضاء الصراط ص٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق ٢٤٥ .

(٤) الاعتصام (٢/٥٠٨) .

فصل

فيما استدل به الطرقية على استحباب الذكر بالاسم المفرد والمضمر

وإن تعجب فعجب أن يتمسك الطرقية بخيوط واهية وشبه لاتسمن ولا تغني من جوع على ما ذهبوا إليه من الذكر بالاسم المفرد أو المضمر وسوف نلقي الضوء على ما استدلوا به ونرد على دعواهم .

الدليل الأول : احتجاجهم بقول الله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

فزعم الطرقية أن قوله قل الله يعنى اذكر الله بهذا الاسم المفرد .

وهذا الاستدلال باطل من وجوه .

الأول : أن سياق الآية يرد عليهم دعواهم فإن قوله تعالى « قل الله » لفظة الجلالة مبتدأ لخبر محذوف معروف من السياق واقرأ سياق الآيات قال الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] والمعني قل الله أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فأين دعوى الطرقية وتمسكهم بهذه الآية أم هم يحاولون التمسك بأي شيء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ « واحتجاج بعضهم على ذلك (أن الذكر بالاسم المفرد) بقوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

فمن أبين غلط هؤلاء فإن الاسم الله مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ

﴿يَلْعَبُونَ﴾ الأنعام : ٩١] أي الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، فالاسم (الله) مبتدأ خبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك يقال من جاءك فتقول : زيد »(١) .

قال ابن القيم رحمه الله في رده على الطرقية الذين استدلوا بالآية على الذكر بالاسم المفرد : « وبالغ بعضهم في ذلك حتى قال الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر !! فالذكر بقوله « هو ، هو » أفضل من الذكر بقولهم « الله ، الله » وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات ، فهذا فساد هذا البناء الهائر ، وأما فساد المبني عليه فإنهم ظنوا أن قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أي قل هذا الاسم : فقل : الله ، الله وهذا من عدم فهم القوم لكتاب الله ، فإن اسم الله هنا جواب لقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ ﴾ [الأنعام : ٩١] ، إلى أن قال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أي قل : الله أنزله فإن السؤال معاد في الجواب فيتضمنه فيحذف اختصاراً كما يقول من خلق السموات والأرض ؟ فقال : الله أي الله خلقها ، فيحذف الفعل لدلالة لسؤال عليه فهذا معنى الآية الذي لا تحتمل غيره »(٢) .

الثاني : أن حذف الخبر إذا علم من السياق جائز لغة

قال العلامة ابن مالك(٣) :

وفي جواب كيف زيد قل دنف تقول زيد بعد من عندكما
وحذف ما يعلم جائز كما فزيد استغني عنه إذ عرف

فالحاصل : أن قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ فيه حذف دل عليه السياق أي قل الله أنزله

---

(١) العبودية ص ٤٨ .

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٤٦ .

(٣) متن الألفية ص ٣٢ ط دار ابن حزم .

وهذه جملة مركبة تامة فلا حجة للصوفية الطرقية في الآية على ما ذهبوا إليه .

الثالث : أن قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] جاء على حذف الخبر وله نظائر في القرآن كقوله تعالى ﴿ ولئن سألتم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾[لقمان : ٢٥] أي الله خلقهن ... وكذا دل كلام العرب على هذا لذلك قال شيخ الإسلام / « وهذا قياس مطرد في مثل هذا في كلام العرب »(١) .

الرابع : أن المحققين من المفسرين قد فسروا الآية على نحو ما تقدم ولم يستدل بها واحد منهم على ما ذهب إليه الصوفية الطرقية فهذا إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبري رحمه الله يقول « وأما قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ فإنه أمر من الله جل ثناؤه نبيه محمداً ﷺ أن يجيب استفهامه هؤلاء المشركين عما أمره باستفهامهم عنه يقول : ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ [الأنعام : ٩١] بقيله : (الله) كأمره إياه في موضع آخر في هذه السورة بقوله : قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر . . . ، ثم أمره بالإجابة عنه هنالك بقيله : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٦٤](٢) .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله : « وقوله تعالي ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أي قل الله أنزله، وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة لا ما قاله بعض المتأخرين من أن معني ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أي لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة، كلمة (الله) وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمره بكلمة مفردة من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لا تفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها »(٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠ / ٥٩٩) .

(٢) جامع البيان (١٧٩/٧)

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢٥١/٢)

قلت : وعلى هذا درج المفسرون في تفسير هذه الآية كالبغوي[١] رحمه الله والقرطبي[٢] ، وابن الجوزي[٣] ، والشوكاني[٤] والشيخ رشيد رضا[٥] والقاسمي[٦] وغيرهم كالجلالين[٧] أيضاً وقال قوله ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ ﴾ باطلهم ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ .

الخامس : أن تفسير الآية علي النحو الذي فسره الطرقيه هو من الجهل باللغة وجهلهم باللغة أدي بهم إلي هذا المسلك المشين لذلك نهي الأئمة عن تفسير القرآن لمن كان جاهلاً بلغة العرب .

قال الإمام مالك رحمه الله : ولا أوتي برجل يفسر كلام الله، وهو لا يعرف لغة العرب إلا جعلته نكالا[٨] .

وقال الإمام الزهري رحمه الله : « أخطا الناس في كثير من تأويلات القرآن؛ لجهلهم بلغة العرب »[٩] بل إن الشافعي رحمه الله يري البدعة ما دخلت علي الأمة الإسلامية إلا لما تركت اللسان العربي إلي غيره من أساليب اليونان وأشباهها من العجم[١٠] .

---

(١) معالم التنزيل (٢/١٥)

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٧/٣٨) .

(٣) زاد المسير (٣/٨٤) .

(٤) فتح القدير (٢/١٣٩)

(٥) تفسير المنار (٧/٦١٩) .

(٦) محاسن التأويل (٦/٦٢٤)

(٧) ص ١٧٧ .

(٨) الوسيط للواحدي (١/٢١٩)

(٩) مشكاة الأنوار ليحي العلوي (١٤٨) .

(١٠) الرسالة للشافعي ص ٤١

وهذا ما عبر عنه الحسن البصري بالهلكه، حين قال عن أهل البدع : « أهلكتهم العجمة يقرأ أحدهم الآية فيعيا بوجوهها حتى يفتري علي الله فيها »[١] .

الدليل الثاني : قوله ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٨] .

ومما يثير العجب أن يستدل الدكتور علي جمعة علي الذكر بالاسم المفرد بهذه الآية . **ولا حجة له في ذلك من وجوه :**

الأول : أن قوله هذا في تفسير الآية لم يعرف عن سلف الأمة ولا يجوز تأويل بغير فهم السلف لها قال العلامة ابن عبد الهادي : « ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو في سنة لم يكن علي عهد السلف ولا عرفوه، ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا ، وخلو عنه »[٢] . وإذا تبين هذا فلا التفات إلي تفسير الآية علي أن المراد بها الذكر بالاسم المفرد ويوضح هذا الوجه .

الثاني : أن السلف الذين فسروا الآية لم يفسروها بجواز استحباب الذكر بالاسم المفرد كما ذهب إليه المفتي وهاك تفاسير القرآن لم يوجد منها تفسير واحد يقول عند هذه الآية بأن المراد ذكر الله تعالي بالاسم المفرد . قال الطبري رحمه الله : « يقول تعالي ذكره : واذكر يا محمد اسم ربك فادعه به وتبتل إليه تبتيلاً بقوله : وانقطع إليه انقطاعا لحوا ئجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره »[٣] . ويقول الحافظ ابن كثير : قوله : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ [المزمل : ٨] أي أكثر ذكره وانقطع اليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمر دنياك[٤] .

وقال الألوسي رحمه الله : « أي دم علي ذكره تعالي ليلاً ونهاراً علي أي وجه كان

---

(١) التاريخ الكبير (٩٣/٥) السنة للمرورزي (ص٨) .

(٢) الصارم المنكي في الرد علي السبكي .

(٣) جامع البيان (١٧٧/٢٤)

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤٦٦/٤)

من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك »[١] .

وقال صاحبا الجلالين، : « أي قل بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك »[٢] .

وقال البغوي : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ بالتوحيد والتعظيم[٣] .

وقال القرطبي : « أي أدعه بأسمائه الحسني ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة وقيل : أي أقصد بعملك وجه ربك وقال سهل أقرأ باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك ببركة قراءتها إلي ربك وتقطعك عما سواه وقيل : أذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفق الى طاعته وتعدل عن معصيته »[٤] .

وقال الماوردي : « وفيه وجهان : أحدهما : أقصد بعملك وجه ربك . الثاني : إذا أردت القرآن فأبدأ التسمية بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن بحر ويحتمل وجهاً ثالثا : واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفق الى طاعته وتعدل عن معصيته »[٥] .

وقال برهان الدين البقاعي : « قوله ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ أي المحسن إليك والموحد والمدبر لك بل بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسبيح وتحميد وصلاة وقراءة ودعاء وإقبال علي علم شرعي وآدب مرعي ودم علي ذلك »[٦] .

الوجه الثالث : أن الأحاديث التي فيها الأمر بذكر الله تعالي تتضمن جملة لا اسم مفرد فمن ذلك حديث « إذا كان جنح الليل فكفوا صبينانكم فإن الشياطين تنتشر حينها فإذا ذهب ساعة من الليل، فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً وأوكئوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمروا آنيتكم

---

(١) روح المعاني (٢٩/١٠٦) ومثله في الفتوحات الإلهية (٨/١٤٦) والكشاف (٤/٢٤٤) .

(٢) تفسير الجلالين (٢/٧٠٩)

(٣) تفسير البغوي (٤/٤٠٩)

(٤) تفسير القرطبي (٤٠/٣٩) ونحوه في فتح القدير (٤/٣٦٩)

(٥) النكت والعيون (٤/٣٣٤)

(٦) نظم الدرر في تناسب السور (٨/٢٠٨)

واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليه شيئاً وأطفئوا مصابيحكم »[(١)] .

فهل يقال عنه اغلاق الأبواب الله الله وتخمير الإناء الله الله وعند إطفاء السراج الله الله أو عندما نوكي القرب نقول الله الله لأظن أن أحدا يقول هذا بل المراد بذكر الله هنا بسم الله فكذلك قوله تعالي ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ قول إما بسم الله أو الذكر بجملة مفيدة من الأذكار في الآيات الواردة ولذلك يقول الإمام النووي رحمه الله عند تفسيرالحديث السابق : « وفيه جمل من أنواع الخير وآداب جامعة جماعها تسمية الله في كل فعل وحركة وسكون لتصل السلامة من آفات الدارين »[(٢)] .

وقال القرطبي : « وفيه رد علي من كره غلق الباب من الصوفية »[(٣)] .

الوجه الرابع : أن قوله سبحانه ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ لا يدل على جواز الذكر بالاسم المفرد ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام : ١٢١] وقد أجمع المسلمون على أن من ذبح الذبيحة وذكر الله بقوله : « الله ، الله » أو « بالله » أجمعوا على أنه لم يقم بالأمر القرآني على وجهه .

قال الطبري رحمه الله : « ولا خلاف بين الجميع من علماء الأمة أن قائلا لو قال عند تذكيته بعض بهائم الأنعام « بالله » ولم يقل « بسم الله » أنه مخالف بتركه »[(٤)]

الدليل الثالث : استدلالهم بقوله تعالي ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] . حيث يزعم بعضهم أن المراد تأويل « هو » وهو الاسم المضمر وهذا الاستدلال حكاه شيخ الإسلام عن أحد الطرقية في قصة وقعت له وهو صغير السن لكن استطاع شيخ الإسلام أن يرد عليه رغم صغر سنه .

---

(١) رواه أحمد (٣/٣٨٨) ومسلم (٦/١٠٦) وأبو داود (٢٧٣٣) من حديث جابر رضي الله عنه وزاد أحمد « فإن للجن انتشاراً وخطفه » وسندها صحيح كما قال الله تعالي السلسلة الصحيحة (٦/٤٩) .

(٢) الأحاديث الواردة في الجن والشياطين (ص ١٣٩) فعلاً عن شرح مسلم للنووي .

(٣) فيض القدير (١/٤٢٣) .

(٤) تفسير الطبري ١ / ١١٠ .

ولندع الشيخ يروي ذلك يقول رحمه الله « وأغرب من هذا ما قاله لي مرة شخص من هؤلاء الغالطين في قوله تعالي : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ قال : المعني وما يعلم تأويل « هو » أي اسم هو الذي يقال فيه : هو ، هو . . . فقلت له وأنا آنذاك صغير جداً : لو كان كما تقول لكتبت في المصحف مفصوله (تأويل هو) ولم تكتب موصولة، وهذا الكلام الذي قاله هذا معلوم الفساد بالإضطرار، وإنما كثير من غالطي المتصوفة لهم مثل هذه التأويلات الباطلة في الكتاب والسنة »[1] .

قلت : ذكرني شيخ الإسلام رحمه الله بمن يفسر القرآن بأقوال شاذة وآراء منحرفة .

فمن ذلك قول بعضهم في قوله ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق : ٣] . قال : هو الذكر إذا قام . وقول بعضهم في قوله ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . قال : هو الحب والعشق .

ومما استنكر أيضاً قولهم في ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . معناه : (من ذل)، أي : من الذل، و(ذي) اشارة إلي النفس و (يشف) من الشفاء، جواب (من) و (ع) أمر من (الوعي)[2] . هذه الأقوال في غرائب التفسير وعجائب التأويل لأبي القاسم الكرماني وقد قال فيه صاحب كشف الظنون : ضمنه أقوالا هي عجائب عند العوام وغرائب عما عهد عن السلف، بل هي أقوال منكرة، لا يحل الاعتقاد عليها، ولا ذكرها إلا للتحذير ثم ساق الأقوال المتقدمة .

الدليل الرابع : احتجاجهم بقوله تعالي : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود : ٧٥] .

وقد احتج الصوفية لذكرهم بآه آه بأن نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان يذكر ربه بأه أه وعلي هذا فسروا قوله ﴿أَوَّٰهٌ﴾ بأنه كان يذكر ربه بآه آه آه ومن الغريب حقاً

---

(١) مجموع الفتاوي (٥٦٠/١٠)

(٢) كشف الظنون (٤٣٢/١) ، الإتقان (٢٠٢/٤) .

أن يستدل لهم أحمد الغماري بهذه الآية ويصحح ما عليه الصوفية من هذا الذكر الذي خالفوا به وفيه سنة النبي ﷺ ، حيث يقول أحمد الصديق بعد ذكره لأحاديث غير صحيحة سنعرض لها « ثم في الآية والأحاديث الصحيحة المذكورة ما يغني عن الاحتجاج بالحديث الباطل الموضوع؛ فإنها صريحة في أن آه دعاء وذكر الله تعالي ورسوله ﷺ من يذكر بها وهو ما يفعله الصوفية فهو دليل قاطع لهم علي ذلك وعلي رفع الصوت به أيضاً، ومن أنكر عليهم ذلك فلجهله بهذه الأحاديث »(١) .

قلت : وما ذكره الغماري هنا لا دليل عليه ولا حجة فيه من وجوه .

الأول : أن تفسير قوله تعالي ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ ﴾ بهذا التفسير الغريب لم يرد عن سلف الأمة ولم يأت عنهم حرف بهذا الذي ذكره الغماري لذا فهو تفسير مردود .

الثاني : أن معني التأوه في الآية هو الذكر والدعاء أي أنه كان كثير الذكر لله ودعاء ربه عز وجل والاستغفار لربه .

قال الحافظ ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير الآية بعد سرد الأقوال في معني التأوه : « وأولي الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله عبد الله بن مسعود الذي رواه عند زر أنه الدعاء(٢) وإنما قلت : ذلك أولي بالصواب لأن الله تعالي ذكر ذلك ووصف به إبراهيم خليله صلوات الله عليه، بعد وصفه إياه بالدعاء والاستغفار لأبيه، فقال : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٤] وترك الدعاء والاستغفار له، ثم قال : إن إبراهيم لدعاء ربه شاك له حليم عمن سبه وناله بالمكروه، وذلك أنه صلوات الله عليه وعد إياه بالاستغفار له، ودعاء الله له بالمغفرة عند وعيد أبيه إياه، وتهدده به بالشتم بعد ما رد عليه نصيحته في الله،

---

(١) الحنين بوضع حديث الأنين ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) جامع البيان (٤٢/١١)

وقوله : ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم : ٤٦] فقال له صلوات الله عليه : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ❁ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [مريم : ٤٧-٤٨] فوفي لأبيه بالاستغفار له حتي تبين له أنه عدو لله، فوصفه الله بأنه دعاء، لربه حليم عمن سفه عليه »[١].

الدليل الخامس : وقد استدلوا أيضاً علي جواز الذكر بالاسم المفرد بحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا خرج إلي الصلاة قال : « اللهم اجعلني أقرب من تقرب إليك، وأوجه من توجه إليك، وأنجع من سألك وطلب إليك، يا الله، يا الله، يا الله، يا الله، يا الله » .

والجواب : كالعادة من استدلالهم بالأحاديث الضعيفة والباطلةفهذا الحديث ضعيف جداً . فقد أخرجه الطبراني في الدعاء[٢] من طريق إسماعيل بن يعلي بن أميه عن سعيد بن أبي الحسن عن أمه عن أم سلمة به ، وفي سنده إسماعيل بن يعلي وهو ضعيف جداً . قال يحيي والنسائي الدار قطني : متروك وقال البخاري : سكتوا عنه[٣] .

الدليل السادس : احتجاجهم بحديث : « لا تقوم الساعة حتي لا يقال في الأرض الله ، الله »[٤] .

قالوا : فهذا تكرار من النبي ﷺ وإخبار يدل علي إثبات ذكر الله علي الانفراد حيث زعم ذلك الخواص شيخ الشعراني حيث سأله الأخير عن قوله ﷺ : لا تقوم

(١) جامع البيان (٤٧/١١)

(٢) رقم (٤٢٢)

(٣) ميزان الاعتدال (٥٥/١) .

(٤) رواه مسلم (١٣١/١) وممن احتج بالحديث علي جواز الذكر بالاسم المفرد البنائي في شرحه علي صلاة ابن مشيش والشيخ وأبو العباس المرسي والشيخ زروق وابن حجر الهيثمي في الفتاوي الحديثة كما نقله عنهم في الإبداع في مضار الابتداع ص ٣١٨ .

الساعة حتي لا يقال في الأرض الله ، الله « لم كرره ﷺ؟ فأجاب : إنما كرر الاسم مرتين ليثبت لنا بذلك أنه ذكر علي الانفراد »(١) .

والجواب من هذا الاستدلال من وجوه أيضاً :

الأول : « أنه لم يثبت أن النبي ﷺ كرر إسماً مفرداً في ذكره ولا مرة واحدة، ولا عرفه أحد من الصحابة، وليس أحد من سلف الأمة فهم من هذا الحديث هذا الذي تقول به الصوفية، ولا ريب أن عمل النبي ﷺ وأصحابه من بعده هو خير ما يفسر به كلامه، وقد وجدنا أن أذكارهم لم تكن إلا علي الجمل التامة المفيدة للتوحيد وإخلاص العبودية لله تعالي »(٢) .

الثاني : أن الطريقة المتبعة في تفسير كلام رسول الله ﷺ هي جمع طرق الحديث ليتضح المعني فقد يكون في الحديث اجمال قد بسط وفصل في الحديث من طريق آخر أو في لفظ آخر وهذا هو الواقع في هذا الحديث فخير من يفسر كلام رسول الله هو رسول الله ﷺ فقد جاءت روايات أخري للحديث مفسرة لهذا الحديث المتقدم .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتي لا يقال في الأرض لا إله إلا الله »(٣) .

فعلم من خلال هذه الرواية أن المقصود كلمة التوحيد وأن من علامات الساعة ذهاب التوحيد بحيث لا يوجد في الأرض موحد لقوله ﷺ : « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد »(٤) ، فهؤلاء عليهم تقوم

---

(١) الجواهر والدرر (ص ٢٩٦) .

(٢) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي (١/٢٨٥) .

(٣) رواه أحمد (٣/٢٦٨) وابن حبان (٦٠٩ ٢) وأبو نعيم (٣/٣٥) والحاكم (٤/٤٩٥) .

(٤) رواه ابن خزيمة (١/٩٢) وابن حبان (٣٤١/٣٤٠) وابن أبي شيبه في المصنف (٤/١٤٠) وغيرهم من حديث ابن مسعود .

الساعة لأنه لا يبقي عليها إلا شرار الخلق فأين الحجة فيما ذهب الصوفية الطرقية في هذا الحديث؟ .

الثالث : « أن استدلالهم بالقرآن والحديث في هذا إنما هو مجرد تلبيس وتلاعب بالعقول وإلا فإن الكثير من أذكارهم لم يحاولوا البحث عن دليل لها لاستحالة وجوده بداهة كقولهم : ك، كا،كا ، ذا ، ذا في الذكر يرقصون فيه »(١) .

الرابع : أن فهمهم للحديث علي النحو المتقدم مصادم لفهم سلف الأمة وأئمتها وما كان ذلك سبيله فهو فهم مضروب به عرض الحائط ومردود علي قائله ولا كرامة . فثبت بذلك أن هذا التأويل الذي درج عليه الطرقية للنصوص إنما هو تأويل باطل عاطل لا ينفق إلا في سوق الصوفية وجهتهم .

وقال محقق سير أعلام النبلاء في تعليقه وتخريجه علي حديث : « لا تقوم الساعة حتي لا يقال في الأرض الله الله » وليس في هذا الحديث مستند لمن سوغ الذكر بالإسم المفرد لأن المراد منه : أنه لا يبقي في الأرض من يوحد الله توحيداً حقيقياً ويعبد عبادة صادقة كما جاء مفسراً في رواية أحمد لا تقوم الساعة حتي لا يقال في الأرض لا إله إلا الله وسنده صحيح ولم يثبت عنه، ولا عن صحابته، ولا عن أحد من القرون المشهود لها بالفضل : أنهم ذكروا الله بالاسم المفرد »(٢) .

وقد قرأت كلاماً حسناً للقاضي أبي بكر ابن العربي المالكي حول هذا الحديث وتوجيهه فيقول رحمه الله « قال ﷺ : لا تقوم الساعة حتي لا يقال في الأرض الله الله » يروي برفع الهاء (الله الله) ونصبها (الله الله) من المكتوبة فإن رويت برفع الهاء كان معناه لا تقوم الساعة حتي لا يبقي موحد يذكر الله – عز وجل – وإذا نصبت الهاء كان معناه لا تقوم الساعة حتي لا يبقي آمر بمعروف ولا ناه عن منكر يقول

---

(١) تقديس الأشخاص (٢٨٦/١)

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩٦/٦) هامش (١) .

خافوا الله وحيئنذ يتمني العاقل الموت كما قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتي يمر الرجل يقبر الرجل فيقول باليتني مكانه[١] »[٢] .

الدليل السابع : احتجاجهم بحديث « الأنين » .

قالوا : ولنا معشر الصوفية دليل قاطع في محل النزاع علي ما ذهبنا إليه من الذكر باسم الصدر أه أه وهو حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا عليل يئن فقلنا له : اسكت فقد جاء رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ : دعوه يئن فإن الأنين اسم من السماء الله يستريح إليه العليل .

قالوا : وقد صرح بتحسين الحديث العزيزي في شرحه علي الجامع الصغير[٣] .

قال ابن عجيبه في حاشيته علي الجامع الصغير عند هذا الحديث : « ما يستعمله الصوفية هو الانتقال من ذكر الاسم المفرد إلي هو، ثم ينتقل الذكر إلي الصدر ، فلا يسمع إلا آه ، آه ... يطلعونه علي ذات الحق حيث يمترج الذكر بروحهم فيغيبون وشهود المذكور عن الذكر والذاكر فلا تسمح إلا أزيز الصدر، وهديره رضي الله عنهم »[٤] .

قلت : ما ذكروه لا حجة لهم في البتة وذلك من وجوه .

الوجه الأول : أن هذا الحديث الذي ذكروه موضوع باطل لا تصح نسبته إلي النبي ﷺ فقد حكم عليه بالوضع الشيخ أحمد الغماري وهو أكبر صوفية العصر حيث ألف في ذلك رسالة جيدة في بطلان الحديث المشار إليه سماها « الحنين بوضع حديث الأنين »[٥] .

---

(١) رواه البخاري (٧١١٥) ومسلم (١٥٧)

(٢) أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي (٧١٢/٢) ويمكن أيضاً مراجعة مجموع الفتاوي (٣٧١/١) .

(٣) السراج المنير (٢٨٧/٢)

(٤) حاشية ابن عجيبة علي الجامع الصغير ص ١٢ محظوظ بواسطة محقق كتاب الحنين ص ٧ .

(٥) ص ٤٠

وكذا حكم عليه بالوضع في كتابه الآخر « المداوي لعلل المناوي »[(١)] ، وسننقل كلامه علي الحديث كما تابعه علي حكمه علي الحديث بالوضع أخوه عبد الله بن الصديق الغماري وقال هذا الحديث عن عائشة من إسناد فيه راو كذاب فهو حديث واهٍ نازل عن درجة الاحتجاج بالمرة[(٢)] وممن ضعف الحديث وأبطله الشيخ الألباني رحمه الله في كتابه « ضعيف الجامع الصغير » .

الوجه الثاني : حتي يتضح بطلان الحديث لابد من التعرف علي تخريجه وسوف أنقل كلام الشيخ أحمد الغماري باختصار علي هذا الحديث فإنه أجاد في الحكم عليه بالوضع لكن الحلو لا يكمل كما يقول المثل السائر المصري فإنه استدل للصوفية بأحاديث أخري لا تصلح[(٣)] بل استدل بآية ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود : ٧٥] وقد سبق الرد عليه قريباً .

فأقول وبالله التوفيق مستفيداً من كلام أحمد الغماري وقد زدت عليه أشياء :

هذا الحديث ورد من طريقين :

الطريق الأولي : قال الرافعي في تاريخ قزوين[(٤)] ما نصه : محمود بن خوارمد بن محمد القزويني أبو اليمن أحد الفقهاء سمع الصحيح من أبي الوقت عبد الأول، وسمع القاضي أبا عبد الله الحسيني البروجردي سنة خمس وخمسين وخمسمائة في جزء سمع منه بإجازة أبي الفتح عبدوس بن عبد الله بن محمد بن عبدوس له أنبأنا أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني بمكة، أنبأنا هبه الله بن علي المعافري، أنبأنا

---

(١) (٣٦/٤)

(٢) مجلة الإسلام العدد هام ص ٣١ وكذلك في تعليقه علي المقاصد الحسنة للسخاوي ص، ٣٨ هامش (١) .

(٣) سيأتي الكلام عليها .

(٤) التدوين في أخبار قزوين (٦٢/٤) وقد أورده السيوطي في الجامع الكبير برقم ١٤٠٤٩

أبو اسحاق بن عبد الملك بن حيان، ثنا محمد بن إبراهيم المصري ثنا أحمد بن علي القاضي بحمص، ثنا يحيي بن معين، ثنا إسماعيل بن عباش، ثنا ليث بن أبي سليم عن بهية، عن عائشة قال : دخل علينا رسول الله ﷺ وعليل يئن فقلنا له : اسكت فقد جاء رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ : دعوه يئن فإن الأنين اسم من أسماء الله يستريح إليه العليل .

قال الشيخ أحمد الغماري : **هذا السند ساقط معلول من وجوه :**

الأول : أن بهية مولاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه مجهولة، لأنه لم يأت بها إلا أبو عقيل يحيي بن المتوكل وهو ضعيف منكر الحديث، وهي أيضاً ليست بحجة كما قال ابن عمار[١] ولهذا قال الحافظ ابن حجر « لا تعرف »[٢] .

الثاني : أن بهية المذكورة لم يروعنها ليث بن أبي سليم، وما روي عنها إلا يحي بن المتوكل صاحب بهية .

قال سفيان بن عبد الملك : أبو عقيل يحيي بن المتوكل صاحب بهية ضعيف وقال أحمد بن أبي يحيي : أحاديثه عن بهية منكرة[٣] وما روي عنها إلا هو، وهو واهي الحديث، وقال أبو عمار الموصلي : أبو عقيل وبهية ليس بحجة وهذا يدلل علي أن السند مركب مفتعل .

الثالث : أن ليث بن أبي سليم ضعيف[٤] وقد حكم كثير من الحفاظ بوضع أحاديث لأنها من روايته . وقد لخص ابن حجر القول فيه حيث قال : « اختلط أخيراً ولم يتميز

---

(١) تهذيب التهذيب (١٢/٤٠٥) .

(٢) التقريب (٢/٥٩١)

(٣) تهذيب التهذيب (١١/٢٧٠)

(٤) الكامل لابن عربي (٦/٢١٠٥)، وتهذيب التهذيب (٨/٤٦٦) .

حديثه فترك »[١] . قال الحاكم : الليث بن أبي سليم، مجمع علي سوء حفظه[٢] .

الرابع : أن إسماعيل بن عباش وإن كان حافظاً فإن مضعف قال الحاكم : هو مع جلالته إذا انفرد بحديث لم يقبل منه لسوء حفظه .

وقال ابن حبان : كان إسماعيل من الحافظ المتقنين في حديثهم فلما كبر تغير حفظه فما حفظ في صباه وحداثته أتي به علي وجهه، وما حفظ علي الكبر من حديث الغرباء خلط فيه، وأدخل الاسناد في الاسناد والزق المتن بالمتن وهو لا يعلم؛ فمن كان هذا نعته حتي صار الخطأ في حديثه يكثر خرج عن حد الاحتجاج به[٣] . وذكره الفسوي[٤] في باب من يرغب في الرواية عنهم وقال أبو اسحاق الفزاري : هو رجل لا يدري ما يخرج من رأسه وضعفه آخرون[٥] .

الخامس : أنه من رواية إسماعيل بن عياش عن غير أهل بلده وروايته عنهم ضعيفة قال محمد بن عثمان بن أبي شيبة : هو ثقة فيما يروي عن الشامين، وأما روايته من أهل الحجاز فإن كتابه ضاع فخلط في حفظه عنهم . وقال مضر بن محمد الأسدي : إذا حدث عن الشاميين[٦] فحدثيه مستقيم وإذا حدث عن الحجازين والعراقيين خلط[٧] . وقال أبو داود عن أحمد بن حنبل : ما حدث عن مشايخهم فهو مقبول، فأما ما حدث من غيرهم فعنده مناكير . وقال علي بن

---

(١) تقريب التهذيب (١٣٨/١) ومراجع المجروحين لابن حبان (٢٣١/٢) .

(٢) تهذيب التهذيب (١٩/٨) .

(٣) المجرمين (١٢٥/١) .

(٤) المعرفة والتاريخ (٤٦/٣) .

(٥) راجع ميزان الاعتدال (٢٤٠/١-٢٤٤)، الضعفاء للعقيلي (١٨٨/١) .

(٦) تهذيب التهذيب (٢٨٠/١) ، ميزان الاعتدال (٢٤٠/١)، الجرح والتعديل (١٩١/٢) .

(٧) ميزان الاعتدال (٢٤٣/١) .

المديني : كان يوثق فيما روي عن غير أهل الشام ففيه ضعف وهكذا قال الفلاس ودحيم والبخاري والدولابي ويعقوب بن سفيان والجوزجاني والنسائي وابن المبارك وآخرون[١] . وقال ابن عدي : إذا روي عن الحجازيين فلا يخلو منه غلط يوصل مرسلاً ويرفع مرقوفاً وحديثه عن الشاميين إذا روي عن ثقه مستقيم[٢] .

وهذا الحديث من روايته عن ليث بن أبي سليم وهوعراقي كوفي علي أنه إن شاء الله تعالي ما رواه ولا حدث به يؤيد ذلك كما يقول الشيخ أحمد الغماري .

السادس : وهو أن الحديث من رواية يحيي بن معين عنه، وهذا ليس من حديث يحيي بن معين جزماً، بل لو رأي يحيي هذا الحديث لضعف به روايه دون توقف إذ أكثر من ضعفه إئمة الجرح والتعديل إنما هو يرد به مثل هذا الحديث الظاهر النكارة .

السابع : أن محمد بن إبراهيم المصري وعبد الملك بن حبان وهبه الله بن عليه المعافري مجاهيل لا يعرفون فالبلاء من أحدهم، فهو الذي ركب له هذا الاسناد بعد أن سرق متنه من محمد بن أيوب بن سويد ومن غيره كما سيأتي .

الثامن : أن فيه انقطاعاً بين عبدوس وبين الحافظ أبي القاسم الزنجاني . فهذا السند مشتمل علي ضعف أو مجاهيل كما تري إلا أن الغالب علي الظن أنه من تركيب أحد المجاهيل دون من ذكر من الضعفاء، وإن كان يجوز أن بعضهم دسه علي عبدوس بعد عماه أيضاً، والحديث الغريب المنكر مثل هذا إذا رواه مجهول أو مجاهيل فإنه لا ينفك عن وضع أحدهم كما هو معروف لاسيما إذا عرف مصدر الحديث وأصله كهذا فإن الأصل فيه أنه من كلام جعفر الصادق[٣] وهو الذي وقعت معه القصة المحكية عن عائشة رضي الله عنها والنبي ﷺ كما سأذكره فأغار

---

(١) راجع أقوالهم في تهذيب التهذيب (١/ ٢٨٠ وما بعدها) .

(٢) الكامل لابن عدي (١/٢٨٨) .

(٣) سيأتي هذا الأثر وهو لم يصح أيضاً .

عليه بعض هؤلاء الضعفاء والمجاهيل وركب له إسناداً ورفعه إلي النبي ﷺ .

الطريق الثاني : فأخرجه الديلمي في مسند الفردوس(١) من طريق الطبراني قال : حدثنا مسعود بن محمد الرملي، ثنا محمد بن أيوب بن سويد . ثنا أبي، عن نوفل بن الفرات، عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها به ولفظه : « يا حميراء أما شعرت أن الأنين اسم من أسماء الله يستريح به المريض » .

وهو بهذا السند باطل معلوم من وجوه :

الأول : أن محمد بن أيوب بن سويد الرملي كذاب وضاع(٢) . قال ابن حبان : كان يضع الحديث لا تحل الرواية عنه . وقال أبو زرعة : رأيته قد أدخل في كتب أبيه أشياء موضوعة ، وقال الحاكم وأبو نعيم : روي عن أبيه أحاديث موضوعة . وقال ابن الجوزي : يروي الموضوعات وضعفه الدار قطني وغيره(٣) .

قلت : وأحاديثه شاهدة بكذبه ثم ساق له أحاديث من كذبه .

الثاني : أما والده أيوب بن سويد فضعيف أيضاً(٤) . قال البخاري : يتكلمون فيه . وقال ابن معين : ليس بشئ . وقال النسائي : ليس بثقة . وقال ابن المبارك : أرم به . وقال الساجي : ضعيف أرم به و كذا قال الأجرى عن أبي داود . وقال الجوزجاني : واهي الحديث وضعفه أحمد وابن عدي وجماعة(٥) .

الثالث : أن محمد بن أيوب تفرد به عن أبيه وأبوه تفرد به عن نوفل بن أيوب وما تفرد به وضاع أو متهم فهو الموضوع، فإن تفرد بمتنه فهو الموضوع متنا وسنداً

(١) مسند الفردوس (٩١٧/٥)

(٢) المجروحين لابن حبان (٢٦٩/٢) ميزان الاعتدال (٤٨٧/٣) لسان الميزان (٩٩/٥)

(٣) الموضوعات لابن الجوزي (٢٠١/١)

(٤) الجرح والتعديل (٢٤٩/٢-٢٥٠) وميزان الاعتدال (٢٨٧/١-٢٨٨) .

(٥) ميزان الاعتدال (٤٥٧/١) .

وإن توبع علي متنه من وجه آخر رجاله ثقات فهو الموضوع سنداً لامتنا ما لم يتابعه ثقه متابعة تامة عن شيخه .

الرابع : أن الحديث في الأصول وبيان أسماء الله تعالي، فلا يعقل أن يرويه القاسم بن محمد، وليث بني أبي سليم، وإسماعيل بن عياش، ويحيي بن معين، ثم لا يكون عند كثير من الحفاظ ولا يخرجونه في مصنفاتهم المشهورة؛ لاسيما المؤلفة في التوحيد والإيمان وبيان اسماء الله تعالي وصفاته، وينفرد بإخراجه الديلمي والرافعي اللذين هما من أهل القرن السادس والسابع وكتابهما من أضعف كتب الحديث وأجمعها للموضوعات والواهيات . وأيضاً لو حدثت عائشة رضي الله عنها بهذا الحديث وحدث به القاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة النبوية لاشتهر ذلك بين التابعين وأتباعهم .

الخامس : أن الأنين لو كان اسماً من أسماء الله تعالي لما ورد عن بعض السلف كراهتهم لأنين المريض فقد ورد عن طاووس رحمه الله أنه كره الأنين للمريض فقد روي الدينوري بإسناده إلي عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : لما مرض أبي واشتد مرضه ما أن فقيل له في ذلك، فقال : بلغني عن طاووس أنه قال : أنين المريض شكوي بالله عز وجل قال عبد الله : فما أن حتي مات رحمه الله .(١)

قال الغماري : وقد كان أحمد بن حنبل رفيق يحيي بن معين في الرواية وسماع الحديث، وكانا يتذاكران في جمع ما عندهما . . . فكيف يروي يحيي بن معين عن إسماعيل بن عياش عن ليث عن بهية عن عائشة عن النبي ﷺ أن الأنين اسم من أسماء الله تعالي ولا يكون عند رفيقه أحمد بن حنبل، ولو كان عنده لما عمل بأثر طاووس في كراهة الأنين وترك المرفوع عن النبي ﷺ. (٢)

(١) الحنين ص ٦٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٦٩ وأثر الإمام أحمد رواه أبو نعيم أيضاً في الحلية (١٨٣/٩) .

السادس : أن الأثر ورد عن الإمام مالك في تفسير قوله ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] قال مالك : يكتب عليه حتي الأنين في مرضه .

قال الغماري : فلو كان القاسم حدث بحديث الأنين اسم من أسماء الله تعالي لما خفي علي مالك؛ فإن أحاديث علماء المدينة وآثارهم ولا سيما الفقهاء السبعة كلها انتهت إلي مالك . لأنه مع إمامته وحفظه ما كان عنده إلا أحاديث أهل الحجاز وخصوصاً أهل المدينة، فإنه كان متتبعاً لجميع أحاديثهم وآثارهم ومنهم القاسم بن محمد، ولو وصل إليه لما فسر الآية بما ذكر فكل هذا يؤيد كذب الرواة في روايتهم الحديث من طريق يحيي بن معين وليث بن أبي سليم والقاسم بن محمد[١] .

قال الغماري : فإن قيل : قد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « أنين المريض تسبيح » وهو يخالف كراهة هؤلاء الأئمة للأنين وعده من الشكوي المذمومة قلنا : لو صح هذا الحديث لكان من الدلائل أيضاً علي بطلان حديث الباب : أنه اسم من أسماء الله تعالي، وفرق كبير بين الاسم والتسبيح الذي هو مصدر بمعنى التنزيه، لكنه حديث باطل موضوع أيضاً . . . ثم ساقه من رواية الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من رواية أبي هريرة[٢] رضي الله عنه مرفوعاً . وقال الخطيب بعد روايته أبو شعيب ومن فوقة كلهم معروفون بالثقة إلا البلخي فإنه مجهول أي وهو المتهم به كما قال الحافظان العراقي وابن حجر[٣] في تسديد القوس . ثم قال الغماري وفي الباب حديثا يعارض الحديثين معاً .

---

(١) الحنين ص ٨٠ .

(٢) تاريخ بغداد (١٩١/٢) .

(٣) وقد نقل السخاوي في المقاصد الحسنة عن ابن حجر قوله « إنه ليس بثابت . ص ٣٨١ ثم قال السخاوي « وقد كتبت في الأنين شيئاً . . . إلي أن قال وكان جماعة من السلف يجعلون مكان الأنين ذكر الله والاستغفار والتعبد ص ٣٨٢ قلت: يقصد بالطبع عن المرض .

قلت : يقصد حديث أنين المريض تسبيح وحديث دعوة يئن حيث ساق حديثاً من رواية علي بن أبي طالب مرفوعاً « يكتب أنين المريض فإن كان صابراً كان أنينه حسنات، وإن كان أنينه جزعاً كتب هلوعاً لا أجر له » وقد رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان »(١) .

ثم قال الغماري، فهذا يفيد أن الأنين ليس تسبيح ولا اسم من أسماء الله تعالي، إذ كل من التسبيح واسم الله تعالي لا يكون إلا حسناً فيه أجر وثواب ولكن الحديث ساقط فإن القاسم بن بهرام كذاب كما قال ابن عدي(٢) ووهاه ابن حبان(٣) وقال : لا يحوز الاحتجاج به بحال وقال الذهبي : له عجائب(٤) . (٥) .

قلت : وفي الإسناد الحارث الأعور وقد أجمعوا علي ضعفه بل كذبه الشعبي رحمه الله وقد أول الذهبي رحمه الله تكذيب الشعبي له(٦) .

ثم قال الغماري : « فهذه ثلاثة أحاديث في الأنين كلها متناقضة متعارضة لا يوافق واحد منها الآخر وذلك من أقطع القواطع علي بطلانها وأن النبي ﷺ لم يقل شيئاً منها، وأنها من اختلاق الكذابين ووضعهم إلا أن الموضوع من حديث الباب هو سنده ورفعه إلي النبي ﷺ »(٧) .

السابع : أن أصل حديث الأنين هو من قول جعفر الصادق رضي الله عنه . ومع

(١) تاريخ أصبهان (٢٧٧/١)

(٢) الكامل في الضعفاء (٢٦٤٩/٧)

(٣) المجروحين (٢١٤/٢)

(٤) ميزان الاعتدال (٣٦٩/٣)

(٥) الحنين ص ٩٢ .

(٦) ميزان الاعتدال (١٧٢/٢)

(٧) الحنين ص ٩٢ .

ذلك لم يصح الإسناد إليه حيث ساق الغماري اسناده منه إلي جعفر الصادق ولفظه، عن أبي اسحاق الخزاعي عن أبيه قال : دخلت مع أبي عبد الله يعني جعفر الصادق عليه السلام على بعض مواليه يعوده فرأيت الرجل يكثر من قول آه، فقلت له : أخي أذكر ربك واستغيث به . فقال أبو عبد الله : إن آه اسم من اسماء الله تبارك وتعالي فمن قال : آه ، فقد استغاث بالله عز وجل . قال الغماري « فهذا هو أصل الحديث سرقة الضعفاء وركبوا له الإسناد إلي عائشة رضي الله عنها مرفوعاً إلي النبي ﷺ » قلت : (القائل الغماري) الجواب من وجهين : أحدهما : أنه كان يصلح شاهداً لو كان ضعف رجاله متماسكاً أما مع الكذب والوضع والسرقة فلا [١] .

قلت : وفي سند الأثر عن جعفر الصادق مجاهيل وضعفاء يمكن الرجوع إليهم في الرسالة .

وبعد الكلام عن إبطال حديث الأنين من كلام الشيخ الغماري نواصل بقية الوجوه في الرد علي من احتج بهذا الحديث .

الوجه الثالث : أما قول العزيزي بأن الحديث أي حديث الأنين هو حسن[٢] « فغير حسن » لما سبق بيانه ولهذا رد عبد الله الصديق الغماري علي العزيزي بقوله : « ولقد غلط العزيزي في شرح الجامع الصغير حيث ادعي أنه حسن لغيره، مع أن عمدته في التصحيح والتحسين غالباً هو المناوي ولم يحسنه أصلاً لا في شرحه الكبير ولا الصغير ولا حسنه الحافظ السيوطي الذي هو عمدتهم جميعاً وكيف يستطيع أن يحسنه وفي سنده كذاب كما ذكرنا[٣] .

الوجه الرابع : أن من تعرض لشرح الحديث من العلماء نفوا أن يكون الأنين

(١) الحنين ص ٨٥، ص٨٦ .

(٢) السراج المنير (٢/٢٨٧) .

(٣) مجلة الإسلام والعدد ٣٥ ص ٣١ .

اسم من أسماء الله عز وجل . فقد صرح المناوي بذلك حيث يقول قوله « دعوة » أي المريض « يئن » أي : يستريح بالأنين، أي يقول : آه ، ولا تنهوه عنه (فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالي) أي لفظ : أه اسم من أسمائه . لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن وأسماؤه تعالي توقيفية[١] .

وقال الحفني في حاشيته علي الجامع الصغير عند شرحه لهذا الحديث وهاك لفظه « قوله (يئن) : أي يأتي بقوله آه قوله « من أسماء الله ، أي من أثر بعض أسماء الله كالضار[٢] والقهار ، فإذا تجلي تعالي علي عبده بهذا الاسم حصل له الضرر وإلا فآه لم يريد أنه من أسمائه تعالي »[٣] .

قلت : ومن العجب العجائب، بل من الكذب البين أن يدعي بعض الصوفية الشاذلية[٤] أن حديث الأنين رواه البخاري ومسلم ومستدرك الحاكم وقد رد عليه أحدهم رداً بليغاً وكان يوقع تحت الرد بـ « مطلع » حيث عنون الرد بـ : « حديث الأنين موضوع وإن زغمت أنوف » وهي مجموعة مقالات رائعة في مجلة الإسلام لولا الإطالة لذكرت بعضها هنا ولكن فيما ذكرته كفاية والله الموفق .

الوجه الخامس : وأما كلام ابن عجيبة فهو قائم علي قبوله للحديث وقد علمت ما في نسبة الحديث إلى كذاب وضاع لذا فلا يجوز أن تبني علي هذا الحديث أحكام أو يؤخذ منه عقائد لأن هذا الحديث مكذوب علي رسول الله ﷺ ورواية الموضوع علي رسول الله ﷺ حرام، فضلاً عن استنباط الأحكام منه والعمل بها

---

(١) فيض القدير (٥٣٣/٣)

(٢) لم يرد في أسمائه سبحانه بل ورد الفعل في حديث سعد بن أبي وقاص « لعل الله يضر بك قوماً وينفع بك آخرين » .

(٣) السراج المنير مع حاشية الحفني (٢٨٧/٢) .

(٤) هو الأستاذ عبد الرحمن خليفة قال ذلك علي صفحات مجلة الاسلام العدد ٣٣ .

حيث ثبت في الحديث المتواتر عن رسول الله ﷺ : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعدة من النار »[١] . وفي الحديث أيضاً : « من حدث عني بحديث يري أنه كذب فهو أحد الكاذبين »[٢] .

وأما دعوي ابن عجيبة أن هذا الذكر بآه يصل الذاكر إلي رؤية الله عز وجل حالة الذكر ويغيب فيه الذاكر عن شهود المذكور ... إلخ فهذا كلام باطل لا أساس له من مستند شرعي من كتاب أو سنة وقد كان رسول الله ﷺ سيد الذاكرين لربه وكذلك أصحابه من بعده كان لهم نصيب كبير من ذكر الله عز وجل ومع ذلك لم يدع واحد منهم أنه غاب في الذكر أو ادعي شهود الحق سبحانه وتعالي وكلام ابن عجيبة يحتاج في الرد عليه إلي بسط ليس هذا موضعه الآن .

تنبيه مهم : من التناقض العجيب الغريب أن الشيخ الغماري لما حكم علي حديث الأنين بالوضع وأصاب في ذلك وهذا من الإنصاف وليته أصر علي ذلك والتزمه ولكن عاد يلتمس للطرقية الصوفية دليلاً آخر لما أعتادوه من الذكر بلفظه آه آه فاحتج لهم بالآية المذكورة في حق نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود : ٧٥] .

وقد رددنا سابقاً علي من احتج بهذه الآية ومما استدل به الغماري لهم به حديث « ذي البجادين » فقد روي الإمام أحمد في مسنده قال حدثنا موسي حدثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن زيد، عن علي ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل يقال له ذو البجادين : إنه أواه[٣] .

---

(١) رواه مسلم (١٧/١) والترمذي (٢٦٥٩) وابن ماجه (٣٦) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم (٦٢/١) والترمذي (٢٤٧٦) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) (١٤٩/٦) رقم (٦٠ / ١٧)

وأيضاً : استدل بحديث جابر بن عبد الله أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفض صوته فقال النبي ﷺ فإنه أواه ... الحديث[١] .

واستدل أيضاً بأحاديث فيها مدح التأوه ثم قال الغماري : « فهذه الأحاديث الصحيحة فيها مدح التأوه، وأنه ذكر لله تعالي ... ثم في الآية[٢] والأحاديث الصحيحة المذكورة ما يغني عن الاحتجاج بالحديث الباطل الموضوع؛ فإنها صريحة في أن آه دعاء وذكر الله تعالي ورسوله ﷺ ممن يذكر بها وهو ما يفعله الصوفية فهو دليل قاطع لهم علي ذلك وعلي رفع الصوت به أيضاً ، ومن أنكر عليهم ذلك لجهله بهذه الأحاديث »[٣] .

وفيما ذكره نظر من وجوه :

الأول : قد قدمنا أن التأوه معناه كثرة الدعاءِ والذكر وليس معناه ذكر الله تعالي بآه، آه علي طريقة الصوفية فأين في الأحاديث المذكورة أن التأوه معناه الذكر؟ .

الثاني : قد تقدم من كلام الغماري نفسه أن التأوة ليس بتسبيح ولا ذكر فما باله هنا يعدل عن كلامه ويتراجع مصرحاً بأن التأوه ذكر لله .

الثالث : قوله « ذكر الله ورسوله » لست أدري كيف يكون التأوه ذكر لله ورسوله ولعل في عبارته سقط .

الرابع : أن العلماء الذين شرحوا الحديث أعني حديث عقبة بن عامر في ذي البجادين وغيره من الأحاديث التي ذكرها الغماري لم يستدلوا بها علي أن التأوه من أسماء لله تعالي وقد تقدم معنا أن أسماء الله تعالي توقيفية فكيف يطلق على الرب عز وجل اسماً لم يصح فيه حديث عن رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣٦٨/١)

(٢) يقصد قوله تعالي: إن إبراهيم الحليم أواه منيب ، وقد تقدم الرد علي الغماري في استدلاله بها .

(٣) الحنين ص ٩١، ٩٢ .

الخامس : أن من أنكر علي الصوفية الذكر باسم الصدر أو الاسم المضمر أو المظهر إنما أنكر عليهم لأنهم لم يستدلوا بما صح عن رسول الله ﷺ بل اخترعوا هذه الخرافة المسماه الذكر باسم الصدر أو الاسم المضمر كما أنهم خالفوا طريقة رسول الله ﷺ في الذكر فإنكار من أنكر عليهم ليس لجهله كما ذكر الغماري بل من أنكر عليهم يعلم ولله الحمد أن هذه الأحاديث التي استدلوا بها بل والأحاديث التي أوردها الغماري واستدل لهم بها لا حجة فيها بحمد الله .

السادس : أن الغماري لم يبين سلفه في هذا الاستدلال الغريب الذي سبق إليه ولم ينقل عن عالم واحد من العلماء الأجلاء تفسير التأوه بأنه ذكر لله عز وجل فكيف يمدح الغماري طريقة الصوفية في الذكر باسم الصدر كما يقول ورحم الله الإمام أحمد حيث كان يوصي أحدهم فيقول « إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام »[(١)] .

ولهذا يقال للغماري من إمامك من السلف فيما ذهبت إليه من جواز الذكر بهذا الاسم المخترع ؟ .

الدليل الثامن : احتجاجهم بحديث أسماء بنت عميس

وقد احتجوا بحديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « ألا أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب الله الله ربي لا أشرك به شيئاً »[(٢)] . وأيضا جاء في حديث عائشة أم المؤمنين مرفوعاً بلفظ « إذا أصاب أحدكم هم أو فليقل الله الله ربي لا أشرك به شيئاً »[(٣)] .

---

(١) مناقب الإمام أحمد (ص ٢٤٥) لابن الجوزي .

(٢) رواه أحمد (٣٦٩/٦) وأبو داود (١٥٢٥) وابن ماجه (٣٨٨٢) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٤٧،٦٤٨،٦٤٩) .

(٣) رواه وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٤٩ .

وهذا لا حجة لهم فيه لوجوه :

الأول : أن الحديث لا دلالة فيه على الذكر بالاسم المفرد لأننا قدمنا أن الذكر المشروع هو ما كان جملة يحسن السكوت عليها والذكر بالاسم المفرد ليس جملة وهو خلاف هدى النبى ﷺ في الذكر .

الثاني : أن قوله « الله الله » لفظ الجلالة الأول مبتدأ والثاني تأكيد له وعلى هذا فإن الجملة لم تتم بعد لأن الجملة الإسمية مكونة من مبتدأ وخبر فأين الخبر هنا؟ الخبر هو قوله ربى وبذلك بطل استدلالهم بالحديث على الذكر بالاسم المفرد .

قال السندي رحمه الله قوله « الله الله إلخ » الأول مبتدأ والثاني تأكيد له « وربى » خبر وجمل لا أشرك خبر بعد خبر ومعنى لا أشرك به أي في العبادة أو الألوهية[1] .

الثالث : أن الحديث جاء في الدعاء فكيف يستدل به الطرقية على الذكر في الحضرات وسبب ورد الحديث أن أسماء رضي الله عنها قالت : « علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن عند الكرب ثم ذكرت بقية الحديث » .

الرابع : أن قولها كلمات يدل على أنها مفيدة يحسن السكوت عليها والذكر بالاسم المفرد ليس جملة مفيدة يحسن السكوت عليها فبطل بذلك احتجاجهم بحديث أسماء والله الموفق لا رب سواه . ولذلك رد الشيخ بكر أبو زيد على الطرقية في احتجاجهم بالحديث على الذكر بالاسم المفرد فقال « وهذا ليس مفرداً بل هو مضاف إما تقديراً أو تصريحا »[2] .

الدليل التاسع : احتجاجهم بأثر ابن عباس وأبى الدرداء رضي الله عنهما

احتج الصوفية على الذكر بالاسم المفرد بأثر ابن عباس وأبى الدرداء رضي الله

---

(١) حاشية السندي على سنن ابن ماجة (٢/٤٤٥) .

(٢) معجم المناهي ص ٥٣ للشيخ بكر أبو زيد .

عنها ولفظه « إن اسم الله الأكبر رب رب »(١) .

وهذا أيضا لا حجة لهم فيه :

أولا : إن الأثر لا يدل على الذكر للاسم الأكبر المفرد ففيه « رب رب » وليس « الله الله » كما يزعمون ثم إن قوله « رب رب » بيان للاسم الأكبر فأين في الحديث الدليل على الذكر بالاسم المفرد؟ .

ثانيا : أن قوله « رب رب » الأولى واقعه خبر إن الثانية تأكيد فأين ما ادعاه الصوفية إذن ؟ ولهذا ينبغي لمن يجادلهم أن ينتبه لاستدلالاتهم .

ثم اعلم أن هذه الأدلة التى استدلوا بها منها ما وجدته في كتبهم ومنها ما سمعته منهم مباشرة ومنها ماهو منقول عنهم في الكتب والله المستعان لا رب سواه

الدليل العاشر : احتجاجهم بما ورد في أوائل السور من الحروف .

قالوا : يجوز الذكر بحرف واحد كما ورد في أوائل السور ككاف وهاء وعين وصاد ويجوز الذكر بأسماء الله طراً(٢) .

وهذا الذي قالوه مردود عليهم من وجوه :

الأول : أن هذا الاستدلال ليس بسديد فشتان ما بين قراءة القرآن إذ الحرف منه بعشر حسنات وذكر الطرقية الذي لا يقوم علي دليل صحيح وهذا يؤكد أن الطرقية يبحثون عن أي خيوط ليتعلقوا بها في ذهابهم إلي الرقص والذكر المحرف .

الثاني : وأذكر فيه هنا ما قاله الشيخ علي محفوظ رحمه الله يرد عليهم حيث يقول « نقول لهم هذا اختراع وابتداع إذ لم يرد عن رسول الله ﷺ ولا أحد من السلف الصالح أنهم ذكروه بحرف واحد وهم القدوة لنا في سائر العبادات خصوصاً ذكر

---

(١) رواه الحاكم (١/٥٠٥) .

(٢) الإبداع ص ٣٢٠ ذكر ذلك عنهم .

الله الذي هو أكبر »[١] .

الثالث : أن قياسهم الذكر المحرف الذي يمارسونه علي ما جاء في قراءة أوائل السور قياس باطل وتنظير عاطل .

قال الشيخ علي محفوظ رَحِمَهُ اللَّهُ : « وقولهم كما ورد في أوائل السور تمثيل أو تنظير غير صحيح، إذ لم يرد في كتاب ولا سنة أن هذه الحروف أسماء لله تعالي غاية ما في الباب أن بعض العلماء قال إن كل حرف من هذه الحروف مقتطع من اسم من أسماء الله تعالي وهو قول مغموض عنه، ثم علي تسليمه لا يكون المقتطع من الاسم اسماً فلا يكون التكلم بالمقتطع ذكراً لاسم الله تعالي ونعوذ بالله من سوء التأويل ، والجراءة علي ذكر الله الجليل، والأعجب من هذا جعله دليلاً علي ما دعاه أو تمثيلاً لما أفتراه »[٢] .

الدليل الحادي عشر : احتجاجهم بأثر بلال عندما كان يعذبه المشركون ، كان يقول « أحد أحد »[٣] .

ولا حجة لهم لوجوه :

الأول : أن بلالًا رضي الله عنه كان مُجيبًا للكفار ، فإنهم كانوا يدعونه إلى الشرك فيجيبهم « أحد أحد » أي الله أحد ، **ويؤيد ذلك** :

الثاني : فإن في بعض الروايات عند البيهقي (٢ / ٢٣٩) أنه كان يقول « الله أحد » .

الثالث : أن ما ذهبوا إليه من جواز الذكر بالاسم المفرد لا ينهض لمعارضة الأصل المستقر من عدم جواز ذكر الله بالاسم المفرد ؛ لأنه لا يفيد كلامًا تامًا

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الإبداع ص ٣٢١ .

(٣) رواه أحمد (٣٨٢/٦) وابن أبي شيبة (٣٩٦/٦) وابن ماجه (٥٣/١) والحاكم (٣٢٠/٣) .

يحسن السكوت عليه .

الرابع : وإذا سلمنا لهم بذلك فلم يجدوا سبيلا إلى الاستدلال على مشروعية ذكره سبحانه بالاسم المضمر (هو ، هو) فضلا عن (أه ، إه) .

الخامس : أن صور تأليف الكلام في لغة العرب ست كما قال ابن هشام ، حيث قال : « صور تأليف الكلام ست ، وذلك لأنه يتألف إما من اسمين أو من فعل واسم أو من جملتين أو من فعل واسمين أو من فعل وثلاثة أسماء أو من فعل وأربعة أسماء » ، وقال : « وأقل ائتلافه من اسمين كزيد قائم أو فعل واسم »(١) .

وإذا علم هذا فإن الذكر بالاسم المفرد ليس صورة من الصور المعروفة في كلام العرب .



---

(١) شرح قطر الندى ص ٢٤ .

فصل

في دعوى بعض الصوفية أن الملائكة تحضر مجالس الرقص

ولم يقتصر الصوفية على الرقص في حضراتهم حتى زعموا أن الملائكة يحضرون لهوهم وسماعهم ويرقصون معهم بل ولا يتورع الغلاة من الصوفية اطلاق اسم الملائكة الصوفية من بين أصناف الملائكة بل ويزعم الشعراني قوله : « وقد نزل علينا ملك فلله الحمد »(١) ، وينقل عن الشيخ تاج الدين كان إذا سأله إنسان في حاجة يقول له اصبر حتى يجي جبريل(٢) .

ويزعم الغزالي أن الصوفية يشاهدون الملائكة في خلواتهم فيقول « ومن أول الطريق يتبدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون عنهم أصواتاً ، ويقسمون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهده الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق »(٣) .

ويقول الحلواني : عن الملائكة : « وإذا رأوا ذاكراً أو أهل ذكر نزلوا بساحتهم وذكروا معهم فزال الشيطان عن مكانهم على قدر الصدق في الذكر فإن هام الهائمون هاموا معهم و امتزجوا بهم امتزاج حب وانجذاب الصادق منهم إلى الله والتذ بذكره ونسى حظه من الشهوات المهلكة ، ونأى عنها حتى يصير رحمانياً مخالطاً الملائكة ، يتواجد بتواجدهم ،ويتلقي في عالم الروح من أسرارهم وهؤلاء أهل الروح الصادقة المهيمون في حب الله ، ترى الملائكة في ناديهم لا يخرجون من عندهم إلا ساعة الغفلات ولا يتركونهم إلا إذا عادوا لسماع الشيطان وبعض

---

(١) اليواقيت والجواهر (٢ / ٨٥) للشعراني

(٢) الأخلاق المتبولية للشعراني (١ / ٤٥٤) .

(٣) أبو حامد الغزالي والتصوف .

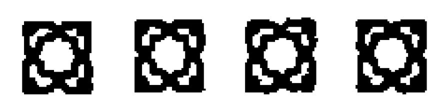
الملائكة يعانق المحب لله الذاكر معانقة حنان حتى يفيض الدمع من عينيه فيغسل بذلك جميع ذنوبه »(١) .

ويزعم الصوفية أن لله ملائكة شغلهم الرقص الصوفي والسماع يسمونهم بالملائكة الصوفية قال أبو الهدى الصيادي عن هؤلاء الملائكة « إن الله خلقهم من نور بهائه وخلق مثلهم سبعين ألفاً أقامهم بين العرش والكرسي لباسهم الصوف الأخضر ووجوههم كالقمر تمامه لهم شعور كشعور النساء ، وهم قيام متواجدون والهون ينتقلون بين العرش إلى الكرسي ومن الكرسي إلى العرش ، حالهم شبيه بحال السكارى لمابهم من شدة الوله ، اسرافيل عليه السلام قائدهم ومرشدهم ، وجبريل عليه السلام رئيسهم ، والله تعالى مليكهم وجليسهم ويوردون في ذلك الأحاديث المكذوبة الموضوعة : أن الله تعالى لما أهبط آدم إلى الأرض بكى ثلاثمائة سنة فأوحى الله إليه : يا آدم مم بكاؤك ومم جزعك ؟ قال يارب لست أبكى شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك ، وإنما بكائي شوقاً إلى الملائكة الصوفية والمتواجدون حول العرش سبعين ألفاً جرد مرد يرقصون ويتواجدون حول العرش ويقولون :

جـــل الملـــك مـــلـــكـــنـــا لـــولا الملـــك هـــلـــكـــنـــا

فأوحى الله تعالى : يا آدم ارفع رأسك وانظر إليهم ، فرفع رأسه إلى السماء فنظر إلى الملائكة وهم يرقصون حول العرش وجبريل رئيسهم وميكائيل قوالهم »(٢) .

وهذا الكلام الذي يذكره الصوفية باطل وهراء واعتقاده لا يجوز بل ينبغي إنكاره وإنكار على من يعتقده وتحذير الناس منه ومن أهله .



(١) الإيمان والروح ص ١٥٣ .

(٢) الرفاعية لعبد الرحمن دمشقية ص ٢٠٠ .

فصل

الرد علي الزمزمي الغماري في دفاعه عن رقص الصوفية في حضراتهم

من العجيب الغريب أن ينبري الزمزمي الغماري ليدافع عن رقص الصوفية ويستدل لهم بما لا دليل فيه علي جواز بل استحباب رقص الصوفية في رسالته المسماه « الانتصار لطريق الصوفية الأخيار » حيث ذكر خصال تفعلها الصوفية منها الرقص والسماع واستدل بحديث : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » !!

يقول الزمزمي : « ذكر خصال تفعلها الصوفية استناداً لهذا الحديث . أما الخصلة الثانية فهي الرقص، ويدل علي استحبابه الحديث وبيان ذلك أنه ﷺ أمر فيه بأمر وجعل له غاية أمر فيه بالإكثار من ذكر الله وجعل الغاية قول الناس في الذكر أنه مجنون ولا يخفي أنه لا يقال في الذاكر أنه مجنون بمجرد قول الله الله الله مثلاً ؛ لأن ذلك أمر عادى للمسلمين، وإنما يقال فيه مجنون إذا ذكر الله كثيراً حتى صدر منه أمر غير عادي كتحريك الرأس أو الجسد، فعند ذلك يقال فيه مجنون ، وإذا قيل فيه ذلك كان قد وصل إلي الغاية المطلوبة فيه الحديث فثبت أن ما يفعله الصوفية مستحب بنص الحديث »(١) .

ثم يقول الزمزمي : « ولا يمكن لعالم أن يقول بتحريم رقص الصوفية فإنه لا خلاف بين جمهور الأصوليين والفقهاء أن الأصل في الأشياء الإباحة، فلو فرضنا أن رقص الصوفية لم يرد فيه نص لا بالتحليل ولا بالاستحباب لكان مباحاً، إذ الأصل في الأشياء الإباحة لا يقال إنه حرام لأنه بدعة، فإننا نقول ليست كل بدعة محرمة، لأن العلماء قسموا البدعة إلي محرمة، ومكروهة، ومستحبة وواجبة ... وقد أفتى

(١) رسالته الانتصار لطريقة الصوفية الأخيار ص ٢٣ .

شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني الشافعي بإباحة رقص الصوفية وتبعه الحافظ السيوطي في فتوى ذكرها في الحاوي وفيها ذكر أن عز الدين بن عبد السلام الشافعي كان يرقص مع الصوفية ... ورأيت أبا الحسن الششتري استدل للرقص في رسالة له في التصوف بحديث عائشة الذي أخرجه مسلم أن الحبشة لعبوا يوم عيد في المسجد ورسول الله ﷺ ينظر إليهم واستدل الحافظ السيوطي برقص جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي ﷺ كما قال له : « أشبهت خلقي وخلقي » ولم ينكر عليه ثم بعد كتابة هذا وجدت أثراً يدل علي أن الصحابة كانوا يرقصون إذا ذكروا الله .

قال ابن أبي الدنيا حدثنا علي بن الجعد أنبا عمر بن شمر حدثني إسماعيل السدي سمعت أبا أراكة يقول : صليت مع علي صلاة الفجر فلما أنفتل عن يمينه مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح، صلي ركعتين ثم قلب يده، فقال رأيت والله لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فما أرى اليوم شيئاً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبرا بين أعينهم كأمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجداً وقياماً يتلون كتاب الله، يتراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم فانظر قوله « مادوا كما يميد الشجر في يوم الريح تجده صريحاً في الرقص، وبذلك يبطل قول من يدعي أنه بدعة محرمة والله أعلم »[(١)] .

قلت : وما ذكره الزمزمي هنا يحتاج إلي رد موجز لكشف هذه الخزعبلات والبدع وتحذير الناس منها ومن رسالته هذه التي أضل بها الكثير .

والرد في وجوه :

الوجه الأول : أما استدلاله بالحديث الذي ذكره « اذكروا الله حتى يقولوا مجنون » فقد سبق أن ذكرنا أن الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ فكيف يستدل

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤-٢٦ بتصرف .

به الزمزمي؟ ثم حتي لو صح لما كان فيه لا تصريحاً لا تلميحاً جواز فضلاً عن استحباب رقص الصوفية المزعوم .

الوجه الثاني : وأما قوله « **لا يمكن لعالم أن يقول بتحريم رقص الصوفية** » مجازفة منه قد صرح غير واحد من علماء المذاهب علي اختلافها بتحريم رقص الصوفية ووصفوه بأنه بدعة منكرة قبيحة ولا يجوز التقريب به إلي الله عز وجل وقد سبق النقل عنهم ومنهم القرطبي، وابن عقيل، والتقي الحصني ،وابن عبد السلام ،وابن تيمية، وابن القيم ، وابن حجر العسقلاني، والعيني وغيرهم فلا عبرة بكلام الزمزمي إذن .

الوجه الثالث : أما قوله : « **فلو فرضنا أن رقص الصوفية لم يرد فيه نص لا بالتحليل ولا بالاستحباب لكان مباحاً إذ الأصل في الأشياء والإباحة** » .

فجوابه : لكن الصوفية لم يقوموا بالرقص في الحضرات على سبيل الإباحة بل علي سبيل التقرب إلي الله عز وجل فكيف يكون مباحاً وهم يعتقدون كون الرقص عبادة وقربة تقربهم إلي الله علام الغيوب وإذا علم هذا فالأصل في العبادة المنع فكيف يدعي الزمزمي هذه الدعوى الباطلة؟ ثم هذه المحاولة الفاشلة التي حاولها الزمزمي هنا لا تسمن ولا تغني من جوع لأنه لم يدل علي صحة رقص الصوفية دليل بل الأدلة الواردة في الكتاب والسنة تدل علي تحريمه كما أسلفت .

الوجه الرابع : وأما قول الزمزمي : « **لا يقال إنه حرام لأنه بدعه، فإننا نقول ليس كل بدعة محرمة لأن العلماء قسموا البدعة إلي محرمة ...** » فجواب ذلك أن هذا التقسيم الذي أتكأ عليه الزمزمي وغيره هو تقسيم لم يدل عليه دليل كما سبق بل هو مقابل بالقاعدة الكلية التي ذكرها النبي ﷺ في قوله « كل بدعة ضلالة » هذا وليعلم أن كل بدعة ضلالة هي محرمة أيضاً بلا شك إذ الابتداع في الدين حرام إذ يلزم منه إما زيادة في الشرع المطهر أو نسبة النقص إليه ولا شك أن عمل البدعة أو

اعتقادها حرام فكيف لا تكون البدعة محرمة؟ .

الوجه الخامس : وأما قوله « وقد أفتي سراج الدين البلقيني بإباحة الرقص وتبعة السيوطي » فقد سبق الرد على هذا الكلام . وأما قوله أن العز بن عبد السلام : كان يرقص مع الصوفية فهذا كذب وزور وإفك مشهور وقد رده ابن حجر الهيتمي في « كف الرعاع » بما جاء في كلام العز بن عبد السلام من ذم الرقص الصوفي وما يفعله الصوفية في حضراتهم وقد سبق نقل كلام ابن حجر الهيتمي رَحِمَهُ اللَّهُ .

الوجه السادس : وأما قوله بأن الحسن الششتري استدل لرقص الصوفية بحديث رقص الحبشة بالحزب في المسجد فقد سبق الرد علي من احتج بهذا الحديث بأن هذا اللعب بالحراب كان للتدريب علي فنون القتال والحرب فلا دخل لهذا الحديث بالرقص الصوفي المزعوم . وأزيد هنا ما نقله ابن حجر الهيتمي عن الإمام الأذرعي في الرد علي الصوفية استدلالهم بهذا الحديث حيث يقول : « إن ذلك لم يكن من الحبشة رقصاً علي غناء، ولا ضرباً بالأقدام ولا إشارة بالأكمام، بل كان لعباً بالسلاح وتأهباً للكفاح، تدريباً علي استعمال السلاح في الحرب، وتمريناً علي الكر والفر، والطعن والضرب، وإذا كان هذا هو الشأن فأين أفعال المخانيث والمخنثين من أفعال الأبطال الشجعان »(١) .

الوجه السابع : أما استدلال الغماري بحديث جعفر بن أبي طالب في أنه حجل بين يدي رسول الله وكذا زيد وعلى بن أبي طالب . . فهذا قد سلف الرد عليه . وأزيد هنا أيضاً وأنقل ما جاء في « كف الرعاع » لابن حجر الهيتمي حيث يقول : « وتمسكوا (أي الصوفية) أيضاً بأنه ﷺ قال : لعلي أنت مني وأنا منك فحجل وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فخجل وكذلك حجل جعفر لما وصي له بابنة حمزة ... والحجل مش المقيد وهو وثب واهتزاز وهو الرقص والجواب : أن هذه كلها

---

(١) كف الرعاع ص ٧٥ .

أحاديث منكرة وألفاظ موضوعة مزورة، ولو سلمت صحتها لم تتحقق حجيتها، أي لأن المحرم هو الرقص الذي فيه توثب وتكسر وهو ليس كذلك وبما تقرر يعلم خطأ الاحتجاج علي إباحة الرقص بحديث رقص الحبشة في المسجد بأن علياً وجعفراً وزيداً حجلوا لما بشرهم النبي ﷺ ووجه الخطأ ما تقرر أن رقص الحبشة لم يكن من الرقص المختلف فيه، وأن ما ذكر عن هؤلاء الثلاثة رضوان الله عليهم كذب مختلق لا تحل روايته ولا الاحتجاج إذ تقرر أن فعل الحبشة ليس من المختلف فيه وأن ما روى عن أولئك الأئمة كذب فبطل قول صاحب القياس إن القياس علي ذلك حجة علي إباحة الرقص »(١) .

الوجه الثامن : أما استدلال الزمزمي الغماري بحديث ابن أبي الدنيا الذي ساقه علي جواز الرقص الصوفي فهذا الاستدلال لا يصلح فإن الأثر ضعيف جداً ولست أدري كيف يتأتي من الزمزمي هذا الضيع ؟أهذا من النصيحة لله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم؟ إذا عرفت هذا فاعلم أن هذا الأثر الذي ذكره الغماري هو أثر موضوع لا يصلح الاحتجاج به فقدتقدم الكلام عليه .

تنبيه

حَدَث تحول للزمزمي الغماري وشن حرباً شعواء علي الزاوية الصوفية ومنهجها وتبرأ منها ومن أفعالها كما ذكر ذلك غير واحد .

قال الشيخ محمد الأمين بوخبرة : « وهذا الشيخ الزمزمي وهو من أبناء الزاوية ألف كتاباً مثيراً سماه « الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة » وهو مطبوع »(٢) .

قلت : ولكن مع إنكار الزمزمي لبدع الصوفية كان لزاماً عليه أن يتبرأ من كتابه

---

(١) كف الرعاع ص ٧٦ .

(٢) صحيفة سوابق ص ٢٣ .

« الانتصار لطريق الصوفية الأخبار »[(١)] لأن هذا الكتاب لا يزال يطبع إلي وقتنا هذا يتداوله أهل البدع ويحتجون بما فيه من بدع ينشرونها بين الناس وتلك مصيبة حقاً أن يظل الكتاب يطبع إلي وقتا هذا وينتشر لاسيما في هذه الأعصار ومن الجدير بالذكر أن الزمزمي الغماري لم ينسلخ تماماً من البدع بل ظلت فيه بعضها كما يحكي ذلك بعض المحبين له . قال الشيخ الحسن بن علي الكتابي الحسني موضحاً هذا الأمر جلياً : « وقد كان محمد الزمزمي نشيطا في الزاوية مطيعاً لشقيقه أبي الفيض، وصنف رسالة « الانتصار لطريق الصوفية الأخيار » ثم إنه تمعن القواعد التي بني عليها شقيقة أحمد منهاجه الفقهي، وحصل له مناقشات علمية مع التقي الهلالي والناصر الألباني رحمها الله تعالي، فأعلن خروجه من الزاوية، وشن حرباً شعواء علي مناهجها وطريقها، وتبرأ من الانتساب إليها في أبيات شهيرة قالها، بل تبرأ من الانتساب للبيت الصديقي الغماري واكتفي هو باسم الزمزمي ثم أسس مسجده المسمي مسجد الهدي النبوي، وأسس جماعته المسماه أنصار السنة، وقامت معارك ضارية بين الزمزمي وأخيه أحمد لا هواده فيها، فاختار الزمزمي تحريم الاستغاثة بغير الله تعالي وأنها شرك وحكم بالبدعة علي كثير من شعائر الطريقة عن المتأخرين، وصنف كتابه « الزاوية وأثرها السيئ علي الأمة » وشرح كلمة التوحيد لكنة بالمقابل كان يقول باستحباب الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، ويقيم الاحتفال في مسجده بالأناشيد والمداح والحلويات وما إلي ذلك، وكان أشعري العقيدة يضلل السلفيين، حتي إنه صنف كتابه « المحجة البيضاء » يرد فيه عقيدة العلو والاستواء وكتاب « الطوائف الموجودة، في هذا الوقت » فعد السلفين من أهل البدع حتي أنه انتقص فيه من الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ . »[(٢)] .

---

(١) وقد فعل وتبرأ منه في كتابه السابق « الزاوية وما فيها من البدع » .

(٢) من كتاب « ملاحظات وتعليقات علي كتاب عبد الله التليدي العلامة المربي والمحمدي الأثري لابن محمد الحسن في علي الكتابي الحسني ص ٧ .

وإن تعجب فعجب من الشيخ عبد الله بن الصديق وهو أخو الزمزمي كيف يؤلف هو الآخر رسالة يوجب فيها أتباع سلوك الصوفية ويسميها : « حسن التلطف إلي وجوب سلوك طريق التصوف » ولست أدري بأن حق يوجب علي الناس ما لم يوجبه الله ورسوله سبحانك ربي نسألك اللهم العفو والعافية في الدنيا والأخرة ويحرص عبد الله الغماري في رسالتة المشار إليها إلي دعوة الناس إلي اتباع الصوفية لأنهم في نظره هم القوم هم هم ولو دعا الناس إلي اتباع الكتاب والسنة وسلوك سبيل السلف الصالح لكان خيرا له وأقوم والله يتولي الصالحين .

ومن الفواقر أيضاً أن عبد الله الغماري سئل عن الذكر بالمسجد[١] ورفع الصوت به والتمايل علي طريقة الصوفية .

فقال : « الاجتماع علي الذكر إذا كان خالياً مما يشين حرمة الذكر لا شئ فيه ورفع الصوت به في المساجد في غير أوقات الصلاة جائز أيضاً ، وكذلك الرقص والتمايل جائز إذا كان الاسم الذي يذكر به صحيحاً ليس فيه تحريف » .

ثم قال : « وأما التمايل في الذكر فدليله ما ورد بإسناد جيد عند أبي أراكة ثم ساق الأثر المتقدم»

قلت : هذا من التدليس فأني للأثر الجودة و فيه ما فيه كما تقدم ، فهو أثر باطل منكر . والله المستعان .



(١) الحاوي في فتاوي الغماري ص ٢٥ ، ٢٦ .

فصل

في دور العلماء والحكام والعوام تجاه من يقيم هذه الحضرات من الطرقية

لا شك أن انتشار هذه الحضرات من الطرقية والبدع المنكرة أمر يحتاج إلي علاج وموقف من العلماء بصفة خاصة والناس بصفة عامة .

أما موقف العلماء :

- فيتمثل في القيام بدور الإنكار علي هؤلاء والطرقية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل من هؤلاء

- وبيان كيفية هدي رسول الله ﷺ في ذكر لله عز وجل، كما للعلماء دور في غرس محبة اتباع النبي ﷺ والتركيز علي معني المحبة الحقيقية للنبي صلي اله عليه وسلم ومعرفة حقوق النبي ﷺ دون إخلال أو غلو وتطرف .

- كما يجب علي العلماء القيام بدور تربوي مهم يؤثرفي أولئك الطرقية وذلك بالقدوة الصالحة في اتباع النبي ﷺ ولن يتم ذلك إلا بالاهتمام الشديد بنشر العلم الشرعي وبيان خطورة الجهل فما من مرض عضال أخطر من الجهل بدين الله عز وجل ، وما أتي الطرقية إلا من جهلهم بالكتاب والسنة وما وقع من وقع منهم في البدع إلا بسبب الجهل بالسنة النبوية لاسيما تعلم الحديث النبوي عن النبي ﷺ .

وقد قال الحسن بن ثواب قال لي أحمد بن حنبل : ما أعلم الناس في زمان أحوج منهم إلى طلب الحديث من هذا الزمان؛ قلت : ولم ؟ قال : ظهرت بدع، فمن لم يكن عنده حديث وقع فيها[١] .

قلت : رحمه الله الإمام فكيف لو رأي زماننا وما أحدث الناس فيه من بدع تفوق

(١) مناقب الإمام أحمد ص ٢٤٥، ٢٤٦، لابن الجوزي وطبقات الحنابلة (١/٢٧٩) بنحوه لابن رجب .

الحصر؟ وماذا عساه أن يقول في تقصير الناس في تعلم الحديث ونشره؟ إن المؤمن الحريص علي دينه هو من يحرص علي اتباع النبي ﷺ في كل أقواله وأفعاله وخذ مثالاً علي حسن الاتباع للأثر فقد ورد عن الإمام أحمد رحمه الله أنه كان شديد الاتباع للأثر فإليك هذا الأثر فعن عبد الرحمن الطبيب، قال اعتل أحمد بن حنبل وبشر بن الحارث، فكنت أدخل علي بشر فأقول : كيف تجدك؟ فيحمد الله ثم يخبرني فيقول : أحمد الله إليك أجد كذا وكذا . وأدخل علي أبي عبد الله أحمد بن حنبل فأقول : كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ فيقول : بخير، فقلت له يوماً : إن أخاك بشراً عليل وأسأله عن حاله فيبدأ بحمد الله ثم يخبرني، فقال لي سله عمن أخذ هذا؟ فقلت له : إني أهاب أن أسأله فقال : قل له : قال لك أخوك أبو عبد الله : عمن أخذت هذا؟ قال : فدخلت إليه فعرفته ما قال، فقال لي : أبو عبد الله لا يريد الشئ إلا باسناده، عن ابن عوف، عن ابن سرين : إذا حمد الله العبد قبل الشكوي لم تكن شكوي، وإنما أقول لك : أجد كذا أعرف قدرة الله في قال : فخرجت من عنده، فمضيت إلي أبي عبد الله فعرفته ما قال؛ فكنت بعد ذلك إذا دخلت إليه يقول : أحمد الله إليك . ثم ذكر ما يجده(١) .

وأما **دور الحكام** فهو دور مهم جداً حيث أن الله تعالي أعطاهم السلطة والقوة في تغيير المنكر ، ويمكن أن يتمثل دورهم في :

- التنبيه علي هؤلاء الطرقية بترك هذه الحضرات والتزام هدي رسول الله ﷺ .
- توفير أهل العلم ومساندتهم في دعوتهم لهؤلاء الطرقية للإقلاع عن هذه البدع .
- الضرب بشدة علي يد من لم يلتزم الهدي النبوي من هؤلاء وغيرهم .
- صيانة المساجد من إقامة مثل هذه الحضرات وتكليف من يقوم بمتابعة هؤلاء والأخذ علي أيديهم فإن مسئولية المساجد عظيمة ينبغي الاهتمام بها كما أنه

(١) مناقب الإمام أحمد ص ٢٤٥، ٢٤٦، لابن الجوزي طبقات الحنابلة (٢٧٩/١) بنحوه لابن رجب .

يمكن استخدام الإعلام بشكل جيد ودور فعال في التحذير من بدع الطرقية بطريقة سليمة ومؤثرة وذلك لما للإعلام من أثر كبير في حياة الناس .

وأما دور الناس :

فهو الابتعاد عن الانحراط في هذه الحضرات وعدم المشاركة فيها بل وترك حضور هذه الحضرات أو سماعها لأن ذلك يدخل الإنسان في المشاركة في المعصية ولهذا قال تعالي : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢] . قال الشيخ علي محفوظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وكما يحرم الذكر بما لم يوافق الكتاب أو السنة أو الإجماع يحرم سماعه لأن للسامع حكم المسموع كما أن للناظر حكم المنظور، والساكت عن الجريمة شريك للجاني ولذا كان السامع للغيبة في الإثم كالناطق بها نسأله تعالي السلامة »(١) .

هذا وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من فتاوى العز بن عبد السلام قولهرَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ولا يجوز شغل المساجد بالغناء والرقص، ومخالطة المردان ويعزر فاعله تعزيزاً بليغاً رادعاً »(٢) .

* * *

وإلى هنا ينتهي المقصود من الرسالة . واستغفر الله مما طغا به القلم وزلت به القدم ، وأسأل الرب العزيز الأكرم العفو والغفران والتجاوز عن الذنوب والآثام ، إنه ولي ذلك والقادرعليه وصلى الله علي نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .



---

(١) الإبداع ص ٣١٥ .

(٢) نقض المنطق ص ١٤ .

(٤)

تحريض الحشود الوفية

لإنكار بدعة أخذ العهود الصوفية

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

القاهرة
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهدا ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

مما يحير أولي الألباب أن تجد من يطلق الدعاوي بأنه يُحَكِّم الكتاب والسنة ويدَّعي محبة رسول الله ﷺ وفي الوقت نفسه تخالف اقواله وأفعاله الكتاب والسنة كم ممن ادَّعي سلوك الطريق وخالف داعي الفلاح ؟! كم ممن ادَّعى محبة رسول الله ﷺ واستقى من غير سنته ؟! كم ممن رفع راية التمسك بالكتاب والسنة وهو مبتدع خرافي قد ألصق البدع والخرافات بالإسلام وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ؟! فهل نحن بحاجة إلى مصادر أخرى للتشريع وبين أيدينا كتب الله وسنة نبيه محمد ﷺ ؟ ألا يكفينا العمل بالوحيين نحتكم إليهما في أمورنا جليلها وصغيرها ظاهرها وباطنها سرها وعلانيتها ؟! فكل من لم يتقيد بما جاء في الكتاب والسنة لا يلتفت لدعواه كائنا من كان فإن المؤمن المتبع هو الذي تقيد بالكتاب والسنة اعتقاداً وتطبيقاً ومنهجاً وسلوكاً وتأصيلاً ومن العجيب أن يظهر بين الفينة والأخرى بعض البدع التي يزعم مروجوها أنهم على شيء وليسوا على شيء ومن تلك البدع بدعة منتشرة في الأوساط الصوفية تدعى بدعة أحذ العهود أو أخذ العهد الصوفي حيث يأخذ الشيخ الطرقي شيخ الطريقة العهد على المريد المنتظم في سلك أهل الطريقة ويُلزمه الشيخ بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان من هيئات للذكر أو سلوكيات خاطئة واعتقادات باطلة وتصورات عاطلة وخرافات رائجة في الوسط الصوفي ويمارس الشيخ الطرقي على المريد نوعاً من الإرهاب النفسي عن طريق هذا

العهد الذي أخذه عليه فيظن المريد أنه أصبح مكبلاً ومكتفاً بهذا العهد الذي لا يستطيع حسب ظنه أن يتنصل منه أو يتخلى عن الطريقة لما ألقي في روعه أن من ترك الطريق فسوف يصاب بالأذي في نفسه أو ماله أو أهله وكل ذلك من وساوس الشيطان وضعف الإيمان والجدير بالذكر أن بدعة أخذ العهد صار يعقد عليها الولاء والبراء في الطرق الصوفية وأصبح البعض ممن انتسب للطريقة يحرص عليها وعلى جمع أكبر عدد ممكن من المريدين للانضواء تحت مظلة الطريقة .

ولم أعثر على كتاب مفرد للتحذير من بدعة أخذ العهود الصوفية اللهم إلا رسالة كنت قد قرأت اسمها في عدة كتب نادرة معروضة للبيع على الشبكة العنكبوتية بعنوان « القول المحمود في إبطال ما عليه أهل الطريق من الأذكار والعهود » وهي بدون نسبة إلى مؤلف معين ولا أدري لمن هي وكم تمنيت أن أحصل عليها لأنشرها والله المستعان ولما ذاع صيت هذه البدعة أردت أن أسلط الضوء عليها من خلال الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح لذا جمعت هذه الرسالة في بيان خطورة هذه البدعة ونقد الطرق الصوفية التي تتبنى هذه البدعة وتروج لها محذراً في الوقت نفسه من سلوك سبيل من تورط في هذه البدعة .

وسمَّيت الرسالة بـ « **تحريض الحشود الوفية لإنكار بدعة أخذ العهود الصوفية** » بينت فيها أن هذه العهود صورة من صور من الإرهاب النفسي الذي يمارسه أرباب الطرق الصوفية ليضمنوا من وراء ذلك الجمهرة الغفيرة لطرقهم ومكانتهم بين العوام ويلزموهم بما لم يلزمهم الله ورسوله به أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً ولوجهه إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

السيد عبد المقصود عبد الرحيم

الاسماعيلية في ٥/٢/١٤٣١هـ

كشف شبهة

قد يقول قائل : لماذا تحملون علي الطرق الصوفية في أخذ هذه العهود على مريديهم؟ ونحن نري كثيراً منهم يبتغون بذلك زيادة الخير والفضل !!

وقد يتمتع الكثير منهم بالنية الحسنة!! دعوا القوم وشأنهم ، واتركوهم وحالهم لماذا لاتوجهون سهام اللوم والإنكار الى الفساق وأهل المجون ممن يترك الصلوات وينتهك الحرمات؟ فلماذا تنكرون علي الصوفية؟

والجواب : أن هذه الشبهة طالما سمعناها ممن يدافع عن الطرقية المتصوفة ولكنها بحمد الله شبهة مكشوفة

ويمكن ردها من وجوه متعددة :

الوجه الأول : أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا محاباة فيه لأحد بل الإنكار علي المتصوفة وغيرهم من المخالفين للشرع المطهر أمر لا يختلف عليه أهل العلم بالسنن والآثار فدين الله لابد أن يكون خالصاً لله عز وجل ولابد أن يكون صافياً من شوائب البدع والضلالات فنحن ننكر علي أهل الملة ارتكابهم للمحظور وترك المأمور ، بل الإنكار علي الصوفية يتأكد لأنهم يعتقدون بعض البدع والضلالات والأفكار المنحرفة فيظنون بها أنهم على الجادة وليسوا كذلك لأن الشيطان زين لهم البدعة فهي أحب إليه من المعصية وشتان بين من يرتكب بدعة ينافح عليها ويدافع وبين من يرتكب مفسقاً يصبح به من عصاه الموحدين فالأول علي سبيل ضلالة ، والثاني علي سبيل نجاة في الجملة ويرجي له التوبة مع علمه بأنه مخطئ وعاص بكبيرته وفاسق بها أما المبتدع فقلما يقلع عن بدعته ويتركها .

الوجه الثاني : أننا لا نقطع بحسن نية الطرقية في أفعالهم وما يرتكبون من بدع فالقطع بذلك لا ينبغي لأن الاطلاع علي النوايا من خصائص علام الغيوب فهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور فكيف يقطع لهم يحسن النوايا في أعمالهم

المخالفة للشرع وهي أمور لا يعلمها إلا الله تعالي كما أن حسن النوايا لا يبرر المخالفات الشرعية .

الوجه الثالث : ثم لو فرضنا حسن النوايا في تلك الأفعال التي يقومون بها في الحضرات فهل النية الحسنة وحدها تكتفي في الحكم علي العمل بالصحة والشرعية أم لابد أن ينضم إلي ذلك اتباع الرسول ﷺ؟ حيث إن الدين يقوم علي أصلين عظيمين : أحدهما : أن لا نعبد إلا الله . والثاني : أن لا نعبده إلا بما شرع لا بالأهواء والبدع ولا بعبادات مبتدعة ، وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، كما قال تعالي : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : ٢] .

قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه قالوا : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتي يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون علي السنة ، وذلك تحقيق قوله تعالي : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ [الكهف : ١١٠][(١)] .

فالشريعة كاملة من كل الوجوه لامجال فيها لنقص أو زيادة وما أحسن ما قال ابن القيم رحمه الله في بيان كمال الشريعة : « وهذا الأصل من أهمِّ الأصول وأنفعها ، وهو مبنيٌ على حرف واحد ، وهو عمومُ رسالته ﷺ بالنسبة إلى كلِّ ما يحتاج إليه العبادُ في معارفهم وعلومهم وأعمالهم ، وأنَّه لَم يُحْوِج أمَّتَه إلى أحد بعده ، وإنَّما حاجتهم إلى مَن يبلِّغهم عنه ما جاء به ، فلرسالته عمومان محفوظان لا يتطرَّق إليهما تخصيصٌ؛ عمومٌ بالنسبة إلى المرسَل إليهم ، وعمومٌ بالنسبة إلى كلِّ ما يَحتاج إليه مَن بُعث إليه في أصول الدِّين وفروعه ، فرسالتُه كافيةٌ شافيةٌ عامَّة ، لا تحوج إلى

(١) قاعدة جليلة في التوصل والوسيلة ص ٢٦٩ .

سواها ، ولا يتمُّ الإيمانُ به إلاَّ بإثبات عمومِ رسالته في هذا وهذا ، فلا يَخرج أحدٌ من المكلَّفين عن رسالته ، ولا يخرج نوع من أنواع الحقِّ الذي تحتاج إليه الأمَّة في علومها وأعمالها عمَّا جاء به ، وقد توفي رسول الله ﷺ وما طائرٌ يقلِّب جناحيه في السَّماء إلاَّ ذكَر للأمَّة منه علماً وعلَّمهم كلَّ شيء حتى آداب التخلِّي وآدابَ الجِماع والنوم ، والقيام والقعود ، والأكل والشرب ، والركوب والنزول ، والسَّفر والإقامة ، والصَّمت والكلام ، والعُزلة والخلطة ، والغنى والفقر ، والصحة والمرض ، وجميع أحكام الحياة والموت ، ووَصَفَ لهم العرشَ والكرسيَّ ، والملائكة والجنَّ ، والنار والجنة ، ويوم القيامة وما فيه حتى كأنَّه رأيُ عَين ، وعرَّفهم معبودَهم وإلَهَهم أتمَّ تعريف ، حتى كأنَّهم يرونه ويشاهدونه بأوصاف كماله ونعوت جلاله ، وعرَّفهم الأنبياء وأمَمَهم وما جرى لهم وما جرى عليهم معهم ، حتى كأنَّهم كانوا بينهم ، وعرَّفهم مِن طُرق الخير والشرِّ دقيقَها وجليلَها ما لَم يعرِّفه نبيٌّ لأمَّته قبله ، وعرَّفهم ﷺ من أحوال الموت وما يكون بعده في البرزخ وما يحصل فيه من النَّعيم والعذاب للروح والبدن ، ما لَم يعرِّف به نبيٌّ غيرَه ، وكذلك عرَّفهم ﷺ من أدلَّة التوحيد والنبوة والمعاد ، والردَّ على جميع فرق أهل الكفر والضلال ، ماليس لِمَن عرفه حاجة مِن بعده ، اللهمَّ إلاَّ إلى مَن يبلِّغه إياه ويبيِّنه ويوضح منه ما خفي عليه ، وكذلك عرَّفهم ﷺ مِن مَكايد الحروب ولقاء العدوِّ وطرُق النَّصر والظَّفَر ما لو عَلِموه وعقِلُوه ورعَوْه حقَّ رعايَتِه لَم يقم لَهم عدوٌّ أبداً ، وكذلك عرَّفهم ﷺ مِن مكايد إبليس وطرُقِه التي يأتيهم منها ، وما يتحرَّزون به مِن كيده ومَكرِه ، وما يدفعون به شرَّه ما لا مَزيد عليه ، وكذلك عرَّفهم ﷺ مِن أحوال نفوسِهم وأوصافِها ودسائسِها وكمائِنها ما لا حاجة لهم مَعه إلى سِواه ، وكذلك عرَّفهم ﷺ مِن أمور مَعايشِهم ما لو عَلِموه وعمِلُوه لاستقامت لهم دنياهم أعظمَ استقامة .

وبالجملة : فجاءهم بخير الدنيا والآخرة برُمَّته ، ولَم يُحْوِجْهُم الله إلى أحد

سواه، فكيف يُظَنُّ أنَّ شريعتَه الكاملةَ التي ما طرق العالَم شريعةٌ أكملَ منها ناقصةٌ ، تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكمّلها ، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارجٍ عنها، ومَن ظنَّ ذلك فهو كمَن ظنَّ أنَّ بالناس حاجةً إلى رسول آخَر بعده ، وسبَبُ هذا كله خفاءُ ما جاء به على مَن ظنَّ ذلك ، وقلَّةُ نصيبه مِن الفَهم الذي وفَّق الله له أصحابَ نبيِّه الذين اكتفوا بما جاء به ، واستغنوا به عمَّا سواه ، وفتحوا به القلوبَ والبلادَ ، وقالوا : هذا عهدُ نبيِّنا إلينا ، وهو عهدُنا إليكم »[1] .

الوجه الرابع : أن وسائل التقرب إلي الله تعالي من طاعات وأقوال وأعمال ومعتقدات كلها محصورة في إطار الشرع المطهر فمن زاد عليها أمر فقد ابتدع وضل فمن اخترع عهود وبيعات وصلوات وأذكار وهيئات للذكر معينة ، وأثبت منها ما لم ترد به السنة ولا عمل به السلف الصالح فقد ابتدع في الدين ، وضل عن الصراط المستقيم .

الوجه الخامس : أن اعتقاد الطرقية بأن أخذ العهود الصوفية زيادة خير وعمل هو في الحقيقة استدراك علي الشرع المطهر وبيان ذلك أن أخذ العهود بهذه الهيئات التي يزعمونها لو كانت مشروعة لجاءت عن رسول الله ﷺ فدعواهم أنها زيادة وخير هو استدراك علي النبي ﷺ واعتراف منهم بلسان الحال أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي ولا شك أن معتقد ذلك خارج عن ملة الإسلام ، مفارق لجماعة المسلمين .

الوجه السادس : أن دعواهم زيادة الخير في أخذ العهود دعوى باطلة مشابهة تماماً لدعوي من حكي الله عنهم اختراع وابتداع الرهبنة .

قال الله تعالي : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد : ٢٧] . وقد ذكر القرطبي رحمه الله بأن المعني : ما كتبناها عليهم

---

(١) إعلام الموقعين (٣٧٥/٤) .

ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله(١) .

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في معني الآية : « ما كتبناه نحن عليهم رأساً ولكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله » (٢) .

وعند التأمل في هذه الآيات ومعناها يمكن ملاحظة أن الله تعالي ذم أهل الرهبنة وهذا يدل علي أن حسن النية وحده لا يكفي في تصحيح العمل وإضفاء الشرعية عليه وأن ادّعاء زيادة الخير دون دليل شرعي لهو أمر في غاية الانحراف والضلال .

الوجه الثامن : أن الإنكار علي الصوفية المخرفين أولي ويجب تقديمه لأن فيهم من ينشرون بدعاً وعقائد فاسدة ونشرها أخطر بلا شك من فعل الفساق ولهذا قالوا إن البدعة أحب إلي إبليس من المعصية فالمعصية يتاب منها وأما البدعة فقلما يتوب صاحبها .

الوجه التاسع : يكفي القارئ أن يعرف تأثير هؤلاء الطرفية المخرفين في العوام حتى أصبح لهم نفوذاً كبيراً في كثير من البلاد الإسلامية وأصبحوا يشكلون مناصب كبيرة في صنع القرار السياسي وبما يمثلونه من أعداد كبيرة في تلك البلاد ويكفي القارئ أن يعرف أن عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها يزيد علي عشرة ملايين(٣) فما بالك بالدول الأخري التي تضم أعدادا كبيرة منهم ولا شك أنهم يؤثرون بباطلهم في الناس لذا وجب التصدي لهم . وكلما نشط دعاة المنهج السلفي في نشر العقيدة الصحيحة وسنة رسول الله ﷺ كلما انحسر دعاة الفتنة من الروافض والمخرفين من الصوفية والملاحظ أن دعاة الصوفية قد أحسوا في هذه الأيام بزلزلة كيان وتعرض للضربات من دعاة النهج السلفي في نشر العقيدة الصحيحة .



---

(١) تفسير القرطبي (١٧/٢٦٣) .

(٢) فتح القدير (٥/١٧٨) .

(٣) التيجانية ص٧ .

فصل

تعريف العهد في اللغة والشرع

العهد لغة : من الفعل عهد .

قال ابن فارس : العين والهاء والدال أصل هذا الباب عندنا ، دل على معنى واحد وقد أومأ إليه الخليل قال : أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به[(١)] .

ويأتي العهد على عدة معان :

العهد : الموثق واليمين يحلف بها[(٢)] .

قال إبراهيم النخعي رحمه الله : « كان أصحابنا ينهوننا ونحن غلمان أن نحلف بالشهادة والعهد »[(٣)] .

العهد : الوصية[(٤)] .

العهد : التقدم للمرء في الشيء[(٥)] .

العهد : الوفاء والحفاظ ورعاية الحرمة[(٦)] .

العهد : الأمان[(٧)] .

العهد : الالتقاء وعهد الشيء عهداً عرفه تقول عهدي بزيد في مكان كذا أي

---

(١) معجم مقاييس اللغة مادة عهد (١٦٧/٤) .

(٢) معجم مقاييس اللغة مادة عهد (١٦٧/٤) .

(٣) رواه البخاري (١٦٧/٨) .

(٤) لسان العرب (٣١١/٣) ، تاج العروس(٤٤٢/٢) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري(١٣٥/١) لسان العرب (٣١١/٣) .

(٦) لسان العرب(٣١١/٣) ، تاج العروس (٤٤٢/٢) .

(٧) لسان العرب (٣١١/٣) ، تاج العروس (٤٤٢/٢) .

آخر لقاء لي به كان في مكان[١] كذا .

العهد : يقال : عهدي بفلان وهو شاب أي أدركته فرأيته كذلك[٢] .

العهد : المنزل الذي لايزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه[٣] .

العهد : أول المطر وفي الصحاح المطر الذي يكون بعد المطر[٤] .

العهد : الزمان كالعهدين بالكسر[٥] .

العهد : الإلّ[٦] .

وقال الجوهري : الإل : العهد والقرابة . قال حسان[٧] :

لعمرك أن إلّك من قريش كإل السقب من رأل النعام

العهد : الضمان[٨] .

العهد : التوحيد[٩] .

العهد[١٠] : الذي يحب الولايات والعهود . قال الكميت :

نام المهلب عنها في إمارته حتى مضت سنة لم يقضها العهد

---

(١) لسان العرب (٣/-٣١١-٣١٢) مختار الصحاح (١/٥١٢) .

(٢) لسان العرب (٣/٣١١-٣١٢) مختار الصحاح (١/٥١٢) .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (١/١٣٥) لسان العرب (٣/٣١١) .

(٤) الصحاح (١/٥٣١) .

(٥) تاج العروس (٢/٤٤٢) .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (١/١٣٥) .

(٧) مختار الصحاح (١/٥١٢) تفسير القرطبي (٨/٧٩) .

(٨) تاج العروس (٢/٤٤٢) .

(٩) تاج العروس (٢/٤٤٢) .

(١٠) تهذيب اللغة (١/١٣٧) .

العهد في القرآن جاء لمعان :

الوصية والأمر :

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ ﴾ [البقرة : ١٢٥] أي أمرنا وأوحينا(١) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [يس : ٦٠] أي ألم أوصيكم وأبلغكم على ألسنة الرسل(٢) .

الوعد والالتزام :

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [البقرة : ٤٠] العهد هنا الالتزام للغير(٣) .

وقال الله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] أي وعدي(٤) .

وقوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [التوبة : ٧٥] ، واللام تدل على أنه في معنى القسم(٥) .

العقد والميثاق :

قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [الأنفال : ٥٦] فهي هنا بمعنى العقد والميثاق(٦) .

---

(١) تفسير الماوردي (١/١٥٦) التحرير والتنوير (١/٧١١) .

(٢) تفسير القرطبي (١٥/٤٧) .

(٣) تفسير الماوردي (١/٩٩) التحرير والتنوير (١/٤٥٣) .

(٤) تفسير القرطبي (٨/٢١٠) .

(٥) تفسير القرطبي (٨/٢١٠) .

(٦) تفسير القرطبي (٢/٤٠) .

الأمانة :

قال الله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران : ٧٦] الوفاء بالعهد هنا الوفاء بالأمانة والدليل سياق الآيات التي قبلها فهي تتحدث عن الأمانة : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ [آل عمران:٧٥] .

فقوله ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٧٦] أي لم يخنه في أمانته لأن الأمانة عهد[(١)] وقوله : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ [الأعراف : ١٠٢] أي لا أمانة لهم ولاوفاء[(٢)] .

ما أخذه الله على بني إسرائيل من وجوب الإيمان به وتصديق رسله :

كما في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران : ٧٧] أي يدل ما عاهدوا الله عليه من الإيمان بالرسول [(٣)] . والعهد عهد التوراة أي ما اشتملت عليه من أخذ العهد على بني إسرائيل بالعمل بما أمروا به من جملة العهد الذي أخذ عليهم أن يؤمنوا بالرسول المصدق للتوراة[(٤)] .

ما أوجبة الإنسان على نفسه من النذور :

قال الله تعالى ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ﴾ [الأنعام : ١٥٢][(٥)] .

وقال النسفي : النذر واليمين[(٦)] .

---

(١) التحرير والتنوير (٢٣٩/٣) .

(٢) تفسير القرطبي (٢٥٥/٧) .

(٣) تفسير أبي السعود (٥٠٣/١) .

(٤) التحرير والتنوير (٦٥٢/١) (٢٨٩/٣) .

(٥) تفسير الماوردي (٥٧٨/١) وقال النسفي النذر واليمين تفسير النسفي (٨٩/٢) .

(٦) تفسير النسفي (٨٩/٢) .

العهدة والاستيداع والاختصاص :

قال الله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ [الأعراف : ١٣٤] . أي بما استودعك من العلم والنبوة[١] .

اليمين :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾ [التوبة : ١٢] أي يمينهم[٢] .

وقال : ﴿ وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ [الأحزاب : ١٥] .

قال قتاده : « قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن وذلك أنهم كما غابوا عن بدر أقسموا أن لايتخلفوا عن غزوة بعدها »[٣] .

البيعة :

كما في قوله : ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء : ٣٤][٤] .

وقال : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ ﴾[الفتح : ١٠] أي البيعة[٥] .

الأعمال الصالحة :

قال الله تعالى : ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَـٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٧] .

---

(١) تفسير القرطبي (٢٧١/٧) تفسير النسفي (١٤٠/٢) التحرير والتنوير (٢٢٧/٢٥) .

(٢) التحرير والتنوير (١٢٩/١٠) .

(٣) زاد المسير (٣٤٢/٦) تفسير القرطبي (١٥٠/١٤) .

(٤) التحرير والتنوير (١٩٧/١٥) .

(٥) زاد المسير (٤٢٨/٧) .

قال القرطبي : « هو لفظ جامع للإيمان وجميع الأعمال الصالحة التي يصل بها صاحبها إلى حيز من يشفع »[١] .

وقال ابن كثير : « هي شهادة ألا إله إلا الله والقيام بحقها »[٢] .

(١١) الزمان :

كما في قوله : ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [طه : ٨٦] . أي الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال عهدي بك. أي طال زماني بحسب مفارقتك[٣] .



(١) تفسير القرطبي (١١/١٥٤) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣/١٣٨) .

(٣) تفسير الكشاف (٢/٥٤٩) تفسير النسفي (٣/٢٠٨) .

فصل

في تعريف العهد عند الصوفية

من خلال ممارسات الطرق الصوفية التي يمارسونها والتي رأيناها وقرأنا عنها لاسيما في كتب المتأخرين نجد أن العهد الصوفي عندهم هو : **التزام يؤخذ علي المريد الصوفي الطرقي بصورة وهيئة معينة بأن يقوم بطقوس خاصة وهيئات وأوراد الطريقة التي ينتمي اليها وعدم الخروج أو التخلي عنها لسبب من الأسباب**

وأحيانا يسمونها البيعة بين الشيخ والمريد ويحتجون بأحاديث البيعة التي هي في بيعة الأمام الأعظم أو خليفة المسلمين بل ويحتجون بآيات البيعة على العهد الصوفي الذي يأخذه الشيخ على المريد .

وقد يعرف الصوفية العهد بتعريف غير مطابق للواقع فهم يعرّفونه بتعريف من سبق من الصوفية كما ذكر الجرجاني في تعريف العهد : « بأنه حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال »(١) .

وهذا التعريف يخالف الواقع الذي نراه وقد أخذت بدعة أخذ العهود أشكالاً وهيئات وطقوساً غريبة في الأوساط الصوفية لاسيما في بعض البلدان الإسلامية كالسودان والمغرب ونيجيريا والسنغال والعراق وبعض نواحي الشام ومصر من البلدان التي تنتشر فيها الصوفية بقوة ودرج بعض الطرق على أن يؤخذ العهد على المريد في وسط احتفال برسوم معينة ولبس الخرقة الصوفية التي مازالت ولاتزال منتشرة بين الطرق الصوفية .



(١) التعريفات للجرجاني ص ٦٩ .

فصل

في العهد الشرعي

لا نعرف في الإسلام هذا النظام المتبع في الطرق الصوفية من أخذ العهود على الطريقة الصوفية بل المعروف في الإسلام أن المسلمين قديماً كانوا يأخذون بنظام البيعة حيث يبايعون الإمام على أن يتخذوه إماماً لهم ويدعى أميراً للمؤمنين وهذه هي البيعة بيعة الإمام الأعظم وبمقتضى هذه البيعة يجب للإمام على رعيته السمع والطاعة في غير معصية وهذه البيعة ملزمة ولا يجوز أن يخلع المسلم يداً من طاعة الإمام ففي الأحاديث الكثيرة وجوب السمع والطاعة للإمام على المسلم فيما أحب أو كره ما لم يأمره الإمام بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة والنصوص الشرعية في وجوب البيعة كلها تصب في بيعة الإمام وهي البيعة الملزمة للمسلم ولا يلزم المسلم سواها فلا يلزمه بيعة صوفية ولا بيعة إخوانية ولا بيعة جهادية ولا بيعة تكفيرية

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[1] .

ولفظه عند الحاكم « من خرج من الجماعة قيد شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه ومن مات وليس عليه إمامة وجماعة فإن موتته موتة جاهلية » .

البيعة لغة واصطلاحاً :

والبيعة لغة : هي الصفقة على إيجاب البيع ، وعلى المبايعة والطاعة ، والبيعة : المبايعة والطاعة ، وقد تبايعوا على الأمر ، كقولك أصفقا عليه وبايعه عليه مبايعة :

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢١) وأحمد (١٣٣/٢) وابن أبي عاصم في السنة (٩١) والطبراني في الكبير (٣٣٥/١٢) والحاكم في المستدرك وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين .

عاهده ، وبايعته من البيع والبيعة جميعاً ، والتبايع مثله وفي الحديث أنه قال : « ألا تبايعوني على الإسلام » وهو عبارة عن المعاقدة والمعاهدة ، كأن كل واحد منهم باع ماعنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه ، وطاعته ودخيلة أمره ، وقد تكرر ذكرها في الحديث(١) .

البيعة اصطلاحا : فهي العهد على الطاعة ، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه ، وأمور المسلمين ، ولا ينازعه في شيء من ذلك ، ويطيعه فيما يكفيه به من الأمر على المنشط والمكره ، وكانوا إذا بايعوا الأمير ، وعقدوا عهده وجعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد ، فأشبه فعل البائع والمشتري ، فسمى بيعة مصدر باع ... وصارت البيعة مصافحة باليدين ، وهذا مدلولها في عرف اللغة .ومعهود الشرع » ولا يكون ذلك شرعاً وعزماً إلا لأمير المؤمنين وخليفة المسلمين فمن خلال النصوص النبوية يظهر أن البيعة الواجبة والملزمة للمسلم هي بيعة السلطان المسلم وهذا الواجب يأثم المسلم بتركه مع القدرة عليه فإن عجز أو لم تكن الشروط متوفرة انتقى الإثم والله أعلم

وقد عرف ابن خلدون رحمه الله البيعة للأمير أعني أمير المؤمنين بقوله : « العهد على الطاعة كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين ، لا ينازعه في شيء من ذلك ، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره »(٢) .

قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن أورد قوله ﷺ : « من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية » قال الإمام أحمد مجيباً اسحاق ابن هانئ عندما سأله ما معنى هذا الحديث قال : تدري ما الإمام ؟ الذي يجتمع المسلمون عليه كلهم ، يقول هذا إمام

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢٦/٨) .

(٢) مقدمة ابن خلدون ص٢٦١ .

فهذا معناه »[١] .

وقال الكشميري : « واعلم أن الحديث يدل على أن العبرة بمعظم جماعة المسلمين فلو بايعه رجل أو اثنان أو ثلاثة فإنه لا يكون إماماً مالم يبايعه معظمهم أو أهل الحل والعقد »[٢] .

قلت : علم مما سبق أن ما تفعله بعض الجماعات الإسلامية من أخذ البيعة لرجل منهم على أنه إماماً أو أميراً للمسلمين فكل ذلك باطل وكذلك من طلب لنفسه بيعة كما قد يشاع عن بعضهم أنه يطلب البيعة لنفسه مدعياً أنه أميراً للمؤمنين وأنه قرشياً وغير ذلك فهذا في الحقيقة امتداد لعهد الصوفية ولكن بأسلوب آخر ومسمى آخر باسم البيعة .

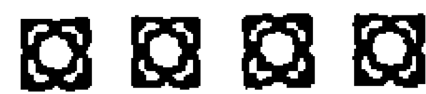
قال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ : « فمن تلك الوسائل التي تهجن الدعوة وتثير الشغب ، وتجعل الأمة شيعاً ، تلكم البيعة البدعية الممتدة من معين المتصوفة إلى مستحدث بعض الجماعات الإسلامية وهكذا الأهواء يجر بعضها بعضاً وعليه فاعلم أن البيعة في الإسلام بيعة واحدة في الإمامة العظمى ، وهي البيعة الجامعة ، تنعقد بموافقة أهل الحل والعقد في الأمة ، سواء حصلت تلك البيعة بطريق محبوب إلى الله ورسوله ﷺ كبيعة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أو بطريق الغلبة ، وهذه هي التي يحصل بها للإمام ولي أمر المسلمين مقاصد الولاية : القدرة والسلطان ، والشوكة والمنعة فيقيم حكم الإسلام ، كإقامة الحدود ، وقسمة الأموال ، ونصب الولاة ، وجهاد العدو ، وإقامة الحج والأعياد ، والجمع والجماعات ، وغير ذلك من مقاصد الولاية المحمودة برسم الشرع وما زال أمر الأمة على هذا ماضياً لا يعرفون بيعة لمن هو دون مرتبة الإمامة الكبرى ثم خافت خاوف ، باتت أو جرت على الأمة

---

(١) مسائل ابن هانئ (٢٠١١) .

(٢) فيض الباري (٥٩/٤) .

كباكب من البدع وأهواء فجرت بدعة الطرقية (البيعة الرضائية) ، ويقال : (البيعة الاستثنائية) ويقال : (عهد المشايخ) ويقال (عقد الطريق) ، ويقال : (ميثاق الطريق) وهذه بيعة بدعية محدثة ، لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا عمل صحابي وقد أنكرها جماعة من العلماء وشددوا النكير على فعلتها وأنه لاأصل لها ثم انتقلت بمسلاخ آخر إلى بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة حتى بلغ الحال إلى وجود جماعات من ورائها عدد من العهود والبيعات في بلد واحد وكل واحد منها يدعو إلى ما هي عليه دون ما عليه الأخرى ، فضاع من بينهم الميثاق النبوي لجماعة المسلمين « ما أنا عليه وأصحابي » وهكذا انقطع جسم الأمة بين بيعات طرقية في أجواف الزوايا وإلى بيعات حزبية في المواجهة وصار الشباب في حيرة إلى أي حزب ينتمي ولأي تنظيم يبايع »[1] .



(١) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص ١٢٧ .

فصل

في أسباب أخذ مشايخ الطرق الصوفية للعهود على مريديهم

(١) استغلال جهل الناس بالشرع المطهر :

وهو أكبر داء وآفة تواجه الناس ، ولو حصل بعضهم على أعلى المراكز والشهادات الجامعية والمناصب فهو جاهل وطالما ظل الجهل بالشرع يتغلغل في عقول الناس ستظل البدع منتشرة بينهم بل وسيزداد انتشارها . لذلك فالجهل داء دفين علاجه التعلم وأعني به تعلم العلم الشرعي وعلى رأس ذلك إصلاح العقيدة وإخلاص التوحيد لله رب العالمين فالتوحيد رأس مال العبد وإذا جهل العبد توحيد المولى عز وجل تخبط في دياجير الجهل والبدع ولا يبالي الشيطان به في أي وادي يهلكه ، ومن هنا فقد رفع الله تعالى من شأن العلم والعلماء ورغب ﷺ وحض على تعلم العلم ، والمسابقة في ذلك بل وذكر فضائل جملة لمن يعلم الناس العلم ، بل وجعل فضل العلم خير من فضل العبادة لأن العلم جهاد والدعوة إلى الله تعالى من الجهاد في سبيل الله بالكلمة . إن أخطر ما يواجه الناس في حياتهم أن يعبدوا الله تعالى على جهل ، لأنه الضلال بعينه وما ضل من ضل من النصارى إلا بسبب عبادتهم لله على جهل ولذلك قال بعض السلف : « من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عُبّادنا ففيه شبه من النصارى »(١) .

إن سبب بلاء الصوفية هو البعد عن دراسة العلوم الشرعية وتعلم العلم النافع . فكل من ابتعد عن العلم النافع لابد أن يتلبس بنوع من البدعة ، بل قلما ينجو من المخالفة ، وكيف ينجو من المخالفة للكتاب والسنة وهو لم يطلب العلم الشرعي

---

(١) هو قول سفيان بن عينيه رحمه الله ذكره عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء .

الذي ينير الله به الطريق ، ويزيل به عنة ظلمات الجهل والبدعة؟ .

وما أحس قول الحافظ الذهبي رحمه الله : « متى رأيت الصوفي مكبا علي الحديث فثق به ، ومتى رأيته نائياً عن الحديث فلا تفرح به لاسيما إذا انضاف إلى جهلة بالحديث عكوف على ترهات الصوفية ورموز الباطنية نسأل الله العافية »[١] .

إن أكبر مشكلة يمكن أن تواجه قطاع كبير من المريدين لهذه الطرق هو الجهل بدينهم ولهذا أدرك أرباب الطرق الصوفية المخرقون أنهم لو تمكنوا من الحيلولة بين مريديهم وتعلم العلم الشرعي لكانوا بذلك قد نجحوا في تزهيد مريديهم في العلم الشرعي وضمنوا بذلك عدم إنكارهم عليهم عند ارتكابهم البدع والخرافات فسياسة التجهيل التي يتبعها أرباب الطرق مع مريديهم تضمن لهم جيلاً من المقلدين العميان شعارهم « لا أرى لا أسمع لا أتكلم » تضمن لهم جيلاً موتى بين يدي مُغسل .

وبعض الصوفية المنحرفين يزهدون في العلم الشرعي ويزهدون الناس فيه ويظنون أن التقوى تعرف هكذا ولا علاقة لها بالعلم ويحتجون بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقد رد أبو حيان عليهم في تفسير الآية بعدما ذكر أقوال العلماء فيها فقال : « والثالثة : تتضمن الوعد والوعيد وقيل : معنى الآية الوعد فإن من اتقى الله علمه الله ، وكثيراً ما يتمثل بهذه بعض المتصوفة الذين يتجافون عن الاشتغال بعلوم الشريعة ، من الفقه وغيره إذا ذكر لهم العلم والاشتغال به قالوا : قال الله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] ومن أين تعرف التقوى؟ وهل تعرف إلا بالعلم »[٢] .

إن أهل الجهل أقرب إلى البدع والشرك والمعاصي وكلما كان الإنسان جاهلاً كلما اقترب أكثر من دائرة البدع والمنكرات . وكثرة الجهل علامة من علامات

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/١٨٣) .

(٢) البحر المحيط (٢/٣٤٠) .

الساعة حيث يقول ﷺ : « يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن »(١) .

وليس معنى ذلك أن نرضى بالأمر الواقع بل لابد للدعاة والعلماء من أخذ دورهم والحرص على نشر العلم الشرعي والعقيدة السليمة عسى أن يتغير الحال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .

إن تغير الواقع ليس بالأماني الكاذبة ولا بالأحلام الوردية بل بالجهد والتعب وبذل النفس والنفيس في نشر دعوه الله في الأرض كلها والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال ابن الجوزي رحمه الله : « اعلم أن أول تلبيس إبليس على الناس صدهم عن العلم ؛ لأن العلم نور ، فإذا أطفأ مصابيحهم خبطهم في الظلم كيف شاء »(٢) .

وقال السيوطي رحمه الله : « واعلم أن العالم لا يدخل عليه إبليس إلا مسارقة ، أما المتعبدون بلا علم فإنه يلبس عليهم في فنون التعبد أشياء يعتقدونها فضيلة أو أفضل من غيرها وهي بخلاف ما يظنون منها »(٣) .

وعن أبي سعيد الكندي رحمه الله قال : كنت أنزل رباط الصوفية ، وأطلب الحديث في خفية بحيث لا يعلمون ، فسقطت الدواة يومًا من كُمي فقال لي بعض الصوفية : « استر عورتك »(٤) .

قلت : سبحان الله إلى هذا الحدّ بلغ صدهم للناس عن العلم الشرعي ، حيث كان البعض يطلب الحديث في خفية عنهم ، وأيّ عورة وعار أكثر من الجهل بالدين . وهذا صوفي آخر يقول موضحًا أن من الآفات للمريد الصوفي تعلم العلم الشرعي فيقول :

---

(١) رواه البخاري (٨٥) .

(٢) تلبيس إبليس ص ٣٨٩ .

(٣) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ص٢٢٢ للحافظ السيوطي .

(٤) طبقات ابن ضيف الله ص ١٦٠ .

« آفة المريد ثلاثة أشياء : التزويج ، وكتابة الحديث ، ومعاشرة الضد »(١) .

وليس العجب من صدهم عن طلب العلم بل العجب أن يؤثر هؤلاء الطرقية على بعض المنتسبين للعلم فيقنعونهم بهذه الخرافات مما يجعلهم يتركون العلم الشرعي وينخرطون في سلك المخرفين . فهذا الشيخ المعروف بابن الترابي قرأ « مختصر خليل » في فقه المالكية وهو من السودان ولكنه بعد أن كان يجلس للتدريس ويدرس الناس الفقه إذا به ينخرط في سلك القوم ويدخل الخلوة كما يقال مدة اثنين وثلاثين شهرًا ولما سأله بعض التلاميذ أن يدرسهم الفقه كعادته أجابه بقوله : « أنا وخليل افترقنا إلى يوم القيامة »(٢) .

قلت : لأجل ذلك لا يحب هؤلاء الصوفية المخرفون من ينكر عليهم بل هم دائمًا يحذرون الناس وينفرونهم من علماء الشريعة المنكرين عليهم .

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في ذمه لما عليه غلاة الصوفية : « ومن الصوفية من ذمَّ العلماء ورأى أن الاشتغال بالعلم بطالة وقالوا : علومنا بلا واسطة ... حتى إن أحدهم يتخيل له وسوسة فيقول : « حدثني قلبي عن ربي » وكان الشبلي يقول :

إن طالبوني بعلم الورق برزت عليهم بعلم الخرق(٣)

---

(١) المصدر السابق (ص ١٦١) .

(٢) نقله التيجاني عنه في « جواهر المعاني » (١ / ١٧) .

(٣) يعني علم الصوفية والخرقة : هي التي يرتديها الصوفية ويتوارثونها ولم يصح فيها حديث عن النبي ﷺ وكل ما ورد فيها باطل وزور قال الحافظ السخاوي نقلاً عن ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ « ليس في شيء من طرقها ما يثبت ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لأحد من أصحابه ولا أمر أحدًا من أصحابه بفعل ذلك وكل ما يروى في ذلك صريحًا فباطل ثم نقل السخاوي من سبق ابن حجر إلى هذا الكلام كالدمياطي والذهبي والهكاري وأبي حيان والعلائي ومغلطاي والعراقي وابن الملقن والأبناسي والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين » « المقاصد الحسنة » ص ٣٣١ .

وسموا علم الشريعة علم الظاهر ، وسموا هواجس النفس العلم الباطن

وقد أنكر ابن القيم رحمه الله على هؤلاء قائلا : « وأما الكلمات التي تُروى عن بعضهم من التزهيد في العلم والاستغناء عنه كقول من قال : « نحن نأخذ علمنا عن الحي الذي لا يموت ، وأنتم تأخذونه عن الحي الذي يموت » وقول الآخر ، وقد قيل له : ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق ؟ فقال : ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلّاق ؟ ! . . . ونحو هذا من الكلمات فجهل وكلام شيطاني ، وإلا فلولا عبد الرزاق وأمثاله من رواة الحديث لما وصل إلى هذا وأمثاله شيء من الإسلام ، ومن أحالك على غير « أخبرنا » و « حدثنا » فقد أحالك إما على خيال صوفي أو قياسي فلسفي ، أو رأي نفسي ، فليس بعد القرآن ، و « أخبرنا » إلا الشبهات ، ومن فارق الدليل فقد ضل عن سواء السبيل »(١) .

إن أهل الجهل أقرب إلى البدع والشرك والمعاصي من أهل العلم وكلما كان الإنسان جاهلاً كلما اقترب أكثر من دائرة البدع والمنكرات . ولهذا حرص مشايخ الطرق الصوفية في عصرنا الحاضر على تزهيد الناس في طلب العلم الشرعي وبعضهم يظن أنه لايحتاج على تعلم العلم الشرعي طالما أنه من أصحاب العلم اللدني كما يزعم كمن يقول : حدثني قلبي عن ربي وهؤلاء وغيرهم من أمثالهم أنكر عليهم أهل العلم وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية قال ينكر على بعض مشايخ الطرق : « وكان هذا لقلة علمه بالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وظن أن ما يؤمر به الشيوخ في قلوبهم هو من الله وأن من قال : « حدثني قلبي عن ربي » ، فإن الله هو يناجيه ، ومن قال : « أخذتم علمكم ميتًا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت » ، هو كذلك ، وهذا أضل ممن ادّعى الاستغناء عن الأنبياء ، وأنه لا يحتاج إلى واسطتهم ، وجواب هذا أن يقال له : بأمر من تأمر ؟ قال : بأمر الله

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٢٣٢)

قيل بأمر الله الذي بعث به رسوله وأنزل به القرآن ، أم بأمر وقع في قلبك ، فإن قال بالأول ، ظهر كذبه »(١) .

وقال أيضًا : « وقد يقول الواحد من هؤلاء : أنا آخذ من الله وغيري يأخذ من محمد ﷺ فيرى بحاله في ذلك وتفرده أن ما أوتيه من التصرف والمكاشفة ، يحصل له بغير طريق محمد ﷺ ، وهو صادق في ذلك ، لكن هذه في الحقيقة وبال عليه ، فإن من تصرف بغير أمر الرسول ﷺ ، وأخذ ما لم يبحه له الرسول ﷺ ، فولّى وعزل ، وأعطى ومنع ، بغير أمر الرسول ﷺ ، وقتل وضرب بغير أمره ، وأكرم وأهان بغير أمره ، وجاءه الخطاب في باطنه بالأمر والنهي ، فاعتقد أن الله أمره ونهاه من غير واسطة الرسول كانت حالته هذه كلها من الشيطان ، وكان الشيطان هو الذي يأمره وينهاه ، فيأمره فيتصرف وهو يظن أنه يتصرف بأمر الله ، ولعمري هو يتصرف بأمر الله الكوني القدري بواسطة أمر الشيطان ، كما قال الله تعالى في السحرة : ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٠٢] كما أن المؤمن يتصرف بأمر الله الكوني القدري لكن بواسطة أمر الرسول المبلغ له عن الله عز وجل »(٢) .

ويقول الشعراني الصوفي « اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك أن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة من نقل أو شيخ ؛ فإنَّ من كان علمه مستفاد من نقل أو شيخ فما برح عن الأخذ عن المحدثات وذلك معلوم عند أهل الله عز وجل ... »(٣) .

قلت : انظر كيف صرح الشعراني بأن كمال الرجل عندهم أن يتلقى مباشرة عن

(١) مجموع الفتاوى (١٣ / ٣٢٥) .

(٢) الرسائل والمسائل (٤ / ٥٠ - ٥١) .

(٣) الفتوحات المكية (٣ / ١٠٩) .

الله عز وجل يعني فلا داعي للرسالة المحمدية ولا داعي للعلوم الشرعية بل هذا الكلام من الشعراني فيه احتقار للعلوم الشرعية وبسبب هذا التخريف الذي يرّوج له الصوفية من أمثال الشعراني وغيره رأينا ابن عربي الصوفي الذي ينعق بعقيدة الاتحاد في كتبه ورأيناه أيضًا في كتبه يزعم أن بعضها تلقاه مباشرة عن الله عز وجل على قاعدة حدثني قلبي عن ربي فتراه يصف كتابه « الفتوحات المكية » بأنه « من علوم التلقي والتدلي فلا يحتاج إلى ميزان آخر »[١] .

ويقول : « فأخبرني الروح الذي أخذت منه ما أودعته في هذا الكتاب »[٢] .

ويقول أيضًا : « فشتان بين مؤلف يقول : حدثني فلان - رحمه الله - عن فلان - رحمه الله - وبين من يقول : « حدثني قلبي عن ربي » . وإن كان هذا الأخير رفيع القدر فشتان بينه وبين من يقول : « حدثني ربي عن ربي » - أي : « حدثني ربي عن نفسي »[٣] .

ومن أجمل ما قال ابن الجوزي رحمه الله وهو يرد على أمثال هؤلاء الشياطين الذين يسمون عند جمهورية الصوفية بأرباب الأحوال : « كلا والله إن لنا لشريعة لو رام أبو بكر الصديق أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يقبل منه »[٤] .

قلت : حاشا الصديق من ذلك ولكن انظر إلى تجرد ابن الجوزي رحمه الله ونصرته للشريعة ولا تنسى أنه من ذرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

ويقول ابن الجوزي أيضًا : « ومن قال « حدثني قلبي عن ربي » فقد صرَّح أنه غني عن الرسول ﷺ ، ومن صرّح بذلك فقد كفر ، فهذه كلمة مدسوسة في

(١) المصدر السابق (٢ / ٣٧٠) .

(٢) الفتوحات المكية (١ / ٢٥٧) .

(٣) إحياء علوم الدين (٣ / ٢٨) .

(٤) المصدر السابق ص ٣٦٢ .

الشريعة . تحتها هذه الزندقة ، ومن رأيناه يزري على النقل علمنا أنه قد عطّل أمر الشرع ، وما يؤمن هذا القائل : « حدثني قلبي عن ربي » أن يكون ذلك من إلقاء الشيطان فقد قال عز وجل : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ ﴾ [الأنعام : ١٢١] . وهذا هو الظاهر ؟ لأنه ترك الدليل المعصوم وعوّل على ما يلقي في قلبه الذي لم تثبت حراسته من الوساوس »(١) .

قلت : ومن قلّب نظره في المجتمعات التي تتفشي فيها الطرق الصوفية يدرك مقدار الجهل الشديد بالعلم الشرعي بسبب صد الطرقية المتصوفة للناس عن تعلم العلم الشرعي في تلك المجتمعات وهذا الصد ليس بجديد بل هو من مبادئ علم الطرقية المتصوفة .

(٢) إشاعة جو من الإرهاب على المريد خشية تفلته من الطريقة :

وهذا هو السر في حرص مشايخ الطرق الصوفية على أخذ العهود على المريدين ليغرسوا في نفوسهم الرعب والإرهاب لمن يفكر يوماً ما في ترك الطريقة أو التخلي عنها فمن المعلوم لدى الجميع من المتابعين للطرق الصوفية أن شيخ الطريقة يتمتع فيها بنفوذ كبير وقد أعطى لنفسه سلطات كبيرة إذ هو يعتبر هرم الطريقة فهو يأمر مريديه وينهاهم ويلزمهم لذا فالمريدون يعتبرون شيخ الطريقة القطب الرباني والمعدن الصمداني والغوث والوتد وغير ذلك مما أشيع بينهم من ألقاب لا دليل عليها فالشيخ الطرقي بهذا العهد الذي يأخذه على المريد يضرب بسياج من حديد على المريد حتى لا يفكر في الخروج من الطريقة فلربما يستيقظ الصدق والحق في نفسية المريد ويبحث عن الحق وهذا وارد فيمن أراد الله به الخير منهم فقد يراجع نفسه ويتنصل من البدع والخرافات التي مارسها في الطريقة التي ينتمي إليها والشيخ

---

(١) نقله ابن الجوزي في « تلبيس إبليس » ص ٣١٨ .

الطرقي قد يتوقع هذا من المريد لذلك يأخذ عليه العهد فإذا أراد التنصل وترك الطريقة أثار في نفسية المريد جواً من الرعب والإرهاب إذ كيف يترك الطريقة وقد أخذ عليه العهد ألا يترك الطريقة ولا يخالف شيخ الطريقة لذلك يخاف كثير ممن أخذ عليهم العهد في الطرق الصوفية أن يتركوها لما يعتقدون أن تركها قد يسبب لهم بعض الأخطار وذلك من إشاعة جو الرعب والشحن النفسي الذي يمارسه أرباب الطرق الصوفية بالإضافة إلى إشاعة بعض المريدين قصصاً باطلة عن أخطار وقعت لمن ترك الطريقة أو تخلى عنها وما أكثر ما يشيع المريدون ضعاف الإيمان هذه القصص والخرافات التي يستخدمونها كإرهاب إعلامي لتخويف من أراد التنصل من الطريقة فقد يشاع أن من ترك الطريقة أصيب بمرض كذا وكذا وأن زوجته أصيبت بكذا وكذا وأن بعض التجار أصيب بكساد وخسارة وأن الطالب الفلاني رسب في الامتحان بسبب ترك الطريقة إلى الخ الخ ... وهذا الإرهاب الإعلامي للأسف يمارس في كافة الطرق الصوفية دون استثناء

(٣) ضمان استمرار جمع الأموال لمشايخ الطرق :

وهذا واضح جداً من خلال حرص الطرق على جذب أكبر عدد ممكن من المريدين مع الدعم الذي يقدم لهم من قبل ذوي المكانة والنفوذ والمساندة والدعم والرعاية التي يحظون بها من المفتي الصوفي وغيره وكلما كثر المريدون كثر الدخل والمال وبعض الطرق تتلقى الدعم المالي من بعض الرؤساء في صفقة تبادل منفعة فالنظام يطلب تأييد الطرق الصوفية لهم بسبب العدد الكبير من متبوعيهم خاصة في الانتخابات والطرق الصوفية تحتاج للدعم لضمان بقاء هيكلها وطقوسها ولذلك نلاحظ المزاوجة بينهم وبين السلطة في البلاد ففي بعضها يتقلدون مناصب كثيرة ويستفيدون وبعضهم يمتلك قنوات فضائية كما في تركيا وغيرها وقد كان السلاطين في العهد العثماني يسارعون لإرضاء الصوفية وتلبية مطالبهم وبناء الزوايا

والتكايا الكثيرة لهم وبناء القباب على القبور وتشييد الأضرحة فوقها وكسوتها وزخرفتها والوقف عليها وإطعام المريدين وإقامة الاحتفالات عندها والموالد للمشايخ من أرباب الطرق وتخصيص جزء من أموال صناديق النذور والأوقاف للصرف على الطرق الصوفية ودعمها وقد لعب مشايخ الطرق الصوفية على وتر ضمان استمرار جمع الأموال عن طريق الجمهرة من المريدين والسؤال الذي يفرض نفسه من أين لمشايخ الطرق الصوفية ضمان استمرار الأموال إن لم يكن هناك ما يلزم به المريد من عهود وعقود وغيرها بعدما داخل نفسية المريد أن مخالفة شيخ الطريقة يعود عليه بالخسران في دينه ودنياه حسب ظنه واعتقاده فأنى للمريد أن يخالف أو يتنصل أو يحجم عن دفع اشتراك إذا طلب منه ذلك وأنى له الإنكار على شيخ الطريقة ما يأتيه من بدع ومخالفات الكتاب والسنة وأنى له أن يلزم باب الشريعة ويستفيق من الغفلة

(٤) إيهام المريدين بأن المشايخ يملكون لهم النفع والضر :

وهذا الأمر يمارسه كثير من أرباب الطرق ويستخدمون في ذلك عبارات تجعل المريد غاية في الاستسلام لهم والخضوع دون أن يراجع شيخ الطريقة أو ينكر عليه أو حتى يخالفه في شيء أو يستعمل أذكاراً غير التي شاعت في الطريقة أو يتخذ شيخاً آخر غير شيخ الطريقة أو ينخرط في غيرها لذلك شاعت بينهم عبارات الطاعة العمياء والتقليد للشيخ إلى أبعد حد ممكن مادام قد أخذ عليه العهد ويعجبني كلام للحافظ الذهبي رحمه الله في الإنكار على الشيخ وعدم الطاعة المطلقة له لأن ذلك ليس لأحد دون رسول الله ﷺ فقد أورد الحافظ الذهبي رحمه الله قولاً لبعضهم « من قال لشيخه لما ؟ لا يفلح »[١] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦ / ٢٣٧) .

هذه المقولة أنكرها غير واحد من أهل العلم ولم لا يقول لشيخه لا إن كان يرى في الشيخ خطأ لا يقره الشرع ، وأراد أن ينبه الشيخ عليه بأدب ولطف؟ ، أو ليس كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون كما ورد ؟ وقد تعقب المقولة الصوفية هذه الشيخ تقي الدين الهلالي(١) رحمه الله ، والشيخ عبد الرحمن الوكيل(٢) وغيرهما .

ومن الغرائب أن بعض مرتادي الطرق الصوفية في الزوايا والتكايا عدد غير قليل من أصحاب المناصب سواء في الجيش أو الشرطة أو على مستوى الإدارة والخدمات ولا أدري كيف يسلم هذا البعض نفسه لشيخ الطريقة يتصرف فيه كيفما يشاء :

كبهيمة عمياء قاد زمامها أعمى على عوج الطريق الحائر

وأحسن الآخر في قوله :

إذا كان الغراب دليل قوم فما فلحوا ولا فلح الغراب

وقد يظن بعض الناس أننا ندعو إلى جفاء الشيوخ وعدم الاحترام معهم والأمر ليس كذلك بل نحن نعرف للعلماء أقدارهم واحترامهم ولله الحمد كيف لا وهم مصابيح الدجى ولكن إنما نقصد علماء الشريعة قطعا أهل الحديث والفقه لا الطرقية المشعوذين ، أصحاب الأحوال الشيطانية والادعاءات الفارغة ممن شوهوا صورة المسلمين بنشر باطلهم ومعتقداتهم السيئة وأعلم أن قول الصوفية هذا هو خلاف ما جاء عن السلف الصالح فقد اعترض بعضهم على بعض وما سمعنا واحداً نفي الفلاح عن المعترض أو المعترض عليه . ومن ذلك اعتراض عمر وغيره على أبي بكر رضي الله عنهما لما أراد حرب ما نعي الزكاة حتى بيّن له الصديق الدليل ، واعتراض ابن عباس رضي الله عنهما على من اتبع أبا بكر وعمر رضي الله عنهما في النهي عن متعة الحج ، واعتراض أبي عبيدة رضي الله عنه على عمر لما أراد عدم الدخول إلى

---

(١) الهدية الهادية ص ١٩٧ .

(٢) هذه هي الصوفية ص ٩٦ .

الشام لانتشار الطاعون فيها ، واعتراض علي وعمران رضي الله عنهما على عثمان رضي الله عنه لنهيه عن متعة الحج ، واعتراض ابن مسعود وغيره على عثمان لما أتم الصلاة في مني، واعتراض سالم بن عبد الله على من احتج بنهي عمر عن المتعة وترك سنة رسول الله ﷺ في متعة الحج والآثار في ذلك كثيرة .

(٥) ضمان استمرار الجمهرة من المريدين :

من المؤكد أن الطرق الصوفية تضم أعداداً كبيرة من المريدين قد تقدر أحياناً بالملايين وخاصة كلما كثر الجهل في مكان كلما كثرت البدع وتمسك الناس بها بل وتصبح عادات يصعب التخلص منها كما يتربى عليها الصغير ويهرم عليها الكبير وفي نفس الوقت نرى أن البدع عندما تنتشر في ناحية تنحسر منها السنة فما ابتدع قوم بدعة إلا وذهب من السنة بل من السنن فإحياء البدع معناه إماتة السنن وقمع أهل السنة معناه ظهور أهل البدع وإذا ملك أهل البدع فهم لا يتقون وإن شئت على ذلك دليلاً فانظر ماذا يجري في العراق عندما ملك الرافضة الحكم فيها ماذا فعلوا بأهل السنة فيها من ويلات وقتل وتشريد حتى الهيئة العليا لعلماء أهل السنة لم تأمن على نفسها وصارت تباشر أعمالها من خارج العراق . وتزداد المحنة أكثر إذا كثر أهل البدع وتحكموا في إدارة شؤون البلاد لكثرة عددهم وعدتهم وقد يستغرب القارئ إذا علم أن طريقة من الطرق المنتشرة في إفريقيا تضم ما يقارب عشرة ملايين وهي الطريقة التيجانية التي تعمل في نيجيريا فكم يقدر عدد المريدين للطريقة خارج نيجيريا كما في المغرب مثلاً أو الجزائر أو السنغال أو ساحل العاج وغيرها من دول إفريقيا بل رأيت في الاحتفال الذي تقيمة الطريقة البرهانية فرع الطريقة الدسوقية في السودان عددا كبيراً من الأتباع والمريدين الذين توافدوا على السودان لحضور المولد والاحتفال به وكان من بينهم أوروبيون وأمريكان ممن ينتسب إلى الطريقة البرهانية ووجدت كيف أن شيخ الطريقة يمد يده ليقوم المريدون بتقبيلها وقد

أخبرني من أثق به من أخوة لنا بالسودان أن شيخ الطريقة لا يشهد جمعة ولا جماعة بل يعتزل في الخلوة بزعمه وبيت القصيد من هذا الكلام أن هذه الجمهرة الكبيرة ما كان لشيخ الطريقة أن يجمعهم لولا أخذ العهد عليهم حيث يظنون أن في أعناقهم بيعة مُلزمة لهم يحرم عليهم التنصل منها وهذا خطأ ولا يصح وحتى تتأكد من هذا الأمر أنظر إلى جمهرة المريدين التي تتجمع في الموالد التي تقام عند المساجد الكبيرة التي عرفت بأسماء الأولياء والصالحين أو من يسمون بذلك فكم هي الأعداد الكبيرة والغفيرة التي تحضر وتشهد الاحتفالات دعك من أعداد العوام الذين جاؤوا للفرجة وهم غير مرتبطين بالطرق الصوفية وهذه المشاهد والموالد تجمع العديد من المخالفات والبدع والمعاصي من تبرج وسفور للنساء واختلاط للرجال بالنساء وشرب مخدرات بل وخمور وترك للصلوات وتلويث للمساجد وسهر إلى الصباح وإنفاق الأموال فيما لا يفيد ناهيك عن تقديم القرابين والذبائح لغير الله والتمسح بالأضرحة والطواف حولها وشد الرحال إليها وتحري الدعاء عندها والتبرك بترابها وطلب الاستشفاء من أصحابها والاستغاثة بهم من دون الله وطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات ورفع البليات ونسيان حقوق رب الأرض والسماوات وغير ذلك من البدع الشركية أو الوسائل المفضية إليها ومن المؤسف أن يبارك ذلك ممن هو معدود في أهل العلم بصورته وتزيا بزتهم في الظاهر وهو في حقيقة الأمر لا يعد من علماء الأخرة إذ علماء الأخرة لا يسكتون عن منكر وشركيات ترتكب باسم الدين ولا يحضرون احتفالات بدعية قد يحتج بحضورهم فيها العوام حيث يقول العامي لولا أن هذا الاحتفال حق لما حضره العالم الفلاني وكيف يكون من البدع وقد حضر فلان وفلان من أهل العلم ؟ فلا يكفيه أنه حضر بل كان فتنة لغيره من العوام والله المستعان واعلم أن المبتدع مبدل ومخالف لسنة رسول الله مطرود عن حوضه

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « فمن بدل أو غير أو ابتدع في دين الله ما لا يرضاه الله

ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه المسودي الوجوه ، وأشدهم طردًا وإبعادًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون ، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم ، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع ، كل يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بالآية ، والخبر كما بينا ، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان . وقد قال ابن القاسم : وقد يكون من غير أهل الأهواء من هو شر من أهل الأهواء وكان يقول : تمام الإخلاص تجنب المعاصي »[1] .



(١) تفسير القرطبي (٤/١٠٨) .

فصل

في أدلة بدعية العهود الصوفية التي يأخذها المشايخ على مريديهم

وكشأن أي بدعة يحاول المبتدعة اصطياد دليل من هنا ودليل من هناك حسب ظنهم وهي في الحقيقة أدلة عليهم لا لهم وهي محصورة في نصوص شرعية تم توظيفها في غير موضعها وهو الغالب في موضوع أخذ العهود الصوفية .

لقد حذر السلف الصالح من خطورة البدعة وحضوا على التمسك بالسنة واتباع سبيل السلف . قال ابن عباس رضي الله عنه : « عليك بتقوى الله ، والاستقامة ، واتبع ولا تبتدع »[١] .

وقال أبي بن كعب رضي الله عنه : « عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله أبدا ، وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه ، كما تحات عن تلك الشجرة ورقها ، وإن اقتصادًا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة ، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم »[٢] .

وقال أبو العالية رحمه الله « عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه - أي الصحابة -

---

(١) رواه الدارمي (١٤١) والخطيب في الفقيه والمتفقه ١/١٧٣ ، والبغوي في شرح السنة ١/٢١٤

(٢) رواه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد والرقائق بزوائد نعيم بن حماد (ص٤٥٤ ، رقم٨٧) ، وابن أبي شيبة في المصنف (١٢ / ٩١-٩٢) ، وأحمد في الزهد (ق ١٠٢ - مخطوط) ، وأبو داود في كتاب الزهد (ص١٨٣) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢٥٢-٢٥٣) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٣٠) وابن أبي بطة في الإبانة الكبرى (١/ ١١٠) .

قبل أن يتفرقوا »(١) .

وقال الأوزاعي رحمه الله : « اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ ، وَقِفْ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ ، وَقُلْ بِمَا قَالُوا ، وَكُفَّ عَمَّا كَفُّوا عَنْهُ ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا وَسِعَهُم »(٢) .

وقال سفيان رحمه الله : « لا يستقيم قول وعمل إلا بموافقة السنة »(٣) .

وقال عبد الله بن محيريز : « يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة »(٤) .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله ألا ، وإياكم والتنطع والتعمق والبدع وعليكم بالعتيق »(٥) .

وعن مجاهد قال : كنت مع ابن عمر رضي الله عنه فثوب رجل في الظهر أو العصر فقال : « اخرج بنا فإن هذه بدعة »(٦) .

وعن رجاء عن أبي الصلت قال : كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر فكتب له : أما بعد : أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره وإتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدثه المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها فإن السنة إنما سنها من قد علم ما خلافها ، فارض

---

(١) رواه عبد الرزاق (١١/٣٧٦) .

(٢) رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة رقم (٢٨٠) .

(٣) رواه ابن بطة (١/٣٣٣) .

(٤) حلية الأولياء (٥/١٤٤) .

(٥) أخرجه الدارمي (١٤٢) والهروي في ذم الكلام (٤/٢٦٤) .

(٦) رواه أبو داود (٥٨٣) .

لنفسك ما رضي به القوم فإنهم على علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ، وهم على كشفها كانوا أقوى وبفضل الله ما كانوا فيه أولى ، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ، فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم ، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي ووصفوا منه ما يشفي فما دونهم مقصر وما فوقهم محسر وقد قصر قوم دونهم فجفوا وطمح عنهم آخرون فغلوا وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم - إلخ »(١) .

وعن حسان بن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال : « ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلا يوم القيامة »(٢) .

وعن الأوزاعي قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد كتابا فيه : « وقسم أبيك لك الخمس كله ، وإنما سهم أبيك كسهم رجل من المسلمين : وفيه حق الله وحق الرسول وذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فما أكثر خصماء أبيك يوم القيامة فكيف ينجو من كثرت خصماؤه ، وإظهارك المعازف والمزامير بدعة في الإسلام ولقد هممت أن أبعث إليك من يجز جمتك جمة السوء »(٣) .

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدع فهي ضلالة وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء وترك المراء والجدال والخصومات في الدين »(٤) .

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (٣٢٢/١) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٨٧/٢ ، واللالكائي (١٦) .

(٢) رواه الدارمي (٢٣١/١) .

(٣) رواه النسائي (٤١٣٥) وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صححسح النسائي : صحيح الإسناد مقطوع .

(٤) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣١٧) .

ومن الآثار الواردة عن السلف في لزوم السنة وذم البدعة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض »[(١)] .

ومفهوم المخالفة لهذا الحديث يعني أن من ترك واحداً من الهديين فقد ضل ، ولا شك أن بغض الحديث طريق إلى هجر سنة المصطفى ﷺ كما هو شأن أصحاب البدع والأهواء الذين أعيتهم السنن فأبغضوها .

فعن عمر بن الخطاب قال : « إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا »[(٢)] .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب »[(٣)] .

وقال الإمام الأوزاعي : « اتقوا الله معشر المسلمين ، واقبلوا نصح الناصحين ، وعظة الواعظين ، واعلموا أن هذا العلم دين فانظروا ما تصنعون وعمن تأخذون وبمن تقتدون ومن على دينكم تأمنون؛ فإن أهل البدع كلهم مبطلون أفّاكون آثمون لا يرعوون ولا ينظرون ولا يتقون » . إلى أن قال : « فكونوا لهم حذرين متهمين رافضين مجانبين ، فإن علماءكم الأولين ومن صلح من المتأخرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون »[(٤)] .

وعن أيوب السختياني قال : « ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا زاد من الله عز

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٩٣/١) .

(٢) الإبانة (٤٣٨/٢) .

(٣) رواه الآجري في الشريعة (٤٥٣/١) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٦٢/٦) .

وجل بعداً »[١] .

وقال الفضيل بن عياض : إن لله ملائكة يطلبون حلق الذكر ، فانظر مع من يكون مجلسك ، لا يكون مع صاحب بدعة؛ فإن الله تعالى لا ينظر إليهم ، وعلامة النفاق أن يقوم الرجل ويقعد مع صاحب بدعة ، وأدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وهم ينهون عن أصحاب البدعة »[٢] .

والفضيل بن عياض - رحمه الله - له كلام كثير نفيس في ذم أهل البدع والتحذير منهم ، فمن ذلك : قوله : « لا تجلس مع صاحب بدعة ، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة » . وقال : « من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه . وقال : آكل مع يهودي ونصراني ولا آكل مع مبتدع وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد »[٣] .

وعن محمد بن النضر الحارثي قال : « من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة وهو يعلم أنه صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه »[٤] . وقال ابن المبارك : صاحب البدعة على وجهه الظلمة وإن ادّهن كل يوم ثلاثين مرة »[٥] .

قال الإمام ابن بطة العكبري : ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئاً مما ذكرناه أي : من البدع ، وهجرانه ، والمقت له ، وهجران من والاه ، ونصره ، وذبَّ عنه ، وصَاحَبَه ، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنّة »[٦] .

---

(١) الحلية (٣/٩) .

(٢) حلية الأولياء (١٠٤/٨) .

(٣) الإبانة لابن بطة (٤٦٠/٢) .

(٤) اللالكائي رقم (٢٢٠) .

(٥) اللالكائي : ٢٨٤ .

(٦) الإبانة ص ٢٨٢ .

وعن أبي شريح الخزاعي قال : « خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ؟ قالوا : بلى . قال : إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً »[١] .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال : « إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه »[٢] . وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله « ﷺ : إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته »[٣] . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة »[٤] .

وعن عبد الله بن مسعود قال : « الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة »[٥] ، وعنه أيضاً قال : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[٦] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة (٢٣٥) وعبد بن حميد (٢٤٩) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٨٧) الطبراني في الكبير (٣٦٠) ، وقال الشيخ الألباني : صحيح انظر : صحيح الترغيب والترهيب ص٢٠-٢١ .

(٢) رواه الحاكم المستدرك (٢٨٤/١) وقال : صحيح الإسناد . وقال الشيخ الألباني : حسن ... وله أصل في الصحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب ص٢٥-٢٦ .

(٣) رواه الطبراني في الوسط (٤٣٦٠) وأبو الشيخ في تاريخ أصبهان (٢٥٩) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢٠) .

(٤) رواه الدارمي (٨٠/١) والسنة للمروزي (٢٨/١) وقال الشيخ الألباني في تخريج اصلاح المساجد (١٣) : صحيح الإسناد .

(٥) رواه الدارمي (٢٢٣) وصححه الحاكم على شرطهما (١٠٣/١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤١) .

(٦) رواه الدارمي (٨٦) واللالكائي (٨٦/١) .

وعنه أيضاً قال : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم وكل بدعة ضلاله »(١) .

وعنه أيضاً قال : « أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدث لكم فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالأمر الأول »(٢) .

وعنه قال : « كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله فلا تتعبدوا بها فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً فاتقوا الله يا معشر القراء خذوا طريق من كان قبلكم »(٣) .

وقال أبو العالية : « عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يفترقوا »(٤) .

وقال الأوزاعي : « اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا عنه واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم »(٥) .

وقال عمر بن عبد العزيز : « سن رسول الله وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها . من عمل بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً »(٦) .

---

(١) رواه الدارمي (٢١١) وابن وضاح (١٣) وأبو خيثمة في كتاب العلم وقال الشيخ الألباني هذا إسناد صحيح .

(٢) رواه الدارمي مع شرحه فتح المنان (٢/١٨٤) .

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، ومحمد بن نصر في السنة ، وأبو نعيم وابن عساكر وذكره أبو شامة في الباعث وعزاه لأبي داود وكذلك فعل السيوطي وغيره وقال الشيخ الألباني لم أجده في السنن .

(٤) ذكره ابن الجوزي وذكره السيوطي ورواه معمر في الجامع .

(٥) تلبيس إبليس ص ٩ ، الأمر بالاتباع ص ٤٩ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله (٢/١٨٧) لابن عبد البر وذكره الشاطبي في الاعتصام (١/٨٧) وقال : إنه كان يعجب مالكاً جداً .

قال الشاطبي : « فإن توقير صاحب البدعة مظنّة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم : إحداهما : التفات الجهال والعامة إلى ذلك التوقير ، فيعتقدون في المبتدع أنّه أفضل الناس ، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره ، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته دون اتباع أهل السنّة على سنّتهم . والثانية : أنّه إذا وُقِّرَ من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على إنشاء الابتداع في كل شيء . وعلى كل حال فتحيا البدع وتموت السنن ، وهو هدم الإسلام بعينه »(١) .

وقال ابن تيميّة فيمن يوالي الاتحادية وهي قاعدة عامة في جميع أهل البدع : « ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم ، أو ذبَّ عنهم ، أو أثنى عليهم أو عظَّم كتبهم ، أو عُرِف بمساندتهم ومعاونتهم ، أو كره الكلام فيهم ، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدرى ما هو ، أو من قال إنه صنف هذا الكتاب ، وأمثال هذه المعاذير ، التي لا يقولها إلا جاهل ، أو منافق؛ بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسدوا العقول والأديان ، على خلق من المشايخ والعلماء ، والملوك والأمراء ، وهم يسعون في الأرض فساداً ، ويصدون عن سبيل الله »(٢) .

قال أبي قلابة : « إن أهل الأهواء أهل الضلالة ولا أرى مصيرهم إلا النار ، فجربهم فليس أحد منهم ينتحل قولاً – أوحديثاً – فيتناهى به الأمر دون السيف ... وإن اختلف قولهم اجتمعوا في السيف »(٣) .

وقال العلامة البربهاري : « مثل أصحاب البدع مثل العقارب ، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب ويخرجون أذنابهم ، فإذا تمكّنوا لدغوا ، وكذلك أهل البدع هم

---

(١) الاعتصام للشاطبي ١١٤/١ .

(٢) الدارمي (١٣٢/٢) .

(٣) مجموع الفتاوى (١٣٢/٢) .

مختفون بين الناس فإذا تمكّنوا بلغوا ما يريدون »[١] .

(١) أخذ العهود الصوفية المتعارف عليه عند الصوفية مخالف لهدي النبي ﷺ

من بدهيات هذا الدين العظيم أن الأسوة والقدرة لنا هو رسول الله ﷺ وهو من أمرنا ربنا عز وجل بإتباعه والتأسي به حيث يقول عز وجل : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ولن ينتفع بهذه الأسوة ويشعر بحلاوتها إلا من كان يريد فعلاً الإتباع والاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ وإلا فأصحاب الدعاوي كثيرون قد يفوقهم الحصر فكم ممن يدعي بلسانه الاقتداء بالنبي ﷺ وأفعاله تخالف هدي رسول الله ﷺ لذا كان الاختبار الأعظم والميزان الدقيق للأقوال والأفعال هو هدي رسول الله ﷺ فكل عمل وكل قول يخالف هدى رسول الله ﷺ لا شك أنه مردود على صاحبه كائناً من كان وإن ادَّعى صاحبه محبة رسول الله ﷺ فدعوى المحبة باللسان سهلة وما أصعبها إذا برهن عليها صاحبها بالأفعال عندها يثبت الصادق من الكاذب في دعوى المحبة وعندها يظهر الدَّعي من المحب الحقيقي . وما من شك أن رسول الله ﷺ هو خير أسوة لنا وهديه خير الهدي كما كان يقول ﷺ في خطبة الحاجة كل جمعة وقد علمها أصحابه كما كأن يعلمهم السورة من القرآن .

ويقول العز بن عبد السلام رحمه الله : « الشرع ميزان يوزن به الرجال وبه يتيقن الربح من الخسران فمن رجح في ميزان الشرع كان من أولياء الله ومختلف مراتب الرجحان ، ومن نقص في ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران ، وتتفاوت خفتهم في الميزان ... فإذا رأيت إنسانًا يطير في الهواء ويمشي على الماء أو يخبر بالمغيبات

---

(١) طبقات الحنابلة (٤٤/٢) .

ويخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب مُحلل ، أو يترك الواجبات بغير سبب مجوِّز ، فاعلم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة ... وكذلك من يأكل الحيات ويدخل النيران فإنه مرتكب للحرام يأكل الحيات ، وفاتن للناس بدخول النيران ليقتدوا به في ضلالته ويتابعوه على جهالته »(١) .

وقال الألوسي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء : ٤٧] قال : « وقد ذكروا أن في الدنيا موازين أيضاً وأعظم موازينها الشريعة وكفتاه الكتاب والسنة ولعمري لقد عطل هذا الميزان متصوفة هذا الزمان أعاذنا الله تعالى والمسلمين مما هم عليه من الضلال إنه عز وجل المتفضل بأنواع الإفضال »(٢) .

قال ابن القيم رحمه الله في : « فليتدبر اللبيب هذا الموضع في نفسه ، وفي غيره ، فكل ما خالف مراد الله الديني من العبد ، فهو حظه وشهوته ، مالاً كان أو رياسة أو صورة ، أو جاهاً ، أو ذوقاً ، أو وجداً ثم قدمه على مراد الله ، فهو أسوء حالاً ممن عرف أنه نقص ومحنة ، وأن مراد الله أولى بالتقديم منه ، فهو يتوب منه كل وقت إلى الله »(٣) .

وقال : القاعدة الثانية : إذا وقع النزاع في حكم فعل من الأفعال أو حال من الأحوال أو ذوق من الأذواق هل هو صحيح أو فاسد وحق أو باطل وجب الرجوع فيه إلى الحجة المقبولة عند الله وعند عباده المؤمنين وهو وحيه الذي تتلقى منه أحكام النوازل والأحوال والواردات منه وتعرض عليه وتوزن به فما زكاه منها وقبله ورجحه فهو المقبول وما أبطله ورده فهو الباطل المردود ومن لم يبن على هذا الأصل علمه

(١) قواعد الأحكام (٤٨/٢) .

(٢) روح المعاني (١٨٧/٢٣) .

(٣) مدارج السالكين (٤٩٤/١-٤٩٥) .

وسلوكه وعمله فليس على شيء من هذا الدين وإنما معه خدع وغرور »[١] .

وقال : « القاعدة الثالثة : إذا أشكل على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو على الإباحة أو التحريم ؟ فلينظر إلى مفسدته وثمرته وغايته فإن كان مشتملاً على مفسدة راجحة ظاهرة فإنه يستحيل على الشارع الأمر به أو إباحته بل العلم بتحريمه من شرعه قطعي ولاسيما إذا كان طريقاً مفضياً إلى ما يغضب الله ورسوله ووصلاً إليه عن قرب »[٢] .

فخير الهدي هدي محمد ﷺ فلا هدي أعظم من هديه ولا هدي أفضل من هديه وقد كان ﷺ يذكر الناس كل جمعة بهذا الأمر وبناء عليه فكل هدي يخالف هديه فهو مردود بل جعل مخالفة هديه سبب من أسباب ضرب الذل على المخالف قال ﷺ : « وجعل الذل والصغار على من خالف أمري »[٣] .

وكان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ، ويقول : إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة »[٤] .

فقد حكم الرسول ﷺ بأن المحدثات هي شر الأمور ، فمن أحدث شيئا في الدين قوليا كان أو فعليا فإنما أحدث شرًا وبلاء وفسادًا وفتنة وضلالا بحكم رسول الله ﷺ : ووصف محدثته هذه بأنها بدعة ثم أعطى حكما عاما وكلية مستغرقة لجميع أفرادها على هذه المحدثات والبدع بأنها ضلالة ، وهذا فيه دليل على محاربة الشرع لكل

---

(١) مدارج السالكين (٤٦٩/١) .

(٢) المصدر السابق (٤٦٩/١-٤٩٧) .

(٣) جزء من حديث رواه أحمد (٥١١٤) وعبد بن حميد (٨٤٨) أبوداود (٤٠١٣) والبخاري تعليقا (٤٩/٤) .

(٤) رواه مسلم (٨٦٧) .

المحدثات والبدع وأنه ليس في الدين شيء من البدع يوصف بأنه حسن ، وأن من قرر من أهل العلم وجود البدعة الحسنة في الدين فقد أخطأ والله يعفو عنه ويغفر له هذا الزلل ، فإن لفظة (كل) من أقوى صيغ العموم وقد تقرر في الأصول أن الأصل هو البقاء على العموم حتى يرد المخصص ولا نعلم مخصصا لهذه الكلية البتة ، وعدم علمنا هنا أنتجه الاستقراء الكلي لكل ما يدعيه الفريق الآخر . وجعل رسول الله من خالف هديه من الدعاة على أبواب جهنم فقال : « قوم يهدون بغير هديي ويستنون بغير سنتي تعرف منهم وتنكر »(١) .

ومما سبق يتبين : أن أخذ العهود الصوفية لم يكن من هدي رسول الله ﷺ بل هو مخالف لهدي رسول الله ﷺ فأين في سنة رسول الله ﷺ أن يجلس مريد بين يدي شيخ الطريقة ويأخذ منه عهداً بهيئة معينة وشروط معينة قد تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من عشرين شرطاً فأين في كتاب الله هذه الشروط التي يشترطها الصوفية على مريديهم لأخذ العهد عليهم بل وتجد اختلافاً بين المتصوفة في طريقة أخذ العهد عليهم وكل شيخ وله طريقة ومن تتبع الرسوم التي يتبعها أرباب الطرق في أخذ البيعة على مريديهم يجد أشياء منكرة ما أنزل الله بها من سلطان .

(٢) أخذ العهود الصوفية بدعة ضلالة :

وقد قال ﷺ : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »(٢) .

وقال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(٣) .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي : « وهذا الحديث أصل عظيم من أصول

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٣٦٠٦) ومسلم (٤٨١٢) وابن ماجه مختصراً (٣٩٧٩) .

(٢) رواه البخاري (٣٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه مسلم (١٧١٨) (١٨) بهذا اللفظ من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

الإسلام كما أن حديث : « الأعمال بالنيات » ميزان للأعمال في باطنها وهو ميزان للأعمال في ظاهرها فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء »(١) .

وقال الإمام الشوكاني : « وهذا الحديث من قواعد الدين لأنه يندرج تحته من الأحكام ما لا يأتي عليه الحصر وما أصرحه وأدله على إبطال ما فعله الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام وتخصيص الرد ببعضها بلا مخصص من عقل ولا نقل فعليك إذا سمعت من يقول هذه بدعة حسنة بالقيام في مقام المنع مسنداً له بهذه الكلية وما يشابهها من نحو قوله ﷺ : (كل بدعة ضلالة) طالباً لدليل تخصيص تلك البدعة التي وقع النزاع في شأنها بعد الاتفاق على أنها بدعة فإن جاءك به قبلته وإن كاع كنت قد ألقمته حجراً واسترحت من المجادلة . ومن مواطن الاستدلال لهذا الحديث كل فعل أو ترك وقع الاتفاق بينك وبين خصمك على أنه ليس من أمر رسول الله ﷺ وخالفك في اقتضائه البطلان أو الفساد متمسكاً بما تقرر في الأصول من أنه لا يقتضي ذلك إلا عدم أمر يؤثر عدمه في العدم كالشرط أو وجود أمر يؤثر وجوده في العدم كالمانع فعليك بمنع هذا التخصيص الذي لا دليل عليه إلا مجرد الاصطلاح مسنداً لهذا المنع بما في حديث الباب من العموم المحيط بكل فرد من أفراد الأمور التي ليست من ذلك القبيل قائلاً هذا أمر ليس من أمره وكل أمر ليس من أمره رد فهذا رد وكل رد باطل فهذا باطل فالصلاة مثلاً التي ترك فيها ما كان يفعله رسول الله ﷺ أو فعل فيها ما كان يتركه ليست من أمره فتكون باطلة بنفس هذا الدليل سواء كان ذلك الأمر المفعول أو المتروك مانعاً باصطلاح أهل الأصول أو

---

(١) جامع العلوم والحكم ص٧ .

شرطاً أو غيرهما فليكن منك هذا على ذكر »(١) .

ولهذا فمن ابتدع بدعة فهي مردودة على صاحبها وكل عهد لا يتفق مع الشرع فهو مردود وباطل فالشريعة كاملة متكاملة لا زيادة فيها ولا نقص فمن رام الزيادة فيها فقد استدرك على الشرع ومن رام النقص منها فقد ظلم نفسه فشريعتنا تفي بكل متطلبات العصر ولا حاجة لابتداع مبتدع أو استدراك مستدرك فلقد قال الله تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ ، فكون الشريعة كاملة يستلزم ما ذكرناه من أن كل الأحكام التي يحتاجها المكلفون قد بينها الشرع إما صراحةً أو ضمناً ، وإما بذكر آحادها أو بتقرير الأصول التي تتفرع عليها هذه الآحاد والجزئيات ، فالبدعة والضلال قرينان ، فأينما وجدت البدعة وجدت الضلالة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾ ، عن مجاهد : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ : البدع والشبهات »(٢) .

وعن قتادة قال « ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾ : قال صاحب بدعة يدعو إلى بدعته »(٣) .

وأكثر ما يكون هذا النوع من الضلال ناجماً عن اتباع الهوى ممن قدموا عقولهم وأهواءهم وتحسيناتهم العقلية على نصوص الشرع فاعتقدوا أموراً واعتمدوا آراءً ثم أخذوا يلوون أعناق النصوص لتوافق هواهم فهؤلاء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً : « إن تصرفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان عبادات يصلح بها دينهم عادات يحتاجون إليها . فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن

---

(١) نيل الأوطار (٦٩/٢) .

(٢) رواه الطبري (١١٠٢٤) .

(٣) رواه الطبري (١٩٤/١١) .

العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع . وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه والأصل فيه عدم الحظر فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه وتعالى . وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله والعبادة لا بد أن تكون مأموراً بها فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم عليه بأنه محظور ؟ ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون : إن الأصل في العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١]»(١) .

وما أحسن ما قال ولي الله أبو سليمان الداراني رحمه الله : « ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر فإذا سمعه من الأثر عمل به وحمد الله تعالى حين وافق ما في قلبه» . وقال أيضاً - رحمه الله - : « ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين : الكتاب والسنة(٢) .

الأصل في العبادات الوقف على الدليل ، أي أن باب العبادات ليس مفتوحا لكل أحد يثبت منه ما يشاء على ما تهواه نفسه ويستحسنه عقله ، لا ، بل هو باب توقيفي على إثبات النصوص ، فما أثبته النص من العبادات فهو العبادة وما لا فلا ، لأن العقول لا تستقل بإدراك الشرع على وجه التفصيل ولذلك احتاجت البشرية لإرسال الرسل وإنزال الكتب لتعرفهم ما يحبه الله ويرضاه من العبادات القولية والعملية فالعبادة لابد فيها من الدليل الذي يأذن بها كما قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ﴾ [الشورى : ٢١] فمن قال إن هذا الشيء

---

(١) مجموع الفتاوى (٤١٣/٢) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٢٧/٣٤) وأورده الذهبي في تاريخ الإسلام (١٥/ ٢٥٣٩السير (١٨٣٩/١٠) وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥٩٥/١١) والاستقامة (ص٩٦ ، ٢٤٩) والشاطبي في الاعتصام ص٩٤والسيوطي في مفتاح الجنة ص٧١ .

عبادة فإنه مطالب على هذه الدعوى بدليل شرعي صحيح صريح فإن جاء به قبلناها وعلى العين والرأس وإن لم يأت به فقوله مردود عليه مضروب به في وجهه ، لأن الأصل وقف العبادات على النص ، فعندنا باب العبادات وباب العادات فالأصل في العبادات المنع إلا ما ورد الدليل بجوازه والأصل في العادات الجواز إلا ما ورد الدليل بمنعه .

قال ابن تيمية : « ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة ، وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة فهو ضال مبتدع بدعة سيئة لا بدعة حسنة باتفاق أئمة الدين ؛ فإن الله لا يُعبد إلا بما هو واجب أو مستحب »(١) .

وقال ابن رجب : « فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله فعمله باطل مردود عليه »(٢) .

وقال ابن رجب أيضًا : « وأما المعاملات كالعقود والفسوخ ونحوهما ؛ فما كان منها تغييرًا للأوضاع الشرعية ، كجعل حد الزنا عقوبة مالية ، وما أشبه ذلك فإنه مردود من أصله ، لا ينتقل به الملك لأن هذا غير معهود في أحكام الإسلام . ويدل على ذلك أن النبي ﷺ قال للذي سأله : إن ابني كان عسيفًا على فلان ، فزنى بامرأته ، فافتديت منه بمائة شاة وخادم ، فقال النبي ﷺ : « المئة شاة والخادم ردٌّ عليك ، وعلى ابنك جلدة مئة وتغريب عام »(٣) . قوله تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة : ٣] ، وهذا فيه بيان أن الله تعالى قد أكمل هذا الدين ، وهذا الإكمال ورد مطلقا والأصل بقاء المطلق على إطلاقه ولا يقيد إلا بدليل ، فهذا الدين كامل الكمال المطلق والمكمل له هو الله تعالى ، فكلياته كاملة وجزئياته كاملة وعقائده كاملة وشرائعه كاملة وأدلته

---

(١) قاعدة جليلة ص٤٢ .

(٢) جامع العلوم (١/١٧٧) .

(٣) جامع العلوم (١/١٨١) والحديث في البخاري برقم (٥/٣٠١) .

كاملة وكل ما يتعلق به فهو كامل الكمال المطلق ، فما لم يكن من الدين في عهده ﷺ فليس من الدين بعد عهده بل هو محدثة وبدعة وكل إحداث في الدين فهو رد ، لأن هذا الإحداث معارض لهذا التكميل وهذا التكميل حق من الله تعالى وما عارض الحق فهو باطل فدل ذلك على أن كل إحداث في الدين فهو باطل .

والبدع كلها ضلال ولا يوجد فيها ما هو مكروه كراهة تنزيه .

قال الشاطبي : « فإذا وجدت في كلامهم - أي السلف - في البدعة أو غيرها : « أكره هذا ولا أحب هذا وهذا مكروه » وما أشبه ذلك فلا تقطعن على أنهم يريدون التنزيه فقط فإنه إذا دل الدليل في جميع البدع على أنها ضلالة فمن أين يعد فيها ما هو مكروه كراهية التنزيه ؟ »(١) .

وقال شيخ الإسلام : قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وجماع الدين أصلان أن لا يعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع لا نعبده بالبدع ، كما قال تعالى : « فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » [الكهف : ١١] »(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل : ١١٦] .

وهذا تحذير من الله تعالى أن يتكلم العبد في التحريم والتحليل والإيجاب والندب والكراهية بلا علم ولا برهان من الله تعالى ووصف من فعل ذلك بأنه ممن يفتري على الله الكذب وأخبر أن فاعل ذلك لا يفلح وهذا فيه دليل على أن هذه الأحكام إنما تؤخذ عن الشارع وأن من تكلم في ذلك بلا علم وحلل أو حرم أو جاء بحكم شرعي بلا برهان فإنه محدث ومتبع طريق ضلالة وخسارة وإحداث مردود عليه غير مقبول لأن كل إحداث في الدين فهو رد .

---

(١) الاعتصام (٣٥٣/١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣٤/١٠) .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء : ٥٩] في آيات كثيرة وهذا أمر بالطاعة وقد تقرر في الأصول أن الأمر بالشيء منهي عن ضده ، وضد الطاعة المخالفة ومن المخالفة الإحداث والابتداع في الدين ، وحيث ورد الأمر بطاعة الله ورسوله ﷺ فهو نهي عن الإحداث فأفاد ذلك أن الإحداث مجانب لطريق الطاعة ومخالف لما هو الواجب على العبد في دينه ، وما خالف الحق فهو باطل فالإحداث في الدين باطل وكل باطل فهو رد .

(٣) أخذ العهود الصوفية مخالف لهدي السلف الصالح :

اتباع طريق السلف الصالح هو النجاة . كيف لا وهم المعتصمون بالكتاب والسنة وخير من طبق سنة رسول الله ﷺ فأحرى وأجدر بالعبد ألا يخالف طريقهم ولا يسلك غير نهجهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

وهذه الآية تضمنت الوعيد لمن تنكب سنة رسول الله ﷺ واتبع غير سبيل المؤمنين الذي هو هدى السلف الصالح ونهجهم فكل مسلم خالفه لحقه هذا الوعيد المذكور في الآية ولله در الإمام الشافعي رحمه الله حيث انتزع من هذه الآية حجية الإجماع ، وهو منزع حسن يدل على فطنة وذكاء وحسن فهم للكتاب والسنة . ولم يؤثر عن الفاروق أيضاً ولا باقي الأربعة الخلفاء ولا العشرة المبشرين بالجنة ولا أهل بدر والحديبية وغيرهم رضي الله عنهم كما لم يرد أيضاً عن التابعين لهم بإحسان أن أحداً منهم ولو كان خيراً لسبقونا إليه ، ولو كان فيها فضل لكانوا أسبق الناس إليه منا لما علم من حرصهم على التنافس في الخيرات ، والتسابق في عمل الصالحات ، قال حذيفة رضي الله عنه : « كل عبادة لم يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوا بها ؛ فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً ، فاتقوا الله يا معشر

القراء ، خذوا طريق من كان قبلكم »(١) .

وقال مالك بن أنس : « لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها »(٢) .

وقال سعيد بن جبير : « ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين »(٣) .

وسئل تقي الدين السبكي عن بعض المحدثات فقال : « الحمد لله ، هذه بدعة لا يشك فيها أحد ، ولا يرتاب في ذلك ، ويكفي أنها لم تُعرف في زمن النبي ﷺ ، ولا في زمن أصحابه ، ولا عن أحد من علماء السلف »(٤) .

وقال الشاطبي : « لأن ترك العمل به من النبي ﷺ في جميع عمره ، وترك السلف الصالح له على توالي أزمنتهم قد تقدم أنه نص في الترك ، وإجماعٌ مِن كلِّ مَن ترك ؛ لأن عمل الإجماع كنصه »(٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] . والمحدث مشاق للرسول ﷺ ومتبع غير سبيل لمؤمنين ، ذلك أن المبتدع يرى أن بدعته هذه من جملة الدين والقربات ، والنبي ﷺ لم يأت بها ولا أمر بها ولا شرعها فهذا المبتدع متهم لرسول الله ﷺ بأنه لم يبلغ البلاغ المبين وأن دينه ناقص ولا يكمل إلا بهذه البدعة وأي مشاقة أعظم من هذه المشاقة ؟ ولأن هذا المبتدع جاء بشيء مخالف لسبيل الصحابة والسلف الصالح وأئمة الحق والهدى ، فهو مجانب

(١) الباعث لأبي شامة ص١٦ .

(٢) الشفا (٨٨/٢) للقاضي عياض نقلاً عن المبسوط للقاضي اسماعيل الجهضمي وأيضاً أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء (٧٦٢/٢) .

(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر (١٤٢٥) و (١٨٠٥) .

(٤) فتاوى السبكي (٥٤٩/٢) .

(٥) الاعتصام للشاطبي (٣٦٥/١) .

لسبيل المؤمنين في هذه البدعة فأفاد ذلك أن الإحداث في الدين مشاقة للنبي ﷺ وإتباع لغير سبيل المؤمنين ومن فعل ذلك فإنه يستحق هذه العقوبة البليغة التي لا يقوم لها شيء نعوذ بالله من ذلك .

(٤) أخذ العهود الصوفية اشتراط ليس في كتاب الله :

لما كان العهد الصوفي ركن أساسي من أركان الدخول في الطريقة الصوفية قد لا يكون الصوفي فرداً من أفراد الطريقة إلا به فإن من الضروري حسب المفهوم الطرقي الصوفي أن يشترط الشيخ الطرقي أعني شيخ الطريقة يشترط على المريد شروطاً في هذا العهد الذي يأخذه على المريد وهذه الشروط ليس لها أصل في كتاب الله عز وجل فإن الشروط إما أن تتعلق بعبادات وإما أن تتعلق بمعاملات وهي خاضعة للشرع المطهر فمن ادعى شروطاً ليس لها أصلَ في كتاب الله عز وجل ولا في سنة رسول الله فهي شروط باطلة وذلك لقول النبي ﷺ : « كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط »[1] .

وبناء على ذلك فأخذ العهد الصوفي على المريد هو اشتراط العمل بطقوس وشعائر ليس لهل أصل في الكتاب والسنة لذا فهي شروط باطلة ولأنها بنيت على باطل .

(٥) أخذ العهود الصوفية إلزام للناس بما لم يلزمهم به الله ورسوله :

قال ابن القيم رحمه الله : « ومعلوم أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ولا تأثيم إلا ما أثم الله ورسوله به فاعله كما أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ولا حرام إلا ما حرمه الله ولا دينا إلا ما شرعه الله فالأصل في العبادات البطلان حتى يقوم دليل على الأم ... ولا يعبد الله إلا بما شرعه على ألسنة رسله فإن العبادة حقه على

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٢٥٤١) والنسائي في الكبرى (٤٨٧٦) وأحمد (٢٥٢١/٤) .

عباده وحقه الذي أحقه هو ورضي به وشرعه ... »[١] .

قال ابن القيم رحمه الله : « والصواب وراء ما عليه الفرق الثلاث وهو أن النصوص محيطة بأحكام الحوادث ولم يحلنا الله ولا رسوله على رأي ولا قياس بل قد بين الأحكام كلها والنصوص كافية وافية بها والقياس الصحيح حق مطابق للنصوص فهما دليلان للكتاب والميزان وقد تخفي دلالة النص أو لا تبلغ العالم فيعدل إلى القياس ثم قد يظهر موافقا للنص فيكون قياسا صحيحا وقد يظهر مخالفا له فيكون فاسدا وفي نفس الأمر لا بد من موافقته أو مخالفته ولكن عند المجتهد قد تخفى موافقته أو مخالفته »[٢] .

(٦) أخذ العهود الصوفية زاد من تفرق المسلمين شيعاً وأحزاباً :

قال الإمام الطبري رحمه الله : « ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام : ٥٣] . يقول فيشتت بكم إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان »[٣] .

إن أخطر آثار البدع تتمثل في معارضتها الشريعة في أصولها الكلية أو في منهج فهم وتطبيق نصوص الشريعة الدالة على هذه الأصول ، حتى إذا تأصلت مثل هذه المحدثات واتخذها بعض المنتسبين إلى الإسلام معقداً للولاء والبراء فضلوا بذلك عن جادة الحق ، حدث الشرخ بين هذه الجماعة وبين جماعة الإسلام الأصيلة المتمسكة بسنة النبي ﷺ .

وهذا التسلسل في نشأة الفرقة والخلاف قد دل عليه حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة

---

(١) إعلام الموقعين (٣٤٤/١) .

(٢) إعلام الموقعين (٣٣٧/١) .

(٣) تفسير الطبري (١٤٩/٨) .

بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال قائل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة »(١) .

إن من منهج أهل البدع ظهور الخلل العميق في فهم نصوص الشريعة وتطبيقها ، وهذا قد أدى بدوره إلى تشتت وتشرذم الأمة كلٌّ يسير وفق هواه ، وكل يطوع الدين لغايته ومبتغاه ، ولقد وعى حبر هذه الأمة وترجمانها عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هذا الداء . فعن إبراهيم التيمي قال : خلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم يحدث نفسه ، فأرسل إلى ابن عباس فقال : كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وكتابها واحد وقبلتها؟ فقال ابن عباس : « يا أمير المؤمنين ، إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيم أنزل ، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يعرفون فيم نزل ، فيكون لكل قوم فيه رأي ، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا ، فإذا اختلفوا اقتتلوا » . فزبره عمر وانتهره فانصرف ابن عباس ، ثم دعاه بعد فعرف الذي قال ، ثم قال : إيه أعد علي »(٢) .

قلت : وإنما نهره عمر رضي الله عنه استعظاماً لهذا الذي ذكره ابن عباس لا إنكاراً لما قاله فلقد علم أن ما قاله هو الحق ، وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي جر على هذه الأمة الويلات ، وتأمل كيف ظهر هذا الخلل المنهجي في الأمة عندما بدأ البعض يسير في فهم النصوص سيراً ما سبقه إليه أحد ممن شهد

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢) والدارمي (٩٥) والسنة للمروزي (٧٠ ، ٧١ ، ٧٣) وأحمد (١٦٦٩٢) وابن حبان (٢٥١) .

(٢) فضائل القرآن للقاسم بن سلام (رقم٧٦) .

الوحي مع رسول الله ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر : « وأخرج البيهقي بسندٍ جيدٍ عن عبد الله بن وهب قال : كنا عند مالك ، فدخل رجلٌ فقال : يا أبا عبد الله الرحمن ، ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] كيف استوى ؟ فأطرق مالك ، فأخذته الرحضاء ، ثم رفع رأسه فقال : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ كما وصف به نفسه ، ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع ، وما أراك الا صاحب بدعة ، أخرِجوه »(١) ، وقل مثل هذا في كل خلل منهجي استحدثه أهل البدع .

ولله در الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز حيث كتب إلى بعض عماله : « فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة واعلم أن من سن السنن قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق فان السابقين الماضين عن علم وقفوا وببصر نافذ كفُّوا »(٢) إن ظهور البدع له أثر خطير في الأمة .

فمن آثار البدع خفوت السنة وضياعها : وهذا أثر خطير من آثار البدع على عقيدة الأمة وعلمها ، ذلك أنه لا تظهر بدعة إلا بخفوت سنة ، ولا تظهر سنة إلا بذبول بدعة تعارضها ، فعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن »(٣) .

وذكر الإمام الشاطبي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر فقال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟ قالوا : يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور إلا قليلاً قال : « والذي نفسي بيده

---

(١) فتح الباري (٤٠٧/٣) .

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (٣٢٢/١) واللالكائي (١٦) .

(٣) رواه ابن وضاح ص٣٩ وأبو نعيم في الحلية (٣٣٨/٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٨/١) رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

لتظهرن البدع حتى لا يُرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور ، والله لتفشون البدع حتى إذا تُرك منها شيء قالوا : تركت السنن »[١] .

وقال الفضيل بن عياض : « أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وينهون عن أصحاب البدع »[٢] .

(٧) أخذ العهود الصوفية أدخل الخوف والهلع في نفوس الناس :

وذلك أن المريد الذي يؤخذ عليه العهد يظن أن هذا العهد ملزم له ولا يجب التنصل منه بل ويظن أنه لو تنصل أو تخلى عن الطريقة فسوف يصاب بالمراض والكوارث في ماله وأهله وهذا كله لا أصل له فإن العهد الذي أخذ عليه مع كونه بدعة ومردود على فاعله وقائله فإنه غير مازم لمن أخذ عليه ولا يلزم الشخص المسلم إلا بما ألزمه الله ورسوله من فرائض معلومة وواجبات محدودة وكل من ألزم الناس بما لم يلزمهم به الله ورسوله فهو معتد أثيم قفا ما ليس له به علم ومما لاريب فيه أن كثيراً من الناس قد يصاب بالهلع والخوف من جراء هذه العهود الصوفية التي يأخذها أرباب الطرق الصوفية مما يدخل الخوف في نفوس الناس وهذا لا يجوز فلا يجوز ترويع المسلم بأي طريق كان ولو بالإشارة فإن ذلك لا يحل كما جاءت بذلك الاثار عن رسول الله ﷺ

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فقام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ، ففزع فقال النبي ﷺ : « لايحل لمسلم أن يروع مسلماً »[٣] .

---

(١) أخرجه ابن وضاح ص٢٨ وذكره الشاطبي في الاعتصام ص٦١ .

(٢) رواه اللالكائي (٩٢/١) .

(٣) رواه أبوداود (٥٠٠٤) وأحمد (٣٦٢/٥) .

ولهذا فمن ابتلي من الناس بهذه العهود فلا حرج عليه أن يتنصل من هذه العهود بل ينبغي أن يقلع عنها لأنها من البدع والبدع مردودة على صاحبها كائناً من كان فالتلبس بالبدعة أخطر من التلبس بالمعصية فإن المعصية يرجى لصاحبها التوبة والأوبة وقد يعلم صاحب المعصية أنه مذنب أما من تلبس بالبدعة فهو يحسب أنه على شيء وأنه يحسن صنعاً وقد زين له سوء عمله فرآه حسناً وتلك هي البلية الكبرى وعلى هذا فمن الصعب على من هذا حاله أن يقلع عن البدعة بسهولة .

(٨) أخذ العهود الصوفية أنكره أهل العلم :

هذا وقد أنكر أهل العلم أخذ العهود على الطريقة الصوفية واعتبروه إلزاما بما لم يلزم الله ورسوله به عباده فقد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ « وليس لأحد منهم أي المعلمين أن يأخذ على أحد عهداً بموافقته في كل ما يريده وموالاة من يوالي الله ومعاداة من يعاديه بل من فعل هذا كان من جنس جنكيز خان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقاً ولياً ومن خالفهم عدواً باغياً ، بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ويحرموا ما حرم الله »(١) .

وهذه العهود أنكرها السلف الصالح من قبل العالم الورع . قال مطرف بن عبد الله « كنا عند زيد بن صوحان وكان يقول : يا عباد الله أكرموا وأجملوا ، فإنما وسيلة العباد إلى الله بخصلتين : الخوف والطمع فأتيته ذات يوم وقد كتبوا كتاباً فنسقوا كلاماً من هذا النحو : إن الله ربنا ومحمد نبينا والقرآن إمامنا ومن كان معنا كنا ... وكنا له ومن خالفنا كانت يدنا عليه ، وكنا وكنا قال فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلاً رجلاً ، فيقولون أقررت يا فلان ؟ حتى انتهوا إليّ فقالوا : أقررت يا غلام ؟ قلت : لا قال : لا

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧/١٦-٢٨)

تعجلوا على الغلام ما تقول يا غلام قلت : إن الله قد أخذ عليّ عهداً في كتابه ، فلن أحدث عهداً سوى الذي أخذه عليّ فرجع القوم من عند آخرهم ، وما أفر منهم أحد وكانوا زهاء ثلاثين نفساً »(١) .

فأنت كما ترى في هذا الأثر كيف أن مطرفاً رحمه الله أنكر على القوم أن يتعاهدوا بينهم على ميثاق معين لأنه يدرك أن مثل ذلك يفرق صف المسلمين وأن ذلك ليس في كتاب الله ولافي سنة رسوله ﷺ ، فكيف لو رأى مطرف رحمه الله عهود الصوفية وما أحدثوا من بدع وفي الأثر السابق مقدار فطنة وذكاء مطرف رحمه الله وهو غلام كيف استطاع أن يرد القوم عن بدعة وهذا يدل على حسن تربية السلف لتلاميذهم .

والسيوطي رحمه الله وهو معروف بتصوفه ونصرته للتصوف في مسائل كثيرة أنكر هذه العهود لما سئل عن العهد الذي يأخذه الصوفية من مريديهم(٢) .

كما سئل ابن عابدين فقيه الحنفية في عصره : عن رجل من الصوفية أخذ العهد على رجل ، ثم اختار الرجل شيخاً آخر ، وأخذ العهد عليه ، هل العهد الأول لازم ، أم الثاني ؟

فأجاب : الجواب : لا يلزمه العهد الأول ولا الثاني ولا أصل لذلك »(٣) .

وقد كان هذا العهد الذي يؤخذ عند الصوفية يسمى في عصر الألوسي رحمه الله بالرابطة .

قال الألوسي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى في سورة الجمعة : ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٠٤/٢) ومن طريقه الذهبي في سير اعلام النبلاء (١٩٢/٤) بسند صحيح إلى مطرف رحمه الله .

(٢) الحاوي للفتاوي (٢٥٣/١) .

(٣) تنقيح الفتاوى الحامدية (٣٣٤/٢) .

وقالوا (أي الصوفية) بالرابطة بينهم ليتهيأ ببركتها القلب لما يقاضي عليه ، ولا أعلم لثبوت ذلك دليلاً يعول عليه عن الشارع الأعظم ﷺ ولا عن خلفائه رضي الله عنهم ، وكل ما يذكرونه في هذه المسالة ، ويعدونه دليلًا لا يخلو من قادح ، بل أكثر تمسكاتهم فيها تشبه التمسك بحبال القمر ، ولولا خوف الإطناب لذكرتها مع ما فيها »[1] .

وقال الشيخ محمود خطاب السبكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منكراً على المتصوفة أخذ العهود بينهم : « وأما ما يقع من متصوفة الزمان من وضع أيديهم في أيدي الرجال والنساء ومعاهدتهم أن يكونوا تلامذة لهم ، ليتمشيخوا عليهم ويشاركوهم في أموالهم تارة ، وبالأكل في بيوتهم ، وتارة بضرب عوائد يدفعونها في وقت معين ، كأنها جزية تؤخذ بالجبروت ، فهو إجرام وإفساد خارج على حد الشرع ولا يقره عقل ، نسأل الله لنا ولجميع الأمة كمال الهداية ، وتمام التوفيق »[2] .

وقال الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « ومازال أمر الأمة ماضياً لا يعرفون بيعة لمن هو دون مرتبة الإمامة الكبرى ثم خلفت خلوف ، باتت أو جرت على الأمة كباكب من البدع وأهواء فجرت بدعة الطرقية (البيعة الرضائية) ويقال (البيعة الاستثنائية) ويقال عهد المشايخ) ويقال (عقد الطريق) ويقال (ميثاق الطريق) وهذه بيعة بدعية محدثة ، لا دليل عليها من كتاب ولا سنة ولا عمل صحابي وقد أنكرها جماعة من العلماء وشددوا النكير على دعاتها وأنه لا أصل لها »[3] .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خلاصة متينة يبين فيها حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات وأخذ البيعة والعهد وحكم نكث تلك البيعات والعهود الصوفية قال : « والخلاصة

(١) روح المعاني (١٨/٢١) .

(٢) الدين الخالص (٢٩٠/٦) .

(٣) حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية ص ١٢٨ .

أن البيعة في الإسلام واحدة من ذوي الشوكة : أهل الحل والعقد لولي أمر المسلمين وسلطانهم وأن ما دون ذلك من البيعات الطرقية (الصوفية)والحزبية وبعض الجماعات الإسلامية المعاصرة كلها بيعات لاأصل لها في الشرع لا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا من عمل صحابي ولا تابعي ، فهي بيعات مبتدعة وكل بدعة ضلاله وكل بيعة لا أصل لها في الشرع فهي غير لازمة العهد ولا حرج ولا إثم في تركها ونكثها ، بل الإثم في عقدها ، لأن التعبد بها أمر محدث لا أصل له ناهيك عما يترتب عليها من تشقيق الأمة وتفريقها شيعاً وإثارة الفتن بينها واستعداء بعضها على بعض فهي خارجة عن حد الشرع سواء سميت بيعة أو عهداً أو عقداً وعلى هذا تواردت كلمة محققي العلماء في بيعة الطرقية (يعني العهد الصوفي)الموجود في عصرهم إذ قابلوها بالإنكار »[١] .

(٩) أخذ العهود الصوفية شرع لم يأذن به الله :

الأصل في العبادات التحريم فلا يشرع منها إلا ما شرعة الله ورسوله لأن طريق معرفتها هو الكتاب والسنة وقد ذم الله تعالى من شرع من الدين ما لم يأذن به الله تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] ولذلك قالوا : الأصل في العبادة المنع إلا إذا دل الدليل على الفعل فإن الله تعالى يعبد بما شرع لا بالأهواء والبدع فمن زعم أو تقرب إلى الله عز وجل بما لم يشرعه الله ورسوله فقد أتى ظلماً لنفسه وظلماً لربه وكل من ابتدع شيئاً وزعم أنه يقرب إلى الله عز وجل فإنه يكون بذلك قد شرع من الدين مالم يأذن به الله وقد

---

(١) حكم الانتماء إلى الفرق والجماعات ص١٢٨-١٢٩ كما في كلام السيوطي في الحاوي (١/ ٢٥٣) والسبكي في الدين الخالص (٦/٢٩٠) وابن الجوزي ص١٩٢وشيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١٧/١٦-٢٨) .

نعى ربنا عز وجل على من فعل ذلك بقوله ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] ، وحق التشريع إنما هو لله عز وجل ومن أخطر ما يرتكبه المبتدع أن يظن البدعة تقرب إلى الله عز وجل ولذلك كان صاحب البدعة مبغوض لله ورسوله وما أجمل ما قال الإمام مالك رحمه الله : « ما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينًا » .

وقال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ وهذا فيه دليل على أن الدين لابد فيه من الإذن أي أن يرد بكونه من الدين دليل من الله تعالى إما من الكتاب وإما من السنة ، فما لا دليل عليه فلا يجوز أن يوصف بأنه من الدين ، بل هو بدعة ومحدثة ، فالدين لا يؤخذ إلا من الله ورسوله فما قرره الدليل أنه من الدين فهو من الدين ، وما لا دليل عليه فهو من تشريع شياطين الإنس والجن ، فمن فعل شيئا يري أنه من الدين وهو مما لا دليل عليه فقد فعل شيئا لم يأذن به الله تعالى ، فهو رد على صاحبه لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما أذن به ، لأن ما لم يأذن به يوصف بأنه محدث وكل إحداث في الدين فهو رد .

قال ابن جرير رحمه الله في تأويل الآية : أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؛ يقول ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه »[1] .

قلت : فهذا صريح في إنكار البدعة التي تضاهي الدين فمن أراد لعبادته القبول فلا مناص له عن تجريد المتابعة للنبي ﷺ ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

---

(١) تفسير ابن جرير (٣٠/٢٠) .

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : « هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله »[١].

(١٢) أخذ العهود الصوفية صاحبه اعتقادات باطلة :

وكشأن كل بدعة تصحبها بدع أخرى فمن شؤم البدعة أن تؤدي إلى بدع أخرى كما أن من شأن المعصية ومن عقوبة المعصية المعصية بعدها ومن الدعاوى الفارغة قول المدعو الشيخ جاكير حيث يقول : « ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوبًا في اللوح المحفوظ وأنه من أولادي »[٢] .



(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٢) .

(٢) الطبقات الكبرى (١/ ١٢٧) للشعراني .

فصل

في الرد على أدلة الصوفية في ممارستهم لتلك العهود المنتشرة بينهم

وكشأن أي بدعة يحاول المبتدعة اصطياد دليل من هنا ودليل من هناك حسب ظنهم وهي في الحقيقة أدلة عليهم لا لهم وهي محصورة في نصوص شرعية تم توظيفها في غير موضعها وهو الغالب في موضوع أخذ العهود الصوفية .

(١) الاحتجاج بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح : ١٠] .

وقد استدل بعض الصوفية على أخذ العهود التي يسمونها بيعة عندهم استدلوا بهذه الآية على أخذ العهد .

قال إسماعيل حقي عند هذه الآية في تفسيره : « المبايعون ثلاثة : الرسل ، والشيوخ الورثة والسلاطين والمبايع في هؤلاء الثلاثة على الحقيقة واحد وهو الله تعالى وهؤلاء الثلاثة شهود الله تعالى على بيعة هؤلاء الأتباع ، وعلى هؤلاء الثلاثة شروط يجمعها القيام بأمر الله وعلى الأتباع الذين بايعوهم شروط يجمعها المتابعة فيما أمروا به فأما الرسل والشيوخ فلا يأمرون بمعصية أصلاً فإن الرسل معصومون والشيوخ محفوظون ، وأما السلاطين فمن لحق منهم بالشيوخ كان محفوظاً وإلا كان مخذولاً ومع هذا فلا يطاع في معصية والبيعة لازمة حتى يلقوا الله تعالى »(١) وقال بعضهم إن الاستدلال من الآيه يكمن في أنها عامة لا تخصيص فيها فتخصيص الآيات هنا بصورة معينة للبيعة دون أخرى تخصيص بلا مخصص ومحض تحكم لا وجه له .

---

(١) روح البيان (٢١/٩) .

الرد عليهم من وجوه :

الوجه الأول : إن هذه الآية في مبايعة الصحابة لرسول الله ﷺ فمن منطوق الآية وهو قوله (يبايعونك) والخطاب فيها لرسول الله ﷺ فما الذي جعل الآية في عهود الصوفية المتعارف عليها ينسحب على أرباب ومشايخ الطرق الصوفية؟ فهذا توظيف للآية في غير موضعها .

الوجه الثاني : أن البيعة الصوفية هي اختراع اخترعه أرباب الطرق وبحثوا له عن أدلة من الكتاب والسنة وهذا المسلك بلا شك هو مسلك أهل البدع وشعارهم في ذلك (اعتقد ثم استدل) وبناءا على ذلك لا يجوز الاستدلال بآية من الآيات أو حديث من الأحاديث في غير موضعه .

الوجه الثالث : أن الاستدلال لعهود أرباب الطرق من هذه الآية لم يرد عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا يجوز الاستدلال بالنصوص على إحداث أمر من الأمور مخالف لما كان عليه الحال على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه .

قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله : « لا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم تكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض والمستأخر »[١] .

الوجه الرابع : أن القول بجواز العهود الصوفية من هذه الآية يتوقف على صحة هذا الفهم ومدى موافقته لفهم السلف الصالح فهذه العهود على النحو المتعارف عليه عند الصوفية لم نجد أحداً من الصحابة فهم من الآية ما فهمه الصوفية منها ولا وجدنا أن أبا بكر ولا عمر ولا علي ولا عثمان ولا أهل بدر ولا بيعة الرضوان أو أُثِر عن واحد منهم أنه أخذ بيعة على نحو ما عند الصوفية ولا يقولن قائل إن هذه البيعة

(١) الصارم المنكي ص٩٠ .

أو العهد الصوفي عمل من أعمال الخير لا بأس به فإن هذا الكلام لا يقبل على علاته فإن الخير كل الخير هو في اتباع الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ولا يليق أن يعتقد مسلم على وجه الأرض أن فضيلة ما في عمل ما ظهرت للمتأخر من الأمة بينما خفيت على المتقدم من سلف الأمة ومن تبعهم بإحسان ، ثم إن العمل أي عمل خيري كان لابد أن يتقيد بالكتاب والسنه ولا يكفي فيه النية الصالحة دون إتباع الرسول ﷺ فإذا كان العمل خالصاً ولم يكن على هدي رسول الله لم يقبل وكذا إذا كان العمل مشروعاً ولم يكن صاحبه مخلصاً فيه لله لم يقبل ولهذا قالوا لابد من الإخلاص والمتابعة للرسول في العمل حتى يقبل .

قال العلامة ابن الحاج المالكي رحمه الله : « ما حدث بعد السلف رضي الله عنهم لا يخلو إما أن يكونوا علموه وعلموا أنه موافق للشريعة ولم يعملوا به ، ومعاذ الله أن يكون ذلك إذ أنه يلزم منه تنقيصهم وتفضيل من بعدهم عليهم ، ومعلوم أنهم أكمل الناس في كل شيء وأشدهم إتباعا ، وإما أن يكونوا علموه وتركوا العمل به ، ولم يتركوه إلا لموجب أوجب تركه فكيف يمكنه فعله؟ هذا مما لا يتعقل! وإما أن يكونوا لم يعلموه ، فيكون من ادعى علمه بعدهم أعلم منهم وأفضل وأعرف بوجوه البر وأحرص عليها ولو كان ذلك خيرا لعلموه ولظهر لهم ، ومعلوم أنهم أعقل الناس وأعلمهم ، وقد قال مطرف بن الشخير : (عقول الناس على قدر أزمنتهم) . ولأجل هذا المعنى لم يكن عندهم إشكال في الدين ولا في الاعتقادات لوفور عقولهم وإنما حدثت الشبه بعدهم لما خالطت العجمة الألسن ، فلنقصان عقول من بعدهم عن عقولهم وقع ما وقع »(١) .

الوجه الخامس : أن القول بالجواز المزعوم للعهود الصوفية من تلك الآية عملاً بالعموم متوقف على صحة دخول صورة العهود تحت هذه الآية ولا قائل به من

---

(١) المدخل (٤/ ٢٦) .

السلف وناهيك بصورة لم تعهد عند سلف الأمة أن تندرج تحت هذه الآية فكيف يستدل بالعموم على صحة هذه العهود والبيعات الصوفية ؟ إن هذا لشيء عجاب

(٢) الاحتجاج بقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ﴾ الآية [المائدة : ٢] .

الرد عليهم من وجهين :

الوجه الأول : أن إدراج صورة العهد الصوفي تحت هذه الآية بحجة العموم على التعاون على البر والتقوى لا يصح لأنه عهد لم يرد في الكتاب والسنة وهيئته لم تعهد في الرعيل الأول والأصل في العبادة المنع إلا بدليل ولا شك أن أرباب الطرق الصوفية يلقنون مريديهم هذه العهود على وجه التدين والتعبد بها بل والتقرب إلى الله بها في ظنهم فالقوم يفعلون ذلك من قبيل العبادة فليكن ذلك منك على ذكر وبال وإذ صح فعلهم تلك العهود على هذا النحو فيقال لهم : من أذن لكم في إبرام تلك العقود والعهود والبيعات ؟ ﴿ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ !!

الوجه الثاني : أنه سبق أن العمل لا يقبل إلا إذا وافق فيه صاحبه الشرع المطهر على وجه الإخلاص والمتابعة وحينئذ لا يقبل التعاون فيه إذا كان العمل على خلاف هدي النبي ﷺ بل التعاون فيه على هذا النحو هو من التعاون على الإثم والعدوان .

(٤) الاحتجاج بقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

وجواباً على هذا الاستدلال : فإن الآية لم تشر بأدنى إشارة أن المراد بالعهد هو عهد الصوفية الذي يمارسونه في أخذ البيعة للطريقة وكل من تعرض لتفسير الآية لم يفسر العهد في الآية بالعهد الصوفي بل لم يدرج المفسرون من السلف صورة العهد الصوفي تحت الوفاء بالعهود المأمور بها كما في قوله تعالى يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقد ذكر المفسرون عدداً من العقود المأمور بالوفاء بها ولم يذكروا ولو في

موضع واحد منها ذكر عهد الصوفية .

وإليك مثالاً من ذلك فقد قال المفسر الأندلسي أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ : « ويندرج في هذا العموم كل عقد مع إنسان كأمانٍ ، ودية ، ونكاح ، وبيع ، وشركة ، وهبة ، ورهن ، وعتق ، وتدبير ، وتخيير وتمليك ، ومصالحة ، ومزارعة ، وطلاق ، وشراء ، وإجارة ، وما عقده مع نفسه لله تعالى من طاعة : كحجٍ ، وصومٍ ، واعتكافٍ ، وقيام ، ونذر وشبه ذلك . وقال ابن عباس ومجاهد : هي العهود التي أخذها الله على عباده فيما أحل وحرم »[١] .

(٥) الاحتجاج بحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

قال : قال رسول الله ﷺ « بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك »[٢] .

الرد عليهم من وجوه :

الوجه الأول : أن بيعة الصحابة في هذا الحديث للرسول ﷺ كلها متضمنة للبيعة على التوحيد وترك المنكرات من الموبقات المذكورة وهذا بخلاف البيعات التي نسمع عنها في الطرق الصوفية من عقد الولاء والبراء للطريقة الصوفية وعدم التشريك من المريد للشيخ بمعنى ألا يتخذ له بدلا وغير ذلك من البنود التي تخالف الكتاب والسنه في تلك العهود وسيأتي نماذج منها عند الكلام على نقد العهود عند

---

(١) البحر المحيط (٤/١٥٧) .

(٢) رواه البخاري (١٨) ومسلم (٦٧٨٧) .

بعض الطرق الصوفية فلا يصح قياس أخذ العهود الصوفية على بيعة الصحابة للنبي ﷺ كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكيف يليق قياس شيخ الطريقة الصوفية على رسول الله ﷺ في هذا الحديث فأين البيعة من العهد؟ وأين المبايع من المبايع؟ وأين المبَايع من المبَايع؟ فرق كبير بل لا تصح المقارنة البته

الوجه الثاني : أن تنزيل البيعة والعهد الصوفي على حديث عبادة لا يصح لأنه لايترتب على هذه البيعة في حديث عبادة تفريق للمسلمين شيعاً وأحزاباً كما أحدثته الطرق الصوفية جراء أخذ العهود البدعية التي يمارسها أرباب الطرق فقد زادت تلك العهود الصوفية من تشقيق المسلمين وتفريقهم شيعاً وأحزابا كل طريقة لها شيخ وأمير ومنبر ولون من الملابس وخرقة من الخرق كما أن البيعة في حديث عبادة ليست على تلقين أوراد طريقة في الإسلام أو هيئات وسلوك خاص لطريقة ما من الطرق بل بيعة حديث عبادة يصح أن يتوجه المعنى فيها لكل مسلم فهي بيعة لكل مسلم في شخص عبادة وإخوانه من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم .

الوجه الثالث : أن أخذ العهد على الطريقة الصوفية لو كان من البر والتعاون على البر والتقوى استدلالاً بالعموم لجاز الاستدلال على استحباب الأذان يوم العيد أخذا من قوله (وافعلوا الخير)ولا يشك عاقل أن الأذان خير كما يجوز لآخر أن يستدل بقوله تعالى ﴿وأذكروا الله كثيراً﴾ أن الأذان من الذكر كما لايخفى فلما لم يصح أن يُستدل بعموم الآيتين على استحباب الأذان يوم العيد فكذلك لايجوز الاستدلال على أخذ العهد الصوفي على المريدين استدلالا بعموم آية المبايعة وهذا واضح بحمد الله فالحاصل أنه لاينبغي القول بدخول صورة من الصور في نص من النصوص بدعوى العموم دون نظر لتلك الصورة من خلال النصوص الأخرى .

(٦) الاحتجاج بحديث : « شداد ارفعوا أيديكم » .

احتجوا أيضاً بحديث شداد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « ارفعوا

أيديكم فقولوا لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم وضع رسول الله ﷺ يده ، ثم قال : الحمد لله اللهم إنك بعثني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة ... ثم قال : أبشروا فإن الله قد غفر لكم »[١] .

ولا حجة لهم في هذا الحديث على ما ذهبوا إليه من أخذ العهود الصوفية التي يدعون والرد عليهم من وجهين :

الوجه الأول : أن الحديث الذي استدل به في تحسين من حسنة نظر فإن الحافظ المنذري حسّنة في الترغيب والترهيب[٢] لكن قال الهيثمي عنه « رجاله موثقون[٣] ولا شك أن قول الهيثمي لا يعني صحة الحديث ولا تحسينه كما هو معلوم وقول المنذري رحمه الله فيه نظر فإن في سنده راشد بن داود وهو وإن قال فيه ابن معين : ليس به بأس ثقة ، وقال دحيم : هو ثقة عندي[٤] إلا أن البخاري قال فيه : فيه نظر وهذا القول يطلقه البخاري رحمه الله على من هو متهم قال الحافظ الذهبي : كذا عادته أي البخاري - إذا قال : فيه نظر بمعنى أنه متهم ، أو ليس بثقة فهو عنده أسوأ حالاً من الضعيف »[٥] . وقال الدارقطني : ضعيف لا يعتبر به .

فهذا قول البخاري أمير المؤمنين وكذا قول الدارقطني وهو أمير المؤمنين أيضاً ، ومعهما زيادة علم وجرحهما مفسر وهو مقدم على التعديل هذا من ناحية سند الحديث فإذا كان الأمر كذلك فلا حجة فيه .

---

(١) رواه أحمد (١٢٤/٤) والطبراني في الكبير (٧١٦٣) والبزار (١٣/١ كشف الأستار) والحاكم (٥٠١/١) .

(٢) (٤١٥/٢) .

(٣) (١٩/١) .

(٤) ميزان الاعتدال (٢٧/٣) .

(٥) الموقظة ص ٨٣ للذهبي .

الوجه الثاني : على سبيل التنزل وأن الحديث صحيح فإن الحديث لا علاقة له بالعهود على الطريقة الصوفية من قريب ولا بعيد فإن الحديث وارد في البيعة ولفظة عن البزار « بايعنا رسول الله ﷺ فقال فيكم غريب ... الحديث » وعلى هذا فإن رفع الصحابة أيديهم وقولهم لا إله إلا الله إنما هو للبيعة .

(٧) الاحتجاج بحديث بشير بن الخصاصية :

قال : « أتيت النبي ﷺ لأبايعه قال : فاشترط عليَّ شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة وأن أؤدي الزكاة ، وأن أحج حجة الإسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، أن أجاهد في سبيل الله فقلت يارسول الله أما اثنتان فوالله ما أطيقهما الجهاد والصدقة فإنهم زعموا أن من ولى الدبر فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسي وكرهت الموت والصدقة فوالله ما لي إلا غنيمة وعشر ذود هن رَسَلُ أهلي وحمولتهم قال فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال : فلا جهاد ولاصدقة ! فبم تدخلون الجنة إذاً ؟! قال : قلت : يارسول الله أنا أبايعك قال : فبايعت عليهن كلهن »[١] .

الرد عليهم من وجهين :

الوجه الأول : أن البيعة الواردة في الحديث هي البيعة على الإسلام وما فيه من أركان وغيرها كما هو واضح فأين هذه البيعة من العهد الصوفي ؟

الوجه الثاني : أن البيعة الواردة في حديث بشير رضي الله عنه بيعة ملزمة ويفهم ذلك من سياق الحديث فهي واجبة لذلك قبض النبي ﷺ يده وقال : « لاجهاد ولا

---

(١) رواه أحمد (٣٢٤/٥) والطبراني في الكبير (٤٤/٢ والأوسط (١١٢٦) والحاكم في المستدرك (٨٩/٢) والبيهقي في السنن الكبرى (٢٠/٩ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢/١) رجال أحمد موثقون .

صدقة فبم تدخلون الجنةإذاً » ، وهذا يؤكد أنها بيعة على الإسلام فهذا رجل أراد أن يبايع على الإسلام دون المبايعة على الجهاد والصدقة والله تعالى يقول : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨] أي الإسلام وبناء عليه لايجوز الاحتجاج بالحديث على أخذ العهد الصوفي .

(٨) فإن قيل : إن ترك النبي للشيء لايعد حراماً فلا يفيد الترك حكماً شرعياً حتى تستدلون به على بدعية أخذ العهد الصوفي ؟

فالجواب من وجوه :

الوجه الأول : قال أبو ذررضي الله عنه :« تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علما »(١) بله العبادات والقربات التي تقرب إلى الله تعالى ، فما ترك ﷺ شيئا من القربات إلا وقد علمنا إياه أعيانها وأوصافها .

وقد شهد النبي ﷺ على نفسه بذلك بقوله في الحديث المشهور : « ما تركت شيئا مما يقربكم من الله إلا أمرتكم به »(٢) . . . ، والحكم هنا عام لورود النكرة في سياق النفي والله المستعان ، فما لم يبلغنا أن النبي ﷺ فعله من صور وهيئات تعبدية فلا يشرع لنا العمل به ومذهب أهل السنة أن النبي ﷺ قد بلغ كل شيء ومحال أن يكون بلغ ولم يحفظ الله تعالى بلاغه وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] .

والصحابة هم صمام الأمان لذلك ، فهم من تولى نقل الشريعة، ولم يضيعوا ولم يبدلوا لقوله تعالى : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ

(١) رواه أحمد (١٥٣/٥) وصححه الألباني في الصحيحة (٤١٦/٤) .

(٢) رواه النسائي (٢٧١٩) من حديث ابن مسعود .

نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] .

الوجه الثاني : أن كثيراً من أهل البدع يزعمون أن الترك من النبي ﷺ لايدل على حكم وهذا خطأ فإن الترك من النبي ﷺ على ثلاثة أقسام :

أولها : تركه الفعل التعبدي مع قيام الدواعي في زمانه ، ووجود أسبابه وانتفاء الموانع النصية . ، فهذا الترك واجب . لأن وجود السبب مع عدم وجود المسبب دليل على وجود مانع . وهذا الذي ينطبق على كل البدع المعروفة والمانع فيها بدعية الفعل .

قال الصنعاني : « لأن ما وجد سببه في عصره ولم يفعله ففعله بعد عصره بدعة »(١).

ثانيها : تركه مع قيام الدواعي في زمانه ووجود مانع منصوص عليه أو مستنبط فهذا الترك ليس واجبا بعده ﷺ بشرط عدم وجود المانع ومثاله الجمع لصلاة التراويح ، وجمع المصحف ...

ثالثها : تركه مع عدم وجود الدواعي في زمانه . فهذا الترك ليس واجبا إذا ظهر الداعي ولم يكن مانع شرعي . ومثاله التصانيف التي وضعها العلماء في شتى أنواع العلوم الشرعية والإعلام الذي أمر به عثمان رضي الله عنه والذي يسميه الفقهاء الأذان الثاني تجوزا وغير ذلك . مما هو من باب المصالح المرسلة ، والفرق بينها وبين البدع(٢) قال الإمام الشافعي رحمه الله : « ولكنا نتبع السنة فعلا أو تركا »(٣) .

---

(١) سبل السلام (١/١٨٤) .

(٢) « البيان والإشاعة لحكم قيام الليل جماعة » للشيخ طارق الحمودي ص٣وذكر أن هذا التقسيم مستفاد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ، والشاطبي في الموافقات قلت : وسيأتي النقل عنهم .

(٣) فتح الباري (٤/٢٧٥) .

الوجه الثالث : إذا ثبت هذا كان ما يتعلق بأمر شرعي يختص بالعبادة وتركه رسول الله مع قيام المقتضي فلا شك أنه معتبر به وعلى المسلم الاقتداء برسول الله ﷺ تركاً ولا مناص من ذلك كما سيأتي بيانه أما إذا كان الترك يتعلق بشيء مباح كتركه أكل الضب فنعم فالترك فيه لايترتب عليه شيء وعلى هذا فتركه ﷺ أخذ البيعة على غرار أخذ العهد عند الصوفية مع قيام المقتضى للفعل كل ذلك يدل على أن أخذ العهد الصوفي لاشك في بدعيته فقد كان من الممكن للنبي ﷺ أن يأخذ البيعة من الصحابة على نحو ما يفعله أرباب الطرق الصوفية فلما لم يثبت ذلك عنه علم أن الاقتداء به ﷺ في ترك أخذ البيعة على نحو ما تعارف عليه الصوفية هو أمر يقتدى فيه برسول الله ﷺ فكما أننا نقتدي برسول الله فعلاً وقولاً فكذلك نقتدي به تركاً فما فعله سنة كما أن ما تركه سنة ، فنقتدي به فعلاً وتركاً

قال ابن النجار الحنبلي : « التأسي برسول الله (أي فعلك كما فعل لأجل أنه فعل) وأما التأسي في الترك فهو أن تترك ما ترك لأجل أنه ترك »[١] .

وقال العلامة ابن القيم : « فصل نقل الصحابة ما تركه وأما نقلهم لتركه (فهو نوعان وكلاهما سنة . أحدهما : تصريحهم بأنه ترك كذا وكذا ولم يفعله ، كقوله في شهداء أحد : ولم يغسلهم ولم يصل عليهم . وقوله في صلاة العيد : لم يكن أذان ولا إقامة ولا نداء . وقوله في جمعه بين الصلاتين : ولم يسبح بينهما ولا على إثر واحدة منهما . ونظائره . والثاني : عدم نقلهم لما لو فعله لتوفرت هممهم ودواعيهم أو أكثرهم أو واحد منهم على نقله فحيث لم ينقله واحد منهم البتة ولا حدث به في مجمع أبداً علم أنه لم يكن وهذا كتركه التلفظ بالنية عند دخوله في الصلاة أو تركه الدعاء بعد الصلاة مستقبل المأمومين وهم يؤمنون على دعائه دائماً بعد الصبح والعصر أو في جميع الصلوات وتركه رفع يديه كل يوم في صلاة الصبح

---

(١) شرح الكوكب المنير (١٩٦/٢) .

بعد رفع رأسه من الركوع الثانية ، وقوله : اللهم اهدنا فيمن هديت . يجهر بها ويقول المأمومون كلهم : آمين . ومن الممتنع أن يفعل ذلك ولا ينقله عنه صغير ولا كبير ولا رجل ولا امرأة البتة وهو مواظب عليه هذه المواظبة لا يخل به يوماً واحداً وتركه الاغتسال للمبيت بمزدلفة ولرمي الجمار ولطواف الزيارة ولصلاة الاستسقاء والكسوف . ومن هاهنا يعلم أن القول باستحباب ذلك خلاف السنة فإن تركه سنة كما أن فعله سنة فإذا استحببنا فعل ما تركه كان نظير استحبابنا ترك ما فعله ولا فرق فإن قيل : من أين لكم أنه لم يفعله وعدم النقل لا يستلزم نقل العدم ؟

فهذا سؤال بعيد جداً عن معرفة هديه وسنته وما كان عليه ولو صح هذا السؤال وقبل لاستحب لنا مستحب الأذان للتراويح وقال : من أين لكم أنه لم ينقل ؟ واستحب لنا مستحب آخر الغسل لكل صلاة ، وقال : من أين لكم أنه لم ينقل ؟ واستحب لنا مستحب آخر النداء بعد الأذان للصلاة يرحمكم الله ورفع بها صوته وقال : من أين لكم أنه لم ينقل ؟ واستحب لنا آخر لبس السواد والطرحة للخطيب وخروجه بالشاويش يصيح بين يديه . ورفع المؤذنين أصواتهم كلما ذكر الله واسم رسوله جماعة وفرادى وقال : من أين لكم أن هذا لم ينقل ؟ واستحب لنا آخر صلاة ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب وقال : من أين لكم أن إحياءهما لم ينقل ؟ وانفتح باب البدعة وقال كل من دعا إلى بدعة من أين لكم أن هذا لم ينقل ؟ »[1] .

وقال الشاطبي أيضاً : « وتقرير السؤال أن يقال في البدع مثلاً إنها فعل ما سكت الشارع عن فعله أو ترك ما أذن في فعله ، أو تقول : فعل ما سكت الشارع عن الأذن فيه أو ترك ما أذن في فعله أو أمر خارج عن ذلك . فالأول كسجود الشكر عند مالك حيث لم يكن ثم دليل على فعله والدعاء بهيئة الاجتماع في أدبار الصلوات والاجتماع للدعاء بعد العصر يوم عرفه في غير عرفات والثاني كالصيام مع ترك

(١) إعلام الموقعين (٣٨٩/٢) .

الكلام ومجاهدة النفس بترك مأكولات معينة والثالث كإيجاب شهرين متتابعين في الظهار لواجد الرقبة . وهذا الثالث مخالف للنص الشرعي فلا يصح بحال فكونه بدعة قبيحة بيّن . وأما الضربان الأولان وهما في الحقيقة فعل أو ترك لما سكت الشارع عن فعله أو تركه فمن أين يعلم مخالفتهما لقصد الشارع أو أنهما مما يخالف المشروع ؟ وهما لم يتواردا مع المشروع على محل واحد بل هما في المعنى كالمصالح المرسلة والبدع إنما أحدثت لمصالح يدعيها أهلها ويزعمون أنها غير مخالفة لقصد الشارع ولا لوضع الأعمال أما القصد فمسلم بالفرض وأما الفعل فلم يشرع الشارع فعلاً نوقض بهذا العمل المحدث ولا تركاً لشيء فعله هذا المحدث كترك الصلاة وشرب الخمر بل حقيقته أنه أمر مسكوت عنه عند الشارع والمسكوت من الشارع لا يقتضي مخالفة ولا يفهم للشارع قصداً معيناً دون ضده وخلافه فإذا كان كذلك رجعنا إلى النظر في وجوه المصالح فما وجدنا فيه مصلحة قبلناه إعمالاً للمصالح المرسلة وما وجدنا فيه مفسدة تركناه إعمالاً للمصالح أيضاً وما لم نجد فيه هذا ولا هذا فهو كسائر المباحات إعمالاً للمصالح المرسلة أيضاً .

فالحاصل أن كل محدثة يفرض ذمها تساوي المحدثة المحمودة في المعنى فما وجه ذم هذه ومدح هذه ؟ ولا نص يدل على مدح ولا ذم على الخصوص . وتقرير الجواب : ما ذكره مالك وأن السكوت عن حكم الفعل أو الترك هنا - إذا وجد المعنى المقتضي للفعل أو الترك إجماع من كل ساكت على أن لا زائد على ما كان وهو غاية في هذا المعنى قال ابن رشد : الوجه في ذلك أنه لم يره مما شرع في الدين - يعني سجود الشكر - لا فرضاً ولا نفلاً إذ لم يأمر بذلك النبي ولا فعله ولا أجمع المسلمون على اختيار فعله والشرائع لا تثبت إلا من أحد هذه الوجوه قال : واستدلاله على أن رسول الله (لم يفعل ذلك ولا المسلمون بعده بأن ذلك لو كان لنقل ، صحيح إذ لا يصح أن تتوفر دواعي المسلمين على ترك نقل شريعة من شرائع

الدين وقد أمروا بالتبليغ ، قال : وهذا أصل من الأصول ... وهو أصل صحيح إذا اعتبر وضح به الفرق بين ما هو من البدع وما ليس منها ودل على أن وجود المعنى المقتضى مع عدم التشريع دليل على قصد الشارع إلى عدم الزيادة على ما كان موجوداً قبل ، فإذا زاد الزائد ظهر أنه مخالف لقصد الشارع فبطل »(١) .

وقال الشيخ علي محفوظ : « فاعلم أن سنة النبي ﷺ كما تكون بالفعل تكون بالترك ، فكما كلفنا الله تعالى باتباع النبي ﷺ في فعله الذي يتقرب به إذا لم يكن من باب الخصوصيات كذلك طالبنا في تركه فيكون الترك سنة ، وكما لا نتقرب إلى الله بترك ما فعل لا نتقرب إليه بفعل ما ترك ، فلا فرق بين الفاعل لما ترك والتارك لما فعل »(٢) .

ومن أوضح الأمثلة التي ساقها شيخ الإسلام ابن تيمية على هذا القسم وهو ما تركه النبي مع قيام المقتضى له الأذان للعيدين فينبغي تركه وإن كان فيه مصلحة ظاهرة وهي دعوة الناس للصلاة وإعلامهم بها فهو غير مشروع ما دام أن النبي ﷺ قد تركه رغم دخوله تحت بعض العمومات ، كما وضحه شيخ الإسلام بقوله : « الأذان في العيدين فإن هذا لما أحدثه بعض الأمراء أنكره المسلمون لأنه بدعة فلو لم يكن كونه بدعة دليلاً على كراهته وإلا لقيل هذا ذكر لله ودعاء للخلق إلى عبادة الله فيدخل في العمومات كقوله تعالى : ﴿ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ أو يقاس على الأذان في الجمعة فإن الاستدلال على حسن الأذان في العيدين أقوى من الاستدلال على حسن أكبر البدع بل يقال : ترك رسول الله ﷺ له مع وجود ما يعتقد مقتضياً وزوال المانع سنة كما أن فعله سنة .

---

(١) الموافقات (٢/٣١٠-٣١١) .

(٢) الإبداع في مضار الابتداع ص٣٤-٣٥ .

فلما أمر بالأذان في الجمعة وصلى العيدين بلا أذان ولا إقامة كان ترك الأذان فيهما سنة فليس لأحد أن يزيد في ذلك بل الزيادة في ذلك كالزيادة في أعداد الصلاة وأعداد الركعات أو الحج فإن رجلاً لو أحب أن يصلي الظهر خمس ركعات وقال : هذا زيادة عمل صالح لم يكن له ذلك ... وليس له أن يقول : هذه بدعة حسنة ، بل يقال له : كل بدعة ضلالة ونحن نعلم أن هذا ضلالة قبل أن نعلم نهياً خاصاً عنها أو أن نعلم ما فيها من المفسدة .

فهذا مثال لما حدث مع قيام المقتضى له وزوال المانع لو كان خيراً ، فإن كل ما يبديه المحدث لهذا من المصلحة أو يستدل به من الأدلة قد كان ثابتاً على عهد رسول الله ومع هذا لم يفعله رسول الله فهذا الترك سنة خاصة مقدمة على كل عموم وكل قياس .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي : « فأما ما اتفق السلف على تركه فلا يجوز العمل به لأنهم ما تركوه إلا على علم أنه لا يعمل »(١) .

لقد أشار الإمام الشاطبي في كتابه النفيس الموافقات إلى أمر دقيق جداً فيما يتعلق بسكوت الشارع عن تشريع أمرٍ ما ، أو بيان شرعية العمل به مع قيام المعنى المقتضي له ، حيث نبه إلى أن سكوت الشارع عن الحكم يكون على ضربين اثنين؛ أحدهما أن يسكت الشرع عن الحكم لأن الداعي إليه والمقتضي له لم يوجد زمن النبوة ، وإنما حدثت النازلة المقتضية لهذا الحكم بعد رسول الله ﷺ ، وهذا القسم تجري فروعه على أصول الشرع المقررة ، فيعرف الحكم من جهتها بالنظر الصحيح والقياس ونحوه ، والضرب الثاني هو ما سكت الشارع عنه مع وجود المقتضي له زمن النبي ﷺ ، فلم يقرر له حكماً زائداً على ما كان في زمانه ﷺ ، فهذا الضرب من السكوت فيه كالنص على أن قصد الشارع أن لا يزاد فيه ولا ينقص ، لأنه لما

---

(١) فضل علم السلف ص٣١ .

كان هذا المعنى الموجب لتشريع الحكم العملي موجوداً ثم لم يشرع الحكم دلالةً عليه ، كان ذلك صريحاً في أن الزائد على ما كان هنالك - أي زمن النبوة - بدعة زائدة ومخالفة لما قصده الشارع[1] .

وهذا الذي أشار إليه الإمام الشاطبي في غاية الحسن ، ولعله يحتاج إلى تحرير بسيط يتضح ذلك في كون هذه الشريعة شريعة كاملة تفي حاجة الناس إلى آخر الزمان ، وإن النوازل المقتضية لحكم الشرع عليها لا تنتهي ، فمنها ما قد حدث زمن الوحي ومنها ما يحدث بعد زمن الوحي ، فأما ما يحدث بعد الزمن الوحي ولا سابق له في زمن الوحي فلا يخرج عن كونه جزئية أو فرعاً له أصلٌ في الشرع مقررٌ بحيث يمكن قياسه أو تخريجه عليه ، ودليل ذلك نصوص الشرع الناطقة بكمال التشريع وبلزومه للناس إلى قيام الساعة ، وهذا أمر مستفيض بل معلوم من الدين بالضرورة ، وأما ما حدث زمن الوحي فهذا قد حكم الشرع عليه إما صراحةً أو ضمناً ، فأما صراحة فببيان الحكم عليه كما حدث في مسألة الأسرى يوم بدر مثلاً ، وأما ضمناً فبالسكوت عنه مع وجود ما يقتضيه .

وهذا السكوت على درجات هي :

١- إما أن يكون السكوت عن حدٍ زائد على ما قرره الشرع : ومثال ذلك التشريعات العملية المتعلقة بحب الرسول ﷺ ، فإن المقتضي الشرعي والعقلي لحب الرسول ﷺ موجود زمن الوحي ، وقد أقر الشرع التشريعات العملية المتعلقة بالدلالة على هذا الحب كتفضيله ﷺ على النفس وكالصلاة عليه وكعدم رفع الصوت بحضرته وعدم مناداته باسمه مجرداً ، وسكت عما سوى ذلك كالاحتفال بيوم مولده ونهى عن صراحة عن بعض ذلك كالسجود له ، فدل هذا السكوت على عدم مشروعية هذا الحد الزائد ، لأنه لو كان مشروعاً لما سكت عنه الشارع كما أنه

(١) الموافقات (٤١٣/٢) .

لم يسكت عن الصلاة عليه وعدم رفع الصوت بين يديه ونحو ذلك .

٢- وإما أن يكون السكوت عن الأمر بالكلية ولربما كان الداعي والمقتضي له موجوداً ولكن ثمة موانع من تشريع العمل ، ومثال ذلك جمع المصحف فإن الداعي له هو الحفظ وهذا الداعي لا شك أنه موجود زمن النبوة ، ولكن منع من تقرير حكمه استمرار الوحي ، فلما انقطع الوحي بموت النبي ﷺ ارتفع المانع وبقي الدافع موجوداً ، واحتاج الناس لأمر فوق ما كان مشروعاً زمن النبوة من حفظ وكتابة مفرقين في الصدور والسطور ، فكان الأمر بجمع المصحف نوعاً من المصلحة المرسلة ، ولا لعلاقة له بالبدعة البتة ، وقل مثل هذا فيما أحدثه المسلمون من دواوين ووزارات وأنظمة للدولة ونحو ذلك .

قلت : وهذا يصلح أن يكون دليلاً عاماً على ما ذكرنا ، ويدل عليه كلام الشاطبي رحمه الله حيث قال : « ودل على أن وجود المعنى المقتضي مع عدم التشريع دليل على قصد الشارع عدم الزيادة على ما كان موجوداً قبل ، فإذا زاد الزائد ظهر أنه مخالفٌ لقصد الشارع فبطل »[(١)] .

فإذا نظرنا إلى الداعي للتشريع عموماً وجدنا الرسول ﷺ قد صرح به في الحديث ألا وهو القرب من الجنة والبعد من النار ، وقد أخبر النبي ﷺ بكل ما حكم به الشرع من أحكام عملية تدل على ما يقتضيه هذا الدافع ، وعليه فإن كل ما يأتي به أحد مما لم يَرِد عن طريق الشرع فإنه لا يحقق مقصود الشرع ولا يدل على مقتضاه ، وإن من أتى ببدعة يزعم أنه تقرب إلى الله تعالى فقد كذَّب محمداً ﷺ في قوله إنه بين لنا كل ما يقرب من الجنة ويبعد من النار حاشاه بأبي هو وأمي ﷺ ، والذي يطالب بدليل بعد هذا فإنما هو مُكابرٌ جَحود لا شأن لنا به . البدعة هي التعبد لله تعالى بما ليس له أو لصفته أصل في الشرع بالفعل أو الترك وكان الداعي إليه

(١) الاعتصام ص ٢١٠ .

موجوداً والمانع مفقوداً زمن الوحي .

قال الشاطبي : « فإذا وجدت في كلامهم - أي السلف - في البدعة أو غيرها أكره هذا ولا أحب هذا وهذا مكروه وما أشبه ذلك فلا تقطعن على أنهم يريدون التنزيه فقط فإنه إذا دل الدليل في جميع البدع على أنها ضلالة فمن أين يعد فيها ما هو مكروه كراهية التنزيه ؟ »[١] .

(٨) الاحتجاج بحديث جرير بن عبد الله :

قال : قلت : يا رسول الله اشترط علي فأنت أعلم بالشرط قال : أبايعك على أن تعبد الله لاتشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتنصح المسلم ، وتبرأ من المشرك »[٢] .

الرد عليهم :

ويمكن الرد عليهم بما جاء في الرد على ما احتجوا به في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وحديث بشير بن الخصاصية رضي الله عنه ويمكن أن يقال إن إلصاق أخذ العهد الصوفي بأخذ بيعة الإسلام التي كان النبي ﷺ من الصحابة إلصاق هذه بتلك من البدع الإضافية الزائدة على الأمر المرفوع لذلك قال الحافظ ابن رجب رحمه الله : « وأما من عمل عملا أصله مشروع وقربة ، ثم أدخل فيه ما ليس بمشروع أو أخل فيه بمشروع ، فهذا أيضا مخالف للشريعة »[٣] .

(٩) الاحتجاج بلبس الخرقة الصوفية :

لبس الخرقة قد صاحبه اعتقادات خاطئة لا دليل عليها حيث يزعم الصوفية أن

---

(١) الاعتصام (٣٥٣/١) .

(٢) رواه أحمد (١٨٧٤٧) ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قد الصلاة (٧٦٤) .

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٦٩ .

لبس الخرقة هي عهد بين الشيخ والمريد يسميه السهروردي بالارتباط بين الشيخ والمريد فيقول السهروردي في لبس الخرقة : « ارتباط بين الشيخ والمريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنيوية فماذا ينكر المنكر للبس الخرقة على طالب صادق في طلبه يقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصالح دينه يرشده ويهذبه ويعرفه طريق المواجيد ويبصره بآفات النفوس وفساد الاعمال ومداخل العدو »(١) .

ولعل قائلاً يتساءل : كيف يصحب لبس الخرقة اعتقادات خاطئة ؟

وهل يوجد من يعتقد في لبس الخرقة اعتقادات خاطئة ؟

والجواب عليهم من وجوه :

الوجه الأول : إن كثيراً من الصوفية يلبس هذه الخرقة معتقداً أولاً فيها أن بركة الشيخ سرت فيها ومن ثم سوف تنتقل إليه من خلال هذه الخرقة ولا شك أن هذا الاعتقاد باطل فإن التبرك عبادة من العبادات ولا يمكن أن يتعبد المرء المسلم بعبادة إلا إذا كانت هذه العبادة خالصة لله عز وجل وأن تكون على وفق السنة النبوية ولا شك أن ارتداء الخرقة الصوفية بالإضافة إلى أنها لا دليل عليها من الكتاب والسنة المطهرة فإن التبرك بارتدائها بزعم انتقال بركة الشيخ إلى المريد على هذا النحو هو ضرب من البدعة لاشك فيه حيث أن التبرك إنما هو مقصور على آثار رسول الله ﷺ فلا يتبرك بشيء من آثار الصالحين مهما سمت مكانتهم ، وظهر صلاحهم وقد أوضحت هذه المسألة بشيء من التفصيل في رسالتنا في التحذير من بدعة تقبيل القبور والتمسح بها فراجعها غير مأمور وقد ذكرت فيها بعض النقول المهمة عن أهل العلم الموثوق بعلمهم وفي مقدمتهم الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله ، ومن قبله

(١) عوارف المعارف (١٥٥/١) .

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، والإمام الشاطبي وغيرهم .

قال الإمام الشاطبي رحمه الله : « إن الصحابة رضي الله عنهم بعد موته ﷺ لم يقع منهم شيء من ذلك بالنسبة إلى من خلفه إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق رضي الله عنه فهو كان خليفته ولم يفعل به شيء من ذلك ولا عمر رضي الله عنه وهو كان أفضل الأمة بعده ، ثم كان عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم علي سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها بل اقتصروا منهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ فهو إذن إجماع منهم على ترك هذه الأشياء »(١) .

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله عند شرحه الحديث بعثت بين يدي الساعة : « وكذلك المبالغة في تعظيم الشيوخ وتنزيلهم منزلة الأنبياء هو المنهي عنه وقد كان عمر وغيره من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم يكرهون أن يطلب منهم الدعاء ويقولون : أأنبياء نحن ؟ فدل على أن هذه المنزلة لا تنبغي إلا للأنبياء عليهم السلام ، وكذلك التبرك بالآثار فإنما كان يفعله الصحابة رضي الله عنهم مع النبي ﷺ ، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض ، ولا يفعله التابعون مع الصحابة مع علو قدرهم ، فدلّ على أن هذا لا يفعل إلا مع النبي ﷺ مثل التبرك بوضوئه وفضلاته وشعره ، وشرب فضل شرابه وطعامه وفي الجملة فهذه الأشياء فتنة للمعظَّم لما يخشى عليه من الغلو المدخل في البدعة ، ربما يترقى إلى نوع من الشرك كل هذا إنما جاء من التشبه بأهل الكتاب والمشركين الذي نهيت عنه هذه الأمة »(٢) .

وما ينبغي أن يعلم أن لفظ التبرك بالصالحين لفظ يحتاج إلى تفصيل حتى لا

---

(١) الاعتصام (٢٧٦-٢٧٧) .

(٢) الحكم الجديرة بالإذاعة ص ٥٤-٥٥ لابن رجب الحنبلي .

يشتبه على الناس فإذا اتضح الإجمال زال الأشكال فإن أريد بهذا اللفظ التبرك بمجالستهم كالانتفاع بعلمهم أو بدعائهم أو نصحهم فهذا تبرك مشروع وإن أريد به التبرك بملامستهم أو لبس ملابسهم أو شرب سؤرهم أو طعامهم وغير ذلك لم يدل عليه دليل فهذا تبرك ممنوع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في توضيح ذلك : « فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله وبدعائهم للخلق ، وبما ينزل الله من الرحمة ويدفع من العذاب بسبب حق موجود فمن أراد بالبركة هذا وكان صادقاً فقوله حق ، وأما المعنى الباطل فمثل أن يريد الإشراك بالخلق : مثل أن يكون رجل مقبور بمكان فيظن أن الله يتولاهم لأجله وإن لم يقوموا بطاعة الله ورسوله فهذا جهل فقد كان الرسول ﷺ سيد ولد آدم مدفون بالمدينة عام الحرة وقد أصاب أهل المدينة من القتل والنهب والخوف ما لا يعلمه إلا الله وكان ذلك لأنهم بعد الخلفاء الراشدين أحدثوا أعمالاً أو جبت ذلك وكان على عهد الخلفاء يدفع الله عنهم بإيمانهم وتقواهم لأن الخلفاء الراشدين كانوا يدعونهم إلى ذلك ، وكان ببركة طاعتهم للخلفاء الراشدين ، وبركة عمل الخلفاء معهم ينصرهم الله ويؤيدهم، وكذلك الخليل ﷺ مدفون بالشام وقد استولى النصارى على تلك البلاد قريباً من مائة عام ، وكان أهلها في شر فمن ظن أن الميت يدفع عن الحي مع كون الحي عاملاً بمعصية الله فهو غالط . وكذلك إذا ظن أن بركة الشخص تعود على من أشرك به وخرج عن طاعة الله ورسوله مثل أن يظن أن بركة السجود لغيره ، وتقبيل الأرض عنده ، ونحو ذلك يحصل له السعادة وإن لم يعمل بطاعة الله ورسوله ، وكذلك إذا اعتقد أن ذلك الشخص يشفع له ويدخله الجنة ، بمجرد محبته وانتسابه إليه فهذه الأمور ونحوها مما فيه مخالفة للكتاب والسنة ، فهو من أحوال المشركين

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/١١٥ ، ١١٤) .

وأهل البدع باطل لا يجوز اعتقاده ولا اعتماد والله سبحانه وتعالى أعلم »[(١)] .

قلت : ولاشك أن الافتتان بالصالحين أفرز التبرك بآثارهم بل كثير من العوام لا يفرقون بين ما يجوز وما لا يجوز « فقد ذكر الشعراني الصوفي أن شيخاً من شيوخ الصوفية كان إذا دخل الحمام وحلق رأسه تقاتل الناس على شعره ، يتبركون به ، ويجعلونه ذخيرة عندهم ، وبعضهم يأخذ من تراب زاويته ويجعله في روق المصاحف للاستشفاء والبركة »[(٢)] .

ومن ذلك التبرك البدعى : « اتخاذ عمائم الموتى عند قبورهم ثم استثمارها كعائد مادي ، وذلك ببيعها قطعاً طلباً للبركة والفوز باقتنائها ، بل لقد وصل الأمر في بعض السنين عند مولد (السيد البدوي) أن تزاحم الناس حول حمار أتى به دراويش الطريقة الشاذلية ، وتسابقوا إليه يتمسحون به ، ويعتقدون بركته ، وينتزعون شعرات من جسمه يصنعون منها الأحجبة ، والتعاويذ ، وهذا الفعل بعينه كان قدماء المصريين يفعلونه بهذا الحيوان »[(٣)] .

بل نقل الشاطبي رحمه الله عن الطبري رحمه الله أن الحلاج الصوفي الذي قتل بسيف الحق لما ادّعى الولاية وأتى بالأقوال الكفرية نقل الطبري أن أصحاب الحلاج كانوا يبالغون في التبرك به حتى كانوا يتمسحون ببوله ويتبخرون بعذرته حتى وصل الأمر أنهم ادَّعوا فيه الإلهية[(٤)] تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

وقد كان السلف الصالح ينكرون على من تبرك ويتمسح بهم . فقد نقل صاحب الآداب الشرعية طرفاً من أخلاق الإمام أحمد رحمه الله فمن ذلك أن علي بن عبد الصمد الطيالسي قال مسحت يدي على أحمد بن حنبل ثم مسحت يدي على بدني ، وهو

---

(١) طبقات الشعراني الكبرى (٩٤/٤) .

(٢) دمعة على التوحيد ص ١٢٧ .

(٣) الاعتصام للشاطبي (٦٣/١) .

ينظر فغضب غضباً شديداً وجعل ينفض يده ، ويقول : عمن أخذتم هذا ؟ وأنكر إنكاراً شديداً .

قلت : رحم الله الإمام أحمد رحمة واسعة ، ما أشد إتباعه للسنه !! .

فالحاصل : أن لبس الخرقة الصوفية مصحوباً باعتقاد التبرك لمن لبسها من المشايخ على نحو ما ذكرنا يعتبر هذا من البدع .

الوجه الثاني : ومن الاعتقادات التي يعتقدها البعض أن لبس الخرقة الصوفية للمريد من شيخه فيها تطهير من الذنوب والمعاصي والأخلاق المذمومة ، جعل المريد ينتقل من حال النقص إلى حال الكمال فإن ارتداء الخرقة الصوفية شعار صوفي لا ريب فيه ، ولا محيد عنه عند الصوفية فهذا ابن عربي الصوفي الذي يزعم أن الخضر عليه الصلاة والسلام قد ألبسه الخرقة على طريقة أهل التصوف يقول ابن عربي : « فجرت عادة أصحاب الأحوال إذا رأوا أحداً من أصحابهم عنده نقص في أمرها ، وأرادوا أن يكملوا له حاله يتحد به هذا الشيخ ، فإذا اتحد به أخذ ذلك الثوب الذي عليه في ذلك الحال ونزعه وأفرغه على الرجل الذي يريد تكمله حاله ويضمه فيسرى فيه ذلك الحال فيكمل له ذلك الأمر ، فذلك هو اللباس المعروف عندنا والمنقول عن المحققين من شيوخنا »(١) .

ومن العجب أن يشترط بعض الصوفية شروطاً لإلباس الخرقة وهي شروط ما أنزل الله بها من سلطان كما أن أصل إلباس الخرقة لا دليل عليه من كتاب ولا سنة فيشترط علي الخوّاص وأبو الفضل الأحمدي في الشيخ الذي يتأهل لإلباس الخرقة الشرط الآتي قالاً « شرط لباسها أن يعطى الله ذلك الشيخ من القوة والعزم ما ينتزع به عن المريد - حال قوله له اخلع قميصك أو قلنسوتك مثلاً جميع الأخلاق المذمومة فيتعطل عن استعمال شيء منها ، فلا يصير فيه خلق مذموم إلى أن يموت

(١) الفتوحات المكية (١٨٧/٣) .

ذلك المريد ، ثم يخلع على المريد مع إلباسه تلك الخرقة جميع الأخلاق المحمودة التي هي غاية درجة المريد »[١] .

الوجه الثالث : أن لبس الخرقة ليس له سند صحيح متصل إلى رسول الله ﷺ .

وهذا مما لاشك وقد تواتر الكلام على نفي اتصالها برسول الله ﷺ كما صرّح بذلك جمهرة من أهل العلم حيث نفي أهل الحديث اتصال سندها برسول الله ﷺ على الوجه الذي أحدثه الصوفية في زماننا وقبل زماننا

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله « ليس في شيء من طرقها ما يثبت ، ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبي ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية لبعض أصحابه ولا أمر أحداً من الصحابة بفعل ذلك ، وكل من روى في ذلك صريحاً فباطل »[٢] .

قال بعض العلماء : ولم ينفرد الحافظ ابن حجر بهذا بل سبقه جماعة كالدمياطي والذهبي والهكارى وأبو حيان والعلائي والعراقي وابن الملقن والأنباسي والبرهان الحلبي وابن ناصر الدين[٣] .

قال صاحب الدرر المنتشرة : حديث لبس الخرقة المشهورة بين الصوفية بالإسناد إلى الحسن البصري أنه لبسها عن على بن أبى طالب قال ابن دحية : باطل

قلت : وكذا قال ابن الصلاح رحمه الله .[٤]

وقال صاحب أسنى المطالب : خبر لبس الخرقة عن الصوفية وكون الحسن

---

(١) درر الغواص ص ٧٩-٨٠ ، الطبقات الكبرى للشعراني (١٥٣/٢) .

(٢) كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنته الناس حديث رقم (٢٠٣٥) .

(٣) المقاصد الحسنة ص٨٥٢ للسخاوي .

(٤) الدرر المنتشرة (٢٢/١) .

البصري لبسها عن علي غير ثابت ، نص عليه غير واحد ثم ساق كلام ابن دحية ابن الصلاح وكذا كلام ابن حجر(١).

وقال صاحب المصنوع في معرفة الموضوع : حديث لبس الخرقة الصوفية وكون الحسن البصري لبسها من علي أطبق المحدثون على أنه لا أصل له .

وقال جماعة من العلماء « وما يذكره بعضهم من أن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ لبس الخرقة عن علي رضي الله عنه باطل مع أن الحسن لم يسمع من علي »(٢) .

وقال السخاوي : إن من الكذب المفترى قول من قال إن علياً رضي الله عنه ألبس الخرقة الحسن البصري فإن أئمة الحديث لم يثبوا للحسن من علي رضي الله عنه سماعا فضلا عن أن يلبس الخرقة(٣) .

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ على سند حديث الخرقة الذي يستدل به الصوفية وأثبت شيخ الإسلام أن سنده باطل وقد كان لشيخ الإسلام فيه إسناد في مقتبل عمره ثم تبين له بطلانه وعدم صحته .

قال شيخ السلام في رده على الرافضي : « قال الرافضي وأما علم الطريقة . فإليه منسوب – أي إلى علي رضي الله عنه– فإن الصوفية كلهم يسندون الخرقة إليه .

والجواب : أن يقال أولاً : أما أهل المعرفة وحقائق الإيمان المشهورين في الأمة بلسان الصدق فكلهم متفقون على تقديم أبي يكر وأنه أعظم الأمة في الحقائق الإيمانية والأحوال العرفاينة وأين من يقدمونه في الحقائق التي هي أفضل الأمور عندهم إلى من ينسب إليه الناس لباس الخرقة؟ وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » فأين حقائق

---

(١) أسنى المطالب (٢٢٥/١) .

(٢) المصنوع في معرفة الموضوع (١٤٤/١) .

(٣) المقاصد الحسنة ص ٨٥٢ .

القلوب من لباس الأبدان ويقال ثانيا : الخرقة متعددة أشهرها خرقتان خرقة إلى عمر وخرقة إلى علي فخرقة علي لها اسنادان إسناد إلى أويس القرني وإسناد إلى أبي مسلم الخولاني ، وأما الخرقة المنسوبة إلى علي فإسنادها إلى الحسن البصري والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخي ، فإن الجنيد صحب السري السقطي والسري صحب معروفاً الكرخي بلا ريب ، وأما الإسناد من جهة معروف فينقطع فتارة يقولون إن معروفاً صحب علي بن موسى الرضا وهذا باطل ، لم يذكره المصنفون لأخبار معروف بالإسناد الثابت المتصل كأبي نعيم وأبي الفرج بن الجوزي في كتابه الذي صنعة في فضائل معروف وكان منقطعاً في الكرخ وعلي بن موسى كان المأمون قد جعله ولي العهد بعده وجعل شعاره لباس الخضرة ثم رجع عن ذلك وأعد شعار السواد ومعروف لم يكن ممن يجتمع بعلي بن موسى ولا نقل عنه ثقة أنه اجتمع به أو أخذ عنه شيئاً بل ولا يعرف أنه رآه ولا كان معروف بوابه ولا أسلم على يديه وهذا كله كذب والإسناد الآخر فيقولون معروفاً صحب داود الطائي وهذا أيضاً لا أصل له وليس في أخباره المعروفة ما يذكر فيها وفي إسناد الخرقة أيضاً أن داود الطائي صحب حبيباً العجمي وهذا أيضاً لم يعرف له حقيقة . وفيها أن حبيبا العجمي صحب الحسن البصري وهذا صحيح فإن الحسن كان له أصحاب كثيرون مثل أيوب السختياني ويونس بن عبيد وعبد الله بن عوف ومثل محمد بن واسع ومالك بن دينار ، وحبيب العجمي وفرقد السبخي وغيرهم من عباد البصرة وفيها أن الحسن صحب علياً وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعلي وإنما أخذ عن أصحاب علي أخذ عن الأحنف بن قيس وقيس بن عباد ، وغيرهم عن علي وهكذا رواه أهل الصحيح والحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافه عمر وقتل عثمان وهو بالمدينة كانت أمه أمة لأم سلمه فلما قتل عثمان حُمِل إلى البصرة وكان علي بالكوفة والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يعرف ولا له ذكر

والأثر الذي يُروى عن علي أنه دخل جامع البصرة وأخرج القصاص إلا الحسن كذب باتفاق أهل المعرفة ولكن المعروف أن علياً دخل المسجد فوجد قاصاً يقصي فقال : ما اسمك؟ قال : أبو يحيى قال : هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال؟ لا قال : هلكت وأهلكت إنما أنت أبو اعرفوني ثم أخذ بأذنه فأخرجه من المسجد ... وقد صنف ابن الجوزي مجلداً في مناقب الحسن ، وصنف أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد جزءاً فيمن لقيه من الصحابة وأخبار الحسن مشهورة في مثل تاريخ البخاري وقد كتبت أسانيد الخرقة لأنه كان لنا فيها أسانيد فبينتها ليعرف الحق من الباطل ، ولهم إسناد آخر بالخرقة المنسوبة إلى جابر وهو منقطع جداً وقد عُلِم بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقة ولا يقصون شعورهم ولا التابعون ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين وأخبار الحسن مذكورة بالأسانيد الثابتة في كتب كثيرة يعلم منها ما ذكرنا وقد أفرد أبو الفرج بن الجوزى له كتاباً في مناقبه وأخباره وأضعف من هذا نسبة الفتوة إلى علي وفي إسنادها من الرجال المجهولين الذين لا يعرف لهم ذكر ما يبين كذبهما وقد علم كل من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة لكن كان قد أجتمع بهم التابعون وتعلموا منهم وتأدبوا بهم واستفادوا منهم وتخرجوا على أيديهم وصحبوا من صحبوه منهم وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة »(١) .

وقال الحافظ الذهبي في شأن الخرقة وسندها « وما يذكر من قصته لبس الخرقة وأن داود الطائي صحب حبيباً فخطأ لم يصحبه ولا عرفنا لداود رواحاً إلى البصرة ولا لحبيب قدوماً إلى الكوفة ثم أبعد من ذلك قولهم : إن معروفاً الكرخي أخذها من

---

(١) منهاج السنة (٨ / ٤٣) .

داود ، فما علمنا أن داود ومعروفاً اجتمعاً ولا التقيا والله أعلم »[١] .

وقال صاحب النخبة البهية : « لبس الخرقة المشهورة بين الصوفية لا أصل له نص عليه جمع من الحافظ حتى من لبسها اقتداء بالسادة الصوفية وقد ألف السيوطي كتاباً سماه « اتحاف الفرقة في لبس الخرقة » وغاية ما فيه إثبات أن الحسن البصري سمع من علي في الجملة وليس فيه إثبات أن علياً ألبس الحسن ولا أن المصطفى ألبس علياً الخرقة على الصورة المتعارفة بينهم »[٢] .

وقال بعضهم : إنما ينبغي لبس الخرقة حيث لم يعارضه أحد ثلاثة أشياء احتياجه إلى أصل من الأثر يعتمد عليه ليخرج من البدعة أو من مقاطع الاجتهاد .

قلت : هذا جميل والواقع أنه لم يرد أثر صحيح بذلك فمن فعله فقد وقع في البدعة .

ثم قال : الرأي الثاني : سلامته من اختلاف الأهواء والميل عن السنة .

قلت : وهذا الشرط أيضاً غير متوفر إذ علم أن الروافض والبوذيين يشتركون مع الصوفية في هذه البدعة فكيف يشتبه بهم المسلم وهم من أهل الأهواء والميل عن السنة .

ثم قال : الثالث : اتصال سندها .

قلت : وهذا غير متوفر ولا تثبت السنة بذلك إذ فيه انقطاعاً من كل طرقة .

ثم قال : وهو متصل[٣] إلى أويس عن عمر رضي الله عنهما وإلى الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو أشهر عند أهل العلم وأشهر طرقة طريق الشيخ عبد القادر وهو يرويه عن أبي السعادات الحرمي عن أبي الفرج الطرسوسي عن أبي الفضل

---

(١) تاريخ الإسلام (٣ / ٢١٥) .

(٢) النخبة البهية (١ / ٩٨) .

(٣) كلا بل هو منقطع كما سيأتي ذكره .

التميمي وهو عبد الواحد بن أبي الحسن الفقيه الحنبلى عن أبي بكر الشبلي عن أبى القاسم الجنيد عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخى عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي عن النبي ﷺ ومن طريق آخر إلى جابر ابن عبدالله الأنصاري واعلم أن السند إلى معروف متصل ومن بعده منقطع إذ لا يعرف له صحبة لداود الطائي ولا لعلي بن موسى الرضا وإنما تعرف صحبته لبكر بن حبيش وعنه يروى أحاديث الزهد وما يرويه غير أهل العلم الخطأ فيه كبير ، وإن كانوا ذوي فضل وصلاح ومن ثم نفر مالك عن الأخذ عنهم وصحبته داود لحبيب العجمي فيها نظر[١] وأما اجتماع الحسن بعلي فباطل باتفاق أهل العلم بهذا الشأن وما يروى أنه سأله عن صلاح الدين قال : الورع وما فساده قال : الطمع كذب موضوع وإسناد أويس أكثر انقطاعاً وإسناد جابر أشد انقطاعاً من الكل »[٢] .

فعلم من كل هذا الأسانيد أنها ضعيفة لا تثبت وقد حاول بعضهم رد دعوى الانقطاع بن علي والحسن البصري كالحافظ السيوطي في الحاوي[٣] ، وكلامه منتقد . وقد رأيت كلاماً للشيخ عبدالله الغماري يرد به على السيوطي في دعوى سماع الحسن البصري من على رضي الله عنه وهو في الحقيقة كلام متين جداً حيث يقول الغماري « أن الحسن البصري لا يثبت له سماع من علي رضي الله عنه وإنما رآه فقط بهذا قال حفاظ الحديث ونقاده حتى يكاد يكون مجتمعاً عليه بينهم ، بل حكي بعض الحفاظ الإجماع عليه ، ولكن لا يصح ... وهذه أسماء من حضرنا من الحفاظ الذين أنكروا سماع الحسن من علي رضي الله عنه : أبو زرعه الرازي ، يحيي بن معين ، البخاري ، الترمذي ، الذهبي ، المزي ، ابن ناصر الدين الدمشقي ،

---

(١) سبق كلام الحافظ الذهبي في ذلك .

(٢) الفتاوى الفقهية الكبرى (٣ / ٢٨) .

(٣) الحاوي (١٩٢/٢) .

الدمياطي ، أبو الخطاب ابن دحيه ، ابن الصلاح ، النووي ، العلائي ، ابن الملقن ، البرهان الحلبي الانباسي ، الهكاري ، ابن حبان ، العراقي ، ابن الجزري ، ابن حجر العسقلاني ، السخاوي » .

وحاول بعض المالكية أيضاً رد دعوى الانقطاع بأن من حفظ حجة على من لم يحفظ . ومن أثبت السماع مقدم على من نفاه ولكن هذا لا يفيد شيئاً ما دام الحديث ضعيفاً . وذكر هذا البعض أن بتقدير التسليم بوجود الانقطاع فإن هذا وإن كان ضعيفاً فهو معمول به في الفضائل(١) .

والجواب عن هذا : أن قاعدة العمل بالحديث الضعيف في الفضائل غير متفق عليها بين العلماء بل قول المحققين منهم أنه لا يعمل في الحديث الضعيف لا في الأحكام ولا في الفضائل إذ الكل شرع والشرع لا يثبت إلا بما صح عن المعصوم ﷺ ولهذا مجال آخر ثم من قال بالعمل في الضعيف في فضائل الأعمال اشترط شروطاً قد لا يعرفها إلا المختصون في العلم الشرعي ويجهلها كثير من الناس فالقول الراجح في هذه المسألة هو من اختاره المحققون كالبخاري ومسلم وعلى بن المديني وأبى رزعة والدارقطني والشوكانى وقبله ابن تيمية وابن القيم وابن حزم وغيرهم عدم العمل بالحديث الضعيف في الفضائل وعدم الاعتداد به .

*وانظر إلى هذا الإسناد الغريب العجيب في لبس الخرقة حيث أوصل بعضهم إسنادها إلى رب العزة جل جلاله .

يقول ابن قنفذ : « وفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفي جدي للأم والد الوالدة يوسف بن يعقوب الملا ري ... وكان سلوكه في طريق التصوف على يد والده وبينه وبين أبى مدين في لبس الخرقة وغيرها رجلان والده يعقوب عن ابن العريف عن أبى مدين عن ابن حرزهم عن القاضي أبى بكر بن العربي عن

(١) الفتاوى الفقهية الكبرى (٣ / ٣٨) لابن حجر الهيتمي .

الغزالي عن إمام الحرمين أبي المعالي عن أبي طالب المكي عن أبي القاسم الجنيد عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن على بن أبي طالب عن النبي ﷺ عن جبريل عن رب العزة جل جلاله . »[١] .

قلت : وهذا الإسناد منقطع لكن العجيب فيه هنا أنهم يصلون به إلى رب العزة كأنهم يريدون إثبات أن لبس الخرقة جاء من السماء بالوحي .

ومما يتعلق بأسانيد لبس الخرقة ما ذكره بعض الغلاة في الشيخ عدي بن مسافر بن صخر وكان رجلاً صالحاً له أتباع حيث ذكر بعض الغلاة إسناداً له في لبس الخرقة وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عما يقال في حق الشيخ عدي وفي أنه منسوب لبني أمية .

قال الشيخ ابن تيمية رحمه الله : « فصل والشيخ عدي بن مسافر بن صخر كان رجلاً صالحاً وله أتباع صالحون ومن أصحابه من فيه غلو عظيم يبلغ بهم غليظ الكفر وقد رأيت جزءاً أتى بيد أتباعه فيه نسبه وسلسله طريقة فرأيت كليهما مضطرباً أما النسب فقالوا عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن أحمد بن مروان بن الحكم بن مروان الأموي وهذا كذب قطعاً فإنه يمتنع أن يكون بينه وبين مروان ابن الحكم خمسة أنفس ، وأما الخرقة فقالوا : دخل على الشيخ عارف عقيل المنبجي وألبسه الخرقة بيده ، والشيخ عقيل لبس الخرقة من يد الشيخ مسلمة المردجي والشيخ مسلمة لبس الخرقة من يد الشيخ أبي سعيد الخراز قلت : هذا كذب واضح فإن مسلمة لم يدرك أبا سعيد بل بينهما أكثر من مائه سنة بل قريباً من مائتي سنة ثم قالوا : والشيخ أبو سعيد الخراز لبس الخرقة من يد الشيخ أبي محمد العنسي والعنسي لبسها من يد الشيخ على بن عليل الرملي والشيخ على بن عليل

---

(١) وافي الوفيات (١ / ١٤) .

لبسها من والده الشيخ عليل الرملي والشيخ عليل لبس الخرقة من يد الشيخ عمار السعدي والشيخ عمار السعدي لبس الخرقة من يد الشيخ يوسف الغساني ، والشيخ يوسف الغساني لبس الخرقة من يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم خطب الناس بالجابية وعمر بن الخطاب رضي الله عنه لبس الخرقة من يد رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ لبس الخرقة من يد جبريل عليه الصلاة والسلام وجبريل عليه الصلاة والسلام من الله تعالى ، قلت : لبس عمر للخرقة وإلباسه ولبس رسول الله ﷺ للخرقة وإلباسه يعرف كل من له أدنى معرفة أنه كذب وأما الإسناد المذكور ما بين أبي سعيد إلى عمر مجهول ، وما أعرف لهؤلاء ذكراً لا في كتب الزهد والرقائق ولا في كتب الحديث والعلم ومن الممكن أن يكون هؤلاء كانوا شيوخاً وقد ركب هذا الإسناد عليهم من لم يعرف أزمانهم والله أعلم بحقيقة أمرهم »[١] .



(١) مجموع الفتاوى (٢ / ٤٦٨ وما بعدها) .

فصل

في أن من أكبر أسباب التخلف العقدي هو انتشار كتب العهود الصوفية وكتب أهل البدع

لا أجد سببا أكثر أثرًا في تخلف الأمة الإسلامية من انتشار كتب العهود الصوفية التي باتت تشكل خطورة على عقائد الناس بما تبثه من سموم في أوساط الناس ومن أثر ذلك أن ينتج عندنا جيل من المتخلفين عقدياً ممن يؤمن بخرافات الصوفية وخزعبلاتها ويسلم لمشايخ الطرق الرقاب ليجرونها تحت وهم أن المشايخ يملكون القدرة على الإيذاء لمن عارضهم ومن ثم أدرك العلماء قديماً أهمية إعدام وحرق كتب أهل الدجل والخرافة وحذروا من طباعتها وكتابتها وترويجها كما حذروا من أصحابها بل وأفتوا بحرق تلك الكتب وحرق كل كتب تقدح في العقيدة وتخدش جمال التوحيد وتنشر الرذائل بين الناس كالمجلات الداعرة وكتب السحر وتعلمه وكتب المثالب التي تقدح في الصحابة وخيار الأمة من السلف والأئمة وكذا كتب الجني الرخيص ودواوين الشعر التي تنعق بالفسق والفجور وعظائم الأمور وروايات الفسق والغرام والهيام التي تلهب الشهوات الكامنة وتحرك الغرائز النائمة وكتب معرفة الطالع والتنبؤ بالغيب والغيب لا يعلمه إلا الله .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « وكذلك الكتب المشتملة على الشرك وعبادة غير الله ؛ فهذه كلها يجب إزالتها وإعدامها ، وبيعها ذريعة إلى اقتنائها واتخاذها ؛ فهو أولى الكتب المضلة بتحريم البيع من كل ما عداها ، فإن مفسدة بيعها بحسب مفسدتها في نفسها »(١) .

وقال أيضاً : « وكذلك لاضمان في إتلاف الكتب المضلة قال المروزي قلت

(١) زاد المعاد (٥/٧٦١) .

لأحمد : استعرت كتاباً فيه أشياء رديئة ترى أن أخرقه أوأحرقه قال : نعم قد رأى النبي ﷺ بيد عمر كتاباً اكتتبه من التوراة أعجبه موافقته للقرآن؛ فتمعر وجه رسول الله ﷺ حتى ذهب به عمر إلى التنور ، وألقاه فيه . . . والمقصود أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب اتلافها وإعدامها وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر فإن ضررها أعظم من ضرر هذه ولا ضمان فيها كما لاضمان في كسر أواني الخمر وشق زقاقها »(١) .

وقال عند فوائد حديث غزوة تبوك وفيه « ... فتيممت بها التنور فسجرتها » .

قال : وفيه المبادرة إلى إتلاف ما يخشى من الفساد والمضرة في الدين وأن الحازم لاينتظر به ولا يؤخره وهذا كالعصير إذا تخمر وكالكتاب الذي يخشى منه الضرر الشر فالحزم المبادرة إلى إعدامه وإتلافه »(٢) .

وقال الونشريسي وسئل بعضهم عن كتب السخفاء والتواريخ المعلوم كذبها ، كتاريخ عنترة ودلهمة والهجو والشعر والغناء ونحو ذلك هل يجوز بيعها أم لا؟ فأجاب لايجوز بيعها ولا النظر فيها »(٣) .

وقال السكوني بعد ذكره لأشعار فيها مخالفات للشرع المطهر : « وهذا كله وما أشبهه حرام اطلاقه وإقراره وإحراقه واجب ولا يحل بيعه في الأسواق »(٤) .

وقال الشوكاني رحمه الله في شأن كتب أهل البدع والعقائد الفاسدة بعدما نقل أقوال لأهل العلم فيها : « وحكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها بأيدي الناس مثل الفصوص لابن عربي والفتوحات والبد لابن

---

(١) الطرق الحكمية ص٣٢٢-٣٢٥ .

(٢) زاد المعاد (٣/٥٨١) .

(٣) المعيار المغرب (٦/ ٧٠) .

(٤) لحن العوام (ص١٤٩) .

سبعين وخلع النعلين لابن قسي وعلم اليقين لابن برخان وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض والعفيف التلمساني وأمثالهما أن يلحق بهذه الكتب ، وكذا شرح ابن الفرغاني للقصيدة التائية من نظم ابن الفارض ، فالحكم في هذه الكتب كلها وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالحرق بالنار والغسل بالماء »(١) .

ومن اللطائف التي ذكرها العلماء في ترجمة العلامة الصنعاني رحمه الله حيث قالوا : أصيب رحمه الله بالإسهال فطاب له أهله العلاج إلا أنه لم يفده شيئاً فجي له بكتابين الأول الإنسان الكامل للجيلي والآخر المضنون به على أهله المنسوب للغزالي .

قال الصنعاني رحمه الله فطالعت الكتابين فوجدت فيهما كفراً صريحاً فأمرت بإحراقهما بالنار وأن يطبخ على نارهما خبز لي ، فأكل من ذلك الخبز بنية الشفاء فما شكا رحمه الله بعد ذلك الأكل مرضا بل ذكرالعلماء أن الإجارة على نسخ الكتب المضلة لا تجوز وكسب المال من ذلك سحت وحرام ويبطل عقد الإجارة . قال ابن عبد البر بسنده إلى خويز منداد في كتاب الإجارات في الخلاف : « قال مالك لاتجوز الإجارات في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع والتنجيم وذكر كتباً ثم قال وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الإجارة في ذلك قال : وكذا كتاب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك »(٢) .

وقال ابن السبكي رحمه الله عن ناسخ الكتب ما يجب عليه : « ومن حقه ألايكتب شيئاً من الكتب المضلة؛ ككتب أهل الأهواء وكذلك الكتب التي لاينفع الله بها وليس للدين بها حاجة ، وكذلك كتب أهل المجون وما ذكروه في أصناف الجماع

(١) الصوارم الحداد ص٦٨ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٧) .

وصفات الخمور وغير ذلك مما يهيج المحرمات فنحن نحذر النساخ منها فإن الدنيا تغرهم وغالباً مستكتب هذه الأشياء يعطى من الأجرة أكثر مما يعطيه مستكتب العلم فينبغي للناسخ ألا يبيع دينه بدنياه »[١] .

ولخطورة هذه الكتب حذر العلماء منها ومن ادمان النظر فيها خاصة بالنسبة للعوام . قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللهُ : « وادمان النظر فيها (أي في الكتب المضلة المنحرفة عن العقيدة والسلوك)داء عضال ، وجرب مرد ، وسم قاتل ، فالحذار الحذار من هذه الكتب اهربوا بدينكم منها وإلا وقعتم في الحيرة ، فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية وليدمن الاستغاثة بالله وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام ، وأن يتوفى على إيمان الصحابة وسادة التابعين والله الموفق »[٢] .

ومن الكتب المنتشره بين الصوفيه « كتاب العهود الوثيقة فيما يجب سلوكه على من أراد أحسن طريقه » . يقول البعض منتقداً ما في هذا الكتاب : « ولمشايخ الطرق - وما أكثرهم في المسلمين ، وما أعظم ضررهم فيهم وأوسع نفوذهم وسلطانهم بينهم- كتب سموها « العهود الوثيقة فيما يجب سلوكه على من أراد سلوك أحسن طريقه »[٣] ضمنوها الآداب الحقوق التي فرضوها لأنفسهم على من خدعوا وآمنوا بهم ، ووقعوا في حبائلهم يطالبونهم بالعمل بها والإيمان بكل ما فيها ،

---

(١) معيد النعم ص ١٣١ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٢٢٨-٢٢٩) .

(٣) لست أدري لمن هذا الكتاب ولكن للشيخ محمود خطاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية في مصر كتاب « العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق » أورد فيه أشياء مخالفة وتحسين التصوف للناس وغير ذلك والكتاب قال فيه صاحب السنن والمبتدعات محمد عبد السلام الشقيري : « و حذار حذار أيها المسلمون من قراءة كتاب «العهد الوثيق» للشيخ السبكي ، فإنه من أشر و أفضع و أشنع مؤلفاته ، لما فيه من بدع و خرافات و أضاليل و أباطيل ، و نسأل الله أن يعيننا على الرد ما فيه من عيوب و مثالب » ص ٣٤١ ، كما ألف أحد تلاميذه وهو الشيخ مصطفى الحمامي عدة كتب تحذر من بعض المخالفات =

ويفرضونها عليهم فرضاً ، ويحاسبونهم على الصغير والكبير منها ، وينذرون من فرط فيها أو في بعضها العذاب والهلاك والحرمان الأبدي ويعدون من حافظ على كل هذه الآداب والحقوق كما أمر وطلب منه أعظم الجزاء وأعظم الرضا الذي أقله جزاء ورضا الله ودخول جناته ، فتشيع هذه العهود بين المسلمين المساكين ، ويؤمنون بها أصدق الإيمان ، وينفذون كل ما فيها بالرضا والغبطة ، والثقة المطلقة العمياء وخلاصة هذه الكتب المسماة (بالعهود الوثيقة) أنه يجب على كل تابع للشيخ أن يخضع ظاهره وباطنه ، ويذل قلبه وقالبه له ،فلا يفكر ولا ينظر ، ولا يؤمن ولا يكفر ولا يقوم ولا يقعد ، ولا يقرأ ة لا يتعلم ولا يتكلم ولا يسكت ، بل ولا يعبد الله ولا يسافر ولا يتزوج ولا يشتري ولا يبيع ، ولا يحج ولا يجاهد ولا يقوم - إجمالاً - بعمل من الأعمال الدينية أو الدنيوية إلا إذا أذن له الشيخ بعد استئذانه وليس له بعد قول الشيخ وأمره أو نهيه مقال ولا إرادة ولا رأي بله الاعتراض والنقد ، بل ليس له إلا التسليم المطلق لافي الظاهر فقط بل في الظاهر والباطن ، وفي اللسان وعقد الجنان فلو أن إرادته الباطنة خالفت إرادة الشيخ الظاهرة لهلك ولما أفلح أبداً أو لو قال له : لماذا او كيف - على وجه الاستفهام والاستعلام ، دع الاعتراض والانكار - لكان من الهالكين المطرودين المعذبين وفي هذه الكتب والعهود ايضاً أنه يجب على المريدين جميعاً أن يعادوا أعداء الشيخ ومن لا يذوبون فيه صبابة ووجداً وأن يقاطعوهم ويهجروهم ويصرموا ودهم ، ويعدوهم من أعدائهم وخصومهم اللد ولو

= في كتب الشيخ محمود خطاب السبكي فمن الكتب « كشف الحجاب عن بلايا محمود خطاب » ، و « اكتشاف السر المقصود من بلايا محمود » و « تحطيم الحسام السامي » والعجيب أن الشيخ خطاب السبكي كان من المنكرين للعهود الصوفية وبعض بدعهم فلست أدري كيف كتب هذ الكتاب المشار إليه وقد تقدم النقل عن الشيخ محمود خطاب السبكي في تحذيرة من بدعة أخذ العهود الصوفية التي كانت تقع في عصره من أرباب الطرق الصوفية .

كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقربيهم أو من تجب عليهم طاعتهم ووداهم شرعاً وأدباً وذوقاً وعليهم أيضاً ألا يبالوا بغير آراء الشيخ وغير علمه ، وألا يقرؤا غير ما أمرهم بقراءته من الكتب ، وإذا كانت له كتب وجب عليهم قراءتها وقنيتها دون سواها من كتب الأولين والآخرين وعليهم أيضاً أن يسلموا له أنفسهم ، بل وأهليهم وأموالهم وكل ما يملكون يتصرف فيهم وفيها تصرف المالك بل تصرف الرب الذي لا يحاسب ولا يسأل عما يفعل وعليهم أن يعتقدوا بأن كل ما يفعله الشيخ بهم وبأهليهم وأموالهم حق وصواب وحكمة وتدق على أفهامهم وأفهام العالمين وكل ما يظن به خلاف ذلك من أعمال الشيخ وأفعاله يرجع إلى قصور في عقل الظان لا إلى خطأ في فعل الشيخ !!!

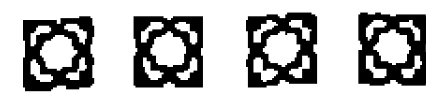
وفي هذه الكتب والعهود الوثيقة سوى ما ذكرنا مما يسمونه « آداب المريد مع الشيخ » وخلاصة هذه الآداب على وجه الاجمال والاختصار : أنه يجب على المريدين للشيخ أن يكونوا آلات متحركة بالقسر والاضطرار لا بالإرادة والاختيار وقد صرحوا بهذا تصريحاً فالذين يدينون من المسلمين لهؤلاء المشايخ المضلين يفقدون كل ميزة للعقل والتفكير والاختيار وكل ما يخص به الانسان من التميز ومن الحركة بالإرادة ويصيرون آلات متحركة كيف حركت ووجهت ومثل هؤلاء لا يمكن أن يشاد على أكتافهم مجد ولا حياة صحيحة ولا يمكن أن يكونوا يوماً من الأيام عوناً لأمتهم وقومهم عند نزول النوائب وطروق الحدثان بل ليسوا سوى ميكروبات وجراثيم فتاكة تهد في جسم أمتهم وقومهم حتى يوافيه الأجل المحتوم المقدور ، لا يختلف ولا يريث فاللهم سلم سلم ... »[(١)] .

وقال أيضاً : « وقد مهد شيوخ الطرق الآثمون لهذه الآفات التي ينزلونها ويدخلونها في بيوت المريدين المغفلين بالآداب والحقوق التي وصفوها للسيخ على

(١) كيف ذل المسلمون ص٣٤-٣٦ لعبد الله القصيمي .

مريديه فإن هذه الآداب التي زوروها في كتبهم المطبوعة المسماة ب « العهود الوثيقة » أن على المريدين أن يعتقدوا بأن أفعال الشيخ كلها طاعات ومصالح وحكم وأنها كلها صواب وهدى ودين ، وأن ما يراه منها في صور المعاصي والخطايا والآثام هو في الحقيقة والواقع لم يخرج عن أن يكون طاعات وأعمال بر يدق فهمها وإدراكها على أذهان الناس جميعاً !! فيجب عليهم التسليم إذاً والاعتراف بالعجز والضعف »[١] .

« إن الذين يرضون بأن تحكم عقولهم هذه العهود الوثيقة !! التي تقدم الكلام عليها ويرضون بأن يكونوا آلات صماء عمياء في أيدي أشياخهم ، لا يتحركون إلا إذا حركوهم ولا يفعلون إلا إذا أمروهم ولا يعقلون إلا ما لقنوهم ويرضون بأن يكونوا كما قالوا في كتبهم « مثل الأموات في أيدي الغاسلين » مثل هؤلاء كيف ينتظر أن تكون لهم عقول ومواهب فكرية ممتازة بارعة؟ »[٢] .



---

(١) المصدر السابق ص٤٥ - ٤٦ .

(٢) المصدر السابق ص٥١-٥٢ .

فصل

في أمثلة من عهود الصوفية عند بعض الطرق

ولم يقتصر الأمر على تلاوة العهد عند أخذ عهد الصوفية على المريد بل سمعنا وقرأنا عن أشياء عجيبة تتعلق بالعهود الصوفية

*** من ذلك أن العهود تعطى أيضاً للحيوانات :**

فقد أورد الشعراني ركوب إبراهيم بن عيصفير على ظهر الذئب والجمل الذي ساقه أبو العباس الغمري فمشى في الهواء ، ودخل قنطرة ضيقة وقد ركب ظهر التمساح ومر عليه كما أمر محمد الفرغل التمساح أن يلفظ بنت مخيمر بعدما خطفها ، فحرج التمساح من البحر وطلع المركب وهو ماشي والخلق بين يديه جارية يميناً وشمالاً إلى أن وقف على باب الدار ، فأمر الشيخ الحداد يقلع جميع أسنانه ، وأمره بلفظها من بطنه ، فلفظ البنت حية وأخذ على التمساح العهد أن لا يعود بخطف أحداً من بلده مادام يعيش ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر(١) .

*** ومن ذلك أنهم يشترطون شروطاً غريبة وعجيبة عند أخذ العهود :**

فمن ذلك : ما جاء عن عبد الوهاب الجوهري أنه اخترع طريقة جديدة في معرفة مريديه ، فكان إذا جاءه شخص يريد الصحبة يقول له : دق الوتد في هذا الحائط فإن ثبت الوتد في الحائط أخذ العهد وإن خار ولم يثبت يقول له : اذهب ليس لك عندنا نصيب يقول الشعراني : وقد دخلت الخلوة ورأيت الحائط غالبها شقوق وما ثبت فيها إلا بعض أوتاد(٢) .

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ص ٣٤٨ .

(٢) الطبقات الكبرى للشعراني ص٣٦٢ .

قلت : يذكرني هذا بما يفعله اليهود عند ما يسمى بحائط المبكى من كتابة ادعية في روقة ودسها في شقوق في الحائط أفعال غريبة ما أنزل الله بها من سلطان

العهد عند الطريقة القادرية :

مصدر هذه الطوام التي تنسب للشيخ عبد القادرالجيلاني وغيرها كثير ، كتاب كبير في ثلاث مجلدات في مناقب الشيخ عبد القادر جمعها من غير خطام ، ولا زمام ، ولا تحرير ، ولا اهتمام أبو الحسن الشطنوفي المصري ، فهو الذي تحمل بثها وسيبوء بوزرها ، ولا ينقص ذلك من أوزار من اتبعه شيئاً .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « كان الشيخ عبد القادر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - في عصره معظماً ، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد ، وله مناقب وكرامات كثيرة ، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفي المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات ، وكَتَبَ فيها الطم والرم ، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع . وقد رأيتُ بعض هذا الكتاب ، ولا يطيب على قلبي أن أعتمد على شيء مما فيه فأنقل منه إلا ما كان مشهوراً معروفاً من غير هذا الكتاب ، وذلك لكثرة ما فيه من الرواية عن المجهولين ، وفيه الشطح ، والطامات ، والدعاوى ، والكلام الباطل ، ما لا يحصى ، ولا يليق نسبة مثل ذلك إلى الشيخ عبدالقادر - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - ، ثم وجدت الكمال جعفر الأدفوني قد ذكر أن الشطنوفي نفسه كان متهماً فيما يحكيه في هذا الكتاب بعينه » (١) .

قلت : مصيبة الصوفية الكبرى ، وداهيتهم العظمى أنهم لا يميزون بين الصحيح والموضوع ، ولا بين الباطل والحق ، بل يتلقون جلَّ عقائدهم عن طريق الهواتف والمكاشفات ، والأحاديث الموضوعات ، وقد ميز الله هذه الأمة على غيرها من

(١) المدخل المفصل لفقه الإمام أحمد للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ٤٤٦) نقلاً عن ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب رحمه الله .

الأمم بالأسانيد العالية ، فلا يقبلون خبراً إلا إذا كان مسنوداً ، ورجاله ثقات عدول .

ولهذا قال جمع من السادة العلماء : إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم ، فالعلم لا يؤخذ من أي كاتب ولا كتاب ، ولا حاطب ليل لا يميز بين صحيح وسقيم ، ولا صاحب بدعة وهوى .

والطريقة القادرية : هي إحدى الطرق الصوفية الكبار المنتشرة في العراق والشام وتنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ عبد القادر الجيلاني بريء من كثير مما يفعل في هذه الطريقة من المنتسبين إليها وقد إشتملت على بدع وترهات ابتدعها من لاخلاق لهم والأمر عند أخذ العهد في هذه الطريقة أيضاً تشوبه بعض الطقوس التي لايدل عليها كتاب ولا سنة بل محض الهوى فقد تابعت طريقة أخذ البيعة عندهم من خلال موقعهم على الشبكة العنكبوتية النت حيث يشرحون الطريقة كالآتي قالوا : ينبغي على المريد الذي يريد أخذ البيعة أو العهد في طريقة سيدي عبد القادر الجيلاني أن يصلى ركعتين بنية التوبة لله تعالى ثم يقرأ الفاتحة إلى حضرة الحبيب المصطفى ﷺ وإخوانه الأنبياء والمرسلين وآل بيته الطيبين وأصحابه الميامين وإلى روح سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وإلى إخوانه من الأولياء والصالحين ، ويستمد من أرواحهم الشريفة الطاهرة ثم يجلس بين يدي شيخه ملاصقاً ركبتيه بركبتي شيخه وواضعاً يده اليمنى بيد شيخه اليمنى ثم يقول الشيخ لمريده قل : والمريد يكرر وراء الشيخ : استغقر الله ، استغفر الله ، استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، وأشهد الله وملائكته ورسله وأنبيائه والحاضرين أنني تائب إلى الله منيب إليه ، وإن الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا ، وأن العهد عهد الله ورسوله ﷺ ، وأن اليد يد شيخنا وأستاذنا سلطان الأولياء العارفين الباز الأشهب الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني قدس سره العالي ، رضيت به شيخاً لي وطريقته طريقة لي (أو يذكر اسم شيخ الطريقة الحالي

الذي يريد السلوك على يده في الفروع الأخرى للطريقة ، وعلى ذلك أحلل الحلال وأحرم الحرام ، وأوم الذكر والطاعة بقدر الاستطاعة والله على ما اقول وكيل ثم يقول الشيخ سراً : يا واحد يا واحد نفحنا بنفحة توحيدك ثلاث مرات ثم يقرأ الشيخ آية المبايعة وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح : ١٠] ، ثم يقول الشيخ للمريد : اسمع مني كلمة التوحيد لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم يقولها المريد ثلاث مرات بعد الشيخ ثم يوصي الشيخ مريده بالوصايا اللازمة والإكثار من التلاوة واذكر والعبادة ويوصيه بتقوى الله وطاعته وتحمل الأذى وترك الأذى والصفح عن عثرات الإخوان وبذل الكف وسخاوة النفس وترك الحقد والحسد والكذب والغيبة والنميمة والفحش في الكلام والاستقامة والوضوء وعلى الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وبعد أن يقبل المريد هذه الشروط يقول له الشيخ وأنا قبلتك ولداً في هذه الطريقة وعلى هذه الشروط وعلى هذا المنوال ثم يدعو الشيخ للمريد بهذا الدعاء اللهم اجعنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلماً لأوليائك حرباً على أعدائك نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالفك ، اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم كن له براً رحيماً جواداً كريماً ، اللهم دله بك إليك ، اللهم خذ منه اللهم افتح عليه ولديه فتوح الأنبياء بجودك ورحمتك وكرمك يا أرحم الرحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والأولياء بجودك ورحمتك وكرمك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين آمين ثم يأخذ الشيخ كأساً من ماء ، ويقرأ عليه : سلام قولاً من رب رحيم ، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين عشر مرات وسورة الفاتحة ٣مرات والاخلاص ٣مرات

والفلق ٣مرات وبهذا يكون المريد قد سلك الطريقة القدرية العلية وصار من اتباعها وفقرائها ويتبع ما يأمره به شيحه من آداب وتعليمات ويلازم ما يعطيه من أذكار وأوراد وأدعية ووظائف »[1] .

نقد العهد عند الطريقة القادرية :

من الملاحظ أن هذا العهد يشتمل ايضاً على مخالفات شرعية :

أولها : أن هذه الهيئة من إعطاء العهود لم تكن من هذي النبي ﷺ هدي أصحابه الكرام ولا نص عليها إمام مشهور متبع من الأئمة الأربعة وغيرهم ولا قال به من المحققين من المتاخرين

ثانيها : كأن الشيخ يلقن المريد شهادة التوحيد وكأنه يريد أن يعرض عليه الدخول في الإسلام

ثالثها : قراءة آية المبايعة وهو استشهاد بالآية وتوظيفها في غير موضعها

رابعها : قراءة الفاتحة لأرواح الأنبياء وغيرهم وهذا لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا قول صاحب ولا تابع وخير الهدي هدي محمد ﷺ

خامسها : قولهم : « **ويستمد من أرواحهم الطاهرة** » وهذ لا يجوز قوله واعتقاده فإن المدد من عند الله عز وجل قال الله تعالى : ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران : ١٢٥] ، وقال : ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح : ١٢] ، فلا يجوز استمداد ولا طلب المدد إلا من الله وكل طلب مدد من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو شرك ومن ذلك أنهم يزعمون أن العلاقة لاينتهي بين الشيخ والمريد ولاينقطع بالموت بل مدد الشيخ مستمر للمريد وتربيته له بل يصور لنا الشعراني أن استمرار الرعاية وإحياء

(١) موقع الطريقة القادرية على الشبكة العنكبوتية بقلم مخلف العلي القادري الحسيني ، وانظر : الطريق الصوفي وفروع القدرية في مصر تأليف : يوسف زيدان دار الجيل .

القراءة والاطلاع على أحوال المريدين وهم في الأجداث ولا يفسد الموت بينهما العلاقة فأبو المواهب الشاذلي يذكر أن من الأولياء من ينقع مريده الصادق بعد موته أكثر مما ينفعه حال حياته ومن العباد من يتولى الله تربيته بنفسه ومنهم من تولاه بواسطة بعض أوليائه ولو ميتاً في قبره ويسمع مريده صوته من القبر ولله عباد يتولى تربيتهم النبي ﷺ بنفسه من غير واسطة بكثرة صلاتهم عليه وهذه آخرهن(١) .

قلت : قارن ما ذكر هنا بقوله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له »(٢) .

ثم اعلم أيها المسلم : أن العهد هو أحد الأسرار عند الصوفية والذي يقطعه المريد على نفسه أمام معلمه وشيخه ، وتستمر إلى بعض الشعائر والأوراد الخفية ، التي تحرم بعض الطرق الصوفية الإفصاح عنها ، كما تمنع تدوينها بالكتابة ، حتى لا تتسرب خارج الطريقة .

العهد عند الطريقة السمانية :

وهي من الطرق الصوفية المنتشرة في السودان ولها اتباع وخلاوى في السودان ولها طقوس وعهود معينه ويدخل المريد في ما يعرف بالخلوة مدة من السنين وتشترط الطريقة لأخذ العهد أو البيعة ٣٩ شرطاً ليست في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ .

ونكتفي هنا بنقل صيغة العهد كما هي عند الطريقة السمانية بأم درمان ، وفيها يردد المريد خلف الشيخ المرشد بعد (البسملة والفاتحة وبعض الآيات التي فيها إشارة للعهد) : « رضيت بالله تعالى رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبالكعبة قبلةً ، وبالطريقة

---

(١) الطبقات الكبرى ص٤٧٩ .

(٢) رواه مسلم (٤١/٢) وأبو داود (٤٢/٢) والنسائي (١٣٢/٢) والترمذي (١٧٧/١) .

السمانية الطيبية منهجاً وسلوكاً ، وبسيدي الشيخ أحمد الطيب شيخاً ، وبسيدي الشيخ قريب الله وسيدي الشيخ الفاتح مربيين ومرشدين ، وبالفقراء إخواناً ، لي ما لهم ، وعلي ما عليهم ، الطاعة تجمعنا ، والمعصية تفرقنا ، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه » (ثلاثاً) .

فإذا ما انتهت المبايعة لقن الشيخ المريد كلمة التوحيد وهي : (لا إله إلا الله) ثلاثاً ، ثم يختتم بقراءة الفاتحة والدعاء ، على أن يكون الشيخ مُسمكاً بيد طالب الطريق (أو المجدد للعهد) خلال المبايعة - إن كان المبايع رجلاً - وإن كانت امرأة اكتفى بمبايعتها وتلقينها فقط . وبعد يرتدي المريد شعار الطريق هو الحزام جلدي بني اللون يربط به المريد وسطه ويسمى (الكرابة) ، وهو رمز ظاهري تجسيدي يُنبئ به المريد شيخه والآخرين بعزمه القلبي الجاد في السير إلى الله تعالى عبر المنهج التربوي للطريقة السمانية !!

نقد عهد الطريقة السمانية :

هذا العهد على هذا النحو لم يرد عن رسول الله ولا عن أصحابه الكرام ثم إن ربط المريد الكرابة في وسطه والاعتقاد فيها عن العزم القلبي الجاد في السير إلى الله كل هذا مخالف للشرع المطهر ولم يكن سلف الأمة يتميزون عن الناس بملبس ولا غيرة بل كانوا متبعين للكتاب والسنه ومقتدين بالنبي ﷺ .

العهد عند الطريقة الختمية :

وهي طريقة منسوبة إلى محمد بن أحمد بن محمد ، أخذها فيما يزعم من النبي محمد ﷺ مباشرة في اليقظة لا في المنام ، وكان يقول : طريقتي محمدية ، مات سنة ٩٨٦ هـ في مصر ومن يتابع طقوس الطريقة ويقيس مدى التزامها بالكتاب والسنة يجد ادعاءه محمدية الطريقة مزاعم عريضة لاغير ودعاوى فارغة فاعلم أيها المسلم أن الطريقة الختمية منتشرة في عدة دول في السودان وليبيا واريتريا وأثيوبيا و

لها ارتباط فكري وعقدي مع الشيعة ، بل إنهم ممن يأخذون من آداب الشيعة ويحاول المعاصرون من شيوخ الطريقة الختمية ربط هذه الطريقة أي : الختمية بالحركات الشيعية المعاصرة ، وتعتقد الطريقة الختمية بعقيدة وحدة الوجود التي نادى بها ابن عربي كما يدعي مشايخ الطريقة الختمية بأنهم لقوا الرسول ﷺ أي التقوا بالرسول ﷺ ورأوه عياناً ، بل يعتقدون أنه يحضر احتفالاتهم بمولده -عياذًا بالله تعالى -كما يدعي مؤسس الطريقة الختمية واسمه محمد عثمان المرغني بأنه خاتم الأنبياء ، وأنه أعظم من كل الأولياء السابقين كما يهتمون بإقامة احتفالات معينة وإحياء مناسبات خاصة : كإحياء ذكرى مولد النبي ﷺ والاحتفال بمولد ووفاة مشايخ الطريقة ، وإقامة ما يعرف لديهم بليالي الذكر أو الحولية ، ويمارسون في كل ذلك طقوساً خاصة في الزيِّ ، والذكر والإنشاد من الأمور الملاحظة على مشايخ الطريقة الختمية أنهم ينسبون أنفسهم إلى أئمة الشيعة الإثنا عشرية ويعتبرون أنفسهم من سلالتهم كما أن بعض شيوخهم تطاول على الصحابة رضوان الله عليهم تماماً كما يفعل أسيادهم من الشيعة الأمامية الإثنا عشرية للطريقة الختمية أوراد وأذكار وآداب معينة في الذكر والدعاء ميّزوا بها أنفسهم وركزوا عليها دون غيرها وأذكار الطريقة وأورادها بعيدة كل البعد عن الأذكار الواردة في القرآن أو المأثور عن الرسول ﷺ . كما يخصصون أورادًا معينة بأيام وأوقات خاصة من غير دليل شرعي أو سند من أثر ، كما يغلب على أورادهم وأذكارهم السجع المتكلف الذي يصرف الذهن عن التوجُّه إلى الله في صدق وإخلاص .

كما أن بعض أورادهم تشتمل على ألفاظ أعجمية وأسماء غريبة لروحانيات يخاطبونها ـ كما يزعمون ـ ويسعون إلى السيطرة عليها وتسخيرها لخدمتهم في مناصرة أتباعهم ، وإلحاق الأذى بخصوصهم .

وللختمية بيعة خاصة يردد فيها المريد من بين ما يردد من أقوال : « اللهم إني

تبت إليك ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخاً لي في الدنيا والآخرة فثبتني اللهم على محبته وعلى طريقته في الدنيا والآخر » .

زعم الختمية أنه يجب على المريد طاعة شيخه وإن خالف الشرع وذلك حيث يقول أحد تلاميذ محمد عثمان المرغني (فإذا قال الشيخ للمريد اقرأ كذا أو صم كذا أو قال له وهو صائم أفطر أو قال له : لا تقم الليلة فإنه يطيعه[١] .

نقد عهد الطريقة الختمية :

وأما الرد على ذلك الضلال : فمفهوم أن الشريعة جاءت تدعو العباد للأعمال الصالحة يقول الله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا » الكهف : ١٠٧ ويقول تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣] وقد كان النبي ﷺ يرغب الصحابة في الأعمال الصالحة . وقد جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال : « نعم الرجل الصالح عبد الله بن عمر لو كان يقوم الليل ، قال ابن عمر ما تركت قيام الليل بعد ذلك »[٢] .

وفي الحديث أيضاً عن أبي أمامة : « أن رجلاً قال يا رسول الله : دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال : عليك بالصوم »[٣] فكيف ينهى الشيخ المريد من العمل الصالح مثل قيام الليل والصيام كما يزعم المتصوفة ؟ وكيف يحق للمريد أن يطيع شيخه في ذل ؟ فالتصوف في منهجه يمثل استعباد الشيوخ لمريديهم وليعلم هؤلاء المساكين أنهم على ضلال ، وأن الإسلام قد جاء لتحرير العباد من هؤلاء

---

(١) منحة الأصحاب ص٦٧ لمحمد عبد الرحمن سر الختم .

(٢) رواه البخاري (١١٢١) ومسلم (٢٤٧٩) .

(٣) رواه النسائي (٢٢٢٠) وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٤٤) .

الشيوخ وأمثالهم ، ومن هنا كان قول النبي ﷺ : « إنما الطاعة في المعروف »[١] .

يقول شيخ الإسلام في هذا المقام : « من نصب إماماً فأوجب طاعته مطلقاً اعتقاداً أو حالاً فقد ضل في ذلك ، كأئمة الضلال الرافضة الإمامية ، حيث جعلوا في كل وقت إماماً معصوماً تجب طاعته ، فإنه لا معصوم بعد الرسول ، ولا تجب طاعة أحد بعده في كل شيء »[٢] .

البيعة وأخذ الطريق :

الختمية طريقة صوفية تركز كما تركز الطرق الأخرى على أخذ البيعة من الأتباع والعهد من المريدين ، ولهم طقوس خاصة يلزمون بها من أراد أن يسلك هذه الطريقة وينخرط في سلكها ، وتتمثل هذه الطقوس فيما يأتي : يضع الشيخ يده في يد المريد ويقول ويجاوبه المريد معه : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : اللهم إني تبت إليك ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخا لي في الدنيا والآخرة فثبتني اللهم على محبته و على طريقته في الدنيا والآخرة بحق سيدنا محمد بن عبد الله بن عدنان وبحق بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين إلى آخر السورة ، (بشرط أن تكون البسملة والفاتحة في نفس واحد) ، ثم يقرأ سورة ﴿ والعصر ﴾ إلى آخرها .

ثم يقول الشيخ للمريد سرا : ثبتك الله على الحق و على الصبر وعلى الطريقة المحمدية المستقيمة بحق (أهم سفك حلع يص ، وبحق آحون قاف أدم هاء آمين)

ثم يقول الشيخ :

أهيم بطه مذ أعيش وإن أمت   سأوكل بطه من يهيم به دهري

---

(١) رواه البخاري (٦٨٣٠) ومسلم (١٨٤٠) وأبو داود (٢٦٢٥) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩٦/٢٧) .

ثم يقول الشيخ للمريد : « اتخذتك مريدا لسيدي السيد محمد عثمان الميرغني الختم رضيت؟ فيقول له المريد قبلت ، وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم » .

والبيعة الصوفية تتضمن التزاما من قبل المريد بالولاء والطاعة التامة للشيخ والالتزام بآداب الطريقة ، ولا شك أن هذه بدعة لم تعرف لدى سلف هذه الأمة ، وليس هناك بيعة ملزمة للمسلم سوى بيعة إمام جماعة المسلمين ، إذ أن قيام الجماعة المسلمة واجب على المسلمين وانتماء المسلم لهذه الجماعة واجب عليه وقد يقال أنه لا بأس بالبيعة إذا كان الغرض منها تعلم العلم النافع من الشيخ واكتساب أعمال صالحة منه وأخذ المنهاج والطريقة المؤدية والموصلة إلى الله ، ولكن مما يلاحظ أن بيعة الختمية هذه ليس فيها إشارة إلى هذا المضمون كما أنها تتضمن أمورا منكرة لا أساس لها ، كإلزام المريد وإقراره بأن يتخذ الشيخ محمد عثمان الميرغني وليا له في الدنيا والآخرة .

وقد أشار ابن تيمية إلى أن مثل هذا القول بدعة منكرة من جهة أن المريد جعل نفسه لغير الله ، ومن جهة أن قوله شيخ لي في الدنيا والآخرة كلام لا حقيقة له ، فإنه إن أراد أن يكون معه في الجنة فهذا إلى الله لا إليه ، وإن أراد أن يشفع فيه وإلا لم يشفع ، وليس بقوله أنت شيخي في الآخرة يكون شافعا له . هذا إن كان الشيخ ممن له شفاعة ، فقد تقدم أن سيد المرسلين والخلق لا يشفع حتى يأذن الله له في الشفاعة بعد امتناع غيره منها وكم من مدع للمشيخة وفيه نقص من العلم والإيمان ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

وقد حاول بعض الختمية المعاصرين الدفاع عن اتخاذ السيد محمد عثمان شيخا في الدنيا والآخرة محتجين بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾

[الإسراء : ٧١] زاعمين أن المولى سبحانه وتعالى يدعو الناس بأئمتهم يوم القيامة لأن المرء يحشر مع من أحب وهذا فهم للآية لا سند له ، إذ أن الإمام في الآية فسر بأنه النبي ﷺ كما قال مجاهد وقتادة ، بإمامهم أي نبيهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس : ٤٧] ، وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث ، لأن إمامهم النبي ﷺ ، وقال ابن زيد : بكتابهم الذي أنزل على نبيهم واختاره ابن جرير[١] . وروي عن مجاهد أنه قال : بكتبهم فيحتمل أن يكون أراد ما روي عن ابن عباس في قوله : ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء : ٧١] أي بكتاب أعمالهم . وهذا القول هو الأرجح لقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس : ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ [الكهف : ٤٩] ، ويحتمل أن المراد ﴿ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ أي كل قوم بمن يأتمون به ، فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم . وهكذا نجد أن الإمام في الآية المراد به الكتاب أو الرسول ولم يقل أحد من السلف أن المراد به الأئمة ، اللهم إلا إذا أريد به أئمة أهل الكفر والعياذ بالله .

ويضاف إلى ذلك أن ما ورد في صيغة البيعة من كلمات أعجمية لا يعرف معناها ، أو طلاسم لا معنى لها ، لا أصل له في دين الله ، بل من البدع المنكرة ، كما سبق أن أشرنا .

العهد عند الطريقة البدوية :

تنتشر الطريقة البدوية في جميع أنحاء مصر ، ويوجد في مدينة طنطا (شمال

---

(١) تفسير ابن كثير (٧٣/٣) .

القاهرة) ضريح البدوي ، وتبدأ طقوس الانضمام بالبيعة التي يؤديها المريد للشيخ على السجادة ، لاصقا ركبتيه ، ثم يقرأ عليه الشيخ البيعة ، ويطلب منه الاستغفار والتوبة ، ويردد خلفه الرضا بمشيخته ، وإرشاده بطريقة البدوي ، ويقيمه المرشد مريدا على هذا العهد .

نقد العهد عند الطريقة البدوية :

وهي كغيرها تشتمل على طقوس وهيئات ما أنزل الله بها من سلطان وهذا التلقين للعهد البدوي ليس من السنة المطهرة في شيء ولم يؤثر مثله عن رسول الله ﷺ ولا صحابته الكرام ولا التابعين لهم بإحسان وكفاك من شر سماعه .

العهد عند الطريقة الشاذلية :

والطريقة الشاذلية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي ومركز الشاذلي الأول هو مصر وبخاصة مدينة الإسكندرية ، وطنطا ، ودسوق بمحافظة كفر الشيخ ، ثم انتشرت في باقي البلاد العربية . وأهم مناطق نشاطها سوريا والمغرب العربي ، ولها وجود إلى الآن في ليبيا ، وفي السودان في الوقت الحاضر .

ويتضح مما سبق : أن الشاذلية طريقة صوفية تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي ، وهو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي نسبة إلى (شاذلة) في المغرب بشمال أفريقيا . وتشترك هذه الطريقة مع غيرها من الطرق الصوفية في كثير من الأفكار والمعتقدات ، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد وطرق تربيته . ومجمل أفكار هذه الطريقة : التوبة ، والإخلاص ، النية ، الخلوة ، الذكر ، الزهد ، النفس ، الورع ، التوكل ، الرضى ، المحبة ، الذوق ، علم اليقين ، السماع . ولهذه الألفاظ معانٍ تختلف بدرجات متفاوتة عن المعاني الشرعية . أما علم القرآن والسنة فلا يؤخذان عند الشاذلي إلا عن طريق شيخ أو مُربٍّ أو مرشد ، وهو ما يستوجب على السالك الطاعة العمياء لهم .

ويؤخذ على الشاذلية ما يؤخذ على الطرق الصوفية من مآخذ انحرفت بسالكيها عن الطريق الإسلامي السوي . وقد أصبح لها فروع كثيرة في الدول الإسلامية وأصبح لكل فرع من الفروع عهد خاص به وهيئة خاصة ففي المغرب وحدها يقدر عدد فروع الطريقة الشاذلية بثمانين فرعاً حسب ما ذكر الشيخ محمد الأمين بوخبزة في لقاء معه على موقعه على الشبكة العنكبوتية وعلى سبيل المثال الطريقة الحامدية التي هي أحد فروع الشاذلية يلاحظ مدى الاستبداد الذي تكرسه هذه العهود الصوفية بين الشيخ والمريد فيقول الدكتور عمار حسن : « ويأتي العهد بين المريد والشيخ ليكرس هذا الخضوع والانصياع الكامل من قبل المريد لشيخه في شكل التزام ديني صارم فعلى سبيل المثال يأتي العهد المتبع في الحامدية الشاذلية على النحو التالي : إني عاهدت الله وأعاهد الله وأعهد إلى الله وأشهد على نفسي بأني قد التزمت السمع والطاعة لشيخي هذه فلا أخالفه بقلبي ولا بجوارحي ولا لساني وقد جعلت هذا نذراً عليّ لله وعهداً شرعياً صحيحاً صريحاً جازماً ناجزاً بتاً ظاهراً وباطناً مادمت حياً وعلى نية شيخي هذه ، ومطالباً به في الدنيا والآخرة ومسؤولاً عنه بيني وبين الله تعالى فإذا خالفت شيخي هذا أو أنكرت عليه أو اعترضت أو غيرت أو بدلت أكون خائناً وناكثاً لعهود الله ومواثيقه » .

نقد عهد الطريقة الشاذلية :

من سياق ما نراه في هذا العهد أن المريد قد ألزم نفسه ابتداء بما لم يلزم به ولم يأت في الكتاب والسنة هذه الصورة من الإلزام الذي قراناه آنفاً ومن ناحية أخرى أن العهد اشتمل على مخالفات شرعية فما معنى أن لا ينكر على شيخه أو يعترض عليه ألم يلعن الله بني اسرائيل لما لم يتناهوا بينهم عن منكر فعلوه؟ فقال : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨]] . ألم يقل الله عز وجل : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا

تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] .

ألم يقل رسول الله ﷺ : « من رأي منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[(١)] .

فأين نحن من هذه النصوص وغيرها ؟

إن هذه العهود هي التي أوجدت أرباب الطرق الصوفية وجعلت منهم أرباباً من دون الله أوصلهم البعض من المريدين الجهلاء إلى مرتبة من لا يسأل هما يفعل والعياذ بالله !!

ويسرد الدكتور عمار حسن أمثلة من آثار هذه العهود الصوفية فيقول : « ومن أصول الطريقة ألا ينازع التلميذ شيخه ولا يطلب منه دليلاً على ما أمر به او فعله ، ومن اعترض على الشيخ فقد نقض عهده وانقطع عن شيخه ولو كان ملازماً له وانسد باب المدد الذي هو مرهون برضاء الشيخ وفي الحضرة لا يسأل الشيخ عن أفعاله بداخلها وتعظيمه لها ولا يجوز الزيادة في الأوراد إلا بإذنه كما يحرم على التلميذ أن يأخذ ورداً من أحد غير شيخ الطريقة ، وكل واقعة كشفية أو رؤيا منامية لا يجوز للتلميذ أن يخبر بها سوى شيخه الذي تلقن منه ولا يجوز له ان يذهب إلى حضرة شيخ أخر والإرادة هي أن يلقي التلميذ بنفسه بين يدي شيخه ويسلم له قياده ويكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كما يشاء ولا يعترض عليه بقلبه ولا بلسانه ويسلم له كل ما يراه ولو كان على غير ظاهر الشرع » .

قلت : إلى هذه الدرجة استحوذ شيخ الطريقة على المريد بحيث لم يبق إلا أن يستأذنه في الأكل والشرب والنوم ودخول الحمام سبحان الله !!

ما يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

---

(١) رواه مسلم (٣٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وقال آخر :

كبهيمة عمياء قاد زمامها أعمى على عوج الطريق الحائر

وصدق من قال : « قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك » .

وقد أحسن الشاعر محمد إقبال رحمه الله حيث يقول :

فإلى متى صمتي وحولي أمة يلهو بها السلطان والدرويش

هذا بسبحته وذاك بسيفه وكلاهما مما تكد يعيش

العهد عند الطريقة الرفاعية :

وتنسب الطريقة للشيخ أحمد الرفاعي وله سيرة محمودة عند العلماء بخلاف أتباعه لاسيما المتأخرين .

قال الذهبي في ترجمة الرفاعي : « الإمام القدوة ، العابد ، الزاهد ، شيخ العارفين ، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي ، وكان قدم أبوه من بلاد المغرب وسكن البطائح في قرية « أم عبيدة » وهي قرية من قرى واسط بالعراق . ثم توفي وأم أحمد حمل به . ونشأ في كنف خاله الشيخ منصور الزاهد الذي اعتنى به . وكان شافعيا تفقه قليلاً على مذهب الشافعي رحمه الله »[١] .

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : « ويقال إنه حفظ التنبيه في الفقه على مذهب الشافعي »[٢] وكان لا يقوم للرؤساء ، ويقول : « النظر إلى وجوههم يقسي القلب » توفي سنة ثمان وسبعين وخمس مائة في جمادى الأولى رحمه الله .

قال الذهبي : « وكان كثير الاستغفار عالي المقدار ، رقيق القلب ، غزير

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٧١/١٥) .

(٢) البداية والنهاية (٩٢٨/١٦) .

الإخلاص ، وكان متواضعا يجمع الحطب ويجيء به إلى بيوت الأرامل . وكان يقول : أقرب الطريق الانكسار والذل والافتقار ، تعظم أمر الله ، وتشفق على خلق الله – وتقتدي بسمة رسول الله ﷺ »(١) .

وأما كيفية المبايعة وأخذ العهد على ما هي عليه أهل هذه الطريقة : فهي أن يأمر المرشد المريد بالوضوء الجديد وبصلاة ركعتين بنية التوبة ثم يجلس المرشد على السجادة . ويجلس المريد أمامه بالأدب والخضوع لاصقا ركبتيه بركبتي الشيخ . مطرقا خاضعاً لله تعالى متجردا من وساوس النفس الخبيثة . ومن الدسائس الشيطانية فحينئذٍ يقرأ الشيخ ثلاث فواتح سراً . ثم يقرأ آيه المبايعة وهي « أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » . ثم رضي عنه الباري .

وعن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه : « بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفي منكم فأجره على الله إن شاء عفى عنه وان شاء عاقبه فبايعناه على ذلك .

وفي حديث آخر عن عبادة أيضا أنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره ونقول الحق حيث كنا ولا نخاف في الله لومه لائم » ويبايع المريد على مآل هذين الحديثين . ثم يقرأ ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

ثم يقول الشيخ والمريد معه : استغفر الله العظيم الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ونسأله التوبة والمغفرة والهداية لنا انه هو التواب الرحيم (ثلاث مرات)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣٧١/١٥) .

ثم يمسك بيده اليمنى في يد المريد ويلقنه العهد . وكيفيته أن يقول الشيخ للمريد قل أشهد الله . وملائكته ورسله وأنبيائه والحاضرين من خلقه . أنني تائب إلى الله ورسوله مجتنبا لمحارمه مجتهدا على طاعته . منيبا إليه . مواظبا على خدمة الفقراء والمساكين على حسب الطاقة وأن سيدنا وقدوتنا إلى الله تعالى القطب الغوث الداعي السيد احمد الرفاعي شيخنا في الدنيا والآخرة . الطاعة تجمعنا والمعصية تفرقنا والله على ما نقول وكيل .

ثم يقول الشيخ : العهد عهد الله واليد يد الله ورسوله ويد شيخنا وقدوتنا إلى الله شيخ المشايخ السيد أحمد الرفاعي وهمته ثم يقول يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . ثم يجلس على ركبتيه ويلقنه قول لا إله إلا الله ثلاث مرات كما مر وفي الرابعة محمد رسول الله ، ويقول المريد كذلك ويقرآن والحاضرون الفاتحة ويهدونها إلى أهل العهد كما في غير هذه الصيغة والى أهل القبور والى جميع المؤمنين وتبدأ طقوس الانضمام إلى الرفاعية بالبيعة التي يؤديها المريد للشيخ على السجادة ، لاصقا ركبتيه ويقرأ الفاتحة ، كما يقرأ عليه الشيخ البيعة ، ويطلب منه الاستغفار والتوبة ، ويردد المريد خلفه الرضا بمشيخته وإرشاده بطريقة الرفاعي ، ويقيمه المرشد مريدا على هذا العهد ، ثم يجلسه ويوصيه بتقوى الله ، ويلقنه كلمة التوحيد ، ويعلمه الذكر بلا إله إلا الله ، ثم يضع جبهته على جبهته ، ويده على صدره ، ويدعو له بالتوفيق والإخلاص والبركة ، ويختم دعاءه بالفاتحة ، ويقوم مع المريد إلى القبلة ويصليان على النبي (أول الخلق)! وخاتم الرسل والأنبياء أجمعين ، ثم يثنيان بالفاتحة . كما تشترط الطريقة أن يكون المريد صاحب أدب وخشوع وخضوع ، وعارفا بمقدار شيخه ، منقادا له ، لا يعترض عليه ولا يصاحب له عدوا ، ولا يباعد له صديقا ، ولا يزور أحدا من صالحي الوقت بغير أمره وإذنه ، ويكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل .

نقد العهد عند الرفاعية :

وقبل أن نكشف زيف هذا العهد الرفاعي ، ونعري ضلال هذا الإفك ، نذكر ما ذكره أهل العلم عن طريقة الرفاعية الصوفية .

قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في ترجمة أحمد الرفاعي عن الرفاعية : « وقد كثر فيهم الزغل وتجددت لهم أحوال شيطانية ، منذ أخذت التتار العراق ، من دخول النيران ، وركوب السباع ، واللعب بالحيات ! »[1] .

قال : « وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة والذل والانكسار والإزراء على نفسه وسلامة الباطن ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء ، وقد كثر الزغل فيهم ، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق : من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات ، وهذا : « ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه ، فنعوذ بالله من الشيطان »[2] . وقد حمل عليهم ابن تيمية فيما يفعلونه من تفتيل الشعر وحمل الحيات ، وقال بأن هذا لم يكن من شعار الصالحين ولا من الصحابة والتابعين ، ولا شيوخ المسلمين ولا الشيخ أحمد بن الرفاعي ولا غيره ، وإنما ابتدعت ذلك بعد موته بمدة طويلة طائفة ممن انتسبوا إليه ، مخالفين بذلك طريق المسلمين . وكذلك حمل عليهم الشيخ الألوسي الذي قال : « وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة : مبتدعة الرفاعية ، فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها ومأخذها ، فذكرهم عبارة عن رقص وغناء والتجاء إلى غير الله وعبادة مشايخهم . وأعمالهم عبارة عن مسك الحيات » اهـ .

ويظهر أن إنكار أهل العلم على الرفاعية في ذلك الزمن قد اشتد . قال شيخ

---

(١) العبر في خبر من غبر ٤/٢٣٣ .

(٢) المصدر السابق .

الإسلام رحمه الله : « وهؤلاء عندهم أحوال شيطانية تعتريهم عند السماع الشيطاني فتنزل الشياطين عليهم ، كما تدخل في المصروع ويزبد أحدهم كما يزبد المصروع وحينئذ يباشر النار والحيات والعقارب ويكون الشيطان هو الذي يفعل ذلك . وهناك طريقة أخرى : وهي حيل طبيعية مثل أدهان معروفة ، ويذهبون ويمشون في النار ، ومثل ما يشربه أحدهم مما يمنع سم الحية ، ومثل أن يمسكها بعنقصتها حتى لا تضره ، وكم قتلت الحيات من أتباع أولئك »(١) .

وأما أخذهم العهد على الثعابين والحيات فمعلوم أن رسول الله ﷺ ما أخذ هذا العهد ولا أمر به ، بل أمر بقتلها في الصلاة وفي الحل والحرم ، ولدغ بعض أصحابه بسبب هذه الحيات ، فأين هذا العهد من رسول الله وأصحابه ؟ أفخبئ ذلك للرفاعية وأشياعهم ، وحجب عن رسول الله ﷺ وأتباعه ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم !


تنبيه

شاع عند بعض العوام أن الحية إذا حاولت قتلها فأخطأتها فلم تمت صارت معادية لك متربصة بك لتثأر منك فيحجم الناس عن قتلها مخافة ثأرها !

وعن عكرمة عن ابن عباس قال لا أعلمه إلا رفع الحديث : أنه كان يأمر بقتل الحيات وقال : من تركهن خشية أو مخافة ثأر فليس منا »(٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما سالمناهن منذ حاربناهن ومن ترك شيئًا منهن خيفة فليس منا »(٣) .

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : « من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٧٥/١١) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٨٤٦) .

(٣) رواه أبو داود (٥٢٤٨) .

منا ، ما سالمناهن منذ حاربناهن »[١] .

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال : كان عمر يقول على المنبر : « يا أيها الناس أصلحوا عليكم مثاويكم وأخيفوا عليكم هذه الجنان قبل أن تخيفكم ، فإنه لن يبدو لكم مسلموها وإنا والله ما سالمناهن منذ عاديناهن »[٢] .

قلت : ففيه أبلغ الرد على هؤلاء الحواة الغواة الذين زعموا أنهم سالموا هذه الحيات بموجب عهد تم بين الرفاعي وتلك الأفاعي ، فنقول إن تم هذا العهد كما زعمتم فقد تم بشهادة الشياطين وحضور إبليس اللعين بعد البراءة من شرع النبي الأمين ، والله أعلم . وأما اللعب بالحيات فلم يكن من عمل موسى وإنما كان من عمل سحرة فرعون ، فإن موسى لم يمسك حية واحدة وإنما ألقى العصا فانقلبت حية ، وكانت معجزته تحديا لأخذهم الحيات الذي كان من وراءه شياطين الجن .

ثم إن الشبه إنما هو حاصل في الحقيقة بين الرفاعية وبين سحرة فرعون وليس بينهم وبين موسى . فإن الرفاعية يقولون : « بعزة الرفاعي » عند فعل الخوارق وكان سحرة فرعون يقولون : « بعزة فرعون » فكلا الفريقين يعتزون بغير الله فمن أين وقع الشبه بينهم وبين موسى؟ إنهم كانوا - ولا يزالون - يمسكون الحيات ويدأبون على اللعب بها والتباهي بذلك أمام وأما نقد العهد عند الرفاعية فالملاحظ أنهم يعتبرون الرفاعي غوث من الغواث .

وتلك الاسطورة قد فندناها في رسالة مستقلة بعنوان « تسديد الحراب لمن زعم وجود الغوث والأقطاب » فراجعها غير مأمورو كذلك ما يطلب من المريد ان يلغي عقله ووجدانه ويصبح مسلوب الإرادة بين يدي شيحه يقلبه كيف يشاء كما يقلب الميت بين يدي الغاسل كل هذا أنكره الشرع المطهر ولايمكن أن تتقدم أمة تطفئ

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٥٠) .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٤٤٦) وحسن الألباني اسناده في صحيح الأدب المفرد (١/ ١٨٤) .

سراج عقلها وتقلد أرباب الطرق من الدجالين والمشعوذين وإني لأتعجب أن تضم هذه الطرق بين مريديها من هم من ذوي الرتب والمناصب وفئات من المهندسين والأطباء والرتب العسكرية وغيرهم ممن يتمتع بالعقل لكنه وللأسف الشديد يلغي عقله ولا يعمل فكره ويسمح لدجال أن يلعب برأسه .

العهد عند الطريقة النقشبندية :

وهذه الطريقة تجمع بين أنواع شتى من البدع بعضها يصل إلى حد الكفر والعياذ بالله ولهم طقوس غريبة وعجيبة ويأخذون العهد هند المقبرة لما تمثله المقبرة عندهم من أهمية كبيرة فقدكان الشيخ بهاء الدين نقشبند يجتمع بأرواح سلسلة المشايخ النقشبندية وأخذ العهد والولاية والتكليف منهم في المقبرة »[(١)] .

ولا يقتصر شيوخ الطريقة على الإنس بل من الحيوانات شيوخ الطريقة كالفرس والهرة والفهد والنحلة والبازي .

قال محمد بن عبد الخاني النقشبندي : « وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ ، ومن شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس فإن عبادته عجيبة ، فما استطعت أن أتصف بعبادتهم »[(٢)] .

وزعم أن السالكين يرون الله بالطريقة التجلية فيرون الله في جميع الأشياء من إنسان ونباتات وحيوانات بل ويتجلى الله في شكل فرس . ويحكي بعضهم أن شيخه علمه أن يطلب المدد من كلاب الحضرة النقشبندية ويخدمهم بإخلاص وأنه اجتمع مرة بكلبٍ وحرباء ، فحصل له من لقائهما بكاءً عظيماً وسمع لهما تأوهاً وحنيناً فاستلقى كل منهما على ظهره ، ورفع الكلب قوائمه الأربع إلى السماء وأخذ يدعوا الله ، وكذلك فعلت الحرباء والشيخ واقفٌ يقول : آمين ، يؤمِّنُ على دعاء

---

(١) المواهب السرمدية ١١٣ .

(٢) البهجة السنية ص٦ رشحات عين الحياة ص١٣٣ لعلي الهروي .

الكلب والحرباء[١] .

ومن الخرافات ما زعمه بعضهم من أن الكعبة تطوف حول الأولياء من النقشبندية وغيرهم وأنها تتنقل في جهات الأرض لهذا الغرض يتحدث بعضهم عن شيخه قائلاً : « وكانت الكعبة تطوف به تشريفاً له » ويروج السيوطي عفا الله عنه لمثل هذه الأكاذيب[٢] .

قال الغزالي : « ومنهم من تأتي الكعبة إليه وتطوف هي به وتزوره »[٣] .

وذكر النبهاني أن الكعبة أتت إلى ابن عربي هي والحجر الأسود وطافت حوله ثم تتلمذت له وطلبت منه ترقيتها إلى المقامات العليا فرقاها ، وناشدها أشعارا وناشدته[٤] .

قال ابن عابدين النقشبندي : « وفي البحر عن عدة الفتاوى : الكعبة إذا خرجت من أرضها لزيارة أصحاب الكرامة ففي تلك الحال جازت الصلاة إلى أرضها »[٥] .

وأوجبوا على الناس دخول طريقتهم وهددوا من لا يدخل الطريقة النقشبندية بأنه يكون على خطر من دينه فنقلوا عن بهاء الدين شاه نقشبند أنه قال : « من أعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه » .

نقد العهد عند النقشبندية :

والنقشبندية كغيرها من الطرق تربي المريد على الطاعة العمياء لشيخه والمبالغة

---

(١) المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية ١١٨-١١٩ الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ١٣٠-

(٢) المواهب السرمدية ١٨٥ الحدائق الوردية ١٨٠ البهجة السنية ٨٠ والحاوي للفتاوي ٢٢٠/١ للسيوطي .

(٣) إحياء علوم الدين (٢٦٩/١) .

(٤) جامع كرامات الأولياء (١٢/١) .

(٥) حاشية ابن عابدين ٣٠٢/١ المطبعة الأميرية .

في ذلك ولهم تصرفات ينكرها صاحب الفطرة السليمة فقد ذكروا في آداب المريد مع شيخه أن يكون مستسلما منقادا راضيا بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن لأن جوهر الإرادة والمحبة لا ينبني إلا بهذا الطريق ، ولا ينكر عليهم شيئًا من أفعالهم لأن المنكر عليهم لا ينجو . وفضلوا خدمة الشيخ على التقرب إلى الله بالنوافل بل على أي عمل صالح آخر كما قال محمد أمين الكردي : « قال بعضهم : الخدمة عند القوم من أفضل العمل الصالح » .

فقال عبيد الله أحرار : « وظن بعض الناس أن الاشتغال بالنوافل أولى من خدمة الشيخ وليس كذلك ، فإن نتيجة الخدمة المحبة وميل القلوب لأنها جبلت على حب من أحسن إليها ، وفرق بين ثمرة النوافل وثمرة الخدمة » .

وقد تجاهلوا ثمرة التقرب إلى الله بالنوافل وهي محبة الله كما قال : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » . زاعمين أنه لا يزال المريد يتقرب إلى الشيخ بالخدمة حتى يحبه !! وزعموا في ذلك أن صوفيا رأى النبي في المنام فسأله أن يوصيه فقال له النبي : « وقوفك بين يدي ولي الله كحلب شاة أو شي بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إرباً إرباً ، قال : حيا أم ميتا يا رسول ؟ قال : حياً أو ميتاً »[١] .

ومن الآداب أيضاً : أن يحب ما يحبه شيخه ويكره ما يكرهه .

وأن لا يتوجه إلا لما أراده شيخه رافعا نظره عن غيره وأن يكون اعتقاده مقصورا على معتقد شيخه . أن يفنى في الشيخ في ذاته وأفعاله وصفاته فإن الفناء في الشيخ مقدمة للفناء في الله[٢] .

---

(١) بارق الحمى للمهدي الرواس ص٤٧ .

(٢) السعادة الأبدية فيما جاءت به النقشبندية ص٣٠ .

وأن لا يتوضأ بمرأى من شيخه ولا يصلي النوافل بحضرته بل زاد السرهندي على ذلك فقال : ولا يذكر الله إلا بإذن الشيخ(١) . وأن لا يتوجه إلا لما أراده الشيخ .

وأن لا يتكلم في مجلس قط إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضرا ، وإن كان غائبا يستأذنه بالقلب(٢) .

وأن لا يشرب ماء ولا يأكل طعاما ولا يكلم أحدا في حضور شيخه(٣) .

وأن لا يكون متوجها إلى أحد . ولا يمد رجله عند غيبة شيخه إلى جانب هو فيه ولا يرمي بصاقه إلى ذلك الجانب . أي الجهة التي يكون فيها الشيخ في أي مكان في العالم .

وأن لا ينكر على شيخه قولا أو فعلا ظاهرا كان أم باطنا؛ لأن شيخه بيد الله تعالى : والله لا يأمر بالفحشاء والمنكر . وأن يعتقد أن كل شيء يصدر عن شيخه يعتبره صوابا وإن لم يره صوابا في الظاهر فإنه يفعل ما يفعله بطريق الإلهام والإذن(٤). أن لا يقوم في محل يقع ظله على ثوب شيخه أو ظله .

أن لا يضع رجله في مصلاه . وأن يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله لا يخالفه في شيء مطلقا(٥) . ثم أنشد الكردي شعرا يبين كيف يكون المريد من شيخه فقال :

وكن عنده كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره عليه فإن الاعتراض تنازع

---

(١) المكتوبات الربانية ص٣٤٧ .

(٢) البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية ص٢٦ .

(٣) المواهب السرمدية ص٤٩٤ .

(٤) السبع الأسرار في مدارج الأخيار ص١٠٧ .

(٥) الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية ص٧٦-٧٧ .

وسلم له فيما تراه ولو يكن على غير مشروع فثم مخادع[١]

فتأمل صفات المريد تجاه شيخه : استسلام وانقياد مطلق كأنه ميت . ثم تأمل ما قاله في موضع آخر من نفس الكتاب أن أكمل أحوال العبد مع الله « أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد »[٢] .

وماذا لو كان المريد فتاة تريد أن تتخذ لها شيخا؟ أليس مطلوبا منها أن تكون ميتة (أو مستلقية) بين يدي الشيخ وأن لا تعترض على ما ظاهره حراما ؟

ومن آداب المريد مع شيخه النقشبندي أيضاً : أن لا يتزوج زوجة طلقها شيخه أو مالت نفسه إليها . ويلزم منه أن تنطبق أحكام تحريم زواج نساء النبي بنساء الولي . وكأن الله قال : وما كان لكم أن تؤذوا أولياء الله ولا أن تنكحوا أزواجهم من بعدهم أبدا إن ذلكم كان عند الإله عظيما وبذلك تصير زوجات الأولياء أمهات المؤمنين !!

وأن يلازم عند الذكر في مخيلته وبين عينيه صورة الشيخ وذلك من أصول الذكر ولا يبعد عند هذه الحالة أن يتشكل الشيطان بصورة الشيخ فيكون التوجه عند الذكر للشيطان وحينئذ يفتح له عجائب الخيالات ويحصل الفناء في الشيطان في حين يظن المسكين أنه فني في ذات الله .

وأن ينام في مكان ويجعل رأسه إلى الغرب وقدميه إلى الشرق .

وأن يجلس المريد بين يدي شيخه متوركا عكس تورك الصلاة[٣] .

وأن يعلم المريد أسماء آبائه في الطريق لئلا ينتسب إلى غير أبيه ولأن الأبوة الروحية أقوى من الأبوة الجسمية فإنه إذا أراد أن يستمد من روحانيتهم وكان انتسابه

---

(١) تنوير القلوب ص٥٢٩ .

(٢) تنوير القلوب ص٤٧٩ .

(٣) نور الهداية والعرفان .

إليهم صحيحا أمدته رجال السلسلة النقشبندية بأسرارها وأنوارها »[١] . واعتبروا أنه يمكن للسالك في طريقة القوم أن يكلم من يشاء ابتداء من مشايخ الطريقة الأموات إلى النبي إلى الله . قالوا : وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين : أنه إذا حرك السلسلة تجيبه أرواح الأولياء : من شيخه إلى رسول الله ﷺ إلى حضرة الله عز وجل[٢] . وجعلوا من أعرض عن السلسلة في حكم اللقيط الذي لا يعرف أباه وأمه . وحرموه ميراث النبوة فصرحوا بأنه « مقطوع الفيض غير وارث للنبي » .

وعندهم ما يعرف بمبدأ الرابطة عند النقشبنديين

أول مبدأ يشدد عليه النقشبنديون هو مبدأ الرابطة يعدون به المريد بالوصول إلى الله والفناء فيه وفيض المعارف والحكمة والاتصال بسلسلة مشايخ الطريقة . لقد أخذ النقشبنديون يبحثون للسالك عن رابطة أخرى بالله غير تلك الرابطة التي كانت قرة عين النبي ﷺ أعني الصلاة . والتي كان إذا حزبه أمر نادى بلالا : « أرحنا بها يا بلال » . فابتدعوا الرابطة .

وهذه الرابطة مبناها على ربط القلب بغير الله أي بالشيخ محبة وطاعة وخضوعا وتذللا . والشريعة إنما طالبت بالرابطة أن تكون بالله وليس بغيره . وزعموا أن قلب الشيخ مفتوح إلى عالم الغيب وكل لحظة يحصل فيها المدد من الله إنما تكون بواسطة الشيخ ، بل إذا حدثت وسوسة فعلى المريد أن يغتسل بالماء البارد ويدخل خلوته ويتخيل صورة النبي أو صورة شيخه[٣] . ولكن : إن كان تخيل الشيخ موصل ضروري إلى الله فما المانع من تخيله في الصلوات الخمس ؟

ولا تنس أنها صلة غير مباشرة يشترطون أن يكون الشيخ وسيطا فيها بل لا

---

(١) السعادة الأبدية ص١١-١٢ .

(٢) الحديقة الندية ص١١ .

(٣) نور الهداية ص٤٨

يمكن أن تحصل إلا به . أما مشروعيتها عندهم فهي مستنبطة من قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

قالوا : ففي الآية إشارة إلى الرابطة لأن الاتباع يقتضي رؤية المتبوع حساً أو تخيله معنى ، وهو غرضنا من الرابطة قالوا : « ومنكرها مكتوب في جبهته الخسران متسم بالمقت والحرمان؛ الرابطة تفيد إن كانت مع الإنسان الكامل المتصرف بقوة « الولاية » لأن الإنسان الكامل مرآة الحق سبحانه وتعالى فمن ينظر إلى روحانيته بعين البصيرة يشاهد الحق فيها .

ومن آداب الرابطة عندهم :

– أن يغمض العينين ويلصق اللسان بسقف الحلق والأسنان بالأسنان والشفة بالشفة مع إطلاق النفس[(١)] .

– وأن يستحضر صورة الشيخ في جبهته ويقررها وسط الجبهة . أن يعتقد أن تصرفات روحانية الشيخ من تصرفات الحق سبحانه . فإن الشيخ واسطة بين المريد وبين الله والإعراض عن الشيخ يعتبر إعراضا عن الله[(٢)] . أما الشيخ فإنه يتلقى العلم اللدني من الله مباشرة وبلا واسطة[(٣)] .

– وأن لا يشرب الماء بعد الورد فإنه يطفئ حرارة الذكر . وأن يتصور أن لقلبه لسانا . ويسمونه باللسان الخيالي

– وأن يحمل مسبحة حسنة التكوير حتى يحسن عد الأذكار بخمسة آلاف مرة. أن يلصق اللسان والأسنان والشفة ولكنه يحبس النفس تحت سرته ويتخيل

---

(١) الحديقة الندية ص ٩٧ .

(٢) البهجة السنية ص ٧٥ .

(٣) رسالة في تحقيق الرابطة ص١٢ .

منها نقش (لا) ممتدة إلى منتهى دماغه ويتخيل من دماغه نقش (إله) ممتدة إلى كتفه الأيمن . ويتخيل من كتفه الأيمن نقش(إلا الله) مارّا بها على اللطائف الخمس ضاربا بلفظ الجلالة على القلب[١] .

وقد أفتي غير واحد من العلماء ببطلان تلك الرابطة وعدوها من البدع بل حكموا عليها بأكثر كم هذا كما سترى في الفتوى الآتية

فتوى مفتي العراق ببطلان الرابطة :

وأنها من البدع المنكرة كما صرح بذلك السيد صديق حسن خان[٢] ونقله عن الشيخ أحمد ولي الله الدهلوي والشيخ محمد إسماعيل الدهلوي والسيد نعمان الألوسي مفتي احناف بغداد والمفسر المشهور فقد سال الخير السيد صديق حسن خان عن حكم هذه الرابطة المنتشرة عند النقشبندية وهاك صورة السؤال والجواب

قال : ما قولكم في حكم الرابطة المستعملة عند أصحاب الطريقة النقشبندية .. وهل لها أصل من السنة والكتاب أم هي اختراع واجتهاد ؟

فأجاب بما ملخصه : أما مسألة الرابطة فلا يخفى أنها من البدع المنكرة وقد صرح بالنهي عنها الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي ... وقد أفاد الشيخ العلامة محمد إسماعيل الدهلوي في كتاب (الصراط المستقيم) أن هذه الرابطة بمكان من الشرك لا يخفى . وأقول : ما لنا ولقلبنا وربطه بالشيخ كائنا من كان . وإنما تربط قلوب الأنام ببارئها » .

العهد عند الطريقة البرهانية :

أسسها الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني (ولد ١٩٠٢) ، الذي استطاع أن

(١) السعادة الأبدية ص ٣٣ .

(٢) في كتابه التاج المكلل .

ينشر الطريقة في جميع أرجاء السودان ومصر وانتشرت الطريقة في أكثر من سبعا وثلاثين دولة في قارات آسيا وإفريقيا وأمريكا وأوروبا .

في سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م أصدرت رئاسة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حكماً بحظر ومنع تداول الكتابين الذين ألفهما محمد عثمان البرهاني وهما (تبرئة الذمة) و(بطائن الأسرار) وحكمت الرئاسة بكفر مؤلفهما وكفر وردة كل من انتمى إلى الطريقة البرهانية عن قناعة واختيار . . . وأصدرت السلطات المصرية حكماً بحظر الطريقة البرهانية في مصر(١) .

وفي سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٩م قامت وزارة الداخلية بالحكومة السودانية بإلقاء القبض على أتباع الطريقة البرهانية وحرقت مؤلفاتها .

وفي سنة ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م أصدر المجلس الأعلى للطرق الصوفية بجمهورية مصر !! قراراً بالرقم ، ونص المادة الأولى منه : « عزل السيد محمد عثمان عبدو من وظيفته ومشيخته لمشيخة الطرق الصوفية بجمهورية السودان الديمقراطية .. » . وظهرت الطريقة البرهانية مرة أخرى بعد سقوط نظام الرئيس النميري ، في العام ١٩٨٥م .

أوراد الطريقة

للطريقة عدة اوراد ، أشهرها الحزب السيفي ، وحزب المغني ، والأساس ، الصلاة المحمدية ، صلاة ابن بشيش ، والحزب الكبير والحزب الصغير .

نقد عهد الطريقة البرهانية :

تشتمل هذه الأوراد على طلاسم وكلمات غريبة لايدرى ما معناها وبعضها قد تكون من أسماء شياطين وجن بالإضافة أنها تشتمل على توسولات شركية وبدعية

---

(١) صحيفة اللواء الإسلامي في عدديها الخميس ٢٠ محرم ١٤٠٩هـ والخميس ٢٧ محرم ١٤٠٩هـ .

واستغاثة بغير الله ولم نستعرض هنا ما في هذه العهود البرهانية لكثرة

العهد عند الطريقة الخلوتية :

هذه صورة أخذ العهد أرسلها السيد البكري الصديقي الخلوتي حين أذنه بأخذ العهود على طريقة الخلوتية

ونص ما كتب كيفية المبايعة للنفس الطائعة : أن يجلس المريد بين يدي الأستاذ ويلصق ركبته بركبته والشيخ مستقبل القبلة ويقرأ الفاتحة ويضع يده اليمنى في يده مسلما له نفسه مستمدًا من امداده ويقول له قل معي استغفر الله العظيم ثلاث مرات ويتعوذ ويقرأ آية التحريم يا ايها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا الى قدير ثم يقرأ آية المبايعة التي في الفتح ليزول الإشتباه وهي إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم الى قوله تعالى عظيما ثم يقرأ فاتحة الكتاب ويدعو الله لنفسه وللآخذ بالتوفيق ويوصيه بالقيام بأوراد الطريق والدوام على ذوق اهل هذا الفريق وعرض الخواطر وقص الرؤيات العواطر واذا وقعت الإشارة بتلقين الاسم الثاني لقنه ليبلغ الأماني .

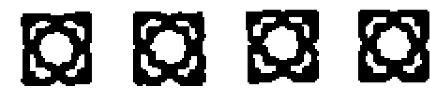
وفتح له باب توحيد الافعال اذ لا غيره فعال وفي الثالث توحيد الاسماء ليشهد السر الاسمى وفي الرابع توحيد الصفات ليدرجه الى أعلى الصفات وفي الخامس توحيد الذات ليحظى بأوفر اللذات وفي السادس والسابع يكمل له التوابع . ونسأل الله تعالى الهداية والرعاية والعناية والدراية والحمد لله رب العالمين انتهى .

هذا ما كتب بخطه الشريف

نقد عهد الطريقة الخلوتية :

وكالعادة يشتمل هذا الع على توظيف لآية البيعة في غير محلها وتلقين المريد للعهد بهيئة لم ترد عن رسول الله ﷺ ولا أصحابه الكرام وأنا أسأل هؤلاء الطرقية هل انتسب أو بكر رضي الله عنه إلى طريقة سماها باسمه الطريقة البكرية ، أو

انتسب عمر إلى الطريقة العمرية ، أو عثمان إلى الطريقة العثمانية ، أو علي إلى الطريقة العلوية ، أو سعد بن أبي وقاص إلى الطريقة السعدية ، أو معاذ بن جبل إلى الطريقة المعاذية ، أو خالد بن الوليد إلى الطريقة الخالدية ، أو طلحة بن عبيد الله إلى الطريقة الطلحية ، أو الزبير بن العوام إلى الطريقة الزبيرية وهل سمعتم أن الإمام أبا حنيفة انتسب إلى الطريقة النعمانية أو انتسب أحمد إلى الطريقة الأحمدية أو انتسب الشافعي إلى الطريقة الشافعية او انتسب مالك إلى الطريقة المالكية أو انتشب سفيان الثوري إلى السفيانية أو انتسب اسحاق ابن راهويه شيخ البخاري إلى الطريقة الإسحاقية أو انتسب البخاري إلى الطريقة البخارية أوانتسب النسائي إلى الطريقة النسائية أو انتسب الترمذي إلى الطريقة الترمذية الجواب : بلا شك لم يحدث من ذلك شيء فلماذا يصر أرباب الطرق على تمزيق الأمة وتفريقها شيعاً وأحزاباً .



فصل

في نصيحة مهمة لكل مسلم وللصوفية على وجه الخصوص

المسلم في هذه الحياة له أجل لابد يوماً من أن يبلغه فلا خير في عمر ينفق في غير طاعة الله وغنما الطاعة ما كان في كتاب الله ولا يبالي المسلم إذا اسخط الناس مادام قد أرضى ربه ولهذا يشعر المسلم بالغربة كثيراً لاسيما في هذه الأزمنة المتأخرة والتي بات فيها المسام وقد فقد المعين إلا من الله عز وجل وقد حاربه الناس ونصبوا له العداء بسبب صدعه بالحق ومخالفته لعوائدهم الضالة التي تخالف الكتاب والسنة ولهذا ينبغي أن يوطن المسلم نفسه على مجابهة باطلهم ولا ينحني لعواصفهم وليحسن التوكل على الله ويزيد يقينه بالله ويحكم رجاءه في الله ولا يركن لسواه .

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيته للمسلم الغريب الذي يعاني من الغربة في وسط أهل الفسق تارة وأهل البدع تارة أخرى : « فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه وفقها في سنة رسوله وفهما في كتابه وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات وتنكبهم عن الصراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله وأصحابه فإذا أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه وطعنهم عليه وإزرائهم به وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه فأما إن دعاهم إلى ذلك وقدح فيما هم عليه تقوم قيامتهم ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله فهو غريب في دينه لفساد أديانهم غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع غريب في اعتقاده لفساد عقائدهم غريب في صلاته لسوء صلاتهم غريب في طريقه لضلال وفساد طرقهم غريب في نسبته لمخالفة نسبهم غريب في معاشرته لهم لأنه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم وبالجملة فهو غريب في أمور دنياه وآخرته لا يجد من العامة مساعدا

ولا معينا فهو عالم بين جهال صاحب سنة بين أهل بدع داع إلى الله ورسوله بين دعاة إلى الأهواء والبدع آمر بالمعروف ناه عن المنكر بين قوم المعروف لديهم منكر والمنكر معروف »[١] .

وقال رَحِمَهُ اللهُ : « وقال الحسن : المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها للناس حال وله حال الناس منه في راحة وهو من نفسه في تعب . ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله لا شيخ ولا طريقة ولا مذهب ولا طائفة بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقا وأكثر الناس بل كلهم لائم لهم فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم[٢] .

ثم قال عن تمسك الفرقة الناجية الغريبة بين الفرق الضالة ويشرح حالها : « وكيف لا تكون فرقة واحدة قليلة جدا غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفة ما جاء به الرسول فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشبهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم . فكيف لا يكون المؤمن السائر إلى الله على طريق المتابعة غريبا بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحهم وأعجب كل منهم برأيه »[٣] .

* * *

---

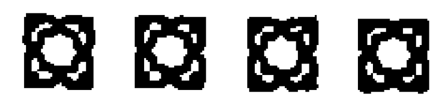
(١) مدارج السالكين (٣/١٩٩-٢٠٠) .

(٢) مدارج السالكين (٣/١٩٧) .

(٣) المصدر السابق (٣/١٩٨) .

وأخيرًا أقول : احذروا البدع كلها .

قال الشاطبي رحمه الله : « إن قول النبي ﷺ « كل بدعة ضلالة » محمول عند العلماء على عمومه لا يستثنى منه شيء البتة ، وليس فيها ما هو حسن أصلًا »[1]



(١) الإفادات والإنشاءات للشاطبي ص ٣٩ .

مُحتَويات
المجموعة الأولى

الموضوع — الصفحة

مقدمة الموسوعة ٧

(١) بهجة الأصفياء في نقد مفهوم الصوفية للأولياء ١١

مقدمة ١٣
فصل : في خطأ كثير من الناس في فَهْـم ولاية الله تعالى ١٥
فصل : في المفهوم الصحيح لولاية الله وصفات أولياء الله ٢٤
فصل : والولاية تتفاضل بحسب إيمان العبد وتقواه ٢٦
فصل : أولياء الله تعالى لا يتميزون على الناس بلباس أو غيره ٢٨
فصل : أولياء الله هم المعتصمون بالكتاب والسنة ٣٠
فصل : في المعيار الفارق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٣١
فصل : في أن الكرامة ثمرة الاستقامة ٣٣
فصل : في أن خرق العادة لشخص لايدل على ولايته مالم يكن متبعاً .. ٣٦
فصل : في أن الشرع ميزان الأعمال والأقوال ٤٠
فصل : في إثبات الكرامات للصالحين معتقد أهل السنة وذكر طرفًا منها . ٤١
فصل : في أن جريان الكرامة على يد شخص ليس شرطًا في بلوغ الولاية. ٤٧
فصل : في التحذير من الأحوال الشيطانية والشطحات الصوفية ٥١
فصل : في ترهات وخرافات عن الكرامات ذكرها الشعراني وغيره .. ٥٨

(٢) تسديد الحراب إلى من زعم وجود الغوث والأقطاب ٦٧

مقدمة ٦٩
فصل : في انتشار عقيدة الغوث والقطب في أوراد الصوفية وأشعارهم .. ٧١
فصل : في بطلان عقيدة خاتم الأولياء عند الصوفية ٨٦
فصل : في اعتقاد الصوفية بوجود الأقطاب والغوث والحكومة الخفية .. ٨٩

القطب هو الخليفة الباطن ٨٩
القطب يدور في الجهات الأربع ٨٩
الوجود قائم بالقطب ٩٠
القطبية مقامان : قطبانية عظمي وصغرى ٩٠
الأقطاب وأعوانهم النقباء والنجباء والأبدال والأخيار والعمد والغوث . ٩٠
القطب خليفة الله في ربوبيته ٩٠
مساكن الأقطاب والغوث ٩١
الغوث أعظم الأولياء ، والأوتاد مفزع العامة والنقباء مفزع الأوتاد .. ٩١
الأقطاب يتعاقبون على كرسي إدارة العالم من لدن آدم إلى عصر النبي ﷺ
وعددهم ٢٥ .... ٩١
الأبدال وعددهم سبعة ٩١
الأحاديث الواردة في الأبدال في رسالة السيوطي « الخبر الدال »وكذا
القطب والغوث ٩١
علامات القطب خمس وعشرون علامة ٩١
القطب أفضل جماعة المسلمين ٩٢
القطب هو الغوث وله مرتبة عالية لا حدود لها ٩٢
قطب الأقطاب يعلم علم ما قبل الوجود وما بعده ٩٢
القطب له ثلاثمائة وستة وستون ذاتاً وأنه يتطور ٩٣
القطب لا يطيق رؤيته إلا الخواص ٩٣
للقطب التصرف في العالم العلوي والسفلي والخواطر ٩٣
اجتماع الغوث والأقطاب ومعاونيه للبت في مصير العالم ونظامه .. ٩٥
عقد الديوان القطبي في غار حراء وانعقاد المجلس قبيل الفجر ٩٧
فصل : في بطلان عقيدة الصوفية بوجود الأقطاب والغوث والرد عليهم . ٩٩
الرد على ما جاء في رسالة الإمام السيوطي « الخبر الدال » ١١٣
استعراض الأحاديث الواردة في الأبدال والوقوف على حقيقتها : .. ١١٦

تفسير القطب ، والغوث ، الأبدال ، النجباء ، الأوتاد ، النقباء ١٤٣-١٤٨
رد دعوى الصوفية بأن مسكن القطب مكة والنقباء المغرب والنجباء مصر ١٤٨
رد دعواهم بتطور الولي ١٤٩
رد دعواهم بعلامات القطب ١٥١
رد دعواهم بعصمة الأولياء والقطب ١٥٢
رد دعواهم بأن القطب لا يطيق رؤيته إلا الخواص ١٥٧
رد أسطورة المجلس القطبي والأعوان واجتماعهم في زمن معين ١٥٨
تقيد دعواهم بأن القطب هو أفضل أهل زمانه ١٥٩
رد الزعم بأن القطب وأعوانه وسائط بين الله وخلقه ١٥٩
تفنيد كذبهم بأن الغوث مفزع الكل ١٦٢
رد دعواهم بتسلسل الأقطاب ١٦٤
رد الادعاء بأن الكون يمسكه أربعة أقطاب ١٦٥
رد دعواهم بأن القطب يمد الناس ويعرفهم ١٧١

(٣) الاعتصام برب البرية من بدعة الحضرة الصوفية ١٧٣

مقدمة ١٧٥
مدخل لتسأولات وكشف شبهة ١٧٧
فصل : في تعريف الذكر ١٨٨
فصل : في فضل ذكر الله تعالى وثواب الذاكرين الله والذاكرات ١٨٩
فصل : النبي ﷺ هو الذي تولي بيان كيفية ذكر الله تعالي ١٩٤
فصل : الانكار علي الطرقية اختراع أوراد وأذكار وصلوات مخالفة لهدي النبي ﷺ في الذكر ١٩٦
فصل : في فضائل وفوائد الصلاة والسلام علي النبي ﷺ ٢٠٢
فصل : في بعض صيغ الصلاة علي النبي ﷺ الواردة في السنة الصحيحة. ٢٠٥
فصل : في وجوه إبطال ما يعرف بالحضرة الصوفية ٢١٨

الوجه الأول : الحضرة الصوفية بدعة محدثة وضلالة ٢١٨
الوجه الثاني : بعض الحضرات أو أغلبها تشتمل علي آلات غناء وهذا محرم بالنص والإجماع ٢٢٠
الوجه الثالث : الذكر هو هيئة جماعية بدعة أنكرها السلف ٢٢١
الوجه الرابع : الحضرة الصوفية تشتمل علي رفع الأصوات في المساجد مما ينافي احترامها ٢٢٥
الوجه الخامس : اشتمال الحضرة علي التصفيق باليد وهذا ممنوع علي الرجال لما فيه من التشبه بالنساء والكفار ٢٢٧
الوجه السادس : اشتمال الحضرة الصوفية علي تلويث المسجد بالأكل وما يترتب عليه من روائح كريهة ٢٢٧
الوجه السابع : الحضرة الصوفية تشتمل علي رفع الصوت بالذكر وهذا مخالف للنصوص ٢٣٣
الوجه الثامن : اشتمال الحضرة علي بدعة الرقص يميناً ويساراً ٢٣٥
الوجه التاسع : اشتمال الحضرة علي بدعة السماع والغناء الصوفي وهي بدعة قديمة أنكرها العلماء ٢٤٢
الوجه العاشر : إنكار أهل العلم لهذه الحضرة الصوفية ولبدعة الطرقية . ٢٤٣
أولا : المذهب الحنفي ٢٧٣
ثانيا : المذهب الشافعي ٢٧٤
ثالثا : المذهب المالكي ٢٧٧
رابعا : المذهب الحنبلي ٢٩٣
الوجه الحادي عشر : اشتمال الحضرة علي ما يعرف بالذكر بالاسم المفرد أو المضمر وهذا مخالف للسنة النبوية ٢٥٧
الوجه الثاني عشر : إنكار أهل العلم قديماً وحديثاً هذه الحضرات الصوفية ٢٦٣
الوجه الثالث عشر : أن سلف الأمة وهم خير القرون لم يفعلوا هذه الحضرات ٢٩٥

فصل : في الأدلة التي استدل بها الطرقية على إقامة الحضرات والرقص فيها وسماع الغناء فيها ٢٩٧
فصل : في التعقيب على كلام للإمام السيوطي ٣٧٤
فصل : في تلاعب الصوفية الطرقية بلفظ الجلالة « الله » ٣٧٧
فصل : في بدعة الذكر بالاسم الفرد أو المضمر أو اسم الصدر ٣٨٠
فصل : في ذكر كلام أهل العلم في بطلان ما يعرف بالذكر المفرد أو المضمر ٣٨٣
فصل : المبتدع يتخذ زلات العلماء حجة علي بدعته ٣٩٩
فصل : فيما استدل به الطرقية على استحباب الذكر بالاسم المفرد والمضمر ٤٠٠
فصل : في دعوى بعض الصوفية أن الملائكة تحضر مجالس الرقص ٤٣٠
فصل : الرد علي الزمزمي الغماري في دفاعه عن رقص الصوفية في حضراتهم ٤٣٢
فصل : في دور العلماء والحكام والعوام تجاه من يقيم هذه الحضرات من الطرقية ٤٣٩

(٤) تحريض الحشود الوفية لإنكار بدعة أخذ العهود الصوفية ٤٤٣

مقدمة ٤٤٥
كشف شبهة والرد عليها من عشرة وجوه ٤٤٧
فصل : في تعريف العهد في اللغة والشرعي ٤٥٢
فصل : في تعريف العهد عند الصوفية ٤٥٨
فصل : في العهد الشرعي ٤٥٩
فصل : في أسباب أخذ أرباب الطرق الصوفية للعهود من مريديهم ٤٦٣
١ـ استغلال الجهل بالشرع المطهر عند الناس ٤٦٣
٢ـ اشاعة جو من الارهاب على المريد خشية تفلته من الطريقة ٤٧٠
٣ـ ضمان استمرار جمع الأموال لمشايخ الطرق ٤٧١
٤ـ ايهام المريدين بأن المشايخ يملكون لهم النفع والضر ٤٧٢
٥ـ ضمان استمرار ضخ الجمهرة والمحافظة على كثرتها ٤٧٤
فصل : في أدلة بدعية أخذ العهود الصوفية التي يأخذها المشايخ على مريديهم ٤٧٧

(١) أخذ العهود الصوفية مخالف لهدي النبي ﷺ ٤٨٥
(٢) أخذ العهود الصوفية بدعة ضلالة ٤٨٨
(٣) أخذ العهود الصوفية مخالف لهدي السلف الصالح ٤٩٤
(٤) أخذ العهود الصوفية اشتراط ليس في كتاب الله ٤٩٦
(٥) أخذ العهود الصوفية إلزام للناس بما لم يلزمهم به الله ورسوله .. ٤٦٩
(٦) أخذ العهود الصوفية زاد من تفرق المسلمين ٤٩٧
(٧) أخذ العهود الصوفية أدخل الخوف والهلع في نفوس الناس ٥٠٠
(٨) أخذ العهود الصوفية أنكره أهل العلم ٥٠٠
(٩) أخذ العهود الصوفية شرع لم يأذن به الله ٥٠٤
(١٠) أخذ العهود الصوفية صاحبه اعتقادات باطلة ٥٠٦
فصل : في الرد على أدلة الصوفية في ممارستهم لتلك العهود ٥٠٧
(١) احتجاجهم بقول الله تعالى ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ... ﴾
والرد عليهم من وجوه ٥٠٧
(٢) احتجاجهم بقول الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا
على الإثم والعدوان ﴾ والرد عليهم من وجهين ٥١٠
(٣) احتجاجهم بقول الله تعالى ﴿ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا ﴾
والردعليهم ٥١٠
(٤) الاحتجاج بحديث عبادة بن الصامت : ﴿ بايعوني على ألا تشركوا
بالله شيئاً ...﴾ والرد عليهم من وجوه ٥١١
(٥) الاحتجاج بحديث شداد ﴿ ارفعوا ايديكم ﴾ والرد عليهم من وجهين ٥١٢
(٦) الاحتجاج بحديث بشير بن الخصاصية أتيت النبي لأبايعه ... ﴾ والرد
عليهم من وجهين ٥١٤
(٧) احتجاجهم بأن الترك لايفيد حكما شرعياً ومن ثم فلا بدعية في أخذ
العهود الصوفية . والرد عليهم من وجوه ٥١٥
(٨) الاحتجاج بحديث جرير بن عبد الله : قلت : يارسول الله اشترط

علي ... » والرد عليهم ٥٢٤

(١٠) احتجاجهم بلبس الخرقة والرد عليهم من وجوه ٥٢٤

فصل : في أن من أكبر أسباب التخلف العقدي انتشار كتب العهود الصوفية ٥٣٩

فصل : في أمثلة من عهود صوفية عند بعض الطرق الصوفية المنتشرة ونقدها ٥٤٦

عهود صوفية للحيوانات ! ٥٤٦

العهد الصوفي عند الطريقة القادرية ٥٤٧

نقد العهد الصوفي عند الطريقة القادرية ٥٥٠

العهد عند الطريقة السمانية ٥٥١

نقد العهد عند الطريقة السمانية ٥٥٢

العهد عند الطريقة الختمية ٥٥٢

نقد العهد عند الطريقة الختمية ٥٥٤

العهد عند الطريقة البدوية ٥٥٧

نقد العهد عند الطريقة البدوية ٥٥٨

العهد عند الطريقة الشاذلية ٥٥٨

نقد العهد عند الطريقة الشاذلية ٥٥٩

العهد عند الطريقة الرفاعية ٥٦١

نقد العهد عند الطريقة الرفاعية ٥٦٤

العهد عند الطريقة النقشبندية ٥٦٧

نقد العهد عند الطريقة النقشبندية ٥٦٨

العهد عند الطريقة البرهانية ٥٧٤

•نقد العهد عند الطريقة البرهانية ٥٧٥

العهد عند الطريقة الخلوتية ٥٧٦

نقد العهد عند الطريقة الخلوتية ٥٧٦

فصل : في نصيحة لكل مسلم وللصوفية على وجه الخصوص ٥٧٨

* * * *

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٥٣٩٤ / ٢٠١٢م

